

شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية

تأليف

محمد بن محمد مخلوف

(ت: ١٣٦٠هـ)

تحقيق

دكتور/ على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعتى المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقاً)

الجزء الثالث

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - ٥٩٣٨٤١١ فاكس ٥٩٣٦٢٧٧

E.mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

حينئذاً فليعلموا

٢١٠٢

حقوق الطبع محفوظة للناسر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - ٥٩٣٨٤١١ فاكس ٥٩٣٦٢٧٧

E.mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

مخلف، محمد بن عمر بن قاسم، ١٩٤٠ - ٢٠٠٠

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية

تأليف: محمد بن عمر بن قاسم، مخلف

تحقيق: د: على عمر

ط ١ - القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٦

٣ مج: ٢٤ سم

تدمك: 977-341-312-1 (مج ٣)

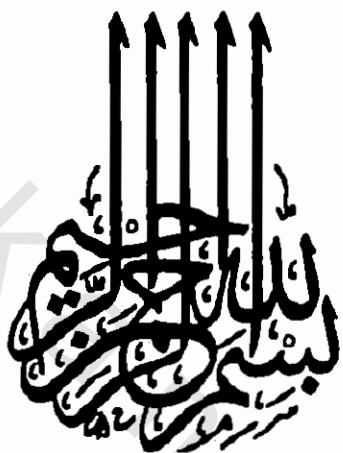
١ - الفقه المالكي

١ - عمر، على محقق

ب - العنوان

ديوى: 922,582

رقم الإيداع: ١٩٩٧٣ / ٢٠٠٦



obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فصل

[شيوخ المؤلف من السادة الأحناف]^(١)

اعلم أن طبقات المقصد انتهت بذكر بعض شيوخنا وشيوخ هذا العصر، وهم من السادات المالكية، ومن الواجب أن نذكر البعض الآخر من السادات الحنفية والذين قرأت عليهم بالمنستير، لأنهم الآباء في الدين، والوصلة بيني وبين رب العالمين.

أولهم شيخنا صدر الفقهاء وأعلم العلماء شيخ الشيوخ الجهابذة، وأستاذ الأساتذة، من جمع الله له المناقب فاختار منها وانتقى، ورأى أن أحسنها وأكرمها التقوى:

١٧٢٠ - أبو الثناء محمود:

ابن الرجل الصالح والأستاذ الناصح قاضى الحاضرة ثم مفتيها الشيخ مصطفى المتوفى سنة ١٢٧٧، ابن شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، شيخ الإسلام الأول محمد بيرم، المتوفى سنة ١٢١٤، باني بيت آل بيرم، بيتهم لهذا الوقت معمر، ولواء فضلهم على كاهل الدهر منشور، لهم مناقب ومآثر، ورثوها كابرا عن كابر.

أخذ شيخنا المذكور هو وأخوه العلامة الهمام شيخ الإسلام الخامس المتوفى سنة ١٣١٨ عن والدهما الشيخ مصطفى، وهو وابن ابن أخيه علامة عصره وفريد عصره شيخ الإسلام الرابع، المتوفى سنة ١٢٧٨، أخذوا عن جماعة منهم شيخ الإسلام الثاني عن شيخ الإسلام الأول، عن الشيخ أحمد المكودي بسنده، ومنهم الشيخ محمد بن التهامي الرباطي، الوافد على تونس سن ١٢٤٣، وأجازهما، وهو

(١) زيادة من المحقق ليستقيم المعنى.

عن الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري، عن الشيخ التاودي بسنده، وهذا الوافد بالغ في إكرامه جماعة من الفضلاء منهم مصطفى، وابن ابن أخيه المذكوران وتقدمت الإشارة إلى ذلك، وإلى بعض فضلاء البيت الخوجي في ترجمة الوافد.

وله شعر جيد، منها قصيدة بما ما يربو على مائتي بيت، ارتكب فيها الألفاظ الغريبة، قرظها جماعة منهم الشيخ مصطفى المذكور بمنظوم ومثثور، فالمنظوم قصيدة مستهلها:

سمحت بوصل بعد طول مطالها ودنت ونيل الشمس دون منالها
وتبسمت عند اللقاء بمدنف قد كان يقع في الكرا بنخالها
حسناء تمزج لينها بقساوة حيناً وتوصل هجرها بوصالها
وأخذ أيضاً صاحب الترجمة عن الشيخ سالم بوحاجب وغيره.

وعنه جلة، منهم: ابن أخيه أحمد، شيخ الإسلام السادس، وهو الآن بالحاضرة قطب رحاها وشمس ضحاها، وإسماعيل الصفائح، ومحمود بن محمود، ومحمد بن يوسف، وحمودة تاج.

قرأت عليه شرح الدمنهوري على السمرقندية والمكودي على الخلاصة، ومقدمة مختصر السعد والقطر بشرح مؤلفه.

تولى الوظائف النبيهة، منها: التدريس من الرتبة الأولى ثم القضاء ثم الفتيا وتوفي عليها سنة ١٣١٦.

١٧٢١- ومنهم: شيخنا أبو الثناء محمود، ابن شيخ الإسلام محمد المتوفى سنة ١٢٧٩، ابن باني البيت الخوجي، العلامة الشيخ المفتي المعروف بالصلاح والدين المتين أحمد بن الخوجه المتوفى سنة ١٢٤١.

فهو الإمام العلامة الفاضل، خلاصة الأفاضل، همام تغلغل في شهاب العلم زلاله، وماجد تسلل حديث قديمة فطاب لراويه عذبه وسلساله، خاتمة المحققين، وحامل مذهب النعمان باليمين، الفرد العلم، الفصيح اللسان والقلم، كريم المعاشرة، حسن الخط والمذاكرة.

أخذ عن والده وأخيه شيخ الإسلام الثاني أحمد والشيخ قابادو، والشيخ عمر ابن الشيخ، والشيخ حمدة الشاهد، وشيخ الإسلام معاوية، ومحمد النيفر الأكبر، وتقدمت الإشارة إلى ما لآل هذا البيت من المآثر الحسنة. قرأت عليه مع جماعة مقدمة المطول للسعد.

له رسائل وفتاوى في فنون من العلم وأختام في الحديث بلغت الغاية في السبك والتجبر والتقرير، منها: القول المنتقى في مسألة الشرط المطول من كتاب أبي البقا، والقول النفيس في مسألة تعدد التحجيس، وروضة المقل في مسألة طلاق المختبل، وطب العليل في مسألة ثبوت الدين في زعم الكفيل، والقول البديع في مسألة المشتري من الشفيع، ورسالة في المذهبين الحنفي والمالكي في الرشد والسفه، وله حاشية على الألفية سماها: الحواشي التوفيقية، وحاشية على الزيلعي سماها الحصن الحصين على التبيين، وغير ذلك.

ختم الكتب العالية وتدرج في الخطط النبيلة، منها: التدريس من الرتبة الأولى، والخطابة بجامع أبي الخيرات صاحب الطابع، والنظارة العلمية، والفتيا، ثم مشيخة الإسلام سنة ١٣١٨.

وتوفى عليها سنة ١٣٢٩.

١٧٢٢- ومنهم: ابن شقيق المذكور شيخنا أبو عبد الله محمد، ابن علم الأعلام قدوة الأنام، شيخ الإسلام الثاني أحمد بن الخوجه المتوفى سنة ١٣١٣. فهو عزيز إفريقية، وابن عزيزها، وبدر المعالي الحائز قصبات السبق في مضمار العلا وتبريزها، العلامة الماهر، الناظم النائر.

أخذ عن والده، وعمر ابن الشيخ وجماعة.

قرأت عليه نحو الثلث من شرح الدماميني على المغني.

تولى التدريس من الرتبة الأولى، والإمامة، والخطابة بجامع سيدى محرز، والفتوى، وتوفى عليها سنة ١٣٢٥.

١٧٢٣ - منهم شيخنا محمود بن محمود:

حامل رايات التحقيق، وواسطة تاج التدقيق، ظهر منه ما أفعم شقائق النعمان، وافتخر به مذهب أبي حنيفة النعمان، العمدة الفاضل، العامل الكامل. أخذ عن أعلام، منهم: الشيخ محمد النيفر الأصغر، وعمر بن الشيخ، وشيخ الإسلام أحمد بن الحوجه.

وعنه جماعة، منهم: الشيخ محمد النخلى، ومحمود موسى. قرأت عليه مختصر السعد من أوله إلى منتصفه وأجازنى تولى التدريس من الرتبة الأولى، ثم القضاء، ثم الفتيا، وتوفى عليها سنة ١٣٤٤.

١٧٢٤ - ومنهم شيخنا أبو العباس أحمد بن مراد:

ملحق الأحفاد بالأجداد، العلامة المحقق، الفهامة المدقق. أخذ عن الشيخ عمر بن الشيخ وغيره. درس وخطم الكتب العالية. وانتفع به جماعة، منهم: الشيخ محمد النخلى. قرأت عليه شرح الحلى على جمع الجوامع، والقطب على الشمسية، والكبرى من أولها إلى منتصفها، وأجازنى. تولى التدريس والنظارة العلمية ثم الفتيا. وهو الآن بقيد الحياة حفظه الله.

ذكر الشيوخ الذين قرأت عليهم بالمنستير

حفظت القرآن العظيم برواية ورش بزاوية الولي الصالح الشيخ عمر الفيلالى على المؤدب الشيخ محمد خفشة، ونعرض أحزابى ليلا على الشيخ على السجورى، وحفظت كثيراً من المتون فى فنون شتى. وقرأت الحساب والفرائض على الثقة الحسين لازم والعمل بالربع المحيب.

وتوحيد المرشد المعين على الموثق الشيخ على زهر، وهما أخذنا عن الشيخ محمد الجدى المترجم له فى الماضى.
وعلى الشيخ الصالح الفرضى أحمد بن خود القيروانى، تلميذ الشيخ إسماعيل التميمى.
وكانت وفاته بالمنستير فى حدود سنة ١٢٧٩، ودفن بمقام الإمام المازرى.

فصل

في الكليات الإسلامية الفسطاط والأزهر وجامعى الزيتونة والقرويين

اعلم أن أول من اتخذ تعليم العلوم بالمسجد الصحابة، منهم: جابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وابن عباس رضى الله عنهم. ثم التابعون، ومنهم: أبو أسامة زيد بن أسلم وجرى العمل بذلك إلى هذا الوقت.

وقد جمع جامع الفسطاط — الذى أسسه عمرو بن العاص — حلقات العلماء الذين أبقوا أكبر الآثار فى الاجتهاد والاستنباط، والذين أظهروا للناس كافة فقه الأئمة المجتهدين على اختلاف مذاهبهم من أصحاب مالك والشافعى، ثم لما تأسس الجامع الأزهر سنة ٣٥٨ صار هو الكلية الوحيدة فى تلك الجهات، وتخرج منه جهابذة أعلام من سائر المذاهب لا يمكن حصرهم بحال، وهو جار على استقامة لهذا الوقت، مقصود من سائر الجهات الشرقية، وشهرته تغنى عن التعريف به، ونظرًا لتقدم العلوم والمعارف تقدمًا باهرًا فى هذا الوقت رأى بعض المفكرين إصلاح التعليم به وصدرت مذكرة فى الغرض من الأستاذ الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر، نقلها الأستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره سورة طه.

أما جامع القرويين بفاس الذى أسسته أم البنين السيدة فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى وكان الشروع فيه فى رمضان سنة ٢٤٥. هو إلى الآن الكلية الوحيدة، تخرج منه أئمة أعلام، والكلام عليه مبسوط فى جذوة الاقتباس^(١).

(١) انظر فى ذلك جذوة الاقتباس ١/ ٥٢ وما بعدها.

وأما إفريقية فالكلية الوحيدة بها أولا جامع القيروان الذى أسسه سيدنا عقبة ابن نافع رضي الله عنه سنة ٥٠.

ثم لما انتقل كرسى المملكة إلى تونس صارت الكلية الوحيدة جامع الزيتونة، وتخرج منه أئمة أعلام لا يمكن استقصاؤهم.

وقد اعتنى بشأن هذا الجامع وبشأن العلوم الملوك والأمراء، فجمعوا الكتب العلمية على اختلاف أنواعها، وحصل منهم التعالى فى اقتنائها وحفظها فى الخزائن بقصورهم للمطالعة، وبالمدارس وبجامع الزيتونة لنفع العموم.

وكان فى خزائن أبى عبد الله المنتصر ستة وثلاثون ألف مجلد، وما وقع تحبيسه من أبى فارس وأبى عمرو وأبى عبد الله كثير جداً، وسيأتى شرحها فى التتمة. وفى الرزنامة التونسية أن جامع الزيتونة كان مستبحراً بالعلوم، على اختلاف أنواعها، عقلية ونقلية مقاصد ووسائل، حتى كان يقال: إن حذاء كل سارية من سواريه مدرساً، وفى خزائنه ما يزيد على المائتى ألف مجلد.

ولما دخل الإسبان تونس ربطوا خيلهم بالجامع واستباحوا ما به وبالمدارس من الكتب وألقوها فى الطرقات يدوسها العسكر بخيولهم، وهذا هو السبب فى قلة وجود تأليف الفحول الذين تخرجوا من هذا الجامع.

وكانت للمشير أحمد باشا عناية زائدة بالعلم وجمع الكتب، فاشتري كتباً كثيرة لها بال، وأضاف لها كتب آله الموضوعية بخزائن أسلافه، ووضعت فى خزائنها العشرين التى زين بها صدر الجامع على يمين المحراب وشماله، ورتب به ثلاثين مدرساً، نصفهم حنفية ونصفهم مالكية.

ثم أضاف لها المشير محمد الصادق باشا ست خزائن مملوءة كتباً، وأحيا المكتبة المعروفة بالعبدية بصحن الجنائز من الجامع المذكور، وضع فيها ما يزيد على الثلاثة آلاف مجلد من نفائس الكتب، وزاد فى الجراية للمدرسين، واستنهض همتهم.

قلت: فى هذا الوقت به من التلامذة ١٩٧٣، وعلى عهد الأمير المنعم المبرور محمد الحبيب باشا باى وقعت الزيادة فى الجراية والمدرسين بين حنفية ومالكية فى

طبقات ثلاث: الأولى عددها ٣٠، والثانية عددها ١٢، والثالثة عددها ٥٠، واثنان من المدرسين في فن القراءات، أحدهما في المرتبة الأولى والآخر في الثانية، وهاته خصصت بالتعليم الابتدائي بجامع سيدى يوسف، وصيرورة هذا الجامع فرعاً لجامع الزيتونة حيث ضاق بأهله، وكان ابتداء التعليم به في يوم السبت الخامس عشر من شوال سنة ١٣٤٥ في احتفال عظيم، وموكب فخيم حضره الأمير المذكور والخاصة والجمهور.

والخلاصة أن هذا الجامع اعتنى به الأمراء وكثير من فضلاء الأمة بجعل خزائن كتب علمية وإقامة مدرسين فيه يثون العلم الشريف، وروح الشرع العزيز، وقواعد الدين الحنيف، وقد تخرج منه الكثير من فحول العلماء الأفاضل، حاملين لواء العلوم مقاصد ووسائل، لهم مقدرة عظيمة على التقرير، والتأليف والتحرير، وإقامة البراهين والدلائل، وحل المشكلات مع التضلع في اللغة العربية الفصيحة التي أصلها مكين، وموردها عذب معين، وذلك من أواسط المائة السابعة إلى هذا الزمان، أدام الله عمرانه، ما تعاقب الحديدان، فهو منبت العز والكلية الوحيدة بإفريقية، والكعبة التي يؤمها الطلبة من سائر الجهات في غالب الأزمنة والأوقات.

واعلم أن أول مخطط له هو الأمير الجليل حسان بن النعمان الغساني الداخل إلى إفريقية سنة ٧٩ الفاتح لتونس، وأتمه الأمير الخطيب الفصيح البارع عبيد الله بن الحبباب الداخل لإفريقية سنة ١١٤، وقيل: هو أول مخطط له، وتم سنة ١٤١ وقد جاء في تاريخه (اعلم) المرسم على الأقواس التي فوق الثوابت، ثم إن زيادة الله ابن الأغلب بنى به الأبنية الضخمة، ونقش في القبة التي فوق المحراب اسم أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي، وسقف بيت الصلاة مقام على أكثر من مائة وخمسين أسطوانة من الرخام، وبعضها مرمر.

ووقع به بعد ذلك زيادات وتحسينات إلى أن بلغ الحالة التي عليها الآن، فهو مؤسس على تقوى من الله.

وفيه مواضع معروفة بمحلات إجابة الدعاء فيها، وإنه لا يخلو من رجل موصوف بعلم ظاهر، أو شرف زاهر، أو صلاح باهر، ولم يزل أهل البر يوقفون

عليه الأوقاف المعتبرة لإقامة شعائره وتنويره وتحصيره، وغير ذلك، وهى جارية على مقتضى نصوص محביها على أكمل وجه وأتمه.

والصلوات الخمس والجمعة والعيذان والدروس العلمية وتلاوة القرآن العظيم قائمة على أتم حال، وأحسن منوال، ولاختصاصه بماته المزاي كانت خطة الخطابة والإمامة به أعظم الخطط زيادة على تعظيمها الشرعى، تولاهما الكثير من أعيان العلماء ومن رجال الكمال، ذكر المؤرخون جماعة منهم، منذ انتقل كرسى المملكة، وإليك أيها القارئ الكريم أسماؤهم.

من تولاهما القاضى ابن عبد الرفيع المتوفى سنة ٧٣٣، ثم صرف عنها وتولاهما أبو موسى هارون الحميرى إلى أن توفى عنها سنة ٧٢٩، وتولى مكانه الشيخ محمد ابن عبد الستار المتوفى سنة ٧٤٩، والخليفة عنه الشيخ إبراهيم البسلى، وتولى مكانه الشيخ عمر بن عبد الرفيع، ولما توفى الخليفة البسلى سنة ٧٥٥ تولى مكانه الإمام ابن عرفة، ولما توفى ابن عبد الرفيع سنة ٧٦٦ تولى مكانه الخطابة الشيخ أحمد الغبرينى المتوفى سنة ٧٧٢، وتولى مكانه ابن عرفة إلى أن توفى سنة ٨٠٣، وتولى مكانه الشيخ عيسى الغبرينى إلى أن توفى سنة ٨١٣، وتولى مكانه الشيخ أبو القاسم البرزلى إلى أن توفى سنة ٨٤١، وتولى مكانه أبو القاسم القسنطينى الشهيد سنة ٨٤٦، وتولى مكانه الشيخ عمر القلشاني، والخليفة عنه الشيخ محمد المسراتى القيروانى، وتوفى عمر المذكور سنة ٨٤٧ وتولى مكانه المسراتى المذكور، وتوفى سنة ٨٥٠، وتقدم عوضه الشيخ محمد بن عقاب وتوفى سنة ٨٥١، وتولى مكانه الشيخ محمد الونشريسى، وتوفى سنة ٨٥٣، وتولى مكانه الشيخ محمد البحرى وتوفى سنة ٨٥٨، وتولى مكانه الشيخ أحمد القلشاني، وتوفى سنة ٨٦٣، وتولى مكانه الشيخ أحمد المسراتى، وهو الذى صلى على جنازة الشيخ أحمد بن عروس المتوفى سنة ٨٦٨، وتوفى المسراتى سنة ٨٨٢، وتولى مكانه الشيخ محمد القلشاني وتوفى سنة ٨٩٠، وتولى مكانه الشيخ محمد الرصاع وتوفى سنة ٨٩٤، وتولى مكانه الشيخ محمد بن عصفور.

وبعد ذلك توالى المحن والمصائب على الحاضرة ولم يوجد فيها من يؤرخ رجالها ولذا عمى الخبر على المتولين للخطابة والإمامة به إلى سنة ٩٧٠، فكان القائم بذلك الشيخ محمد الأندلسي، ثم أبو الفضل البرشكي وتوفي سنة ٩٩٢، وتولى مكانه الشيخ محمد بن سلامة وتوفي سنة ٩٩٣، وتولى مكانه الشيخ محمد الأندلسي إلى أن توفي سنة ١٠١٧، وتولى مكانه الشيخ أبو يحيى الرصاع إلى أن توفي سنة ١٠٣٣.

وتولى مكانه الشيخ تاج العارفين البكري، واستمرت الخطابة في بيته بين بنيهِ ١٩٣ سنة، فأولهم: تاج العارفين المذكور، وآخرهم أبو الحسن علي بن أبي الغيث، منهم من باشرها بنفسه، ومنهم من باشرها بواسطة خليفة عنه. وقد باشر الخلافة جماعة من علماء بيت العامري وغيرهم، وفي خلال السنين المذكورة تخلفت عنهم الخطابة مدة يسيرة، وكانوا معتمدين بشرفهم وفضلهم على الخطة المذكورة إلى أن بلغوا الغاية التي أخرجتها من أيديهم. وقد جرت عادة الله في بيوت أهل الفضل والشرف من الملوك وغيرهم إذا تطاول عليها الزمان واعتمد عليها أبنائهم ولم يحصلوا على شرف لأنفسهم فلا يلبث بهم الاشتغال بالتلف وحضارة العيش أن يهدم معالمهم التي بناها آباؤهم وغفلوا عن تجديددها. ولترجع لما كنا بصددده.

لما توفي أبو الحسن علي البكري المذكور قدم عوضه للإمامة الكبرى أبو محمد حسن بن عبد الكبير الشريف وتوفي سنة ١٢٣٤، وقدم عوضه أخوه محمد وتوفي سنة ١٢٥٥، وقدم عوضه الشيخ إبراهيم الرياحي وتوفي سنة ١٢٦٦، وقدم عوضه الشيخ محمود بن علي محسن الشريف ابن عم الشيخ حسن المذكور، وتوفي سنة ١٢٨٤، وتولى مكانه ابن أخيه محمد بن محمد بن علي محسن وتوفي سنة ١٢٨٩، وتولى مكانه الشيخ صالح النيفر وتوفي سنة ١٢٩٠، وتولى مكانه الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الكبير الشريف وتوفي سنة ١٣٠٧، وتولى مكانه ابن عمه أحمد بن حمدة الشريف وتوفي سنة ١٣٣٧، وغالب هؤلاء الخطباء مترجم لهم بالمقصد.

صلة

اعلم أنى ذكرت فى الطبقات جماعة من أئمة الصوفية المشهورين بالعلم والعرفان والصلاح، ولهم فى علم التصوف والرقائق المعانى الرائقة، والإشارات الفائقة، والذوق السليم، والفكر الثاقب المستقيم، وحصل لهم بذلك بعد الصيت والجاه العظيم، وهم فى سلوكهم متفرعون إلى طرق، ولكل واحد منهم أتباع. ومورد الجميع عذب معين، وهو السنة والكتاب المبين، وأستاذ طائفة منهم الإمام الشاذلى، وهناك أساتذة آخرون كالشيخ عبد القادر الكيلانى، والشيخ الدسوقى.

واعلم أن لهؤلاء السادة خرقة يتبركون بها وتعرف بالمرقعة ولهم فى ذلك سند وأدلة، وفى اختصار البوسعيدى لجامع البرزلى ما ملخصه فى الموطأ أن عمر رضي الله عنه كان يلبس ثوباً مرقعاً بين كتفيه برقع ثلاث وهو أمير المؤمنين، ورأى ابن عمر أباه فى جمره العقبة وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة بعضها من آدم. ولبس أبو بكر رضي الله عنه الكساء حتى عُرفَ به.

وكان على رضي الله عنه مخشوشنا فى لباسه ومطعمه.

البرزلى: ومن هذه الآثار أخذ المتصوفة لباس الخرقة المسماة بالمرقعة، وقد رواها جماعة مثل الشيخ أبى العباس أحمد بن إدريس البجائى، الذى أخذ عنه بعض التونسيين، والشيخ أبى المحاسن يوسف العجمى بالديار المصرية وأخذها عنه جماعة. اهـ.

وفى خلاصة الأثر قال الصلاح من القرب لبس الخرقة، وقد استخرج لها بعض المشايخ أصلاً من السنة وهو حديث أم خالد قالت: أتى النبى صلى الله عليه وسلم بشياب فيها خميسة سوداء صغيرة، فقال: «اثنوني بأمر خالد» فأُتِيَ بها، قالت: فألبسنيها بيده وقال: «أبلى وأخلقى» وهو مخرج فى الصحيح، قال: ولم يكن فى الخرقة إسناد عال وذكره ثم قال:

وليس بقادح فيما أوردناه من كون لبس الخرقة غير متصل السند إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث في الأسانيد، لأن المراد ما تحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من الصالحين. اهـ.

وفي شرح الشفا للشهاب الخفاجي عند تعرضه لترجمة الحسن البصري: اختلفوا في كونه لقي علياً عليه السلام وروى عنه، فذهب الكثير أنه لم تثبت رؤيته له ولا أنه ألبسه خرقة المشايخ الصوفية، قدس الله أرواحهم ونفعنا بهم على الطريقة المعروفة عندهم.

وذهب الكثير من المحدثين إلى أنها بدعة لم تصح، لكن الجلال السيوطي صنف فيها جزءاً لطيفاً وقال: إنها ثابتة، وأثبت أيضاً أن الحسن البصري اجتمع بعلي عليه السلام، وكذا ذكر الحافظ ابن حجر، فلا عبرة بإنكار غيرهما، وسن الحسن متحمل له، والمثبت مقدم على النافي. اهـ.

وفي خاتمة فهرس الشيخ الأمير أن الخرقة وحدها ليست هي المقصود الأصلي من الطريق، بل مدار أصل الطريق مجاهدة النفس وإلزامها العمل بما جاءت به الطريقة الحمديدية في الباطن والظاهر، ولبس الخرقة فعله القوم للتبرك وليجتمع بمخرقتهم أصحاب طريقتهم، فالطريقة هي العمل بالكتاب والسنة، والحقيقة أسرار وأنوار يثمرها العمل واتقوا الله ويعلمكم الله. اهـ ببعض اختصار.

تنبيه

اعلم أني التزمت ذكر الوفيات وقد حصل المطلوب في الجمل، ومن لم أذكر وفاته فموجبه عدم حصول العلم بها، لكن ذكرهم في طبقات معاصريهم كاف في الغرض المطلوب، كما أني التزمت ذكر مشيخة المترجم له، والحال أني ذكرت من لم نذكر له مشيخة سببه عدم الوقوف عليها، ولشهرتهم ذكرتهم في طبقات معاصريهم، كابن شاس وابن التين وأبي زيد الأخضرى وغيرهم.

قال بعض الأئمة: إن العلماء أشتات متفرقون في أقطار شاسعة، وأمصار بعيدة، والوقوف على تراجمهم وآثارهم وقصد الصحة في ذلك يحتاج إلى تعب

شديد وصبر طويل على استطلاع الحقائق من قطر المترجم له وخزائن كتب قطره.

قلت: التعب أشد والصبر أطول على من كان في بلد خال من الكتب ومن المرشد المعين.

وذكرت أيضاً كثيراً من العلماء الأخيار ممن تقدم أو تأخر فيما مضى من الأعصار، ولم نذكر كثيراً منهم لعدم وصول أخبارهم إلى وانبهام كثير من أحوالهم على، وذلك غاية المقدور، وهو يدل على ما بي من الجهل والقصور، وعدم بلوغ مراتب الكمال والظهور، ورحم الله القائل:

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج مؤملاً جبر ما لاقيت من عرج
فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لرب السما في الناس في فرج
وإن ضللت بقعر الأرض منقطعاً فما على أعرج في ذاك من حرج
على أن المرء وإن بلغ جهده فالإحاطة إنما تكون لله وحده، وغاية القول فيمن ذكرته أو لم نذكره أنهم في الحقيقة سادات السادات الذين لهم فضائل تقصر عنها الغايات، وبذكرهم تستنزل الرحمات، وبصفاء أنفاسهم الزكية تنقشع غمائم الغمة والمدلهمات، ورحم الله القائل:

لى سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلى فى ذكرهم عز وجاه

والله أسأل عطفهم على ورضاهم والدخول تحت لواهم والتجاوز عما صدر منى من التقصير والمسامحة فيما لم أتنبه إليه من سوء أدب أو تغيير، فإنى أعلم أنهم فوق وصفى، وأنى لا أقدر أن أقوم بواجب حقهم ولا أوفى، ولكن جرأنى عليهم قصد التشبث بأذيالهم واستجلاب عطفهم وإقبالهم.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، واسطة عقدهم، ومركز دائرة مجدهم، وعلى آله وصحبه والتابعين وسائر أئمة الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فصل

اعلم أنى ذكرت فيما تقدم مشايخى، الذين هم الآباء فى الدين والوصلة بينى وبين رب العالمين، وبقي على ذكر أبى الماء والطين لأكون قد أديت المطلوب، ووفيت بالمرغوب من الثناء عليهم والشكر لهم، والله ولى التوفيق وعليه، فأقول: إنى لما حفظت القرآن العظيم — على نحو ما تقدم شرحه — طرأ على والدى ما كدر حالى وغير بلبالى، ودام ذلك نحو أربع سنوات، لم يقع فيها منى التفات لقراءة العلوم، وصار الالتفات إلى ذلك فى حكم المعدوم، لحصول ارتباك فى ثروته سببه ركونه لظالم وهو الوزير مصطفى بن إسماعيل، قال عز ذكره: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ وبعد ذلك تحسّن الحال والحمد لله على كل حال.

ووالدى — رحمه الله — هو: محمد بن عمر بن قاسم مخلوف الشريف، ينتهى نسبه للشيخ عمر مخلوف، الآتى ذكره، فى الخاتمة، كان يؤثر على إخوتى واعتنى بتربيتى وتهذيبى حتى حصل على مرغوبه واتصل بمطلوبه.

وكانت وفاته فى غرة شعبان سنة ١٣٠٣، ودُفن حذو قبر جده عمر المذكور، وكان محباً للعلماء والمنتسبين والأولياء والصالحين، كثير الزيارة لهم والتردد عليهم، فعادت بركته وبركتهم على فى الدنيا، وإن شاء الله فى الأخرى.

كذلك ومن عادت بركته علينا الشيخ الصالح المجذوب المشهور إبراهيم الهيردى الوردانى، كان والده ذا ثروة، وزهد فى ميراثه فيه وذهب للمنستير وأقام به ما يربو على العشرة أعوام، وغالب إقامته بدارنا، ومن زهده أنه لم يعلم أنه لبس غير الحرام المرقع، ولم يعلم أنه أخذ درهما من أحد بطلب أو بدون طلب، وله كرامات ظاهرة كثيرة متواترة، ولما طعن فى السن رفعه أهل بلده إلى مسقط رأسه، وبه توفى سنة ١٣٠٤، ودُفن بزاويته المقصودة بالزيارة حتى الآن.

ولما انتهى دور تلك السنوات وتبدلت الأحوال زودنى والدى بالدعاء الصالح والمال بقصد الترحال إلى الحاضرة المحروسة، ويسر الله البلوغ إلى رحابها المأنوسة

في جمادى الأولى سنة ١٢٩٩، وبعد أن حصلت على المنزل الذى هو الركن الأول دخلت جامع الزيتونة لاقتطف من أزاهر العلم أصوله وفنونه، ووجدت به سادة أئمة قادة يهتدى بهم فى ظلم الجهل المدلهم، صدور علم وفرسان كلام، فى ميدان نثر ونظام، أشرقت شمس فضائلهم فى ميدان السعود ونظموا فى سلك الفضائل تنظيم الدر فى أسلاك العقود، رياض آداب كلها زواهر، وبحار علم كلها لآلى وجواهر، فقرأت على من ترجمت لهم فى الماضى، وهم أفاضل امتطوا من سائر العلوم غوارب الإنتاج، وأمائل فاضت بحور علومهم كما يفيض البحر المتلاطم الأمواج، اغترفوا من حياض المعارف غير الجقائق، واقتطفوا من رياض الآداب ثمرات اللطائف والرقائق، وإذ ذاك غصن الصبا بأيام السعادات مورك، وبدر الشباب فى سماء الكمالات مشرق، وأنا خلى البال مما يشغل البلبال لا دأب لى إلا مواسم وفود العلوم فى سوق عكاظها، ولا شغل لى إلا اكتشاف وسائم وجوه المعاني المخبأة تحت براقع ألفاظها، واقتناص الشوارد، وتقييد الأوابد.

فعكفت على ذلك الحال ولازمت ذلك المتوال، حتى حصلت على رتبة التطويع بعد الاختبار، من السادات النظار، وهى رتبة يكون صاحبها من العدول الميرزين، ومن يمكن نظمه فى سلك المدرسين وذلك سنة ١٣٠٧.

وأقرأت بالجامع المذكور الصغرى، وصغرى الصغرى، والعشماوية، والمرشد المعين، والرسالة، والآجرومية، والقطر، والمكودى على الخلاصة من أوله إلى العطف.

وفى سنة ١٣١٣ أسند إلى التدريس بالمنستير، وفيها أسندت إلى خطة الفتوى بقابس، ثم القضاء بها.

وفى سنة ١٣١٩ أسندت إلى خطة القضاء بالمنستير، وخطة الإمامة والخطابة بجامعها الكبير.

وفى أثناء الإقامة بفاس ألفت: مواهب الرحيم فى مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم المتوفى سنة ٩٨٩، وطبع وانتشر، وشرعت فى هذا التأليف وعرضت أثناء جمعه عوائق كثيرة، وحررت رسالة فى فضيلة الطب والمستشفيات، وتقارير

على الأربعين الثنائيات المذكورة في طبقة التابعين غير أنها محتاجة إلى التهذيب، وقد عرضت موانع تمنع من الحصول على المطلوب، وإن زالت وقدر الله مهلة في الأجل وتسهيلاً في العمل فإن أستأنف ذلك، والله الموفق والمعين.

صلة

اعلم أني ترجمت لنفسى فيما تقدم والمقصود هو التحدث بالنعمة والافتداء بالسلف الصالح، ونعمه جل ذكره لا تحصى، ولا تعد ولا تستقصى، قال عز من قائل: ﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾.

في روح المعاني عند قوله جل جلاله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ قيل: هو من يرى عجزه عن الشكر لأن توفيقه للشكر يستدعى شكرًا آخر، إلى ما لا نهاية له، وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلته وإن طالت الأيام واتسع العمر

وفيه عند قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فإن التحدث بها شكر لها، كما قال عمر بن عبد العزيز مرفوعاً: «من أعطى عطاءً فليجز به فإن لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يُعطَ كان كلابس ثوب زور» ولذا استحب السلف التحدث بما عمل من الخير إذا لم يرد به الرياء والافتخار، بل بعض أهل البيت رضى الله عنهم حمل الآية على ذلك.

أخرج ابن أبي حاتم عن مقسم قال لقيت الحسن بن علي بن أبي طالب، رضى الله عنهما، فقلت له: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فقال: «الرجل المؤمن يعمل عملاً صالحاً فيخبر به أهل بيته».

وأخرج ابن أبي حاتم عنه عليه السلام قال فيها: «إذا أصبت خيراً فحدث به إخوانك». اهـ. روح المعاني.

وفي السيرة الحلبية في باب عموم بعثته عليه السلام بعد أن ساق أحاديث في بعض الفضائل التي اختص بها، فمنها: أنه عليه السلام قال: «أنا محمد أنا أحمد» ثم قال ما نصه

في وصفه ﷺ نفسه بما ذكر، وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ الآية، وقول سليمان عليه السلام: ﴿عَلَّمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾ الآية، دليل على جواز التحدث بالنعمة، وهو الأصل في ذكر العلماء مناقبهم في كتبهم، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ومن قوله ﷺ: «التحدث بنعمة الله شكر، وتركه كفران» قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

وعن سفيان الثوري: من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها للزوال. والحق في ذلك التفصيل وهو أن من خاف من التحدث بالنعمة وإظهارها الرياء فعدم التحدث بها وعدم إظهارها أولى، ومن لم يخف ذلك فالتحدث بها وإظهارها أولى.

وفي الشفا عند قوله: السادس: أمره بإظهار نعمته عليه وشكره ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فإن من شكر النعمة التحدث بها، وهذا خاص به عام لأمته، قال شارحه الشهاب الخفاجي: التحدث بالنعمة شكر لها، وقد قالوا: إنه يحسن من الإنسان الثناء على نفسه وذكر محاسنه وفوائده في مواضع يستثنونها من الأصل الغالب على الكل مخافة من هضم أنفسهم.

وروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إذا أصبت خيراً فحدث به إخوانك. ومن مواطن التحدث بالنعم ما إذا جهل قدره ونوزع في أمر وروى مثله عن كثير من الصحابة.

وللسيوطي — رحمه الله تعالى — تأليف سماع نزول الرحمة في التحدث بالنعمة وأشار بـ «من» التبعية، فإن من شكر النعمة التحدث بها، إلا أن للشكر طرقاً آخر كإظهار الملابس والمطاعم والمراكب، وفي الحديث: «التحدث بالنعمة شكر» وفيه إذا أنعم الله على عبده بنعمة أحب أن يرى أثرها عليه. اهـ. شهاب.

وللعارف بالله الشعراني تأليف سماه: لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، قال في خطبته، وكان الباعث على تأليفه أموراً، منها: الاقتداء في ذلك بالسلف الصالح وذكر جماعة، منهم: الحافظ ابن حجر، وتلميذه الحافظ السيوطي، فإنه ذكر مناقبه في تراجم الفقهاء، وفي طبقات المحدثين، وطبقات المفسرين، وفي طبقات المقرئين، وفي طبقات النحاة واللغويين، وفي طبقات الصوفية.

وقال في كتابه: التحدث بالنعمة: إنما ذكرت مناقبي اقتداء بالسلف الصالح، وتعريفاً بحالى في العلم ليأخذه الناس على، وتحدثاً بنعمة الله تعالى لا الافتخار على الأقران، ولا طالباً للدنيا ومناصبها وجاهها، معاذ الله أن أقصد ذلك، وأى قدر للدنيا حتى نطلب تحصيلها بما فيه ذهاب الدين واللغة والطرد عن حضرة الله تعالى.

الشعراني: وكذلك أقول: إني لم أقصد بما ذكرته لك من الأخلاق في هذا الكتاب، الافتخار على الأقران، معاذ الله أن أهدي إلى حضرته تعالى كتاباً مشتملاً على ما أستحق به اللعن والطرد، وهذا هو قصدى الآن، وأرجو الله تعالى دوام هذه النية الصالحة إلى الممات، وما ذلك على الله بعزيز. اهـ.

والعبد الفقير قائل بمثل مقاله ناسج على منواله ومنوال أهل الفضل مثله، داعياً بدعائه راجياً القبول بمنه وفضله، وما ذلك على الله بعزيز:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

فصل

اعلم أن عقود درر الشجرة انتظم من سبع وعشرين طبقة، والإمام مالك — قدس الله روحه — من رجال الطبقة الرابعة، ومذهبه ظهر بالمدينة المنورة ثم انتشر في حياته وبعد وفاته في أقاليم كثيرة وأقطار متعددة، منها: الحجاز والعراق ومصر وطرابلس والأندلس وإفريقية وصقلية والسودان والمغربان: الأقصى والأوسط، لكن انتشاره كان طويل المدد، وذيعانه كان مديد المدد في خصوص العراق ومصر وإفريقية والأندلس والمغربين، فحالته في هاته الأقطار جديرة بأن تذكر وتطلب، وحقيقة أن تبسط، إذ هي فروع خمسة في رجال المذهب وترتيب رجال كل فرع على مقتضى الوفيات من أوله إلى منتهاه.

أما فرع العراق فإن المذهب فيه انتشر انتشاراً باهراً ثم ضعف ضعفاً ظاهراً، واستمر الحال على ذلك حتى الآن.

في الدياج^(١) عند ترجمة أبي بكر الأجرى ما نصه: انتشر مذهب مالك في البلاد، وبعد موت أبي بكر، المذكور، وكبار أصحابه لتلاحقهم به وخروج القضاء عنهم إلى غيرهم من مذهبي الشافعي وأبي حنيفة، وضعف مذهب مالك بالعراق، وقُل طالبه لاتباع الناس أهل السياسة والظهور. اهـ.

وأما فرع مصر فإن المذهب انتشر فيه انتشاراً قوياً ثم انقطع نحو القرنين انقطاعاً كلياً، ثم تراجع وذاع أتم ذيعان، واستمر على ذلك حتى الآن.

في حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة^(٢) وعند ذكر من كان بمصر من أئمة الحنابلة ما نصه: أن مذهب الإمام لم يبرز خارج العراق إلا في القرن الرابع، وفي هذا القرن ملك العبيديون مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة، قتلاً ونفياً وتشريداً، وأقاموا مذهب الرفض والشيعة إلى أواخر القرن السادس، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب. اهـ.

(١) ليس في الدياج المطبوع والمخطوط الذي بين أيدينا.

(٢) حسن المحاضرة ١/ ٤١٥.

وأما فرع إفريقية فإن المذهب استفاض فيه أمداً ثم ضعف مُدداً ثم تراجع إلى انتشاره واستفاضته، ولم يزل حتى اليوم على حالته.

في جذوة الاقتباس^(١): كان الغالب على أهل المغرب مذهب الكوفيين، إلى أن دخل ابن زياد التونسي، وابن أشرس، والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات وغيرهم من الحفاظ بمذهب^(٢) مالك، فأخذة الكثير من الناس، ولم يزل ينتشر إلى أن جاء سحنون ففض حلق المخالفين، واستمر المذهب بعده في أصحابه فشاع في أقطار المغرب إلى وقتنا هذا. اهـ.

وانتشر أيضاً العلم بإفريقية واستبحر خصوصاً بالقيروان، واستمر على ذلك مدة مديدة، وسنين عديدة، ثم ضعف ضعفاً بينا أواخر الدولة الصنهاجية، ثم تراجع أوائل دولة بني أبي حفص، ونجا وانتشر ثم ضعف وكاد ينقطع أواخر هاته الدولة وأوائل دولة الترك، ثم أخذ في التراجع والنمو شيئاً فشيئاً إلى هذا العهد.

قال ولي الدين بن خلدون^(٣): سند تعلم العلم كاد ينقطع من المغرب بإخلال عمرانه وتناقص الدولة وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها، وذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس واستبحر عمرانهما وكان فيهما من العلوم والصنائع أسواق نافقة وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما، فلما خربتا انقطع التعليم بالمغرب. اهـ.

وفي مسامرات الظريف أنه بانتهاء المائة التاسعة انقطع الخبر وعمى الأثر وطوى بساط أخبار العلماء والفضلاء مما دهم إفريقية، وخصوصاً الحاضرة أواسط المائة العاشرة بتقلص ظل الدولة الحفصية عنها، وبلوغها سن الهرم، مع ارتباك الأحوال وتراكم النوائب والأهوال. اهـ.

وفي تاريخ الشيخ حمودة بن عبد العزيز: كاد العلم أواخر هاته الدولة وأوائل دولة الترك يرتفع منها بالمرّة، ثم تراجع شيئاً فشيئاً، طبقة بعد طبقة كل طبقة هي أكثر عدداً من التي قبلها. اهـ.

(١) جذوة الاقتباس ٢ / ٩٤.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «لمذهب» باللام وصوابه من الجذوة.

(٣) مقدمة ابن خلدون ٣ / ٩٢٧.

وأما فرع الأندلس فإن المذهب شب فيه وانتشر، ودام على ذلك قروناً كثيرة واستمر، ثم شاب وانقطع أواخر القرن التاسع واندثر.

في جذوة الاقتباس^(١): كان رأيهم منذ فتحت على مذهب الأوزاعي [ورأيه]^(٢) إلى أن رحل [إلى مالك]^(٣) زياد بن عبد الرحمن شبطون وغيره، فجاءوا بعلم مالك، وبينوا للناس فضله، حتى عرفوا حقه واقتدوا به، وأخذهم أمير الأندلس هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك وألزم الناس به، وصير القضاء والفتيا عليه، وذلك في عشر السبعين ومائة في حياة مالك. اهـ.

واستمر المذهب في الانتشار والعلم في الاستبحار إلى الطبقة الرابعة عشرة فأخذ في الرجوع إلى الوراء والضعف والقهقري، حتى انقطع بالمرّة أواخر المائة التاسعة وانتهى الحديث عنهم بتاتاً.

وأما فرع المغربين الأقصى والأوسط، فإن أهله كانوا تابعين لإفريقية، ثم ظهر المذهب بينهم وكثر انتشاره واشتد ساعده وعلا مناره، واستمر على انتشاره الباهر ونموه الزاهر إلى يومنا الحاضر.

في جذوة الاقتباس^(٤): أول من أدخل مذهب مالك المغرب دراس بن إسماعيل المتوفى سنة ٣٥٧. اهـ.

وفي المعجب: اجتمع بمدينة فاس علم القيروان وقرطبة إذ كانت حاضرة الأندلس، والقيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمر إفريقية بعث العرب فيها، واضطرب أمر قرطبة آخر ملوك بني أمية رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة، فراراً من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس. اهـ.

(١) جذوة الاقتباس ١ / ١٩٤.

(٢) من جذوة الاقتباس.

(٣) التكملة من جذوة الاقتباس.

(٤) جذوة الاقتباس ١ / ١٩٤.

تمهيد لخلاصة الأسانيد

اعلم أن من المفيد تلخيص ما أشرت إليه في الطبقات من الفهارس المصنفة في رجال الأسانيد التي الغرض منها ربط الأسانيد بعضها ببعض واتصالها بالتأليف المصنفة في علوم الدين مقاصد ووسائل، وتسهيلاً للقارئ وتتميماً للفائدة، وحيث إن برنامج الحافظ أبي بكر بن خير كان جامعاً لمصنفات كثيرة في الغرض رجالها من الطبقة التي قبل طبقته، وهي الثانية عشرة بالمقصد، رأيت من الواجب تلخيص ما به من الفهارس وتذيلها بما في الطبقات بعدها طبقة بعد طبقة، إلى طبقة شيوخنا، وعدد الشيوخ الذين سمع منهم أبو بكر المذكور أو كتبوا إليه نيف ومائة، قد احتوى على أسمائهم البرنامج المذكور، وهو في مجلد ضخمة غاية في الإفادة والاحتفال والإجادة، لا يعلم لأحد مثله.

من شيوخه أبو الحسن شريح، وأبو مروان الباجي، وابن العربي، وابن حبيش، وأبو بكر بن طاهر وأبو عبد الله بن عبد الرزاق، وأبو القاسم بن بقي، وأبو عبد الله بن الحاج، وابن مغيث، وابن أبي الخصال، وابن مسرة.

وسمع أبا محمد بن عطية، وعياض، وابن أخت غانم، وابن معمر، وابن الطلاع.

وأجازه أعلام، منهم: أبو محمد بن عتاب والأسدي، وابن الوراق، وابن طريف، وابن موهب، والرشاطي، والسلفي، والمازري.

وفي أوائل برنامجه المذكور: سألتني من له رغبة في العلم وعناية بتقييده أن أذكر لهم ما رويته عن المشايخ من الدواوين المصنفة في ضروب من العلم وأنواع المعارف، وأن أذكر أسانيدى عنهم فيها إلى مصنفها، وما قرأته من ذلك عليهم أو سمعته منهم بقراءتهم أو بقراءة الغير، وأن أضيف إلى ذلك ما ناولوني إياه وأجازه. انتهى.

ثم أتى على تلك الدواوين ديواناً فذكرها عقب خلاصة الأسانيد، وآتى على فهارسهم فهرسة فهرسة، وهي: فهرسة أبي على الجياني، وفهرسة أبي

محمد عبد الله بن محمد بن علي اللخمي الباجي، وفهرسة أبي عبد الله محمد بن شريح، وفهرسة أبي الحسن يونس بن محمد بن مغيث، وفهرسة أبي عبد الله محمد بن عتاب، وفهرسة ابنه أبي محمد بن عبد الله، وفهرسة أبي الوليد أحمد بن طريف، وفهرسة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخولاني في أربعة أجزاء، وفهرسة أبي ذر الهروي، وفهرسة أبي عمرو عثمان الداني، وفهرسة أبي الحسن علي بن هذيل، وفهرسة أبي محمد مكي، وفهرسة أبي عمر بن عبد البر، وفهرسة أبي الوليد الباجي، وفهرسة أبي العباس أحمد العذري، وفهرسة أبي علي الصدفي، وفهرسة أبي عمر أحمد الطلمنكي، وفهرسة ابن الطلاع، وفهرسة القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث، وفهرسة حاتم الطرابلسي — أي طرابلس الشام — وفهرسة أبي محمد عبد الله بن الوليد بن سعد المالكي، وفهرسة أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي، وفهرسة خلف بن بشكوال، وفهرسة طارق بن يعيش، وفهرسة القاضي الشهيد أبي عبد الله محمد بن الحاج، وفهرسة أبي بكر بن مروان، وفهرسة القاضي ابن الحذاء، وفهرسة أبي عمرو عثمان بن حمود السفاقسي، وفهرسة أبي الحسن علي بن لب، وفهرسة أبي المطرف عبد الرحمن القنازعي، وفهرسة أبي جعفر البطروجي، وفهرسة أبي الوليد يوسف، المعروف بابن الدباغ، وفهرسة عيسى بن سهل، وفهرسة أبي الحسن علي بن موهب اللخمي الجذامي، يعرف بابن الدقاق، وفهرسة القاضي عياض، وفهرسة أبي بكر بن غالب، وفهرسة عبد الحق بن أحمد الغافقي. اهـ.

ومن رجال هاته الطبقة ولهم فهارس: أبو عبد الله محمد بن سعادة، وفي مشيخته كثرة، منهم: الصدفي، وابن رشد، وابن الحاج، وابن العربي، والمازري، والطرطوسي.

ولأبي محمد عبد الله المعروف بابن عبيد الله فهرسة، وانفرد بعلو الإسناد في البخاري لسماعه من ابن منظور عن الهروي.

ولأبي بكر بن أبي جمة برنامج وفي شيوخه كثرة، منهم: ابن هذيل، وابن النعمة، وعياض، والمازري، وابن العربي.

الطبقة الثالثة عشرة:

لأبي عبد الله محمد بن يوسف، يعرف بابن عياد، مجموع في مشيخة والده،
 سمع من والده، وابن هذيل، وابن سعادة، وابن بشكوال، وابن خير.
 ولأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي مؤلف على حروف المعجم،
 وبرنامج أكبر، وآخر أصغر، ومسللات، من شيوخه: عبد الحق الإشيلي، وابن
 مضاء، وابن الفخار، والسهيلي، والسلفي.
 ولأبي العباس أحمد بن عات برنامج في مروياته سماه النزهة، وآخر سماه
 ريحانة الأنفس في شيوخ الأندلس، من شيوخه: ابن بشكوال.
 ولأبي سليمان بن حوط الله فهرسة. شيوخه أكثر من مائتي شيخ، منهم: ابن
 نوح، وابن أبي حمزة، وابن بشكوال، وابن زرقون، والسهيلي.
 ولأبي القاسم أحمد بن بقي فهرسة، روى عن أبيه إلى جده الأعلى.
 ولابن الطيلسان مسلسلات وغيرها: في مشيخته كثرة، منهم: خاله أبو بكر
 ابن غالب.

ولأبي علي عمر الشلوين فهرسة، سمع ابن الجدد، وابن زرقون، وابن خروف،
 وابن بشكوال، وأجازته السلفي وابن حبیش، وابن خير.
 ولأبي عبد الله محمد الطراز فهرسة، وفي شيوخه كثرة، منهم: ابن البقار، وأبو
 سليمان بن حوط الله.

ولأبي عبد الله محمد بن قاسم التميمي الباجي فهرسة سماها: النجوم المشرقة،
 لفي نحو مائة شيخ، منهم السلفي، وابن عوف، والحضرمي، وابن برى.
 ولأبي عبد الله محمد بن علي الصنهاجي برنامج ذكر فيه مشيخته ومقروءاته،
 وهي: مائتان وعشرون كتابا كلها مسندة إلى مؤلفيها، من شيوخه: أبو مدين
 الغوث، وعبد الحق الإشيلي.

الطبقة الرابعة عشرة:

لأبي القاسم بن البراء جزء في شيوخه.
 ولأبي زيد الأسدي القيرواني برنامج في شيوخه وهم نيف وثمانون، منهم:
 ابن شقر.

ولأبي عبد الله محمد بن الأبار عناية بالرواية، ومن اعتنائه بها أنه لا يكاد كتاب من الكتب المؤلفة في الإسلام إلا وله فيه رواية، إما بعموم أو خصوص، وفي مشيخته كثرة، منهم: أبو سليمان بن حوط الله. ولأبي جعفر اللبلى فهرسة، من شيوخه: الشلوبين، وابن لب.

الطبقة الخامسة عشرة:

لرضي الدين الطبري فهرسة، من شيوخه أبو الحسن بن خيرة. ولأبي محمد عبد الله بن فرحون مشيخة، منهم: ابن جابر الوادي آشى، خرج له ابن السكن فهرسة كبيرة في شيوخه ومروياته. ولأبي جعفر بن الزبير فهرسة، شيوخه نحو الأربعمئة، منهم: ابن خليل، وابن سراج، وابن حوط الله، والحضرمي، وابن سيد الناس، وابن عطية، وابن واجب، وابن فرتون، والطراز، وعياض الحفيد. ولأبي جعفر بن الزيات فهرسة، من شيوخه ابن الزبير، وابن الطباع. ولأبي عثمان سعيد بن ليون: العماد في علوم الإسناد، من شيوخه ابن الزبير، وابن رشيد.

ولأبي القاسم بن جزي فهرسة، من شيوخه: ابن الزبير وابن رشيد. ولأبي عبد الله بن جابر الوادي آشى أسانيد كتب المالكية يرويها عن مؤلفيها، أخذ عن والده، وابن الزيات، وابن الفخار، وابن عبد الرفيق، وابن هارون القرطبي، وابن عات، وعبد الواحد بن المنير. ولأبي عبد الله بن رشيد رحلة ذكر فيها مشيخته، منهم: المنذرى، والحرالى، وأبو الحسن المقدسى، وابن الأبار، وعبد الرحمن المقدسى، وابن هارون القرطبي، وحازم، وابن زيتون.

ولعبد المهيمن الحضرمي تأليف في مشيخته، وفيهم كثرة، منهم: ابن الزبير، وابن رشيد، وابن عبد الرفيق، والمتورى، وابن الغماز، وابن الشاط، وابن سيد الناس.

الطبقة السادسة عشرة:

لأبي زيد بن خلدون تأليف ترجم فيه لنفسه وسلفه ومشيخته، منهم: ابن جابر الوادى آشى، وابن عبد السلام، وعبد المهيمن الحضرمى، وعيسى بن الإمام، والآبلى، والمقرى، والشريف السبتي، والشريف التلمسانى، والبلفيقى.

ولأبي إسحاق بن الحاج رحلة حافلة أخذ فيها عن الذهبى، والبرزالى، والمزنى. وصاحبه فى رحلته خالد البلوى، وله رحلة ذكر فيها من لقيه، منهم: عبد العزيز القروى، وابن رشيد، والجنانى، والجزولى، وعيسى بن الإمام، وابن هارون التونسى، وابن عبد السلام.

ولأبي البركات البلفيقى تأليف فى أسماء الكتب والتعريف بمؤلفيها، من شيوخه ابن الزبير، وابن سلمون، وابن الكماد، وابن الفخار، وابن منظور، وابن البناء، وأبو الحسن الصغير، والجزولى، والمشدالى.

ولأبي عبد الله لسان الدين بن الخطيب تعريف بمشيخته.

ولأبي عبد الله المقرى تلخيص فى قراءته ومشيخته، منهم: الآبلى، والمشدالى، والحضرمى، وابن عبد السلام.

ولأبي عبد الله الرعينى فهرسة، من شيوخه: أبو الحسن الصغير، وابن البناء، وابن رشيد.

ولأبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب برنامج فى شيوخه، وهم كثيرون جداً، منهم: ابن عساكر، والناصر بن المنير، وابن راشد، وعثمان النويرى، وإبراهيم السفاقسى، وأخوه محمد، وأبو حيان، وابن جابر الوادى آشى، وابن عبد الرافع، وابن هارون التونسى، وابن عبد السلام، والمشدالى، وعيسى المغلى.

الطبقة السابعة عشرة:

لأبي القاسم البرزلى مشيخة ذكرها فى إجازته لابن مرزوق الحفيد وأجازه إجازة عامة، منهم: ابن عرفة، وابن مرزوق الخطيب، وأبو الحسن البطرني، وأخذ عنه القراءات وأجازه بها وبأحزاب الشاذلى، وهو عن أبي العزائم ماضى عن الشاذلى.

ولأبي زكريا السراج فهرسة في جزعين، من شيوخه: ابن عباد، والبليقي، وله سماع عظيم.

ولأبي العباس بن قنفذ اعتناء بقاء العلماء والاستفادة منهم وعرف بهم، منهم: الشريف السبتي، والشريف التلمساني، والعبدوسي، وابن البناء، وابن مرزوق الخطيب، وابن عرفة، والرجراجي، والقباب.

ولأبي مهدي عيسى بن علال رحلة سمع فيها من جماعة، منهم: أبو عمران العبدوسي، والتازغدي.

ولأبي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد فهرسة، وفي شيوخه كثرة، وغالبهم أحازه إجازة عامة، منهم: ابن قنفذ، وابن عرفة، وابن خلدون، والبليقي، وابن المللقن، وصاحب القاموس، والنور النويري، وابن علاق، وابن جزى، وابن علوان. ولجار الله — قاضي مكة المشرفة — أبي عبد الله محمد الفاسي فهرسة، من شيوخه: البرهان بن فرحون، وبهرام، والوانوغى، وابن صدقة.

الطبقة الثامنة عشرة:

لأبي عبد الله محمد الرصاع فهرسة، من شيوخه البرزلى، وابن عقاب، والأخوان القلشانيان، وأبو القاسم العبدوسي، وقاسم العقباتي.

ولأبي الحسن القلصادي رحلة عرف فيها بشيوخه، منهم: ابن فتوح، وابن مرزوق الحفيد، والعقباني، وابن عقاب، وحلولو، والحافظ ابن حجر، وأبو القاسم النويري، والجلال المحلى.

ولأبي زيد الثعالبي فهرسة عرف فيها بنفسه وشيوخه، منهم: ابن مرزوق الحفيد، والأبى، والولى العراقي، وعيسى الغبريني، والزّعى، والبرزلى، وعمر القلشاني، والبساطي، وأبو القاسم العبدوسي.

ولأبي عبد الله السنوسي تعريف بشيوخه، منهم: الثعالبي، والولى التازي، والقلصادي، والولى أبركان.

ولأبي عبد الله التنسي فهرسة، من شيوخه: أبو الفضل العقباتي، وابن مرزوق الحفيد.

ولأبي العباس أحمد زروق كناشة في التعريف بنفسه وأحواله، وشيوخه منهم: المشدالي، والرصاع، والسنوسي، والشيخ الجزولي، والقَوْرِيّ، وأبو الحسن السَّنْهُورِيّ، والخروبي الكبير، وهو عن الأبي.

الطبقة التاسعة عشرة:

لأبي عبد الله محمد الخطاب سند في الفقه والحديث تعرض له في أوائل شرحه على المختصر، من شيوخه: والده، ومحمد السخاوي، وعبد الحق السباطي، وعبد القادر النويري، ومحمد بن عبد الغفار، وابن علاق.

ولأبي عبد الله التتائي فهرسة، من شيوخه: النور السنهوري. ولأبي العباس الونشريسي كناشة، من شيوخه: أبو الفضل العقباني، وابنه سالم، وابن مرزوق الكفيف.

ولأبي عبد الله محمد بن غازي فهرسة حافلة وتذييل عليها، من شيوخه: الكاواني، والمزدغي، والقَوْرِيّ، والورياجلي، والسراج، والحبّاك، وابن مرزوق الكفيف.

ولأبي الحسن بن هارون فهرسة، من شيوخه ابن غازي، وأبو العباس الونشريسي، والقاضي المكناسي، وعبد الرحمن سُقَيْن، وأحمد زروق.

الطبقة العشرون:

لأبي عبد الله محمد خروف فهرسة، في مشيخته كثرة، منهم: حسن الزنديوي، والشمس والناصر اللقانيان، وسُقَيْن.

ولأبي عبد الله اليسيتي مشيخة من أهل المشرق والمغرب، وفيهم كثرة، منهم: ابن غازي، وأبو العباس الزقاق، وابن هارون، وعبد الواحد الونشريسي، وأحمد الحبّاك، وسعيد المقرئ، وعمر الوزان، وماغوش، وأحمد سُلَيْطَن، وأبو القاسم البرشكي، وأبو الحسن الزنديوي، والشمس والناصر اللقانيان، والبحيري، ومحمد الخطاب، وأحمد زروق الصغير.

ولأبي الرضى رضوان الجنوي فهرسة، من شيوخه: سُقَيْن.

ولأبي العباس المنجور فهرسة في مشيخته، منهم: سُقَيْن، وابن هارون، واليسيتي، وعبد الواحد الونشريسي، وخروف، وابن جلال.

الطبقة الحادية والعشرون:

للبدري محمد القرافي فهرسة، من شيوخه: والده، والأجهوري، والتاجوري، والجيزي.

وللبرهان اللقاني: التحفة في الأسانيد، وجزء في مشيخته، منهم: البرموني، وسالم السنهوري، ويحيى القرافي.

ولابن أبي مريم البستان، من شيوخه: سعيد المقرئ.

ولأبي عبد الله القصار فهرسة جمعت روايته في الفقه والحديث، من شيوخه اليسيتي، وعبد الوهاب الزقاق، والجنوي، والمنجور، ويحيى الخطاب، وخروف، والبدري القرافي.

ولأبي محمد قاسم بن أبي العافية فهرسة، من شيوخه: المنجور.

ولأبي العباس أحمد بن أبي العافية فهرسة، من شيوخه: أحمد بابا، والمنجور، والسراج، والقصار، ويحيى الخطاب، والبدري القرافي.

ولأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي فهرسة، من شيوخه: القصار.

ولأبي العباس أحمد بابا تعريف بمشيخته، منهم: والده، وعمه أبو بكر، ومحمد بَغْيُوع^(١)، ويحيى الخطاب.

ولأبي العباس بن القاضي السجلماسي رحلة ذكر فيها مقروءاته، ومشيخته، منهم: سالم السنهوري، والبرهان اللقاني.

ولللشهاب المقرئ تعريف بمشيخته، منهم: عمه سعيد المقرئ، وأحمد بابا، والقصار.

الطبقة الثانية والعشرون:

لأبي محمد عبد الباقي الزرقاني: ثبت، من شيوخه: النور الأجهوري.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «بقيع» وصوابه من الموسوعة.

ولأبي محمد عبد الكريم الفكون: فهرسة، من شيوخه: والده، وهو عن محمد الوزان، عن ابن زيان، عن أحمد زروق بسنده.

ولأبي العباس أحمد الشريف الأكبر: فهرسة، من شيوخه: الشيخ الشبراوى. ولأبي مكتوم عيسى الثعالى إتخاف ودود، ذكر فيه عظماء المذهب المالكى وسندهم ومقاييد الأسانيد ذكر فيه شيوخه المالكيين، وفهرسة، من شيوخه: سعيد قدورة، وعبد الكريم الفكون، وأبو الحسن السراج، والأجهورى، والشهاب المقرى، والخفاجى، والتاج المكى، والبابلى.

ولأبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعى فهرسة، من شيوخه: عبد القادر الفاسى.

ولأبي سالم العياشى: رحلة، وفهرسة ذكر فيهما رجال سنده، منهم عيسى الثعالى، وعبد القادر الفاسى، وابن ناصر، والأجهورى، والخرشى، وأجازوه إجازة عامة.

ولأبي محمد عبد القادر الفاسى فهرسة حافلة، جمعها له ابنه عبد الرحمن، ذكر فيها تصانيف كثيرة مسندة إلى مؤلفيها، وهى المشار لها فى فهرسته شيخنا عمر بن الشيخ، الآتى ذكرها، من مشايخه: عم أبيه عبد الرحمن الفاسى، وعمه العربى الفاسى، وابن أبي النعيم، والشهاب المقرى، والجنان، وعبد الواحد بن عاشر، وأبو الحسن بن القاضى.

ولأبي عبد الله محمد الفاسى السوسى فهرسة، من شيوخه: عيسى السكتانى^(١)، وسعيد قدورة، وابن ناصر، والأجهورى، والشهاب الخفاجى.

الطبقة الثالثة والعشرون:

لأبي الإمداد خليل اللقانى فهرسة، من شيوخه والده، والنور الأجهورى.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «التكتانى» وصوابه من ترجمته فى نشر المثنى فى موسوعة أعلام المغرب

ولأبي الحسن على النورى مشيخة ذكرهم فى إجازته لتلميذه أحمد العجمى المكى، منهم: إبراهيم المأمونى، وأحمد السنهورى، والشنوائى، ومحمد الخفاجى، والشيراملى، والنور الزيادى، ومحمد بن ناصر، وزين العابدين حفيد الشيخ زكرياء الأنصارى، ويحيى الشاوى، وأحمد بن أحمد العجمى، وعلى الخياط والخرشى، والشيرخيتى، وعبد السلام اللقانى، والشيراوى، ومحمد الإفرانى المغربى السوسى، وعاشور القسطنطينى^(١)، وأحمد العنابى قائلا: إن سنده اتصل بكتب كثيرة، وهى: عشاريات الحافظ ابن حجر، وفهرسته التى جمعت ما تفرق فى غيرها فى نسختين، كل نسخة فى ثلاثين كراسا فى الكامل، وعشاريات الحافظ السيوطى، وفهرسته: الكبرى والصغرى، وفهرسة ابن مرزوق الحفيد، وفهرسة الشيخ زكرياء الأنصارى، وفهرسة ابن غازى، وفهرسة الشيخ يوسف ابن شيخ الإسلام، وفهرستا البابلى: إحداهما جمعها له يحيى الشاوى، والأخرى جمعها له عيسى الثعالى، وفهرسة المنجور، وفهرسة العلقمى، ثم قال: ولا تجد كتابا للمتقدمين ولا للمتأخرين فى جميع العلوم إلا ولنا به اتصال وسند يوصلنا إلى مؤلفه. انتهى.

ولأبى العباس أحمد بن الحاج فهرسة، من شيوخه: عبد القادر الفاسى، وابنه عبد الرحمن، والقاضى ابن سوده، وميارة، وابن جلال، والبابلى، والشيراملى، وعبد السلام اللقانى، والخرشى.

ولأبى عيسى محمد المهدى الفاسى فهرسة، من شيوخه: والده أحمد، وعمه عبد القادر الفاسى.

ولأبى محمد عبد السلام القادرى فهرسة، من شيوخه: عبد القادر الفاسى، وولده محمد وعبد الرحمن.

ولأبى على اليوسى: فهرسة، من شيوخه محمد بن ناصر، وعبد القادر الفاسى.

(١) فى المطبوع: «القسطنطينى» والمثبت من ترجمته فيما سبق.

ولأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي فهرسة، جمعها له ابنه محمد الطيب، من شيوخه: والده، واليوسى، والمهدى الفاسى، وأحمد بن الحاج، وبردة، وعبد السلام القادري، وسعيد قدورة.

ولأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى: المنح البادية في الأسانيد العالية، من شيوخه: جده عبد القادر، ووالده عبد الرحمن، وأبو سالم العياشى، والخرشى.

ولأبي الحسن الخريشى فهرسة، من شيوخه: عبد القادر الفاسى، وأبو سالم العياشى، واليوسى، والخرشى، والزرقاتى.

الطبقة الرابعة والعشرون:

لأبي العباس أحمد الصباغ: فهرسة حافلة، ذكر فيها شيوخه وكتباً مسندة إلى مؤلفيها، من شيوخه: محمد الزرقانى، وأحمد النفراوى، ويحيى الشاوى، وإبراهيم الفيومى وأجازاه بما فى فهرسته، ومحمد بن عبد القادر الفاسى، ومحمد زيتونة، وأجازاه بسنديهما.

ولأبي المودة خليل التونسى المصرى فهرسة، من شيوخه: البليدى، والملى. ولأبي الحسن السقاط: فهرسة حافلة جمع فيها كتباً ومسلّسات، من شيوخه: محمد الزرقانى، ومحمد بن عبد السلام بنانى، وإبراهيم الفيومى، وأحمد بن الحاج. ولأبي العباس أحمد المكودى فهرسة، من شيوخه: الخريشى، وابن مبارك. ولأبي الحسن بن خليفة فهرسة، من شيوخه: أبو الحسن النورى، وأجازاه إجازة عامة، والخرشى، ومحمد الزرقانى، والشبرخيتى.

ولأبي عبد الله الغريانى فهرسة، من شيوخه: إبراهيم الجمنى، ومحمد زيتونة، وحمودة الريكلى، والدمنهورى.

ولأبي العباس أحمد بن مبارك مشيخه، منهم: محمد بن عبد القادر الفاسى، والخريشى، وأحمد بن الحاج، ومحمد المسناوى.

ولأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى، فهرسة، من شيوخه أحمد بن ناصر، وأبو سالم العياشى، واليوسى، وعبد الرحمن، ومحمد، ابنا عبد القادر الفاسى،

وأحمد بن الحاج، وابن زاكور، وعبد السلام جسوس، والخرشي، وعبد الباقي الزرقاني.

وللحسين الورثيلاني^(١) رحلة، ذكر فيها مشيخته، منهم: أحمد الصباغ، وخليل المغربي التونسي، والبلیدی، والعروسی، والصعیدی، والفيومي، والعففي، وسالم النفراوي، ومحمد بن عبد العزيز، وعبد الله السوسي المغربي، ومحمد الغرياني.

ولأبي عبد الله محمد بن الحسن بناني فهرسة، من شيوخه: أحمد بن مبارك، ومحمد جسوس، ومحمد بن عبد السلام بناني.

ولزيان العراقي فهرسة، من شيوخه: أحمد بن مبارك، ومحمد جسوس، وأبو حفص الفاسي.

الطبقة الخامسة والعشرون:

لأبي العباس أحمد الدردير ثبت، من شيوخه: الصعیدی، والصباغ. ولأبي عبد الله محمد الأمير فهرسة غاية في الاحتفال، من شيوخه: البلیدی، والصعیدی، والسقاط، والتاودي، وحسن الجيرتي، ومحمد الحفني، ويوسف الحفني، وعطية البصير، ومحمد بن عبد السلام الناصري، أتى فيها على أسانيد هؤلاء الأعلام ومصنفات كثيرة في علوم شتى مسندة إلى مؤلفيها وسندكرها، وغالبها مذكور في فهرسة أبي محمد عبد القادر الفاسي.

ولأبي الفلاح صالح الكواش ثبت، من شيوخه: أبو عبد الله الغرياني، وقاسم المحجوب، وعبد الكبير الشريف، وحمودة الريكلي، ومحمد المنصوري. ولأبي العباس أحمد بن الصغير فهرسة، من شيوخه: ابن خليفة، وأحمد بن علي ابن عبد الصادق، ومحمد الغرياني، وأحمد السوسي المقرئ.

ولأبي الثناء محمود مقديش تاريخ، عرف فيه بمشيخته، منهم: ابن عبد الصادق، وإبراهيم الجمني الحفيد، وقاسم المحجوب، وعبد الله بن أحمد السوسي المذكور، والدمنهوري، والصعیدی.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الورثيلاني».

ولأبي عبد الله محمد التاودي فهرسة، من شيوخه: محمد بن عبد السلام بناني،
ومحمد جسوس، وأحمد بن مبارك.

ولأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي فهرسة، من شيوخه: أبو حفص
الفاسي، ومحمد بن عبد السلام بناني، ومحمد جسوس.

الطبقة السادسة والعشرون:

لأبي العباس أحمد منة الله ثبت، من شيوخه: محمد الأمير الكبير.
وللرهبان إبراهيم الرياحي مشيخة، من شيوخه: الشريف، وصالح الكواش،
ومحمد وعمر ابنا قاسم المحجوب، وإسماعيل التميمي، وغالبهم أجازوه إجازة
عامة، وأجازهم أبو عبد الله محمد الطاهر المير السلاوي. بما حواه فهرس الشيخ أحمد
الصباغ، وأبو عبد الله محمد الأمير. بما حواه ثبت والده، وأبو عبد الله محمد عابد
بما حواه ثبتته المسمى بحصر الشارد، وأبو عبد الله محمد التهامي الرباطي، أجازهم
إجازة عامة متصلة السند.

ولأبي عبد الله محمد بن ملوكة فهرسة، من شيوخه: الشيخ إبراهيم المذكور.
ولأبي محمد عبد القادر الكوهن فهرسة، من شيوخه: الطيب ابن كيران،
وحمود بن الحاج.

ولأبي العباس أحمد بن بابا الشنجيطي رحلة ذكر فيها مشيخته.

الطبقة السابعة والعشرون:

طبقة شيوخنا ومن عاصروهم

لأبي عبد الله محمد الشريف فهرسة، من شيوخه: محمد بيرم شيخ الإسلام
الرابع، وأحمد بن الخوجة، ومحمد النيفر الأكبر، والشيخ الشاذلي بن صالح.
ولأبي عبد الله الشاذلي المذكور فهرسة، من مشايخه: محمد بيرم شيخ الإسلام
الثالث.

ولأبي عبد الله محمد البشير التواتي ثبت في القراءات، أخذه عن محمد بن
إدريس، عن الشيخ المشاط، عن الشيخ حمودة بن محمد بن إدريس، وعن الشيخ
محمد الحرقاني بسنده.

ولأبي عبد الله محمد بن خليفة المدني التونسي ثبت، من مشايخه: الشيخ رحمة الله، وأحمد دحلان، ومحمد الأنباري، وإسماعيل الحامدي، ومحمد الجدي بوزفر، ومحمد بوهاها، ومحمد النجار، والطيب النيفر، وجعفر الكتاني، وأحمد بن الطالب ابن سودة.

ولأبي العباس أحمد بن حسين الكافي فهرسة، من مشايخه: والده، وإبراهيم الرياحي.

ولأبي حفص عمر بن الشيخ فهرسة، من مشايخه: محمد بن معاوية، وإبراهيم الرياحي، ومحمد بن ملوكة، وحمدة الشاهد، ومحمد الشريف، والشاذلي بن صالح. ولأبي عبد الله الطيب النيفر فهرسة، من مشايخه: والده، وإبراهيم الرياحي، ومحمد بن ملوكة، ومحمد بن الخوجة، وأحمد منة الله.

ولأبي عبد الله بلحسن النجار فهرسة.

ولأبي عبد الله المهدي الوزاني فهرسة.

ولأبي الإقبال عبد الحى الكتاني فهرسة، ولخاله جعفر الكتاني فهرسة.

ولابنه محمد فهرسة.

خلاصة التمهيد

اعلم أن العبد الفقير اقتبس الأنوار، وجنى الأزهار والثمار من طبقة شيوخه، وهم من طبقة شيوخهم، وهكذا كل طبقة اقتبست الأنوار وجنت الأزهار والثمار من الطبقة التي قبلها، وارتبطت بها ارتباط القمرين النيرين، حتى اتصلت بعين الرحمة، وينبوع كل فضيلة وحكمة، فهي شجرة في كل حين تقتبس أنوارها، وتجتنى ثمارها وأزهارها، لم تزل من البركة في السمو والنماء أصلها ثابت وفرعها في السماء، طابت وزكت فرعاً وفصلاً.

وقد أخذ عن مشايخ أعلام بعضهم قراءة، وبعضهم قراءة وإجازة، وبعضهم إجازة عامة مترجم لهم في الطبقة الأخيرة.

أولهم: أبو حفص عمر بن الشيخ، له فهرستان: صغرى وكبرى، وقد أجازني بما حوته الصغرى، وأجازه بها الشيخ محمد الشريف، ومحل الحاجة منها أنه أخذ

الكتب الستة والموطأ بأسانيدھا: فالبخارى عن الشيخ أحمد بن الخوجة، عن حسن الشریف، عن والده عبد الكبير، عن جده أحمد الشریف الأصغر، عن عبد الرحمن الكفیف عن سعید الشریف الطرابلسی، ثم التونسى، عن أحمد الشریف الأكبر، عن الشبراوى، عن سالم السنهورى بسنده.

ورواه أيضاً عن الشيخ محمد بن الخوجة، عن شيخ الإسلام الثالث محمد بیرم، عن الشيخ محمد المحجوب، عن والده الشيخ قاسم، والشيخ محمد الغريانى بسنده، ووالده عن الشيخ محمد، زيتونة عن الشيخ محمد الزرقانى عن والده بسنده.

ورواه أيضاً محمد المحجوب، عن شيخ الإسلام الأول محمد بیرم، عن أحمد المكودى، عن أحمد بن مبارك، عن ابن الحاج، والحريشى، عن أبي البركات عبد القادر الفاسى بسنده.

ورواه أيضاً، عن الشيخ محمد بن الخوجة، عن الشيخ محمد بن التهامى الرباطى، عن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسى، عن الشيخ مرتضى الزبيدى بسنده.

وروى أيضاً الشيخ محمد الشریف: البخارى والموطأ، عن شيخ الإسلام الرابع محمد بیرم، عن جده شيخ الإسلام الثانى، عن والده، عن الشيخ أحمد المكودى، عن الحريشى، عن عبد القادر الفاسى، عن عم أبيه عبد الرحمن الفاسى، عن القصار بسنده.

ورواهما أيضاً شيخ الإسلام الرابع، عن الشيخ محمد بن التهامى، عن الشيخ محمد بن عبد السلام الناصرى، عن الشيخ التاودى، عن الشيخ الصعیدى، عن الشيخ عقيلة بسنده.

وروى شيخ الإسلام المذكور البخارى ومسلما عن الشيخ محمد بن صالح البخارى بسنده لمؤلفيهما.

أما الكبرى فهى فهرسة الشيخ أبى عبد الله محمد الشاذلى بن صالح، فقد رواها عنه أبو حفص عمر المذكور، وهو أجاز بما حوته أنانا الشيخ حسن بن محمد سليم، وهو أجازنى بما حوته.

وخلاصتها أن أبا عبد الله المذكور أخذ عن شيخ الإسلام الثالث محمد بيرم، عن جده شيخ الإسلام الأول، عن المكودي، عن ابن مبارك، وهو عن جماعة، منهم: الشيخ محمد القسطيني^(١)، والشيخ أحمد بن الحاج، والشيخ أحمد الجرندي، والشيخ علي الحريشي.

فأولهم: عن الشيخ محمد المقرئ^(٢) عن النور الأجهوري بسنده، وعن محمد ابن عبد المؤمن، عن الشيراملسي، عن البرهان اللقاني بسنده.

وثانيهم: ابن الحاج، وهو عن شيخ الجماعة عبد القادر الفاسي بسنده.

وثالثهم: عن عبد القادر المذكور، وابنه عبد الرحمن، عن الشيوخ الذين بفرستهما.

ورابعهم: الحريشي عن المذكورين بسندهما، وعن أبي سالم العياشي.

ومن أخذ عن الشيخ عبد القادر المذكور: أبو سالم المذكور، وأبو عبد الله المسناوي، وأبو عبد الله العربي بردلة، وأبو علي بن رحال، والمسناوي أخذ أيضاً عن محمد وعبد الرحمن بن عبد القادر المذكور عن والدهما، وهو أخذ عن أعلام منهم. والده أبو الحسن علي، وعماه أحمد والعربي ابنا يوسف الفاسي، ومنهم: عم والده أبو زيد الفاسي، والقاضي ابن أبي النعيم، والشهاب المقرئ، والجنان، وعبد الواحد بن عاشر، روى عنهم كتب كثيرة جداً في فنون شتى وهي الحديث، والسير، والتاريخ، والتفسير، والعقائد، والنحو، واللغة، والمعاني، والبيان، والأصول، والفقه، والتصوف بأسانيداً إلى مؤلفيها مدرجة في الفهرسة الكبرى المذكورة، ومدرجة أيضاً في فهرسة أبي عبد الله الأمير، وسنذكرها كتاباً عقب خلاصة الأسانيد.

وثانيهم: أبو عبد الله المهدي الوزاني، أجازني إجازة عامة، وبما حوته فهرسته قرأنا وحديثاً وأصولاً وفقهاً وعقائد، وهو أخذ عن فضلاء، منهم: أبو الفلاح

(١) في المطبوع: «القسطيني» والمثبت من الموسوعة ١٩٠١/٥.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «المغربى» وصوابه من الموسوعة ١٩٠٢/٥.

الحاج صالح بن محمد المعطى التادلى، وأبو العباس أحمد بن أحمد بناني، وأحمد وعمر والمهدى أبناء الطالب بن سودة، وأبو عبد الله بن إدريس الودغرى البكراوى، وأبو العباس أحمد الشدادى، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، وأبو عبد الله محمد بن المدنى جُنُون^(١)، وأبو عبد الله محمد المهدى بن محمد بن حمدون، ابن الحاج، والشيخ ماء العينين.

أما القرآن العظيم فإنه أجازنى به، وهو أخذه إجازة برواية ورش، عن عبد الله بن إدريس الودغرى، عن والده، عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسى، عن عبد الرحمن بن إدريس المنجرة عن والده، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن على المرنيسى، عن أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن موسى الدكالى الفاسى، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن على بن غازى، عن أبي عبد الله محمد بن الحسن، الشهير بالصغير الفاسى، عن أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الشهير بالفيلىلى، عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الفخار، عن أبي العباس أحمد بن على الزواوى، عن أبي الحسن على بن سليمان ابن أحمد الأنصارى القرطبي، عن أبي جعفر أحمد بن الزبير بن إبراهيم بن الزبير، عن أبي الوليد إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل الأزدي الشهير بالعطار، عن القاضي أبي بكر بن محمد بن على بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكرياء بن حسنون، عن أبي محمد عبد الله بن خلف بن بقى القيسى^(٢)، عن أبي محمد عبد الله بن عمر الشهير بابن العرجاء، عن أبي العباس أحمد بن سعيد بن نفيس المصرى إمام القراء فى وقته، انتهى إليه علو الإسناد، عن عبد العزيز بن على بن محمد بن إسحاق بن فرج المصرى المعروف بابن الإمام، عن أبي بكر عبد الله بن مالك بن عبد الله بن يوسف بن سيف التجيىسى، عن أبي يعقوب يوسف بن عمرو بن يسار الأزرق

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «قنُون» وصوابه من ترجمته فى الموسوعة، وفيات سنة ١٣٠٢هـ.

(٢) يوجد بياض فى المطبوع بين كلمة: «خلف» و «بن بقى» ولا وجه له، وقد ترجمه الذهبى فى معرفة القراء ١/ ٥٠٨ بقوله: «عبد الله بن خلف بن بقى أبو محمد القيسى... أخذ القراءات عن أبي محمد عبد الله بن عمر بن العرجاء».

المصرى، وهو قرأ على أبي سعيد عثمان بن سعيد المصرى، الملقب ورشا، قال: قرأت على ورش عشرين ختمة، وهو قرأ على إمام المدينة المنورة ومقرئها أبي رُويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم المدني، أقرأ بها أكثر من سبعين سنة، وقرأ على سبعين من التابعين، منهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وهو قرأ على أبي هريرة وابن عباس، وهما على زيد بن ثابت الضحاك الأنصارى، رضى الله عنهم، وقرأ زيد على رسول الله ﷺ تلقاه عن جبريل.

ثم اختلف بعد ذلك عمن تلقاه، فقليل: تلقاه عن الجليل، جل جلاله، كما يليق به سماعه، وقيل: تلقاه عن اللوح، واللوحي عن القلم، والقلم عن الله تعالى، كما يليق به، وقيل: تلقاه عن ميكائيل، وهو عن الله كما يليق بجلاله.

وأما الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، فقد قال الوزانى: إن رواياته كثيرة، والمعتمد منها روايته عن تلميذه أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر القُرْبَرى^(١)، وقد كثرت رواية هذا الصحيح عنه لتأخر موته. ثم إن الروايات الموصولة للقربرى متعددة مختلفة، وأفضلها رواية أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة عن الصدى.

قال الشيخ محمد الطيب بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فى المنح البادية نقلا عن جده عبد القادر المذكور: إن رواية ابن سعادة، عن أبي على المذكور هى أفضل من الروايات التى عند ابن حجر، وابن حجر لم يعثر عليها، وهى المعتمدة عندنا بالمغرب المسلسلة بالملكية. اهـ.

وقد اتصل سندنا بها، والله الحمد، من طرق.

الطريق الأول: عن الوزانى، عن الحاج صالح المعطى، عن الوليد العراقى، عن ابن عمه الحافظ إدريس العراقى، عن الشيخ التاودى، عن أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس، عن عمه عبد السلام جسوس، عن أبي محمد عبد القادر الفاسى،

(١) القُرْبَرى: بفتح الفاء والراء وسكون الباء الموحدة وبعدها راء أخرى، قيده السمعاني فى الأنساب ٩/ ٢٦٠ ونسبه إلى، قُرْبَر، بلدة على طرق جيحون مما يلى بخارى.

عن عم أبيه عبد الرحمن الفاسي، عن أبي عبد الله القصار، عن رضوان الجنوي، عن أبي زيد سُقَيْن، عن ابن غازي، عن عبد الله محمد بن أبي القاسم بن أبي زكرياء، المعروف بالسراج، عن أبيه أبي القاسم، عن جده أبي زكرياء، عن أبي البركات محمد البلفيقي، عن أبي جعفر أحمد بن أبي الزبير، عن أبي الخطاب محمد ابن أحمد، المعروف بابن خليل، عن أبي الخطاب أحمد بن أبي الحسن محمد بن عمر القيسي البلسي، عن أبي عبد الله محمد بن سعادة، عن أبي علي الصدقي، عن أبي الوليد الباجي، المتوفى سنة ٤٧٤، عن أبي ذر الهروي، المتوفى سنة ٤٣٤، عن أبي محمد عبد الله بن حَمُويه ويقال: الحُموي السرخسي، المتوفى سنة ٣٨١، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد البلخي المستملي، المتوفى سنة ٣٧٦، وأبي الهيثم محمد بن المكي بن زُرَّاع — كغراب — المروزي الكُشْمِيهَنِي^(١)، المتوفى سنة ٣٨٩، ثلاثهم عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري المتوفى سنة ٣٢٠، عن الإمام الحافظ الحجة أبي عبد الله البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦.

الطريق الثاني: عن الوزاني، عن الحاج صالح المذكور، عن الحاج الداودي بن العربي التلمساني، عن أبي عبد الله محمد الأمير، عن أبي الحسن السقاط سماعًا لبعضه وإجازة لباقيه، عن أبي العباس أحمد بن الحاج، عن شيخ الجماعة عبد القادر الفاسي، عن أبيه علي، عن جده يوسف، والمنجور، والقصار، وهم عن عبد الرحمن اليسيتي، عن أبي العباس زروق، وأبي عبد الله بن غازي، عن أبي عبد الله الْقَوْرِي، عن أبي عبد الله الغساني المكناسي، المتوفى سنة ٨٢٨، عن القاضي أبي العباس أحمد بن الغماز، المتوفى سنة ٦٩٣، عن الرضي الطبري، وكان بالحياة سنة ٧١٣، عن أبي الحسن بن خيرة، المتوفى سنة ٦٣٤، عن أبي عبد الله محمد بن سعادة، عن أبي علي الصدقي بسنده المتقدم. اهـ. بزيادة الوفيات.

(١) الكشميهني: قيده السمعاني في الأنساب ١٠ / ٤٥٦: بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون الياء المنقوطة من تحتها ثنتين وفتح الهاء وفي آخرها النون، نسبة إلى قرية من قُرَى مَرُوءَ، وقد تحرف في المطبوع إلى: «الكشميهني».

قلت: هكذا وقفت على هذا السند بفهرس الأمير وغيره، غير أن قوله: إن الغساني أخذ عن أبي العباس الغمار غير ظاهر، والظاهر أنه أخذ عن القاضي محمد، المتوفى سنة ٧٨٥، ابن القاضي أبي العباس الغمار المذكور، والقاضي محمد لم يأخذ عن والده، المتوفى سنة ٦٩٣ حيث تركه صغيراً أو حملاً، وإنما أخذ عن الرضى، وهو عن ابن خيرة.

أما الوالد فإنه أخذ مباشرة عن ابن خيرة، تأمل، وابن سعادة روى أيضاً البخارى عن عمه أبي عمران بن سعادة، عن الصدقي، وهاته الرواية أثني عليها صاحب نفح الطيب، ولم تزل نسختها المروية عنه المكتبة بخط راويها أبي عمران محفوظة بقبة النصر بفاس الجديد.

الطريق الثالث: عن الوزاني، عن الشيخ الحاج صالح، عن محمد بن حمدون ابن الحاج، عن أبيه عن عدة شيوخ من عدة طرق، منها: عن الشيخ التاودي، عن جماعة منهم محمد بن عبد السلام بناني، عن محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي على اليوسى، وأبي الفضل أحمد بن العربي بن الحاج، وهم عن شيخ الجماعة عبد القادر الفاسي، بسنده إلى سقّين، عن ابن غازي، عن أبي عبد الله السراج، عن أبيه، عن جده، عن البلفيقي، عن ابن الزبير، عن أبي الخطاب أحمد بن واجب، عرف بابن خليل، عن ابن عمه أبي الخطاب أحمد بن أبي الحسين محمد بن عمر بن واجب، المتوفى سنة ٦١٤ المولود سنة ٥٣٧، عن أبي عبد الله بن سعادة عن أبي على الصدقي بسنده.

وأرويه بأعلى سند يوجد عن الوزاني، عن أبي العباس أحمد بن سودة، عن الشيخ مصطفى الجزائرى، عن الأمير، عن الصعدي، إلى الإمام البخارى، بالسند المتقدم ذكره في ترجمة أبي العباس المذكور.

وأما صحيح مسلم بن الحاج القشيري النيسابورى: فأرويه عن الوزاني، عن أبي العباس أحمد بن أحمد بناني، عن الشيخ عبد الغنى الدهلوى الهندي، المتوفى ١٢٩٦، وأخذ عنه أيضاً الكتب السبعة: الصحيحين، والموطأ، وجامع الترمذى، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وقال: له أسانيد مبينة في

كتابه اليانع الجنى، وهو فهرس الشيخ عبد الغنى المذكور، جمعها له بعض تلامذته، وقد روى صحيح مسلم عن والده الشيخ أبي سعيد العمرى، عن الشيخ عبد العزيز، عن والده الشيخ أحمد بن أبي الفيض عبد الرحيم العمرى، قال: أخبرني الشيخ أبو طاهر، عن والده، عن الشيخ إبراهيم الكردي المدنى، عن الشيخ سلطان ابن أحمد المزاحى، قال: أخبرنا الشيخ أحمد السبكى، عن النجم الغيطى، عن الزين زكريا، عن الحافظ ابن حجر، عن أبي عمر المقدسى، عن على بن أحمد البخارى، عن المؤيد الطوسى، عن أبي عبد الله الفراوى الفارسى، عن أبي أحمد بن محمد بن عيسى الجلودى، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مؤلفه مسلم بن الحجاج النيسابورى، المتوفى فى رجب سنة ٢٦١.

المزاحى هو الأزهرى المتوفى سنة ١٠٧٥، والنجم محمد بن أحمد الغيطى، توفى سنة ٩٨١، والمقدسى، لعله هو الصلاح محمد بن إبراهيم المقدسى الصالحى، المتوفى سنة ٧٨٠، وابن البخارى هو الفخر أبو الحسن، عُرف بابن البُخارى المقدسى، ثم الصالحى، المتوفى سنة ٦٩٠، والمؤيد الطوسى أصلاً النيسابورى داراً، توفى سنة ٦٢٧.

وأرويه أيضاً من عدة طرق عن عدة مشايخ، منها: عن الشيخ بلحسن النجار، عن الشيخ الطيب النيفر، عن الشيخ أحمد منة الله، عن الشيخ محمد الأمير، قال: سمعت منه جملة كثيرة من أوله عن شيخنا السقاط، وأجازنى هو وغيره من شيوخنا بسائره.

والسقاط رواه من عدة طرق، منها: روايته عن ولى الله إبراهيم الفيومى، عن الشيخ أحمد الغرقاوى المالكى، عن النور الأجهورى، عن نور الدين على العراقى، عن الحافظ السيوطى عن البلقينى، عن التنوخى، عن سليمان بن حمزة، عن أبي الحسن على بن نصر، عن الحافظ عبد الرحمن بن منده، عن الحافظ أبي بكر محمد ابن عبد الله، عن مكى النيسابورى، عن الإمام مسلم.

قال: وأرويه أيضاً بالأسانيد السابقة لابن حجر، عن محمد السنطاوي^(١)، عن أبي الفضل المقدسي، عن أبي محمد الحسن بن علي الهاشمي، عن عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، عن أبي بكر محمد بن عبد الله الشيباني، عن مكى بن عبد الله، عن مؤلفه.

وأما سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: فأرويهما من الطريق المذكور إلى الأمير، وهو عن البدر الحفني إجازة عن البديري، عن الملا إبراهيم الكردي النقشبندی، عن صفى الدين النقشباني المدني، فإجازته العامة عن الشمس الرملي، عن زكريا، عن مسند الديار المصرية عز الدين عبد الرحيم، المعروف بابن الفرات، عن أبي حفص عمر بن الحسن بن يزيد الراعي، عن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد، عن أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد^(٢) البغدادی، أخبرنا به الشيخان: إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي، وأبو الفتح مفلح بن أحمد الرومي سماعا عليهما، ملفقا قالوا: أنبأنا به الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادی، أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن اللؤلؤي، أخبرنا به أبو داود — يعنى المؤلف — المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٧ عن اثنتين وسبعين سنة، أخذ عن الإمام أحمد وغيره، روى عنه الترمذی وغيره.

وأما الجامع لأبي عيسى الترمذی: فأرويه من الطريق المذكور إلى الأمير، وهو رواه مسلسلا بالصوفية عن الشيخ علي الصعیدی الصوفي، عن الشيخ عقيلة الصوفي، عن الشيخ حسن العجمي الصوفي، عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي الصوفي، عن الشيخ أحمد بن علي الشنّاوى الصوفي، عن والده علي بن عبد القدوس الصوفي، عن عبد الوهاب الشعرائي الصوفي، عن زكريا بن محمد الفقيه الصوفي، عن العارف بالله زين الدين المراغي العثماني الصوفي، عن أستاذ الصوفية

(١) تحرف في المطبوع إلى: «عن أبي محمد السنّاوى» وصوابه من الضوء اللامع ٣٣ / ٨.

(٢) طَبْرَزْد: قيده ابن خلكان ٤٥٣ / ٣: «فتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الزاى وبعدها ذال معجمة، وتحرف في المطبوع إلى: «طبرزد» بالذال المهملة في آخره.

إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي العقيلي الصوفي، عن المسند أبي الحسن علي بن عمر الداني الصوفي، عن أستاذ أهل التحقيق الشيخ يحيى الدين محمد بن علي بن عربي الطائي الحاتمي الصوفي، عن شيخ الشيوخ عبد الوهاب بن علي بن سكينه البغدادي الصوفي، عن أبي الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي الصوفي، عن شيخه الحافظ أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الصوفي، عن عبد الجبار الجراحى، عن أبي العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي، عن مؤلفه الترمذى أبي عيسى محمد بن عيسى الضحاك السلمى.

وترمذ: مدينة قديمة على طرف نهر بلخ المسمى بيجحون وهو نهر عظيم فاصل بين خوارزم وخراسان، وبين بخارى وسمرقند.

توفى أبو عيسى بترمذ سنة ٢٧٩ ومولده سنة ٢٠٩.

لم يخلف البخارى مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والزهد، له حديث واحد ثلاثى بالسند المذكور إليه قال: حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارى ابن بنت السدى الكوفى، قال: حدثنا عمر بن شاعر عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» قال أبو عيسى (هو الترمذى) هذا حديث غريب من هذا الوجه، وعمر بن شاعر شيخ مصرى، قد روى عنه غير واحد من أهل العلم. اهـ.

وأما السنن الصغرى للنسائى المسمى بالمتجنى فأرويهما من طريق الأمير، عن الصعیدى، عن عقيلة، عن حسن، عن أحمد بن محمد العجل، عن الإمام يحيى، عن الحافظ عبد العزيز بن فهد، قال: أخبرنا المسند أبو اليمن محمد بن محمد بن عبد الله الزفتاوى، قال: أخبرنا القاضي مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم الكنانى الحنفى، قال: أخبرنا به الأصيل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عبد العزيز الأيوبي، المعروف بابن المملوك، سمعنا جميعه إلا الجزء الأول فجازة، قال: أخبرني به شاعر الله بن غلام الله بن السمعة، قال: أخبرنا به الصفى أبو بكر عبد العزيز بن أحمد بن باقا البغدادي، قال: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسى، قال: أخبرنا أبو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأوابى، قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن

الحسين الكسار، قال: أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد، الشهير بابن السني الدينوري، عن مؤلفها الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، نسبة إلى نسا: كورة من كور نيسابور، مولده سنة ٢١٥، وتوفي سنة ٣٠٣.

وأما سنن ابن ماجه: فأرويهما من طريق الأمير، عن الصعدي إجازة، عن عقيلة، عن حسن، عن أحمد، عن يحيى، عن جده المحب، عن الزين المراغي، عن أبي العباس الحجار، عن المسند عبد اللطيف محمد، قال: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، قال: أخبرنا أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم القطان، قال: أخبرنا به مؤلفه الحافظ أبو عبد الله محمد ابن يزيد بن عبد الله بن ماجه الربيعي، نسبة: إلى ربيعة بالولاء، القزويني، ولد سنة ٢٠٩، ومات سنة ثلاث وستين أو سبعين ومائتين^(١).

وأما الموطأ: فأرويهما من عدة طرق، منها: طريق الوزاني، عن الحاج صالح المعطى، عن محمد بن حمدون ابن الحاج، عن والده، عن التاودي، عن محمد بن عبد السلام بناني، عن أحمد بن العربي ابن الحاج، عن عبد القادر الفاسي، عن عم أبيه أبي زيد الفاسي، عن القصار، عن رضوان، عن سقّين، عن زكريا الأنصاري، عن ابن الفرات، عن ابن جماعة، عن ابن الزبير، عن ابن واجب، عرف بابن خليل، عن أبي عبد الله بن زرقون، المولود سنة ٥٠٢، المتوفى سنة ٥٨٦، عن أبي عبد الله الخولاني، عن أبي عمر أحمد الطلمنكي، المتوفى سنة ٤٢٩، عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى، ثلاثا، المتوفى سنة ٣٦٧، عن ابن عم أبيه عبيد الله بن يحيى بن يحيى، المتوفى سنة ٢٩٨، عن والده المتوفى سنة ٢٣٤، عن مالك بن أنس رحمته الله.

وأرويهما من طريق أبي حفص عمر بن الشيخ، عن الشيخ محمد الشريف، عن شيخ الإسلام الرابع محمد بيرم، عن جده شيخ الإسلام الثاني محمد بيرم، عن والده شيخ الإسلام الأول محمد، عن المكودي عن الحريشي، عن عبد القادر الفاسي،

(١) أرخه الذهبي في العبر ٢ / ٥١ في وفیات سنة ٢٧٣هـ.

عن عم أبيه عبد الرحمن، عن القصار، عن خروف، عن سُّقَيْن، عن القاضي زكريا، عن أحمد بن علي بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات، المتوفى سنة ٨٠٤، عن عز الدين أبي عمر عبد العزيز بن بدر الدين بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الزبيدي الكنتاني، المتوفى سنة ٧٧٣، عن ابن الزبير، عن ابن خليل المتوفى سنة ٦٣٧، عن أبي عبد الله محمد بن سعيد الأنصاري، عُرِفَ بابن زرقون، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخولاني، المتوفى سنة ٥٨٠، عن أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الطلمنكي، عن أبي عيسى، عن والده عبد الله، عن والده، يحيى، عن والده يحيى بن يحيى بن كثير الليثي. اهـ. بزيادة الوفيات.

والخولاني: لم أقف على ترجمته، وله شهرة وفهرسة في أربعة أجزاء. وأما الشفاء: فأرويه من طرق، منها: طريق الوزان عن الحاج صالح المذكور، عن أبي الفضل العباس بن كيران، عن عبد القادر بن شقرون، عن أبي حفص الفاسي، عن ابن مبارك، عن محمد المسناوي، عن محمد بن عبد القادر الفاسي. وأحمد بن العربي بن الحاج، عن عبد القادر الفاسي، عن عمه العربي الفاسي، عن والده يوسف، عن المنجور، عن جماعة، منهم: الونشريسي. والزقاق، عن ابن غازي، عن الجادري، عن ابن الأحمر، عن ابن السراج، عن أبي عبد الله البليقي، عن ابن الزبير، عن أبي الفضل عياض بن موسى، مؤلف الشفاء، المتوفى سنة ٥٤٤ بمراكش.

قلت: ابن الزبير ولد سنة ٦٢٧، وتوفى سنة ٧٠٨، وعليه فروايتة الشفاء عن مؤلفه خطأ، ولعل الرواية كانت عن القاضي عياض الحفيد المتوفى سنة ٦٣٠، وهو عن والده محمد المتوفى سنة ٥٧٥، عن والده القاضي عياض مؤلف الشفاء، وهؤلاء وقع ذكرهم في الديباج.

وقد رواه ابن الزبير، عن أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل، عن ابن عمه أبي الخطاب أحمد بن واجب، عن القاضي ابن غازي المتوفى بعد التسعين وخمسمائة، عن القاضي عياض، مؤلف الشفاء، وكان ابن غازي المذكور من أخص تلامذته.

وفي تذييل ابن غازي لفهرسته أنه رواه مسلسلا بالآباء عن ابن مرزوق الكفيف، عن أبيه محمد، المعروف بالحفيد، عن أبيه محمد، وعمه أحمد عن أبيهما محمد بن مرزوق، المعروف بالجد، عن أبي المجد أحمد، عن أبيه أبي عبد الله محمد، عن أبيه أبي الفضل القاضي عياض، عن أبيه القاضي أبي عبد الله محمد، عن أبيه أبي الفضل القاضي عياض بن موسى، مؤلف الشفاء.

وأما كتاب الشمائل: فأرويه عن الوزاني، عن أبي العباس أحمد بن أحمد بناني، عن الوليد العراقي، عن إدريس العراقي، والطيب بن كيران، وحمدون بن الحاج، وعبد القادر بن شقرون، الأربعة عن الشيخ التاودي بسنده. وثالثهم: أبو الإقبال عبد الحى الكتاني، فإنه أجازني ومحل الحاجة منها أجزته بكل ما تصح لي روايته وتثبت لي درايته من العلوم العقلية والنقلية الأصلية والفرعية إجازة بالعموم متصفة، وبالشمول والاستغراق ملتحفة.

كما أجازني به أشياخي أعلام العصر المتصل إسنادهم بأوحد كل مصر، فمن ذلك فهرس الشيخ الأمير، أرويه عن والدي أبي المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني، عن البرهان السقا، والشمس عيش، كلاهما عن الأمير الصغير، عن أبيه الأمير الكبير.

وفهرس الشيخ محمد بن نصر الزبيدي، عن المعمر أبي العباس أحمد بن صالح السويدي البغدادي، عنه عاليا بإجازته لجدى وحفدته. وفهرس الإمام الشمس الغرياني التونسي بالسند المذكور إلى الشيخ مرتضى الزبيدي. اهـ.

ورابعهم: أبو عبد الله محمد بن الشيخ جعفر الكتاني، فقد أجازني، ومحل الحاجة منها أجزته في كل ما يجوز لي وعني من معقول ومنقول وفروع وأصول وكتابة وتصنيف ومقيدات وتأليف وأذكار وأدعية وطرق للسادات الصوفية. إجازة تامة مطلقة، عامة بشرطها المعروف وقيدها المألوف.

وقد رويت عن أئمة كثيرة عظام، أساطين الدين والإسلام، يطول جلبهم، ويعسر استيعابهم، ولنقتصر هنا على ذكر سندی لصحيح البخاري من طريق المغاربة برواية ابن سعادة التي هي معتمدتهم.

فنقول: أخذت الصحيح بعضه قراءة وإجازة لباقيه عن أبي العباس أحمد بن أحمد بناني، عن شيخ الجماعة الوليد بن العربي العراقي، عن أبي الفيض حمدون بن الحاج، عن أبي عبد الله التاودي، عن ابن مبارك، عن الحريشي، عن شيخ الإسلام عبد القادر الفاسي بسنده المبين في الطريق الأول إلى ابن سعادة بسنده، ثم قال: وبهذا السند إلى القصار، أروى الكتب الستة وغيرها من المصنفات الحديثة.

وأما طرق الصوفية فأروى منها كثيرا، منها الشاذلية الدرقاوية عن الشيخ عبد الرحمن، عن والده الشيخ الطيب، عن جده العربي بن أحمد الدرقاوي، شيخ هذه الطريقة.

وخامسهم: أبو عبد الله محمد القزاح المساكني، اجتمعت به تبركا وقد أنهك المرضُ وعشرُ التسعين قواه، وتوفي بأثر ذلك.

ولأخينا الشيخ علي بليعيد إجازة منه عامة وبما في فهرستي ابن الصغير وابن خليفة، وهو أجازني بذلك عن شيخه القزاح المذكور عن أبي عبد الله محمد العذارى، عن أبي العباس أحمد بن الصغير، عن أبي الحسن بن خليفة، وأبي العباس أحمد بن علي بن عبد الصادق الطرابلسي، وأبي عبد الله البليدي، وأبي عبد الله الغرياني، وأبي العباس أحمد السوسي المغربي، وأجازته إجازة عامة، وكذلك ابن عبد الصادق أجازته إجازة عامة وبمروياته عن مشايخه، منهم: عبد الرحمن الصنادقي الشافعي، عن محدث الشام أبي الفدا إسماعيل العجلوني، مؤلف حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال، وهي: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والشمائل، والأربعون النووية، وتفسير البيضاوي، وجمع الجوامع، ومؤلفات ابن مالك، وابن هشام، والشاطبية، وألفية العراقي، ودلائل الخيرات، وجامعا السيوطي بأسانيدنا إلى مؤلفيها.

وأما البليدي فإنه أجازته إجازة عامة بما أجازته أبو عبد الله الزرقاني، وهي: الموطأ، والرسالة عن والده بسنده، وبما أجازته الشيخ النفراوي، والشيخ إبراهيم الفيومي، وهما عن الشيخ عبد الباقي الزرقاني، وهي: كتاب الله عز وجل، والبخاري، والمختصر، والحزبان، والوظيفة، ودلائل الخيرات بأسانيدنا.

وأما أبو عبد الله الغرياني فأجازه المختصر، وكتب الحديث.
وأما ابن خليفة فإنه قرأ عليه وأجازه إجازة عامة وبما حوته فهرسته ذكر فيها أنه أخذ عن الخرشى، ومحمد الزرقاني، والفيومي، والنفراوى، والشبرخيتي، وأبي الحسن النورى.

أما الشبرخيتي فإنه أجازه فى الصحيحين، والفقهاء المالكي، والمختصر عن النور الأجهورى، عن البنوفرى، والبدر القرافى، عن عبد الرحمن الأجهورى، عن الشمس، والناصر اللقائين، عن النور السنهورى، عن طاهر النويرى عن حسين البوصيرى، عن ابن هلال، عن ابن المخلطة، عن ابن فراج، عن الناصر النويرى، عن ابن الحاجب، عن عبد الكريم بن عطاء الله، عن أبى الحسن الأبيارى، عن أبى طاهر إسماعيل بن عوف، عن أبى بكر الطرطوشى، عن أبى الوليد الباجى بسنده.

وأما أبو الحسن النورى فقد أجازه فى الفقه المالكي بالسند المذكور وبمروياته التى تقدم ذكرها فى ترجمته وترجمة تلميذه أبى العباس أحمد المكنى فى المقصد.

وقال بعد ذكر مروياته: ولا تجد كتابا للمتقدمين ولا للمتأخرين فى جميع العلوم إلا ولنا به اتصال وسند يوصلنا إلى مؤلفه.

وقال أيضاً: عيناى خامس عشر عينا رأيت رسول الله ﷺ، فإن الحافظ السيوطى أخرج العشاريات وبينى وبينه ثلاثة وأنا الرابع.

وكذلك الحافظ ابن حجر فإنه أخرج العشاريات، وبينى وبينه ثلاثة وأنا الرابع، وذكر حديثاً مسنداً وهو قوله ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى، ومن رأى من رآنى» الحديث، قال: ولم يوجد على وجه الأرض أعلى منه. انتهى.

قلت: عيناى الموفيتا عشرين عينا رأيت رسول الله ﷺ لأنه بينى وبين أبى الحسن النورى أربعة وأنا الخامس، وهم: القزاح، عن العذارى، عن ابن الصغير، عن ابن خليفة، عن النورى المذكور.

وسادسهم: أبو عبد الله بلحسن النجار، أجازنى بمروياته وبما حوته فهرسته، وقد روى عن والده، وعن الشيخ محمد الطيب ابن الشيخ محمد النيفر الأكبر، وعن الشيخ عمر بن الشيخ، والشيخ أحمد الخياط، والشيخ المهدي الوزانى

وأجازوه بما في فهارسهم، وقد مرت الإشارة إلى بعض مرويات ابن الشيخ، والقزاح، والوزاني.

أما أبو عبد الله النجار فمن مروياته: صحيح البخارى عن الشيخ محمد الشاذلى بن صالح، عن شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث، عن جده شيخ الإسلام الأول، عن المكودى، عن ابن مبارك، عن الحريشى، عن أبي سالم العياشى، عن أبي محمد عبد القادر الفاسى، عن عم أبيه أبي زيد الفاسى، عن القصار، عن خروف، عن محمد بن على الطويل القادري، عن الشهاب أحمد بن محمد بن حسن الأنصارى الخزرجى المتوفى سنة ٨٧٥، عن أبي الحسن بن أبي المجد الدمشقى سنة ٨٠٤، عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب، عن ابن أبي النعيم الصالحى الحجار، المعروف بابن الشحنة، المتوفى سنة ٧٣٠، عن أبي عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدى الحنبلى المتوفى سنة ٦٣١، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي^(١) الصوفى المتوفى سنة ٥٥٣، عن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى المتوفى سنة ٤٦٧، عن أبي محمد عبد الله السرخسى، عن أبي عبد الله الفربرى، عن الإمام البخارى.

وأما أبو عبد الله محمد الطيب النيفر، فإنه أخذ عن والده، وعن الشيخ محمد ابن صالح بن ملوكة، وعن شيخ الإسلام الأول محمد بن الخوجة، وعن شيخ الإسلام الرابع محمد بيرم، وعن الشيخ أحمد دحلان شيخ مشايخ الحرمين فى وقته، المتوفى سنة ١٣٠٤، وعن الشيخ محمد كمون شيخ مشايخ رواق المغاربة بالأزهر، وعن الشيخ محمد الخطيب، من علماء الأزهر، وعن الشيخ محمد الكتبى شيخ الإسلام بمكة المشرفة، وعن الشيخ أحمد منة الله، من أعيان علماء الأزهر المتوفى سنة ١٢٩٢، وأجازوه بما حواه فهرس شيخه محمد الأمير، وعن البرهان الرياحى، وأجازوه إجازة عامة بمروياته وبما حواه فهرس الأمير، فإنه رواه عن أبي عبد الله الأمير الصغير، عن والده محمد الأمير مؤلفه، وبما فى الفهرس المسمى بمحصر الشارد

(١) السجزي: بكسر السين وسكون الجيم وزاى نسبة إلى سجستان على غير قياس (اللباب) وتحرف فى المطبوع إلى: «الشجنرى».

عن مؤلفه الشيخ محمد عابد ابن الشيخ أحمد بن علي ابن شيخ الإسلام المزاح الأنصاري الخزرجي الألوئ السندی، المدرس بالحرم النبوی المتوفى سنة ١٢٥٧، وكان اجتماع البرهان به بالحرم سنة ١٢٥٢.

وبما حواه فهرس أبي العباس الصباغ، رواه عن أبي عبد الله محمد بن طاهر المير السلاوى المتوفى سنة ١٢٢٠، وكان اجتماع البرهان به بسلا سنة ١٢١٨، وهو رواه عن أبي حفص عمر بن عبد الصادق المغربي، عن مؤلفه الصباغ، وهو عن أبي عبد الله الزرقاني، وأحمد بن غنيم النفراوى، ويحيى الشاوى، وإبراهيم الفيومى، وأجازه بما فى فهرسته من المؤلفات المسندة إلى مؤلفيها فى فنون شتى، وهى: القراءات، والحديث، والسير، والتفسير، والفقه، والكلام، والنحو، واللغة، والبلاغة عن الخرشى، وعبد الباقي الزرقاني بسندهما.

وأخذ الصباغ أيضاً عن أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى بسنده، وأبي عبد الله محمد زيتونة، وأجازه بما أجازه جار الله عبد الله بن سالم البصرى.

وروى البرهان أيضاً عن أبي عبد الله محمد بن التهامى الرباطى حين وفد على تونس سنة ١٢٤٣ وتوفى بمكة سنة ١٢٤٤ وقد أجازه بمروياته، وهو عن أعلام، منهم: عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسى، وهو عن أبي عبد الله محمد بنانى، وعبد القادر بن شقرون، وزيان العراقى، بسندهم.

ومنه: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصرى، وهو عن الشيخ التاودى بسنده، وعن عمه شيخ الجماعة أبي يعقوب يوسف بن محمد، عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى، عن أبي العباس أحمد بن ناصر، عن الغوث والده، عن محمود، عن الشيخ عبد الله بن حسين، القباب حرفة، الرقى نسبة لبلده، عن أبي العباس أحمد بن علي الخزرجى، عن إمام الطريقة أبي القاسم الغازى السجلماسى، عن أبي الحسن علي بن عبد الله الفيلالى، عن أبي العباس أحمد بن يوسف المليانى، عن الشيخ الإمام أحمد زروق.

قال الأمير: وبهذا السند نروى جميع ما ينسب للشيخ أحمد زروق من الوظيفة، والأوراد، والتأليف.

ونروى أيضًا طريقة السادات بنى الوفاء الشاذلية بالسند عن زروق، عن أبي عبد الله القَوْرِي، عن عبد الله بن أحمد، عن الشيخ علي وفا. اهـ.
وممن أخذ عن الشيخ زروق أبو عبد الله محمد الخطاب.
وأما شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن الخوجه فإنه روى فهرس الشمس الغرياني، عن الشيخ إسماعيل التميمي، عن الشيخ عمر المحجوب، عن مؤلفه الغرياني المذكور.

خلاصة الأسانيد

وهى نتيجة ما تقدم ذكره من المقصد والتمهيد وخلاصته مؤلفة من عظماء رجال المذهب المالكي، وأئمة الحديث جمعتها تيمناً وتسهيلاً لمن أراد مراجعة أسانيد العلماء فى الفقه، والحديث، وعلوم الدين، فى مثال شجرة تشرح صدور القارئ وتسر الناظرين.

اعلم أنى ذكرت فيما سلف معظم عظماء رجال المذهب المالكي وما لكل واحد منهم من الشيوخ والتصانيف والفهارس التى الغرض منها ذكر المرويات المتصلة السند فى الفقه والحديث، وغير ذلك، فى طبقات انتهت بذكر الشيوخ الذين رويت عنهم ما حوته فهارسهم.

ومنها: فهرس أبى عبد الله القزاح الذى احتوى على فهرس ابن الصغير، وفهرس ابن خليفة، وفهرس أبى الحسن النورى.

ومنها: الفهرستان: الصغرى والكبرى، لأبى حفص عمر بن الشيخ، فالصغرى مدرج بها فهرس أبى عبد الله محمد الشريف، وقد مر ذكر ما به، والكبرى مدرج بها فهرس أبى عبد الله محمد الشاذلى بن صالح، المدرج به فهرس المكدوى، وفهرس ابن مبارك، وفهرس الحريشى، وفهرس ابن الحاج، وفهرس العياشى، وفهرس شيخ الجماعة عبد القادر الفاسى، جمع فيه مصنفات كثيرة فى علوم شتى متصلة السند بمؤلفيها.

ومنها: فهرس أبى الإقبال عبد الحى الكتانى، وقد أجازنى بمروياته، منها: فهرس الشمس الغريانى، وفهرس الشمس الأمير.

ومنها: فهرس أبى عبد الله بلحسن النجار، وقد أجازنى بمروياته التى رواها عن والده، والوزانى، والخياط، والطيب النيفر، وهذا روى فهرس الشمس الغريانى عن الشيخ محمد بن أحمد بن الخوجه، عن الشيخ إسماعيل التميمى، عن الشيخ عمر المحجوب، عن مؤلفه الغريانى.

وروى فهرس الأمير عن أحمد منة الله عن مؤلفه، ورواه أيضًا عن البرهان الرياحي، عن الأمير الصغير، عن مؤلفه الأمير الكبير.

وروى عنه أيضًا فهرس المسمى بحصر الشارد عن مؤلفه الشيخ محمد عابد، وروى عنه أيضًا فهرس الصباغ الذي رواه عن محمد المير، عن عمر بن عبد الصادق المغربي، عن مؤلفه الصباغ، وهو عن محمد الزرقاني، وأحمد النفراوي، ويحيى الشاوي، وإبراهيم الفيومي، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد زيتونة، بأسانيدهم.

وللبرهان الرياحي إجازات من غير من ذكر عامة، منهم: إجازة أبي عبد الله محمد بن التهامي الرباطي، وهو عن عبد الواحد الفاسي، عن محمد بناني، وعبد القادر بن شقرون، وزيان العراقي بسندهم، وعن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، وهو عن الشيخ التاودي بسنده، وعن عمه أبي يعقوب يوسف الناصري، عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني، عن أبي العباس أحمد بن ناصر، عن والده شيخ الطريقة أبي عبد الله محمد، بسنده إلى الشيخ أحمد زروق. ومنها فهرس أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني، فإنه أجازني إجازة عامة معقولا ومنقولا، فروعا وأصولا، ومقيدات، وتأليفًا، وأذكارًا، وأدعية، وطرق السادات الصوفية، والكتب الستة، منها: أنه أخذ البخاري عن أحمد بن أحمد بناني، عن الوليد العراقي، وعن حمدون بن الحاج، عن التاودي، عن ابن مبارك، عن الحريشي، عن شيخ الجماعة عبد القادر الفاسي بسنده.

ومنها: فهرس أبي عبد الله المهدي الوزاني فقد أجازني بما هو مدرج به وعمروياته وتأليفه، من مروياته القرآن العظيم، وقد ذكرت رجال سنده فيما مضى، ومن مروياته الفقه المالكي عن جماعة، منهم: محمد بن المدني جنون، ومحمد ابن عبد الرحمن العلوي، والمهدي بن محمد بن حمدون بن الحاج، وهم عن: محمد ابن عبد الرحمن الحجرتي، عن عبد السلام الأزمي^(١)، عن التاودي، عن محمد

(١) تحرف في المطبوع إلى: «اليازمي» وصوابه من ترجمته في الموسوعة.

جسوس، عن محمد المساوي، عن أحمد بن الحاج، عن شيخ الجماعة عبد القادر الفاسي، عن عبد الرحمن الفاسي، وعبد الواحد بن عاشر، والجنان، وابن أبي النعيم، والشهاب المقرئ بعضهم عن القصار وبعضهم عن المنجور.

أما القصار فعن رضوان، عن سقّين، عن ابن غازي.

وأما المنجور فعن سقّين، عن القوّري، عن عمران الجاناتي، عن أبي عمران العبدوسي، عن عبد العزيز القوّري، عن أبي الحسن الصغير، عن راشد بن أبي راشد، عن أبي محمد صالح المسكوري، عن أبي موسى بوفاني، وأبي مدين الغوث، وابن ملحوم.

وهم عن ابن بشكّوآل، عن ابن عتاب، عن والده، عن أبي محمد مكّي بن أبي طالب، عن أبي محمد بن أبي زيد عن ابن اللباد والإياني^(١) عن يحيى بن عمر، عن سحنون، عن ابن القاسم، عن مالك بن أنس.

ومن مرويات الوزاني: فهرس الأمير، فقد رواه عن الحاج صالح المعطى، عن الحاج الداودي التلمساني، عن الأمير مؤلفه جمع فيه ما تفرق في غيره وأتى فيه على مصنّفات كثيرة في علوم شتى متصلة السند بمؤلفيها، رواها عن أعلام، منهم: الصعدي، والبليدي، والتاودي، والسقاط، وحسن الجبرتي، ويوسف الحفني، ومحمد الحفني، والشيخ عطية، ومحمد بن حسن المنير، ومحمد بن عبد السلام الناصري، فالتاودي.

أخذ عن جماعة، منهم: ابن مبارك، عن محمد جسوس، عن عبد القادر الفاسي وابنيه: محمد وعبد الرحمن، واليوسي، والخرشي، وعبد الباقي الزرقاني، وأبي سالم العياشي، وهذا عن عبد القادر الفاسي، وميارة، وابن أبي العافية، والخرشي، وعيسى الثعالبي، وعبد السلام اللقاني، فالثعالبي عن طاهر الحسني، وأبي عبد الله الدلائي، والشهاب المقرئ.

(١) قيده ابن فرحون في الديباج: «بكسر الهمة وتشديد الباء».

وأما طاهر فعن المنجور، عن سُقَيْن، وعلى بن هارون المطغرى^(١)، واليسيتي، وعبد الواحد الونشريسي، عن ابن غازي، زاد عبد الواحد عن والده أحمد. وزاد سُقَيْن عن أحمد زروق^(٢).

وأما المقرئ والدلائلي فعن القصار، وأحمد الدقاق، وزاد المقرئ: عن عمه سعيد المقرئ، عن التنسي، عن أبي الفضل العقباني، وابن مرزوق الحفيد. وأخذ الرقاق عن أبي عبد الله القَوْرِي، وأبي عبد الله المواق، عن المنتوري، وابن سراج، وهذا عن ابن لب، والحفار، وابن علان، وهذا عن ابن لب، وابن مرزوق الجدد، وأبي عبد الله المقرئ، وهذا عن ابن عبد السلام، وابن هارون التونسي، وابني الإمام بسندهم.

وابن لب أخذ عن جماعة، منهم: ابن بكر، وأبو جعفر الزيات، وأبو محمد بن سلمون، وابن عبد الرفيح، والتاج الفاكهاني، وفخر الدين بن المنير. وروى، عن ابن جابر الوادي أشي، وعنه من ذكر، وأبو زكرياء السراج، والمنتوري، والشاطبي، ومحمد بن عاصم، وابنه أبو يحيى، وأخوه أبو بكر، ومحمد ابن جزي، وهذا أخذ أيضاً عن والده، عن ابن الزبير، وابن رشيد، وابن الشاط، وهذان عن القاضي أبي العباس أحمد الغماز، وابن عبد الرفيح، وابني سلمون، وهذان عن ابن الغماز، وابن هارون القرطبي.

وأخذ ابن الزبير عن أبي بكر بن سيد الناس، عن والده أحمد، عن أبي بكر بن خير، وابن زرقون، وابن بشكوال، بسندهم.

وأما ابن غازي فأخذ عن جماعة، منهم: أبو عبد الله السراج، عن أبيه أبي القاسم، عن جده أبي زكرياء، عن أبي عبد الله البلقيقي، عن ابن الزبير.

ومنهم أبو عبد الله القَوْرِي، والمزدغي، والكاواني، وهذان عن عيسى بن علال المصمودي والتازغدري، وابن علال، وهذا عن عمران الجاناتي، وهذا

(١) في المطبوع: «المضغري» والمثبت من ترجمته في الموسوعة.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «رزوق» وصوابه من ترجمته في الموسوعة.

والتازغدرى^(١)، وابن علال عن أبي عمران العبدوسى، عن عبد العزيز القروى، عن أبي زيد الجزولى، عن أبي الحسن الصغير بسنده.

وأما أبو العباس زروق فإنه أخذ عن حلولو، والرصاص، والمشدالى، والتازى، والحباك، وابن زكرى، وأبى زيد الثعالبي، والموااسى، والتنسى، والسنوسى، وأبى الفضل العقبانى، والنور السنهورى.

وهذا عن البساطى، عن بهرام، عن خليل، عن المنوفى بسنده. وأما حلولو والرصاص فعن ابن عقاب، عن ابن عرفة، عن السطى، عن أبي الحسن الصغير بسنده.

وأخذ ابن عرفة أيضاً عن ابن جابر بسنده الآتى، وعن ابن عبد السلام، وابن هارون التونسى، وهما عن ابن هارون القرطبى، عن أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن ابن بقى، عن أبيه، وجده عبد الرحمن، وأجازه ابن بشكوال، وابن قرمال، وابن مضا، وهم عن أبى بكر ابن العربى وغيره.

وزاد ابن مضا عن القاضى عياض، وهو عن جماعة، منهم: ابن رشد، وابن الحاج، وابن سراج، والصدقى، والغسانى، وابن العجوز، وابن عتاب، وابن العربى، وأبو عبد الله التميمى بسندهم.

والإمام المازرى روى عن أبي الحسن اللخمى: المخلص لأبى الحسن القابسى، لخص فيه أحاديث الموطأ برواية ابن القاسم عن مالك، قال المازرى: أخبرنا أبو الحسن على بن محمد اللخمى، قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق السيورى، عن أبى عمران موسى بن عيسى الفاسى، عن مؤلفه أبى الحسن القابسى، قال: أخبرنا على بن محمد بن سرور العبدى، سماعاً عن أحمد بن أبى سليمان، عن سحنون، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن مالك بن أنس.

وأما أبو عبد الله السنوسى فإنه أخذ عن أبى الحسن القلصادى، عن ابن مرزوق الحفيد، عن أبى زكريا السراج، عن البلفيقى، عن ابن الزبير.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «التازغورى».

وأخذ أيضًا، عن: الولي التازي، وأبي زيد الثعالبي، وهذا عن الأبي، وعمر القلشاني، والبرزلي، وعيسى الغبريني، وهم عن ابن عرفة بسنده.

وأما التازي وابن زكري والتنسي والمشدالي، فعن أبي عبد الله بن مرزوق الحفيد، عن أبيه وعمه، عن والدهما ابن مرزوق الجد، وعن سعيد العقباتي، وابن خلدون، وابن عرفة، والنويري، بسندهم.

وابن مرزوق الجد أخذ عن أعلام كثيرين من أهل المشرق والمغرب، منهم: البرهان السفاقسي، وابن راشد القفصی، وهما عن أبي العباس الغماز، والناصر أحمد بن المنير، والشهاب القرافي، والقاضي ناصر الدين الأبياري، وهم عن ابن الحاجب بسنده المتقدم.

وأما ابن خلدون، فإنه أخذ عن جماعة، منهم: ابن عبد المهيمن الحضرمي، وابن عبد السلام، وتقدم سنده.

ومنهم: أبو عبد الله بن جابر الوادي آشي، مؤلف أسانيد المالكية، وهو عن ابن عبد الرفيع، وابن هارون القرطبي، وعبد الواحد بن المنير، وهذان تقدم سندهما، وابن عبد الرفيع عن ابن شقر بسنده، وعن الرعيئي السوسي، عن أبي يحيى الحداد، من أصحاب الإمام المازري.

وأخذ أبو العباس الغماز عن ابن محرز، وابن عميرة، وابن المزين، شارح صحيح مسلم، والكلاعي، وأبي الحسن بن خيرة.

فالثلاثة الأول عن أبي عبد الله بن نوح، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي بكر بن خير، وابن بشكوال بسندهم.

وابن خيرة عن ابن سعادة بسنده.

والكلاعي عن ابن الجد، وعبد المنعم بن الفرس، وابن مضاء، وابن الفخار، وابن رشد الحفيد، وعبد الحق الإشيلي، وابن زرقون.

وأخذ ابن سعادة عن جماعة، منهم: عمه أبو عمر بن سعادة، وابن رشد، والمآزري، والصدقي، وهذا عن جماعة منهم ابن عبد البر، وأبو الوليد الباجي،

والعذري، والحميدى، والطروطشى، وهذا عن أبى الوليد الباجى، عن أبى محمد مكى بن أبى طالب، وأبى ذر الهروى، وابن عمروس البغدادى.

وأخذ الهروى عن القاضى ابن القصار، والقاضى ابن الباقلانى، والمستملى، والسرخسى، والمروزى، عن الفربرى، عن البخارى.

وأما ابن عمروس والقاضى عبد الوهاب فأخذوا عن ابن القصار، وهو وابن الباقلانى عن أبى بكر الأهرى، عن أبى الجهم، عن إسماعيل القاضى الحمادى، عن جماعة، منهم: قالون، عن نافع المغربى بسنده.

ومنهم القعنبي، عن مالك بن أنس.

ومنهم ابن المعدل، عن ابن الماجشون، عن مالك بن أنس.

وأخذ عبد الوهاب أيضاً عن ابن الجلاب عن الأهرى بسنده.

وأما أبو محمد مكى: فإنه أخذ عن ابن أبى زيد، والقابسى، وهذا عن الإتيانى.

وسمع البخارى، من المروزى، عن الفربرى، عن الإمام البخارى، وهو أول من أدخل صحيحه القيروان.

وأخذ ابن أبى زيد عن الإتيانى وابن اللباد، وهما عن يحيى بن عمر، عن سحنون، عن أبى الحسن بن زياد، وأسد بن الفرات، وابن القاسم، وهم عن مالك ابن أنس.

وأما الإمام المازرى: فأخذ عن أبى محمد عبد الحميد الصايغ، وأبى الحسن اللخمى، وهما عن أبى إسحاق التونسى، وأبى القاسم بن محرز، وهما عن ابن عمران الفاسى، وأبى بكر بن عبد الرحمن، وهما عن ابن أبى زيد، والقابسى بسنديهما.

وزاد ابن عبد الرحمن، عن أبى القاسم الجوهري، عن أبى بكر بن خالد، عن ابن المواز، عن ابن عبد الحكم.

وأخذ الجوهري أيضاً عن ابن شعبان، عن ابن صدقة، عن ابن عبد الحكم، عن أبيه، وابن القاسم وابن وهب وأشهب عن مالك.

وزاد أبو عمران: أنه تفقه على الأصيلي، وسمع المستملي، وأبا ذر الهروي، ودرس الأصول على القاضي ابن الباقلاني، وأخذ الأصيلي عن ابن مسرة وسمع ابن السليم، وتفقه باللؤلؤي، وهذا عن ابن لبابة بسنده.

والأصيلي رحل إلى المشرق مع القابسي ودرّاس، ولقى شيوخ إفريقية ومصر والحجاز والعراق كالإتياني، وابن مسرور، وابن أبي زيد، وابن شعبان، والمروزي، وسمع منه البخاري، عن الفربري، عن مؤلفه.

وسمع أبا أحمد الجرجاني وأبا القاسم حمزة بن محمد الحافظ، تلميذ النسائي، وأخذ عن أبي بكر الأبهري، وحدث عن الدارقطني، والدارقطني حدث عنه، وسمع قاضي المدينة عبد الملك المالكي.

وأما ابن رشد فإنه أخذ عن ابن رزق، ومحمد مولى ابن الطلاع، وأبي العباس العذري.

فابن رزق أخذ عن ابن القطان، وابن عتاب، وابن عبد البر. وهذا عن ابن المكوي، وابن مغيث، وابن الحذاء، وأحمد العذري، والقنازعي، وابن الفرضي.

وهذا عن ابن مفرج، وابن أبي زيد، والقابسي بسندهم. وأما القنازعي: فعن الباجي، وابن عون الله، وابن دحون، وابن الشقاق، وهما عن ابن مسرة، عن ابن لبابة، وابن أيمن، وهما عن العتي، عن ابن وضاح، ويحيى ابن مزين، وهما عن يحيى بن يحيى الليثي، عن مالك بن أنس. وأخذ ابن وضاح أيضاً: عن عبد الملك بن حبيب، عن زياد بن عبد الرحمن شبطون، عن مالك.

وأخذ ابن الطلاع عن ابن مغيث، عن ابن أبي زمنين، عن ابن مفرج، عن ابن وضاح، وعبيد الله بن يحيى بن يحيى عن والده، عن مالك بن أنس. وأما أبو العباس العذري المعروف بابن الدلائلي: فإنه سمع البخاري من أبي ذر الهروي مرات، ومن أبي العباس الرازي، ومن القاضي يونس، والمهلب بن أبي صفرة، وأبي عمرو السفاقي.

وهذا أخذ عن أعلام من حفاظ الحديث وغيره، منهم: أبو ذر الهروي، وأبو الطيب الطبري، والحافظ أبو نعيم صحبه بأصبهان وكتب عنه نحو مائة ألف حديث.

وأخذ ابن المكوي، عن إبراهيم بن مسرة وغيره.

وأخذ أبو عبد الله بن الحذاء، عن ابن زرب، وابن بطلال، وابن السليم، وابن عون الله، وأبي عيسى الليثي، وابن مفرج، والأصيلي، وحمل عنه تأليفه، والجوهري، وابن شعبان، وعبد الغني الحافظ.

وأما أبو بكر بن العربي: فإنه أخذ عن جماعة من أهل المشرق والمغرب، منهم: أبو حامد الغزالي، وأبو بكر الطرطوشي، وتقدم سنده، ومنهم: أبو الحسن علي ابن محمد بن ثابت الخولاني المعروف بابن الحداد، وبالمهدوي.

قال أبو بكر المذكور: كنت أحضر عند هذا الشيخ الإمام الفقيه المقرئ كتاب الإشارة في النحو وشرحها، وغير ذلك من تأليفه تقرأ عليه بالمهدية في شهور سنة ٤٨٥ هـ.

ومنهم والده، وهو عن ابن عتاب، عن ابن الفخار، وابن الحذاء، والقنازعي، وأبي محمد مكي.

وأما أبو بكر بن خير فإن عدد شيوخه الذين سمع منهم أو كتبوا إليه نيف ومائة، منهم: ابن شريح، وأبو مروان الباجي، وابن العربي، وابن حبيش، وابن طاهر، وابن عبد الرزاق، وابن بقي، وابن الحاج، وابن مغيث، وابن أبي الخصال، وابن مسرة، وابن عطية، وعياض، وابن أخت غانم، وابن الطلاع، وابن عقاب، وابن الوراق، وابن طريف، وابن موهب، والرشاطي، والإمام المازري.

ومروياته عن شيوخه متصلة السند، كتاب الهداية في مذاهب القراء السبعة، وكتاب الكفاية في شرح الهداية، وكتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، عن أبي عبد الله محمد بن سليمان، عن خاله أبي محمد قاسم بن وليد المخزومي، عن مؤلفها أبي العباس أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي.

ومن مروياته أيضًا كتاب الهادى فى القراءات لأبى عبد الله محمد بن سفيان القيروانى، أخذ عنه هذا التأليف أبو حفص عمر بن حسن المقرئ المعروف بابن النفوسى بالمهدية فى ذى القعدة سنة ٤٣٢، وأخذ عنه أيضًا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن خزرج فى شعبان سنة ٤١٥، وأخذ عنه أيضًا عبد الخالق السيورى. وله أيضًا كتاب اختلاف قراء الأمصار فى عدد آى القرآن.

وأما أبو محمد عبد الحق الإشبيلى: فإنه أخذ عن جماعة، منهم: أبو الحسن شريح، وأبو عبد الله بن خليل، وهذا عن ابن الطلاع، والغسانى، والصدقى، وابن العربى، وابن أبى التليد، وابن رشد، وابن حمدين، وابن المناصف، وأبى بكر بن عطية، وابن طريف، وابن سراج، وابن عتاب.

وهذا عن والده، وحاتم الطرابلسى الشامى، وهما سماعا وإجازة عن أبى محمد أحمد الظلمنكى، وهو سمع ابن مفرج، والقليعى، وابن زرب، وابن عون الله، وأبا عيسى بن عبد الله بن يحيى ثلاثًا، وهو سمع أباه، وابن عم أبيه عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير عن أبيه يحيى المذكور.

أما ابن زرب وابن عون: فسمعوا من قاسم بن أصبغ، وهو سمع أصبغ، بن خليل، وابن مسرة، والقاضى إسماعيل.

وسمع أصبغ بن خليل سحنونا ويحيى بن يحيى.

وأما ابن مسرة فسمع الأعناقى، وعبيد الله المذكور، وهما عن والد الثانى يحيى

ابن يحيى بن كثير.

وأخذ حاتم أيضًا عن ابن الشقاق، وأبى محمد مكى، وأبى الحسن القابسى،

لازمه حتى مات، وأخذ ابن عتاب أيضًا عن القنازعى، وابن الحذاء، وابن مغيث.

وهذا أخذ عن جماعة، منهم: ابن بطلال، وابن الحذاء، وابن مجاهد، وابن

السليم، وابن أبى زمنين، وابن أبى العرب، وأبو عيسى الليثى.

وأما أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون: فإنه سمع أباه، وابن أبى التليد،

وعياضًا، واختص به ولازمه كثيرًا، وأخذ عن ابن بشكوال، وأبى محمد بن عتاب،

وأبى عبد الله محمد بن الحاج الشهيد، وأبى مروان الباجى، وأبى الحسن شريح،

وأبى عبد الله بن شبرين وأجاز له تأليف أبى الوليد الباجى، وأجاز له أبو عبد الله الخولانى، وهو عن أبى عمر أحمد الطلمنكى، ومن طريقه على سنده كان الناس يرحلون إليه للأخذ عنه والسماع منه لعلو سنده وروايته.

ومن روى عنه: ابنه أبو الحسن بن زرقون، وأبو الحسن بن خروف، وابن مطروح، والشلوبين، والكلاعى، وابن قرطال، وعبد الله وداود ابنا حوط الله، وأبو الخطاب أحمد بن واجب، عرف بابن خليل، وأبو بكر بن مروان، وأبو عبد الله بن اليتيم، وأبو عبد الله التجيى، والطاراز، وأبو الخطاب عمر، عرف بابن الجميل.

صلة: اعلم أتى ذكرت فى التمهيد كثيراً من الفهارس التى بها الدواوين والكتب المؤلفة فى علوم الدين، مقاصد ووسائل منسوبة إلى مؤلفيها، منها: برنامج أبى بكر بن خير، وفهرس أبى عبد الله الأمير، وفهرس أبى عبد الله الغريانى، وبها من الدواوين والتصانيف فى فنون شتى ما تفرق فى غيرها.

وذكرت أيضاً الفهارس التى رواها أبو بكر المذكور عن شيوخه، وهم نيف ومائة، أما الدواوين التى رواها عنهم فقد أثرت نقلها هنا مذيلاً بالدواوين المدرجة بفهرس الأمير، وفهرس الغريانى التى رووها مسندة عن شيوخه الآتى ذكرهم.

وفى مستهل البرنامج المذكور سألنى من له رغبة فى العلم وعناية بتقييده أن أذكر لهم ما رويته عن المشايخ من الدواوين المصنفة فى ضروب من العلم وأنواع من المعارف، وأن أذكر سدى عنهم فيها إلى مصنفيها، وما قرأته من ذلك عليهم أو سمعته منهم بقراءتهم أو بقراءة الغير عليهم، وأن أضيف إلى ذلك ما ناولونى إياه أو أجازوه. اهـ.

ثم أتى على تلك الدواوين ديوانا ديواناً، أصحابها غالبهم مترجم لهم فى الطبقات الأولى من المقصد، ولنأت على ذكرها مع زيادة من غيره، ثم على ما بفهرسى الأمير والغريانى محذوفة الأسانيد تبركا وتتميماً للفائدة.

فأقول: هي كتاب قراءات النبي ﷺ لأبي بكر محمد بن مجاهد^(١).

وكتاب اختلاف القراءات وتصريف وجوهها لأبي أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد المقرئ^(٢).

وكتاب الهادى فى القراءات لأبي عبد الله محمد بن سفيان المقرئ القيروانى رواه عنه بالمهدية أبو حفص عمر بن حسن المقرئ المعروف بابن النفوسى، وأبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن خزرج، وأبو محمد عبد الخالق السيورى. وله أيضًا كتاب اختلاف الأمصار فى عدد آى القرآن، رواه عنه أيضًا أبو حفص المذكور سنة ٤٣٢.

الإرشاد فى معرفة مذاهب القراء السبعة، والمرشد فى القراءات أيضًا، والفائدة فى القراءات، واستكمال الفائدة لأبي الطيب عبد المنعم بن غلبون المتوفى سنة ٣٨٩، والتذكرة لأبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، كان حيًا سنة ٤٣٤. التمهيد فى القراءات، والروضة فى القراءات لأبي على الحسن بن محمد بن إبراهيم المقرئ البغدادى المالكى المتوفى سنة ٤٣٨.

التبصرة فى القراءات لأبي محمد مكى بن أبى طالب القيروانى ثم الأندلسى، وله الرعاية بتجويد القراء، والتنبيه على أصول قراءة نافع، والإبانة فى معانى القراءات، والكشف عن وجوه القراءات السبع، والهداية إلى بلوغ النهاية فى علم معانى القرآن وتفسيره، والإيضاح فى ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتاب غريب القرآن ومشكل إعراب القرآن.

وبقية تأليفه التى تزيد على الثمانين رواها عنه حفيده الوزير أبو عبد الله جعفر ابن محمد عن أبيه، عن جده مكى.

كتاب التفسير فى القراءات لأبي عمرو عثمان الدانى المتوفى سنة ٤٤٤، وله: الشاذ فى القراءات، والتنبيه على مذهب أبى عمرو بن العلاء، وتذكر الحافظ لتراجم القراء السبعة، وإيجاز البيان فى أصول قراءة نافع وورش، والاقتصار فى القراءات،

(١) انظر فى ذلك ابن خير الإشبلى ص ٢٣.

(٢) فهرسة ابن خير ص ٢٣.

والتحديد في معرفة التجويد، والتلخيص لأصول قراءة نافع، وأرجوزة في أسماء القراء، وكتاب في طبقات القراء والمقرئين، وغير ذلك.

الهداية في مذاهب القراء السبعة، والكفاية في شرح معاني الهداية، والتحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، المتوفي سنة ٤٤٠.

وليحيى بن مزين: فضائل القرآن، وله تفسير الموطأ. ولأبي بكر بن العربي: ناسخ القرآن ومنسوخه، وأحكام القرآن، واختصار كتاب ابن حبان في أحكام النبي ﷺ، والتوسط في الاعتقاد، والقبس شرح موطأ مالك بن أنس، وعارضة الأحوذى على صحيح الترمذى، ومشكل الكتاب والسنة، وقانون التأويل والنيرين في الصحيحين، والمحصول في علم الأصول، والعواصم من القواصم، وغير ذلك.

وللقاضى إسماعيل أحكام القرآن، اختصره أبو بكر القشيري، وله كتاب في القراءات، وله: فضائل مالك، وكتاب الأشربة، وكتاب فضائل الصلاة على النبي ﷺ، وغير ذلك.

ولابن بكير أحكام القرآن^(١).

ولأبي بكر الطرطوشى اختصار كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن، وله اختصار كتاب أخلاق النبي ﷺ لابن حبان، وله غير ذلك.

ولعبد الرحمن القنازعى: تفسير الموطأ.

ولأبي جعفر الداودى: تفسير الموطأ.

ولأبي عبد الملك مروان البونى^(٢) مسانيد الموطأ^(٣).

(١) فهرسة ابن خير، ص ٥٣.

(٢) لدى السمعاني ٢ / ٣٣٦، «البونى» بضم الباء المنقوطة بواحدة وسكون الواو وفي آخرها النون، نسبة إلى بونة، وهى مدينة بساحل إفريقية، ولديه: «وأبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدى البونى فقيه مالكى من كبار أصحاب الحسن القابسى، له شرح للموطأ مشهور بالغرب» وقد تحرف في المطبوع إلى: «ولأبي مروان».

(٣) سماه ابن خير في فهرسته ص ٨٨: «تفسير الموطأ لأبي عبد الملك مروان بن على البونى».

ولأبي ذر المروى: فضائل القرآن، وله: مسانيد الموطأ، والمسند المؤلف على الصحيحين، وكتاب المعجم، وكتاب سيرة النبي ﷺ وأصحابه في عيشهم وتحليلهم عن الدنيا، وكتاب بيعة العقبة، وكتاب دلائل النبوة غير ذلك.

ولأبي القاسم الجوهري مسند الموطأ، ومحمد بن رزين المستقصية للموطأ، وله كتاب رجال الموطأ، وكتاب رغائب العلم وفضله.

ولأبي بكر البرقي: تاريخ في رجال الموطأ.

ولأبي عبد الله بن الحذاء: التعريف برجال الموطأ.

ولأبي عبد الله محمد بن الحسن — ويعرف بابن أحد عشر: كتاب الجمع بين الصحيحين.

ولأبي الحسن رزين بن معاوية: كتاب الجمع لما في الموطأ والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي، وهو المسمى بتجريد الصحاح، وله أخبار مكة والمدينة وفضلهما.

ولأبي محمد قاسم بن أصبغ البياي: مصنف على كتاب السنن لأبي داود، وله المجتني — بالنون — مصنف على أبواب الفقه في السنن المسندة.

ولأبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن: مصنف على كتاب السنن لأبي داود^(١).

وليحيى بن سعيد الأنصاري: مسند.

ولأبي الفضل بن خيرون^(٢) الأحاديث العوالي.

ولأبي محمد قاسم بن ثابت بن حزم: كتاب الدلائل في شرح غريب الحديث.

ولأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني: كتاب غريب الحديث.

وللإمام المازري: المعلم على صحيح مسلم، وغير ذلك.

وللقاضي عياض: إكمال المعلم، وشرح حديث أم زرع، وغير ذلك.

(١) انظر الرسالة المستطرفة: ص ٣٠.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «بن خيروف» بالفاء في آخره، وهو تحريف قبيح، صوابه لدى ابن خير في فهرسته ص ١٦١.

وللقاضى الشهيد أبى عبد الله محمد بن الحاج: كتاب الإيجاز والبيان شرح خطبة صحيح مسلم، وله كتاب الإيمان، وله كتاب الكافى فى بيان العلم، وغير ذلك، وله فهرسة.

ولالإمام الطحاوى: اختصار مشكل الآثار.

ولأبى الوليد الباجى المتوفى سنة ٤٧٤: الإشارة فى الأصول، وله: إحكام الفصول فى أحكام الرسول، والمنهج فى أحكام الأصول، وكتاب الحدود، وكتاب التسديد إلى معرفة التوحيد، والتعديل والتحريح لمن خرج عنه البخارى فى الصحيح، وكتاب: سنن الصالحين، والتبيين على سنن المهتدين، والمنتقى، وغير ذلك من تأليفه التى هى نحو الثلاثين.

وللدارقطنى: تخرىج الالتزامات، وكتاب القراءات.

ولأبى محمد عبد الله بن أحمد بن يربوع: تاج الحلية، وسراج البغية فى تعليل جميع آثار الموطآت.

ولأبى على الغسانى شرح على قوله ﷺ: «لا تزال طائفة...» الحديث، وله كتاب المهمل وتمييز المشكل، وله جزء منتخب من تاريخ ابن الفرضى، وجزآن فى شيوخ أبى داود، وغير ذلك.

ولأبى عمر بن عبد البر: الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى، والاستيعاب فى أسماء الأصحاب، والجامع بين العلم وفضله، والكافى فى الفقه، والإشراف فى الفرائض، وله فضائل مالك وأبى حنيفة والشافعى، وله: أنس المجالس فى النحو وغير ذلك.

ولأبى الوليد بن الفرضى: كتاب المتشابه فى أسماء الرواة وكناهم، وله تاريخ الأندلس.

ولابن بشكوال: صلة للتاريخ المذكور، وجزء منتخب من التاريخ المذكور تضمن أسماء الحفاظ للحديث، ومن برع منهم فى الأدب، وله جزء فى تسمية شيوخ أبى داود.

ولأبى محمد عبد الله بن محمد بن أسد الجهنى: جزء فى تسمية شيوخ النسائى.

ولأبي عبد الله الحميدى: جذوة المقتبس فى تاريخ الأندلس.
ولأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح مصر وإفريقية.
ولأبي محمد عبد الله بن أبي زيد: كتاب الأمر والافتداء، والنهى عن الشذوذ،
وله مختصر المدونة، والنوادر، والرسالة، والذب عن مذهب مالك، وغير ذلك من
تأليفه.

ولأبي عبد الله محمد بن بقى بن زرب^(١) كتاب الخصال.
ولأبي عبد الله محمد بن فرج: كتاب أحكام رسول الله ﷺ فى الفقه، وكتاب
الوثائق المختصر، وله تأليف فى زوائد ابن زيد.
ولأبي عبد الله محمد بن أبي زمنين: المقرب فى اختصار المدونة، والمشمول فى
الوثائق، والمختب فى الأحكام، وكتاب المواعظ، وكتاب حياة القلوب، وكتاب
أنس المرید وغيرها، رواها عنه ابن الحذاء.
ولابن العطار: الوثائق والسجلات.

وللقاضى أبى القاسم أحمد بن ورد: الجوابات الحسان.
ولأبي عبد الله محمد بن محمد بن سحنون: نوازل الصلاة، وكتاب الزهد، وكتاب ما
يجب على المتناظرين من حسن الأدب، وكتاب آداب المتعلمين، وله مجالس ابن
القاسم.

وللقاضى عبد الوهاب: الملخص فى الأصول وغير ذلك.
ولأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائى: رسالة فى شرح
مذاهب المتبعين للكتاب والسنة، رواها عنه أبو بكر بن إسماعيل بن إسحاق بن
عزرة المالكى، ورواها أبو على الغسانى، عن أبى مروان عبد الملك بن زيادة الله
التميمى الطبئى، عن أبى عبد الله محمد بن هبة الله الضرير قراءة عليه بالقصر الكبير
بالمستير، عن ابن إسماعيل المذكور، عن مؤلفه.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «رزب» بتقدم الراء وهو تحريف قبيح، صوابه لدى ابن خير فى فهرسته
ص ٢٤٦.

ولأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى: كتاب التنبيه على الأسباب التى أوجبت الخلاف بين المسلمين فى عقائدهم ومذاهبهم.

ولأبي عمر أحمد الظلمنى: كتاب الوصول إلى معرفة الأصول فى مسائل العقود فى السنة، وكتاب الرسائل المختصر فى مذاهب أهل السنة، وكتاب الدليل لطاعة الجليل، والروضة فى القراءات العشرة.

ولأبي الحسن على بن المدينى: كتاب الأشربة.

ولأبي على شقران كتاب الفرائض.

ولأبي محمد عبد الله بن المبارك: كتاب الزهد والرقائق.

ولأبي محمد الأصيلى: كتاب المواعيد.

ولأبي عبد الله محمد بن وضاح: كتاب العباد والعباد.

ولأبي بكر بن رزق: كتاب الزهد.

ولأحمد بن مروان المالكى: فضائل مالك بن أنس.

ولأبي القاسم الحسن بن عبد الله الزيدى النحوى المتوفى سنة ٣١٨: فضائل مالك.

ولأبي الحسن بن فهد: فضائل مالك.

وللقاضى أبى الوليد يونس بن مغيث: كتاب الابتهاج بمحبة الله تعالى، وكتاب المنقطعين لله تعالى، وكتاب التهجد.

ولأبي محمد عبد الله بن فرج بن غزلون — ويعرف بابن العسال: كتاب الهداية إلى سبيل العناية فى الزهد والرقائق وفضائل الأعمال وغير ذلك، كتاب جليل فى علم التذكير.

ولأبي الحكم^(١) عبد السلام بن عبد الرحمن — يعرف بابن برّجان الإشبلى: شرح أسماء الله الحسنى، وله تفسير، وله عدة العالم.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أبي الحسن» وصوابه لدى الذهى فى سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٧٢ ولديه: «وله تصانيف مفيدة، منها تفسير القرآن، وكتاب شرح أسماء الله الحسنى».

ولعبد الملك بن حبيب: كتاب مكارم الأخلاق، وكتاب البشرى فى تأويل الرؤيا، وكتاب الفرائض، ورغائب القرآن، وله غير ذلك.

ولزهير بن عياد: كتاب النفخ فى الصور، وذكر الحساب والجنة، رواه عنه أبو جعفر التميمى عن أبي الغصن نفيس الغرابلى السوسى، وعن محمد بن رزين عن مؤلفه زهير المذكور.

ولأبى محمد بن اللباد: كتاب الحكاية فى عشرة أجزاء.

ولأبى الحسن القابسى: رسالة فى الذكر والدعاء، وكتاب رتب العلم، ومنسك، ورسالة فى حسن الظن بالله، ورسالة فى الاعتقادات سماها النافعة، وأخرى سماها الناصرة، وملخص الموطأ.

ولأبى الوليد بن رشد: تهذيب كتب الطحاوى فى مشكل الآثار، وله اختصار الكتب المبسطة، وله البيان والتحصيل والمقدمات، وغير ذلك، وله فهرسة.

ولأبى العرب محمد بن تميم: مناقب العرب، وله كتاب الحن، وطبقات قضاة إفريقية، وغير ذلك.

ولأسد بن موسى رسالة فى الوعظ والتذكير وجهها لأسد بن الفرات.

ولأبى بكر الطرطوشى: رسالة لابن تاشفين، وله منتخب من عيون خصائص

العباد، وثلاثة أجزاء فى الكلام على الغنى والفقر وله سراج الملوك، وغير ذلك.

ولبقى بن مخلد: مسند، وما روى فى الحوض والكوتر وكتاب الفضائل، وغير ذلك.

ولأبى الفضل يوسف بن مسرور العابد بالنستير: كتاب فضل العلم والعلماء.

ولأبى الحسن على بن محمد بن ثابت الخولانى المعروف بالمهدوى: الإشارة فى

النحو: قال أبو بكر بن العربى: كنت أحضر عند هذا الشيخ الفقيه الإمام المقرئ

النحوى الأديب الشاعر هذه المقدمة وشرحها، وغير ذلك من تأليفه تقرأ عليه

بالمهدية فى شهور سنة ٤٨٥.

ولأبى عثمان سعيد بن محمد المعافى ويعرف بابن الحداد: كتاب الأفعال.

ولأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي — المعروف بابن القزاز: كتاب في النحو رواه عنه أبو محمد مكي، قال: وسمعت منه تأليفه كتاب الظاء في ثلاثة أجزاء، وله كتاب الحروف.

ولأبي محمد عبد الله بن يحيى الشقراطسي: القصيدة المعروفة بالشقراطسية رواها عنه أبو عبد الله محمد بن طاهر القسطلاني.

ولأبي الفضل جعفر بن محمد بن شرف القيرواني ثم الأندلسي: أرجوزة في الزهد وذكر النبي ﷺ.

انتهى باختصار من برنامج أبي بكر بن خير^(١) مع زيادة من غيره. أما فهرس الإمام أبي عبد الله الأمير: فإن أرويه من عدة طرق، وقد مضى شرحها، وذكر فيه أنه قرأ القرآن العظيم على جماعة، منهم: الإمام أبو عبد الله محمد بن حسن المنير، قرأ عليه بالسبع من طريق الشاطبية ثلاث نختات وأجازه بها مسندة إلى رسول الله ﷺ، ثم ذكر فيه المصنفات التي رواها مسندة إلى مصنفها عن عشرة من شيوخه الأعلام، وهم: أبو الحسن الصعيدي، وأبو الحسن السقاط، وأبو عبد الله البليدي، وأبو عبد الله التاودي، والشيخ حسن الجرتي، والجمال يوسف الحفني، والشمس محمد الحفني، والشهاب الجوهرى، والشهاب الملو، والشيخ عطية البصير، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري. ولنأت عليها مصنفًا، مصنفًا وأسماء مؤلفيها ووفياتهم، عدا ما تقدم لنا ذكره.

الحديث: الموطأ، والصحيحان، ومسند أبي داود، وجامع الترمذي، والسنن الصغرى للنسائي، وسنن أبي عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه الربيعي القزويني المولود سنة ٢٠٩ المتوفى سنة ٢٧٣، ومسند الإمام أبي حنيفة النعمان، ومسند الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، والشمائل للإمام الترمذي، والشفاء للقاضي عياض، والجامع الصغير، والجامع الكبير للسيوطي، والأربعون النووية لمحدث الشام محيي الدين يحيى بن

(١) المؤلفات الماضية ومؤلفوها والتي أوردتها المصنف تحت عنوان «صلة» أوردتها ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) في فهرسته.

شرف الدين النووى المتوفى سنة ٦٧٦، والمواهب اللدنية للإمام أحمد بن محمد القسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣، وشرح معنى الآثار للإمام أبى جعفر أحمد بن محمد الطحاوى، ولد سنة ٢٢٨ وتوفى سنة ٣٢١.

ومسند الهداية للإمام أبى الحسن على بن أبى بكر المرغيانى المتوفى سنة ٥٩٣. ومسند الدارمى للحافظ أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى المتوفى سنة ٢٥٥.

وملخص الإمام أبى الحسن على بن محمد القابسى، لخص فيه الموطأ برواية ابن القاسم عن مالك، ومسند الحافظ أبى داود سليمان بن داود الطيالسى المتوفى سنة ٢٠٤، وهو أول من صَنَّفَ فى المسانيد.

والأدب المفرد للإمام البخارى والسنن. والسيرة للإمام أبى عبد الله محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥١، وهو أول من صنف فى السير بتهذيب الإمام عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨.

ومسند الحافظ أبى محمد عبد بن حميد المتوفى سنة ٢٤٩. والمعجم الكبير للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠، وهو أكبر مسانيد الدنيا، وله: المعجم الأوسط، والمعجم الصغير، وله: مكارم الأخلاق.

ومسند الحافظ أبى يعلى أحمد بن على التميمى الموصلى المتوفى سنة ٣٠٦. والسنن للحافظ أبى بكر أحمد بن عمر بن أبى عاصم الضحاك الشيبانى البصرى قاضى أصبهان المتوفى سنة ٢٨٧، وله مسند.

ومسند الحافظ ابن أبى شبة هو أبو بكر عبد الله بن محمد ابن القاضى المتوفى سنة ٣٣٥.

ومسند الحافظ أبى عبد الله محمد بن حبان الدارمى البستى المتوفى سنة ٣٥٤ وله كتاب الثقات، وتاريخ، وتفسير.

والمستدرک للإمام أبى عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بالحاكم النيسابورى، المتولد سنة ٣٢١ المتوفى سنة ٤٠٥.

- وكتاب الزهد للإمام الحافظ عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨٢.
- وعمل اليوم والليلة للإمام المعروف بابن السني المتوفى سنة ٤٦٠.
- وسنن البزار للحافظ أبي بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار البصري المتوفى سنة ٢٩٢.
- والحلية والمستخرج على صحيح مسلم، ودلائل النبوة، وتاريخ للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المولود سنة ٣٣٦ المتوفى سنة ٤٣٠.
- ومسند القضاء للإمام شهاب الدين محمد بن جعفر القضاء قاضي مصر المتوفى سنة ٤٥٤.
- ومسند الفردوس للإمام أبي منصور شهردار ابن الإمام شيرازي الديلمي الهمداني المتوفى سنة ٥٥٨^(١).
- وكتاب: الفرغ بعد الشدة للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا البغدادي المتولد سنة ٢٠٨ المتوفى سنة ٢٨١، وله: كتاب ذم الملاحى، وكتاب التوكل، وكتاب محاسبة النفس، وكتاب اليقين، وكتاب الدعاء، وكتاب الشكر له أيضًا.
- ومسند الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني نسبة لدارقطن محلة كبيرة ببغداد المولود سنة ٣٠٦ المتوفى سنة ٣٨٥، وله تخريج الالتزامات، وكتاب في القراءات.
- وسنن الحافظ أبي العباس أحمد بن الحسين البيهقي النيسابوري المولود سنة ٣٨٤ المتوفى سنة ٤٥٨، وله شعب الإيمان أيضًا.
- ومنتقى ابن الجارود وهو أبو بكر أحمد بن عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المتوفى سنة ٣٠٦.
- ومسند الحافظ أبي عوانة، هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري المتوفى سنة ٣١٦.

(١) الرسالة المستطرفة للكتاني ص ٧٥ ولديه: «يتصل نسبه بالضحاك بن فيروز الديلمي الصحابي».

وسنن الحافظ سعيد بن منصور بن شيبه المروزي المتوفى سنة ٢٢٧، روى عنه مسلم وغيره.

وصحيح الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمى النيسابورى المتولد سنة ٢٢٣ المتوفى سنة ٣١١، والخلعيات للقاضى أبى الحسن على بن الحسن الخلعى الموصلى المصرى الدار المتوفى سنة ٤٤٨.

وتأليف الحافظ أبى محمد حسين بن مسعود البغوى المتوفى سنة ٥١٦، وهى شرح السنة، ومصابيح السنة، والتفسير المسمى بمعالم التنزيل وغير ذلك. ومسند الحافظ الحارث بن أبى شيبه التميمى البغدادى المولود سنة ١٨٦ المتوفى سنة ٢٨٢.

وصحيح الإسماعيلى — هو: الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل — إمام جرجان، ولد سنة ٢٧٧ وتوفى سنة ٣٧١.

وتأليف ابن عساكر، منها: الأربعون، وتاريخ دمشق، وهو الحافظ أبو القاسم على بن حسن بن عساكر، الدمشقى، المتولد سنة ٤٩٩ المتوفى سنة ٥٧١.

وتأليف الحافظ أبى محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان يلقب بأبى الشيخ، ولد سنة ٢٧٤ وتوفى سنة ٣٦٩.

وتأليف الحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى المتولد سنة ٣٩٢ المتوفى سنة ٤٦٣.

ونوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول لأبى عبد الله محمد بن على، الحكيم الترمذى، المتوفى سنة ٢٥٥ وبقية تأليفه.

ومسند الحافظ أبى محمد عبد الله المروزي الحنظلى، المعروف بابن راهويه، نزيل نيسابور، المولود سنة ١٦٦ المتوفى سنة ٢٣٨.

ومسند الحافظ أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد القرطبى، المتولد سنة ٢٠١، المتوفى سنة ٢٧٦، وله تفسير.

وتاريخ ابن معين على الرجال، وهو الحافظ يحيى بن معين بن عون البغدادى، المتوفى سنة ٢٣٣.

ومصنف الحافظ أبي سفيان وكيع بن الجراح الكوفي المتوفى سنة ١٩٣. وتآليف ابن شاهين، منها: مسند وتاريخ وسيرة وهو الحافظ أبو حفص عمر ابن شاهين المتوفى سنة ٣٨٥.

ومسند الحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدى البكى المتوفى سنة ٢١٤. ومعجم الحافظ أبي الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادى المتولد سنة ٢٦٥ المتوفى سنة ٣٥١.

والعشاريات للإمام إبراهيم بن على القلقشندى نسبة لقرية من قرى مصر المتوفى سنة ٩٦٠.

والأربعون النسائية للإمام عز الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن جماعة، المتوفى سنة ٨١٩.

والفوائد الغيائية لأبي بكر محمد بن عبد الله الشافعى المتولد سنة ٣٥٣. ومشارك الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية للإمام رضى الدين حسن بن محمد الصغانى المتوفى سنة ٦٥٠، به ٢٢٤٠ حديثاً وبقية تأليفه.

وتآليف الإمام حسن بن عرفة العبدى المتوفى سنة ٢٥٧. ومكارم الأخلاق للحافظ أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد الخرائطى المتوفى سنة ٣٢٧، وسائر مؤلفاته.

والترغيب والترهيب للإمام عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى الشافعى ثم المصرى، المولود سنة ٥٨١، المتوفى سنة ٦٥٦، وبقية مؤلفاته.

ومصنفات الحافظ ابن أبي حاتم وهو أبو القاسم عبد الرحمن ابن الإمام أبي حاتم محمد بن إدريس التميمى الحنظلى الرازى، المتولد سنة ٢٠٤، المتوفى سنة ٣٢٧.

ومؤلفات الإمام أبي محمد الحسين بن محمد الخلال، المولود سنة ٣٥٣، المتوفى سنة ٤٣٩.

وتجريد الصحاح الست، وهو كتاب به جمع الصحاح الخمسة والموطأ للشيخ للإمام رزين بن معاوية العبدى السرقسطى، المتوفى سنة ٥٢٥، وقيل: سنة

٥٣٥، وجامع الأسانيد والألقاب للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة ٥٩٧، وسائر مؤلفاته.

وتأليف الحافظ عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي، ويعرف بابن الخراط، المتوفى ببجاية سنة ٥٨١ من تأليفه: الأحكام الكبرى، والأحكام الصغرى.

ومشكاة الأنوار فيما روى عن الله سبحانه وتعالى^(١) من الأخبار للإمام محيي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٢٨، وسائر مؤلفاته.

ومغازي الواقدي للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧.

والروض الأثف للحافظ أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي المولود سنة ٥٠٨ المتوفى سنة ٦٣٤ وبقية مؤلفاته.

وألفية العراقي في أصول الحديث للإمام، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، المتوفى سنة ٨٠٥ وسائر مؤلفاته.

وسيرة ابن سَيِّد الناس، هو: الإمام أبو الفتح محمد بن محمد المصري الأندلسي، المولود سنة ٦٧٠، المتوفى سنة ٧٣٤.

والسيرة الحلبية، والسيرة الشامية، والمسلسلات، وهي: المسلسل بالأولية، وهو حديث الرحمة، والمسلسل بالمصافحة، والمسلسل بالمشابكة، والمسلسل بالضيافة على الأسودين الماء والتمر، والمسلسل بيوم العيد، والمسلسل بيوم عاشوراء، والمسلسل بالقبض على اللحية، والمسلسل بالمحمدين، ورواية البخاري بالمحمدين، والمسلسل بالمصريين.

التفسير: تفسير الجلالين محمد بن أحمد الحلبي المتوفى سنة ٨٦٤.

وعبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١.

وتفاسير الإمام ابن عربي.

(١) انظر في ذلك: الرسالة المستطرفة ص ٨١.

وتفسير جار الله الإمام الزمخشري وسائر مؤلفاته، وهو محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨.

وتفسير الإمام القاضي ناصر الدين أحمد بن عبد الله بن عمر البيضاوى، وسائر مؤلفاته، المتوفى سنة ٦٨٥.

وتفسير الإمام المجتهد أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتولد سنة ٢٢٤، المتوفى سنة ٣١٠.

وتفسير الإمام القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية، المتوفى في سنة ٥٤٢. وتفسير الإمام أبي سعيد محمد بن سعيد الثعالبي النيسابوري، المتوفى سنة ٤٢٧.

وتفسير الواحدى وسائر مؤلفاته وهو الإمام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى، المتوفى سنة ٤٦٨.

وتفسير أبي حيان وسائر مؤلفاته، وهو: الإمام محمد بن يوسف الغرناطى، المتوفى سنة ٧٤٣.

وتفسير الماوردى وسائر مؤلفاته، وهو الإمام أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى، المتوفى سنة ٤٥٠.

وحقائق التفسير للإمام أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى، المولود سنة ٣٠٣، المتوفى سنة ٤١٢، وسائر مصنفاته.

وتفسير الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرزائى، المتوفى سنة ٦٠٦، وسائر مصنفاته.

وتفسير أبي السعود بن محمد العمادى المتوفى سنة ٩٨٢.

وتفسير القرطبى وسائر مؤلفاته، وهو: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح، بالحاء المهملة، القرطبى، المتوفى سنة ٦٧١.

وتفسير النسفى وهو نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفى، المتوفى سنة ٥٣٧.

وتفسير الخازن هو: لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين على بن محمد البغدادي، المعروف بالخازن، فرغ منه في رمضان سنة ٧٢٥.

الكلام:

طريقة الأشعرى وسائر مصنفاته، وهو الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى المتولد سنة ٢٦٠، المتوفى سنة ٣٢٤.

وتأليف الإمام أبي منصور الماتريدي محمد بن محمد، المتوفى سنة ٣٣٣ بسمرقند.

وتصانيف إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني النيسابوري، المتوفى سنة ٤٧٨.

وتصانيف الإمام القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المتوفى سنة ٧٥٦.

رتصانيف الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المتوفى سنة ٧٩١.

وتصانيف الفخر الرازي.

وتأليف الإمام السنوسي.

وتأليف البرهان اللقاني.

وتأليف الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي المكي، المتوفى سنة ٩٧٣.

الفقه:

فقه الحنفية، مسند الإمام أبي حنيفة النعمان.

وفقه الشافعية، مسند الإمام الشافعي.

وفقه الحنابلة: مسند الإمام أحمد بن حنبل.

فقه المالكية: رويناه من طرق كثيرة، مسند للإمام مالك بن أنس، مر ذكرها، منها: طريق أبي عبد الله الأمير.

وتأليف الإمام أبي عمر، وعثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، المتوفى سنة

٦٤٦، قرأ على الإمام الشاطبي — صاحب حرز الأمان — القراءات، وأخذ الفقه

عن أبي الحسن الأبيارى عن أبي طاهر إسماعيل بن مكى بن عوف عن أبي بكر الطرطوشى بسنده.

وتأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة، المتوفى سنة ٨٠٣.
وتأليف الشهاب القرافى المتوفى سنة ٦٨٤ منها الذخيرة.

أصول الفقه:

جمع الجوامع: لتاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى، المتوفى سنة ٧٧١.
وما ينسب لابن الحاجب، والسعد، والعضد، وإمام الحرمين، والأشعرى،
والفخر الرازى، والشهاب القرافى.

اللغة:

القاموس: لمؤلفه الإمام القاضى مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى
الشيرازى المتولد سنة ٧٢٩، المتوفى سنة ٨١٧.

النحو:

مصنفات الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطائى الجيانى المعروف بابن
مالك، المتوفى سنة ٦٧٢.
وتأليف الإمام أبي محمد عبد الله المعروف بابن هشام النحوى، المتوفى سنة
٧٦٢ والآجرومية.

البلاغة:

الإيضاح فى المعانى والبيان للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى
المتوفى سنة ٧٣٩، وله تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان، شرحه جماعة منهم:
الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى، المتوفى سنة ٧٩٢، بشرحين: المطول
ومختصره، وعلى المطول حواش كثيرة منها: حاشية الإمام السيد الشريف على بن
محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦، ومنهم: عصام الدين الإمام إبراهيم الإسفرايينى،
له شرح عليه معروف بالأطول: وسائر مؤلفاته، ومقامات الحريرى.

التصوف والأوراد والأحزاب:

قوت القلوب، للإمام أبي طالب محمد بن علي بن عطية العجمي ثم المكي،
المتوفى سنة ٣٨٦.

والرسالة للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، المتوفى سنة
٤٦٥.

وإحياء العلوم لحجة الإسلام الإمام محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ وبقيّة
مؤلفاته.

ومنازل السائر للإمام عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأنصاري الهروي المتوفى
سنة ٤٨١، وسائر مصنّفاته.

وعوارف المعارف للإمام شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله البكري
السهروردي البغدادي، المتوفى سنة ٦٣٢.

والفتوحات المكية للإمام ابن عربي الحاتمي.

ودلائل الخيرات للإمام أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة
٨٧٠، وأوراده وأجزابه.

وما ينسب للإمام الشاذلي من التأليف والأحزاب، والأوراد، وما ينسب
للشيخ أحمد زروق من التأليف والأحزاب والأوراد، وما ينسب للإمام النووي من
الأوراد، والطريقة الناصرية، والطريقة الوفاية، والعيدروسية، والنقشبندية، وغيرها
من طرق السادات الصوفية، رَوَّحَ الله أرواحهم.

وأما فهرس أبي عبد الله الغرياني:

فإن أرويه من طريق الشيخ عبد الحى الكتاني، ومن طريق الشيخ بلحسن
النجار، وهو رواه عن الشيخ محمد الطيب النيفر، عن الشيخ محمد بن أحمد بن
الخوجه، عن الشيخ إسماعيل التميمي، عن الشيخ عمر ابن الشيخ قاسم المحجوب،
عن الشمس الغرياني، ذكر به الكتب التي رواها مسندة إلى مؤلفيها عن شيوخه
الأعلام، وهم: الشيخ إبراهيم الجمني، والشيخ محمد الحفناوي، والشيخ محمد
البليدي، والشيخ محمد بن علي بن فضل الطبري، والشيخ إدريس بن أحمد

الصعدي اليمنى، والشيخ تاج الدين بن عبد المحسن بن سالم مفتي مكة المشرفة، والشيخ أحمد العمأوى^(١)، والشيخ محمد بن أحمد بن أحمد عقيلة، وأجازوه.

ألف فهرسة حافلة أتى فيها على التأليف التي رواها عنهم مقاصد ووسائل في سائر العلوم والفنون الدينية مسندة إلى مؤلفيها، وهأنا أدلى بها إليك.

وهي: تفسير البيضاوى، وتفسير الزمخشري، وتفسير البغوى، وتفسير النسفى، وتفسير ابن جزى، وتفسير أبى حيان، وتفسير الخازن، وتفسير ابن عطية، وتفسير الواحدى، وتفسير الفخر الرازى، وتفسير ابن عادل، وتفسير الجلالين، وتفسير ابن فضل الحسنى، وإعراب القرآن للحوفى، والشاطبية.

الموطأ: برواية يحيى بن يحيى، والبخارى، ومسلم، والشفاء، وسنن أبى داود، وسنن النسائى الصغرى، وسنن ابن ماجه، وجامع الترمذى، والشمائل للترمذى، ومسند الإمام الشافعى، ومسند الإمام أحمد ومسند الفردوس ومسند الدارمى، ومسند الدارقطنى، ومسند الطيالسى، والجامع الكبير للسيوطى والصغير له، وسنن البيهقى، ودلائل النبوة له، والمعجم الصغير للطبرانى، ونوادر الأصول للحكيم الترمذى، وشرح معانى الآثار للطحاوى، والأربعين النووية وشرحها لابن حجر، والأربعين الطائفة، والمصاييح للبغوى، وعمدة الأحكام الصغرى للمقدسى، والروض الأنف للسهيلى، وشرح الموطأ للعشماوى، والمواهب اللدنية وشرحها للعشماوى، وألفية المصطلح للعراقى، وسيرة ابن إسحاق، وسيرة ابن سيد الناس، وسيرة ابن فضل المقدسى، والفصوص لابن عربى، والفتوحات المكية له، والإحياء للغزالي، والتذكرة للقرطبى، والحكم لابن عطاء الله، ولطائف المنن له، والتنوير له، وقوت القلوب لأبى طالب المكى، ورسالة القشبرى، وابن عباد على الحكم، وعوارف المعارف للسهروردى.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «العمارى» بالراء.

الفقه:

المختصر الخليلي، وسائر علم الفقه، والمدونة للإمام سحنون، ومختصر القدوري حنفي، والهداية، والكنز، والتحفة، وجمع البحرين، وفتح القدير، شرح الهداية والكافية الشافعية وشرحها.

النحو:

كتاب سيويه، والمغني لابن هشام، والتسهيل لابن مالك، والألفية، والكافية، ولامية الأفعال، وسائر مؤلفاته، والقطر لابن هشام، والشذور، وغير ذلك من مؤلفاته، والتصريح لخالد الأزهرى، والأزهرية له، وشرحه على الآجرومية، والشمي على المغني، والمكودي على الألفية، وحاشية يس على الألفية وملحة الإعراب للحريري، والآجرومية وشرح ابن فضل الحسني عليها.

البلاغة:

المطول: لسعد التفتازاني، والمختصر له، والأطول لعصام، وشرحه على الاستعارات، والتلخيص للقزويني، والإيضاح له، وحاشية الحلبي على المطول، والنكت على التلخيص للسيوطي، ومفتاح التلخيص، والتلخيص في شواهد التلخيص له.

الكلام:

أم البراهين، وشرح السنوسية للعشماوى، وشرح اللقاني الكبير على الجوهرة، وشرحه الصغير عليها، والشيخ عبد السلام، عليها، وعقائد النسفي، وحاشية عصام على شرح السعد على العقائد، والشرح الكبير للقاني على أم البراهين وشرحه الصغير عليها، وحاشية السكتاني عليها، وحاشية الشاوي، والمواقف للعضد، والمقاصد للتفتازاني، وشرحه، وشرح المطالع للقطب، وعقود الجمان للسيوطي، واختصار المقاصد الكبير والصغير للعشماوى، وأجوبة المسائل له، ورسالة الشطرنج له، وشرح الإشارة للقطب.

الأصول:

جمع الجوامع للسبكي، والأصول العصام، والتلويح حاشية التوضيح للسعد، ومختصر ابن الحاجب، وحاشية الكمال بن أبي شريف على المحلى، وشرح ابن القاسم على الورقات، والآيات البينات له على المحلى، ومختصر جمع الجوامع وشرحه، وحاشية شيخ الإسلام على المحلى، وشرح جمع الجوامع لابن جماعة، وشرح جمع الجوامع للزركشى، وشرح جمع الجوامع لأبي زرعة، والمنهاج للبيضاوى، وله شرح المنتهى لابن الحاجب، والتحرير لابن الهمام، والمنهاج للنووى، وسائر مؤلفاته، ورسالة الوضع للسمرقندى، وملا حنفى.

المنطق:

السعد على الشمسية، والتهذيب للسعد، وحاشية الشمسية للجلال الداني وشرح التهذيب له، وشرح التهذيب للقاضى زكرياء، والقاضى على إيساغوجى، وشرح السلم لابن فضل الحسنى.

اللغة وغيرها:

القاموس، والصحاح، ومقامات الحريرى، والخزرجية، والشريف التلمسانى عليها وشرح الدمامينى عليها، وكتاب البديع لابن فضل الحسنى، والمسامرة لابن الهمام، والفرج بعد الشدة لابن أبى الدنيا، والنخبة لابن حجر، والبهجة لابن الوردى، والمقنع لابن قدامة، وهدية المملوك لأرباب السلوك لابن فضل الحسنى، وكتاب الموارد الطبرية فى المآثر المكية له، وكتاب مرقاة السؤل إلى سماء الأصول له، وشرح البيقونية، وديوان شعر له، وكتاب محاسبة النفس، وشرح بانة سعاد لابن هشام، وشرح ابن حجر على الهمزية، وشرح ابن مرزوق على البردة، والمنفرجة لابن النحوى، والهمزية للبوصيرى، والبردة له، وحرز الخشى فى حزب الصباح والعشى لابن فضل، ومنتهى السؤل فى الصلاة والسلام على الرسول له، ودلائل الخيرات بشرحه، وحزب البحر، والحزب الكبير، وسائر أحزاب الإمام الشاذلى، والحديث المسلسل بالأولية، وبسورة الصف، وحديث الرحمة، وحديث الطائفين، ومسلسل يوم العيد، وحديث المصافحة والمشابكة، ومسلسل الفقهاء فى

بيع الخيار، ومسلسل السبحة، ومسلسل إني أحبك، ومسلسل الضيافة في يوم العيد بالتمر واللبن، ومسلسل الفاتحة، ومسلسل البسملة.

جوهرة ثمينة بما ثلاثيات الإمام الحافظ الحجة أبي عبد الله البخارى:

في كشف الظنون^(١) ما ملخصه: ثلاثيات البخارى، والمراد به ما اتصل إلى رسول الله ﷺ من الحديث بثلاثة رواة، وتنحصر الثلاثيات في صحيح البخارى في اثنين وعشرين حديثاً، الغالب عن مكى بن إبراهيم، وهو ممن حدثه عن التابعين، وهم في الطبقة الأولى من شيوخه، وعليه شرح لطيف محمد شاه ابن حاج حسن المتوفى سنة ٩٣٩هـ.

إذا علمت ذلك وعلمت أن صدر المقصد محلى بأربعين حديثاً من ثنائيات الموطأ، فمن المناسب أن يكون آخره مرصعاً بالثلاثيات المذكورة، وقد أجازنى بها شيخنا العلامة النظار الفهامة الكريم النجار المفتى المالكى بلحسن النجار، ثم سمعتها منه بأسانيدھا الآتية ونص الإجازة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه ثلاثيات الإمام محمد بن إسماعيل البخارى الواردة في كتابه المسند الصحيح، وهى اثنان وعشرون حديثاً، منها: سبعة عشر عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، وأربعة عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وواحد عن عبد الله بن بسر، حدثنى بها الشيخ محمد الطيب بن محمد بن أحمد النيفر، عن الشيخ إبراهيم الرياحى، عن الشيخ محمد عابد ابن الشيخ أحمد بن على الأنصارى الخزرجى الألوى السندى ثم المدنى، قال: أخبرنا بها خاتم المحدثين الشيخ صالح العمري الفلانى^(٢)، ثم المدنى، قال: أخبرنا بها العلامة المعمر مائة وثلاثة وأربعين سنة الشيخ محمد بن سنة العمري الفلانى، قال: أخبرنا بها إجازة العلامة أبو وفاء أحمد بن محمد العدل

(١) كشف الظنون ١/ ٥٢٢.

(٢) بضم الفاء وتشديد اللام (ت سنة ١٢١٨هـ).

اليمنى، قال: أخبرنا بها مفتى مكة قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد المكي الحنفى النَّهْرَوَالِي^(١) قراءة عليه بها، قال: أخبرنا بها الحافظ جلال الدين أبو الفتوح أحمد بن عبد الله الطاوسى، قال: أخبرنى الشيخ المعمر ثلاثمائة سنة بابا يوسف الهروى، قال أخبرنا الشيخ المعمر مائة وأربعين سنة أبو عبد الله محمد بن شاذبخت ابن جرير الفرغانى، قال: أخبرنا أبو لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلاتى، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربرى، قال حدثنا الإمام الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله تعالى.

١- الحديث الأول: حدثنى المكي بن إبراهيم قال: حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» أخرجه فى كتاب العلم.

٢- الحديث الثانى: حدثنا المكي بن إبراهيم، قال: حدثنا يزيد بن أبى عبيد، عن سلمة رضي الله عنه قال: «كان جدار المسجد عن المنبر ما كادت الشاة تجوزها».

أخرجه فى الصلاة

٣- الحديث الثالث: حدثنى المكي قال حدثنا يزيد بن أبى عبيد قال: «كنت أتى مع سلمة بن الأكوع فيصلى عند الأسطوانة التى عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: فإن رأيت النبى ﷺ يتحرى الصلاة عندها» أخرجه فى الصلاة فى باب الصلاة عند الأسطوانة.

٤- الحديث الرابع: حدثنا المكي حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة قال: «كنا نصلى مع النبى ﷺ المغرب إذا توارت بالحجاب».

أخرجه فى كتاب الصلاة فى باب وقت المغرب

(١) النهروالى: تحرف فى المطبوع إلى: «النهروانى» بالنون فى آخره، وانظر فى ذلك مقدمة كتابنا الإعلام بأعلام بيت الله الحرام.

٥- الحديث الخامس: حدثنا أبو عاصم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع «أن النبي ﷺ بعث رجلاً ينادى في الناس يوم عاشوراء أن من أكل فليتم أو فليصم، ومن لم يأكل فلا يأكل».

أخرجه في الصوم في باب إذا نودى بالنهار صوما

٦- الحديث السادس: حدثنا مكى بن إبراهيم، قال: حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع، قال: «أمر النبي ﷺ رجلاً من أسلم أذن في الناس إن من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم يوم عاشوراء» أخرجه في الصوم.

٧- الحديث السابع: حدثنا المكي حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ أتى بجنّازة فقالوا: صل عليها، قال: «هل عليه دين؟» قالوا: لا، قال: «ترك شيئاً؟» قالوا: لا، فصلى عليه، ثم أتى بجنّازة أخرى فقالوا: يا رسول الله صل عليها، قال: «هل عليه دين؟» قيل: نعم، قال: «فهل ترك شيئاً؟» قالوا: ثلاثة دنائير فصلى عليها، ثم أتى بالثالثة فقالوا: صل عليها، فقال: «هل ترك شيئاً؟» قالوا: لا، قال: «فهل عليه دين؟» قالوا: ثلاثة دنائير، قال: «صلوا على صاحبكم».

قال أبو قتادة: صل عليه يا رسول الله وعلى دينه، فصلى عليه.

أخرجه في الحوالة

٨- الحديث الثامن: حدثنا أبو عاصم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة «أن النبي ﷺ أتى بجنّازة ليصلى عليها، فقال: «هل عليه دين؟» قالوا: لا، فصلى عليها، ثم أتى بجنّازة أخرى، فقال: «هل عليه دين؟» قالوا: نعم، قال: «صلوا على صاحبكم» قال أبو قتادة: على دينه يا رسول الله، فصلى عليه.

أخرجه في الحوالة في باب من تكفل على ميت ديناً

٩- الحديث التاسع: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ رأى نيراناً توقد يوم خيبر، قال: «علام

توقد هذه النيران؟» قالوا: على الحمر الإنسية، قال: «اكسروها وأهريقوها» قالوا: لا نأخذها ونغسلها؟ قال: «اغسلوها».

أخرجه في باب: هل تكسر الدنان التي فيها الخمر أو تحرق الزقاق

١٠- الحديث العاشر: قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري،

قال: حدثني حميد أن أنسا حدثهم أن الربيع — وهى ابنة النضر — كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش، وطلبوا العفو فأبوا، فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيها، فقال: يا أنس كتاب الله القصاص، فرضى القوم وعفوا، فقال النبي ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» أخرجه في كتاب الصلح.

١١- الحديث الحادي عشر: حدثنا مكى بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي

عبيد، عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل شجرة، فلما خف الناس قال: «يا ابن الأكوع، ألا تبائع؟» قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله، قال: «أيضاً» فبايعته الثانية، فقلت له: يا أبا مسلم على أى شيء كنتم تبائعون يومئذ؟ قال: على الموت أخرجه في كتاب الجهاد.

١٢- الحديث الثاني عشر: حدثنا مكى بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد،

عن سلمة ﷺ قال: خرجت من المدينة ذاهباً نحو الغاية، حتى إذا كنت بثنية الغابة لقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، قلت: ويحك، ما بك؟ قال: أخذت لقاح النبي ﷺ، قلت: من أخذها؟ قال: غطفان وفزارة، فصرخت ثلاث صرخات أسمعت ما بين لابتيها: يا صباحاه، ثم اندفعت حتى ألقاهم، وقد أخذوها، فجعلت أرميهم وأقول:

[خذها و] أنا ابن الأكوع

واليومُ يومُ الرُّضْع^(١)

(١) رجز لسلمي بن الأكوع، والتكلمة لدى ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير ٧٧ / ٢ والرُّضْع: جمع راضع، وهو اللثيم.

فاستنقذها منهم قبل أن يهربوا فأقبلت بها أسوقها فلقيني النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن القوم عطاش وأنا أعجلتهم قبل أن يشربوا سقيهم، فابعث إثرهم، فقال: يا بن الأكوع ملكت فأسجح، إن القوم يقرون في قومهم.

أخرجه في الجهاد

١٣- الحديث الثالث عشر: حدثنا عصام بن خالد، حدثنا جرير بن عثمان، أنه سأل عبد الله بن بسر، صاحب رسول الله ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ كان شيخا، قال كان في عنفته شعرات بيض أخرجه في صفة النبي ﷺ.

١٤- الحديث الرابع عشر: حدثنا مكى بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد، قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا سلمة، ما هذه الضربة؟ فقال: هذه الضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ فنفت فيها ثلاث نفثات فما اشتكىها حتى الساعة أخرجه في غزوة خيبر.

١٥- الحديث الخامس عشر: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع ﷺ، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وغزوت مع ابن حارثة استعمله علينا أخرجه في المغازي.

١٦- الحديث السادس عشر: حدثنا الأنصارى محمد بن عبد الله، حدثنا حميد، أن أنسا حدثهم عن النبي ﷺ قال: «كتاب الله القصاص» أخرجه في الديات.

١٧- الحديث السابع عشر: حدثنا المكي بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: لما أمسوا يوم فتح خيبر أوقدوا النيران، فقال النبي ﷺ «علام أوقدتم هذه النيران؟» قالوا: على لحوم الحمر الإنسية، قال: «أهريقوا ما فيها واكسروا قدورها» فقام رجل من القوم فقال: نهرق ما فيها ونغسلها؟ فقال النبي ﷺ: «أو ذاك» أخرجه في كتاب الذبائح والصيد.

١٨- الحديث الثامن عشر: حدثنا أبو عاصم عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وفي بيته منه شيء» فلما كان العام المقبل قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلنا العام

الماضي؟ قال: «كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها» أخرجه في الضحايا.

١٩- الحديث التاسع عشر: حدثنا مكي بن إبراهيم، قال: حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فقال رجل من القوم: أسمعنا يا عامر من هُنَيَّاتِكَ، فحدا لهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من السائق» قالوا: عامر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يرحمه الله» فقالوا: يا رسول الله، لولا مَتَّعْتَنَا بِهِ، فأصيب ليلثذ، فقال القوم: حبط عمله، قتل نفسه، فلما رجعت سمعتهم يحدثون أن عامرا حبط عمله، فحئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا نبي الله، فذاك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله، فقال «كذب من قالها، إن له لأجرين اثنين، إنه لجاهد مجاهد، وأى قتيل يزيد عليه» أخرجه في التوحيد.

٢٠- الحديث العشرون: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى، حدثنا حميد عن أنس، أن ابنة النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص أخرجه فيه.

٢١- الحديث الحادى العشرون: حدثنا أبو عاصم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، فقال لى: «يا سلمة: ألا تباع؟» فقلت: يا رسول الله قد بايعت فى الأول، قال: «وفى الثانية».

أخرجه فى الأحكام

٢٢- الحديث الثانى والعشرون: حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا عيسى بن طهمان، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: نزلت آيات الحجاب فى زينب بنت جحش، ويطعم عليها حينئذ خبزاً ولحماً، وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تقول: إن الله أنكحنى فى السماء أخرجه فى التوحيد.

وقد أجزت العالم الفقيه المؤلف التحرير المحدث الخطيب الشيخ محمد مخلوف رواية هذه الأحاديث الجليلة المباركة عنى بهذا الإسناد العالى، والله ولى التوفيق.
حرره فقير ربه محمد بلحسن النجار، الشريف الحسنى، خادم السنة والعلم الشريف بجامع الزيتونة الأعظم، أدام الله عمرانه. انتهى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

خاتمة

في تاريخ فنون السنة وأدوارها

جوهرة في تعريف علم الحديث وأنه مرادف للسنة:

السنة في اللغة الطريقة المسلوكة، وهي إذا أطلقت تنصرف للطريقة المحمودة، وقد تستعمل في غيرها مقيدة كقول النبي ﷺ: «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» رواه مسلم.

وتطلق في عرف الشرعيين على قول النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، أعني عدم إنكاره لأمر رآه أو بلغه عن من يكون منقاداً للشرع العزيز، فهي مرادفة للحديث.

وأعني بتاريخها الأدوار التي تقلبت فيها من لدن صدورهم عن صاحب الرسالة ﷺ إلى أن وصلت إلينا من حفظ في الصدور، وتدوين في الصحف، وجمع لمشورها، وتهذيب لكتبها، واستنباط من عيونها، وتأليف بين كتبها، وشرح لغامضها، ونقد لراويتها، وغير ذلك مما يعرفه القائمون بخدمتها والعاملون على نشرها.

وقد عرفوا علم الحديث رواية بأنه علم يشتمل على ما أضيف إلى النبي ﷺ، قيل: أو إلى صحابي، أو إلى من دونه، قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة وموضوعه: ذات النبي ﷺ من حيث إنه نبي، لا من حيث إنه إنسان مثلاً، وواضعه: أصحابه ﷺ الذين تصدوا لحفظ أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته، وغايته: الفوز بسعادة الدارين، ومسائله: قضاياها التي تذكر فيه ضمناً، كقولك: قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» فإنه متضمن لقضية قائلة: إنما الأعمال بالنيات من أقواله ﷺ.

واسمه: علم الحديث رواية، ونسبته: أنه من العلوم الشرعية، وهي الفقه، والتفسير، والحديث، وفضله: أن له شرفاً عظيماً من حيث أن به يعرف كيفية

الاقتداء به ﷺ، وحكمه: الوجوب العيني على من انفرد والكفائي على من تعدد، واستمداده: من أقواله النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخلقية، ككونه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وأخلاقه المرضية، ككونه أحسن الناس خلقاً. فهذه هي المبادئ العشرة المشهورة.

وأما علم الحديث دراية، وهو المراد عند الإطلاق، فهو علم يعرف به حال الراوى والمروى من حيث القبول والرد، وما يتبع ذلك، وموضوعه الراوى والمروى من الحيثية المذكورة، وغايته: معرفة ما يقبل وما يرد من ذلك، ومسائله: ما يذكر في كتبه من المقاصد، كقولك: كل حديث صحيح يقبل. وواضعه: ابن شهاب الزهري، في خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره، وقد أمر أتباعه بعد فناء العلماء العارفين بالحديث بجمعه، ولولاه لضاع الحديث، واسمه: علم الحديث دراية، وبقيّة المبادئ العشرة تعلم مما تقدم، لأنه قد شارك فيها النوع الثاني الأول.

واعلم أن أواخر القرن الثاني كان مبدأ السعادة والنهضة العلمية في سائر العلوم، وتكونت معلومات كثيرة، وسترى شرح ذلك في الطبقة الرابعة من التتمة، وهو دور ازداد فيه حفاظ القرآن، وانتشروا في كل قطر، واعترف المسلمون في جميع الأقطار بالتريز للقراء السبعة، وهذا العصر وما بعده كان عصرًا مجيدًا للسنة، فقد تنبه روائها إلى وجوب تصنيفها وتدوينها، وقد وجدت هذه الفكرة في جميع الأقطار الإسلامية في أوقات متقاربة فكان من مدونيتها في الدور الأول مالك، وستعلم شرح ذلك.

صلة

في أن القرآن تكفل الله بحفظه — والسنة قام بحفظها جهابذة أعلام من أعيان أئمة الإسلام:

اعلم أني ذكرت في المقدمة فضيلة التاريخ، وفضيلة الأسانيد، والقرآن العظيم، وطبقات كتب السنة في الصحة، وأئمة الحديث، والأئمة المجتهدين، والفرق بين أهل الحديث وأصحاب الرأي.

وغير خفي أن القرآن والسنة هما المحيط الشاسع والقاموس الواسع الذي من مائهما نبعت عيون فقههم، ومن هبائهما تكونت مذاهبهم، وذكرت هناك أن أبا بكر رضي الله عنه جمع القرآن من صدور الرجال وبعض الصحف، وأن سيدنا عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف واحد بلغة قريش، بعد أن تعددت القراءات واختلف فيها أهل الأمصار، ولا يعلم قدر فضلها بذلك العمل الجليل إلا من عانى أمر السنة، وعرف من اجترأ فيها على الكذب على رسول الله ﷺ، وهم جماعة القصاص والواعظين الذين شوشوا على الأمة في الدين والسياسة والأخلاق تشويشاً الله أعلم بما جر على الأمة من البلاء، ولو لم ينهض أئمة الحديث وحفاظه أواخر القرن الثاني وما بعده إلى تلافي هذا الخطب وتبع الأسانيد الصحيحة وترتيب درجات الحديث وتعريف الموضوع من الصحيح لكان الخطب أعظم والمصيبة أشد.

أما القرآن العظيم فله الحمد والمنة على أنه سبحانه تكفل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد لهذا كان أول ما ألهم إليه أبو بكر النهوض إلى جمعه من صدور الرجال وبعض الصحف، فجمع وكتب بين الدفتين دون أن يلحق حرفاً واحداً منه تغيير أو تبديل.

وذكرت في المقصد كثيراً من أئمة الحديث ورواته وما لهم وغيرهم من التصانيف في فنونه، وقد لخصها العلامة المحقق الشيخ محمد عبد العزيز الخولي في رسالة سماها: مفتاح السنة، أجاد وأفاد، وتتميماً لفائدتك أيها القارئ الكريم وخدمة للسنة أدلى إليك بملخصها دوراً دوراً وقتاً وقتاً ببعض زيادة.

مكانة السنة من الكتاب^(١):

اعلم أن للسنة عملين: تبين الكتاب، والاستقلال بتشريع الأحكام. أما الأول فلقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فلا سبيل إلى العمل بجل الشرائع التي تضمنها الكتاب إلا ببيان من

(١) هذا الخير وما يليه منظور فيه إلى كتاب فنون الحديث للخولي.

المعصوم يفصل يحملها ويوضح مشكلها، ويعين محتملها، ويقيد مطلقها، وكيف نراك مصليا إذا وقفت إلى ما نطق به الكتاب فحسب ولم تعرج على السنة فتعرف أوقاتها، وعدد ركعاتها، وسجداها، وما يقيمها أو يبطلها... إلى سائر أحكامها؟.

وما الذي تخرجه من مالك زكاة إذا لم تسترشد بكتاب الصدقات من السنة؟ ثم كيف تؤدي مناسك الحج إذا لم تأتس بالرسول في قوله وحاله يوم أن حج بالناس حجة الوداع، فلا جرم كان القرآن في حاجة إلى السنة.

وأما الثاني فلقول الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ إلى غير ما آية.

وأخرج أبو داود والترمذي عن المقدم بن معديكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عني، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله» زاد أبو داود: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه».

وقد حرمت السنة نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، وحرمت الحمر الأهلية... إلى كثير مما ملئت به مدونات فقه الحديث والكتب الجامعة لأحاديث الأحكام.

أدوار تاريخ السنة:

حفظها في الصدور، تدوينها مختلطة بالفتاوى، أفرادها بالتدوين، تحرير الصالح، تهذيبها بالترتيب والجمع والشرح، فنون الحديث المهمة وتاريخ كل فن وأحسن المصنفات فيه.

الدور الأول

حفظ السنة في الصدور:

لم تكن السنة في القرن الأول عصر الصحابة وأكابر التابعين مدونة في بطون الكتب، وإنما كانت مسطورة على صفحات القلوب، كانت صدور الرجال مهد التشريع النبوي ومصدر الفتيا ومنبت الحكم والأخلاق، ولم يقيدوا السنة بكتاب لما ورد من النهي عن كتابتها، روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال كثير من العلماء: نهامهم عن كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن، وهذا لا ينافي جواز كتابته إذا أمن اللبس، وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: «اتقوا بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» وقوله ﷺ كما في الصحيحين: «اكتبوا لأبي شاه»^(١) أي الخطبة التي سمعها منه ﷺ يوم فتح مكة. وأذن لعبد الله بن عمر بتقييد العلم. ولما توفي ﷺ بادر الصحابة إلى جمع ما كتب في عهده من القرآن في موضع واحد، وسموا ذلك: المصحف، واقتصروا عليه، ولم يتجاوزوه إلى كتابة الحديث وجمعه في موضع واحد، كما فعلوا بالقرآن، لكن صرفوا همهم إلى نشره بطريق الرواية، إما بنفس الألفاظ التي سمعوها منه ﷺ — إن بقيت في أذهانهم — أو بما يؤدي معناها إن غابت عنهم، فإن المقصود بالحديث هو المعنى، ولا يتعلق في الغالب حكم بالمبنى، بخلاف القرآن، فإن للألفاظ مدخلا في الإعجاز فلا يجوز إبدال لفظ منه بآخر، ولو كان مرادفاً له، خشية النسيان مع طول الزمان، فوجب أن يقيد بالكتابة، وأما السنة فتقييدها مباح ما أمِن الاختلاط.

(١) الحديث والخير لدى ابن الأثير أسد الغابة ٦/ ١٦٢.

تثبت الصحابة في رواية الحديث:

اعلم أن الصحابة وأكابر التابعين كانوا على علم بالكتاب وكانوا أسبق الناس إلى الانتماء بأمره والانتهاز بنهيه، وقد علموا ما أوعده الله به كاتم العلم من لعن وطرده وإبعاد عن رحمة الرب، فكانوا إذا علموا شيئاً من سنن الرسول بادروا إلى تعليمه وإبلاغه، خروجاً من التبعة وابتغاء للرحمة، فسرعان ما ينتشر بين الجماهير، فلئن نسي بعض منهم فرب مُبْلَغ أوعى من سامع، فمن البعد بمكان أن يضيع شيء من السنة أو يخفى على جمهور المسلمين.

ولم يكن الصحابة يقبلون الحديث من كل محدث، بل علموا أن من الحديث مُحَرَّمًا ومَحَلًّا ومُخْطِئًا ومُصَوَّبًا، وأن سبيل ذلك اليقين أو الظن الآخذ بأهدابه، لذلك تثبتوا في رواية الحديث جد التثبت، فكان لهم في الراوى نظرة كما كانت لهم في المروى، وكان كثير منهم يأبى إلا شاهدًا معضدًا أو يمينًا حاسمة تميظ لثام الشك عن وجه اليقين.

روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بذلك فأنفذه لها.

وعمر رضي الله عنه سنَّ للمُحَدِّثِينَ التَّثَبُّتَ في النقل، ولقد كان كثير من أصحاب رسول الله ﷺ يَقْلُونَ من الرواية عن رسول الله ﷺ، خشية أن يدخلوا في الحديث ما ليس منه، سهواً أو خطأً، فينالهم من وعيد الكذب على رسول الله ﷺ، وكانوا ينكرون على من يكثر من الرواية، إذ الإكثار مظنة الخطأ، والخطأ في الدين عظيم الخطر، فأنكروا على أبي هريرة كثرة حديثه، حتى اضطر لتبرئة ساحته أن يبين السبب الذي حمله على الإكثار، فقال: إن الناس يقولون: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت، ثم يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٦١﴾

إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفاق في الأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ يشبع [بطنه] ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون.

مبدأ تدوين السنة:

لما انتشر الإسلام واتسعت البلاد وشاع الابتداع وتفرقت الصحابة في الأقطار، ومات كثير منهم، وقلَّ الضبط، دعت الحاجة إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة، ولعمرى إنها الأصل، فإن الخاطر يغفل، والقلم يحفظ، فلما أن أفضت الخلافة إلى الإمام العادل عمر بن عبد العزيز كتب على رأس المائة إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث، ومن كتب إليه: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني، أحد الأئمة الأعلام، وعالم أهل الحجاز والشام، ثم شاع التدوين في الطبقة التي تلى طبقة الزهري، فكان أول من جمعه ابن جريج بمكة، وابن إسحاق أو مالك بالمدينة، والربيع بن صبيح أو سعيد بن أبي عروبة أو حماد بن سلمة بالبصرة، وسفيان الثوري بالكوفة، والأوزاعي بالشام، وهشيم بواسط، ومعمّر باليمن، وجريز بن عبد الحميد بالري، وابن المبارك بخراسان.

وكل هؤلاء من أهل القرن الثاني، وكان جمعهم للحديث مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

الدور الثاني

أشهر الكتب المؤلفة في القرن الثاني:

من أشهر الكتب المؤلفة في المائة الثانية: الموطأ للإمام مالك بن أنس، ومسند الإمام الشافعي، ومختلف الحديث له، والجامع للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ومصنف شعبة بن الحجاج، ومصنف سفيان بن عيينة، ومصنف الليث

ابن سعد المتوفى سنة ١٧٥، وبمجموعات من عاصرهم من حفاظ الحديث ومقيدى أوابده كالأوزاعي والحميدى.

موطأ الإمام مالك:

درجة حديثه: قال الحافظ ابن حجر: إن كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما، قال مؤلف حجة الله البالغة: أما على رأى غيره فليس فيه مرسل ولا منقطع إلا وقد اتصل السند به من طرق أخرى، فلا جرم كانت صحيحة من هذا الوجه.

وقد صنف ابن عبد البر كتابا في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل، قال: وجميع ما فيه من قوله: بلغنى، ومن قوله: عن الثقة عنده، مما لم يسنده إحدى وستون حديثا، كلها مسندة من غير طريق مالك، إلا أربعة لا تعرف، وذكرها.

وقد صنف في زمان مالك موطآت كثيرة في تخريج أحاديثه ووصل منقطعه مثل كتاب ابن أبي ذئب، وابن عيينة، والثوري، وغيرهم ممن شارك مالكا في الشيوخ.

عدد أحاديث الموطأ:

ذكر ابن الجبَاب^(١) أن مالكا روى مائة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف، ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة ويختبرها بالآثار حتى رجعت إلى خمسمائة.

قال أبو بكر الأبهري: جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين ١٧٢٠ حديثا، المسند منها ٦٠٠، والمرسل ٢٢٨، والموقوف ٦١٣، ومن قول التابعين ٢٨٥.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «ابن الهباب» وهو تحريف قبيح، صوابه لدى ابن فرحون في الديباج ١/ ١٣٦ ولديه: «ألف مسند حديث مالك» ومثله لدى القاضي عياض في ترتيب المدارك ٥/ ١٧٤.

وقال السيوطي في تقريبه نقلاً عن ابن حزم: أحصيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند خمسمائة ونيّفًا مسندة، وثلاثمائة مرسل، وفيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها، وفيها أحاديث ضعيفة وكأها جمهور العلماء ولا منافاة بين ما نقله السيوطي وما قاله الأبهري، لأن روايات الموطأ كثيرة تختلف زيادة ونقصاً.

عناية الناس به:

أخرج ابن عبد البر عن عمر بن عبد الواحد صاحب الأوزاعي قال: عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يوماً، فقال: كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوماً، ما أقل ما تفقهون فيه، وقد روى الموطأ عن مالك بغير واسطة أكثر من ألف رجل، وقد ضرب الناس فيه أكباد الإبل إلى مالك من أقاصي البلاد مصداقاً لقول النبي ﷺ: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة».

قال عبد الرزاق: وهو مالك بن أنس: رواه الترمذي.

فمنهم المبرزون من الفقهاء كالشافعي، ومحمد بن الحسن، وابن وهب، وابن القاسم، ومنهم شيوخ المحدثين كيجي بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الرزاق بن همام، ومنهم الملوك والأمراء كالرشيد، وابنيه: الأمين والمأمون، وقد اشتهر في عصره حتى بلغ على جميع ديار الإسلام، ثم لم يأت زمان إلا وهو أكثر به شهرة وأقوى به عناية، وعليه بنى فقهاء الأمصار مذاهبهم، حتى أهل العراق في بعض أمرهم، ولم يزل العلماء يخرجون حديثه ويذكرون متابعتة وشواهدة ويشرحون غريبه ويضبطون مشكله ويبحثون عن فقهه ويفتشون عن رجاله، إلى غاية ليس بعدها غاية.

روايات الموطأ:

ذكر القاضي عياض: أن الذي اشتهر من نسخ الموطأ نحو عشرين نسخة، وذكر بعضهم أنها ثلاثون، والمستعمل منها أربعة: موطأ يجي بن يجي، وموطأ ابن بكير، وموطأ أبي مصعب، وموطأ ابن وهب، ثم ضعف الاستعمال في الأخيرين،

وبين الروايات اختلاف كثير من تقدم وتأخير، وزياة ونقص، ومن الموطآت المشهورة المشروحة: موطأ الإمام محمد بن الحسن الشيباني.

شرح الموطأ ومختصراته:

من شرح الموطأ عبد الملك بن حبيب، وصنف الحافظ ابن عبد البر كتاباً سماه التقصى لحديث الموطأ، وله كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، قال ابن حزم: هو كتاب في الفقه والحديث ولا أعلم نظيره، وشرحه أبو محمد عبد الله ابن محمد النحوي البطلوسي، وأبو بكر ابن العربي، وسماه القبس، ومما جاء فيه في وصف الموطأ: هذا أول كتاب ألف في شرائع الإسلام وهو آخره لأنه لم يؤلف مثله، إذ بناه مالك — رحمه الله — على تمهيد الأصول للفروع ونبه فيه على معظم أصول الفقه التي ترجع إليه في مسائله وفروعه.

وللموطأ مختصرات كثيرة، فمنها: مختصر الإمام الخطابي أحمد بن محمد البُستِي، ومختصر أبي الوليد الباجي، ومن ألف في شرح غريبه، البرقي، وأحمد بن عمران الأخفش، وأبو القاسم العثماني المصري، ومن ألف في رجاله القاضي أبو عبد الله الحذاء، وابن مفرح، والبرقي، وأبو عمر الطلمنكي.

وألف القاضي إسماعيل شواهد الموطأ وألف أبو الحسن الدارقطني كتاب اختلاف الموطآت، وأبو الوليد الباجي، ولأبي بكر بن حبيب أطراف الموطأ، وغير هذا كثير جداً.

وكأنى بك أيها القارئ وقد رأيت تلك العناية الفائقة بكتاب من كتب السنة قد أكبرت الحديث وشأنه، وعرفت لهذا الدين متانتها وفضله، ورفعت من شأن المحدثين وعلماء المسلمين، إذ تعبوا لتستريح، وغرسوا لتجنى، فاقتطف من ثمار ما بذروا، وقل: رب اجزهم أحسن ما كان يعملون.

الدور الثالث

إفراد الحديث بالتأليف في مبدأ القرن الثالث:

في أول هذا القرن أخذ رواة الحديث في جمعه طريقة غير التي سلفت، فبعد أن كانوا يجمعونه ممزوجاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين أخذوا يُفَرِّدُونَهُ بالجمع

والتأليف، ثم من أئمة الحديث مَنْ جمع في مصنفه كل ما روى عن رسول الله ﷺ من غير تمييز بين صحيح وسقيم، ومنهم: من أفرد الصحيح بالجمع ليخلص طالب الحديث من عناء السؤال والبحث.

وكان أول الراسمين لهذه الطريقة المثلى شيخ المحدثين محمد بن إسماعيل البخارى، فجمع في كتابه المشهور ما تبينت له صحته، وكانت الكتب قبله ممزوجة فيها الصحيح بالعليل بحيث لا يتبين للناظر فيها درجة الحديث من الصحة إلا بعد البحث عن أحوال رواته والوقوف على سلامته من العلل، فإن لم يكن من أهل البحث ولم يظفر بمن يعرف منه درجته بقى ذلك الحديث مجهول الحال عنده.

واقتفى أثر البخارى في ذلك الإمام مُسلم بن الحجاج القشيري، وكان من الآخذين عنه، ثم ارتسم خطتهما كثيرون.

وإن ذلك القرن الثالث لأجلُ عصور الحديث وأسعدها بخدمة السنة، ففيه ظهر كبار المحدثين وجهابذة المؤلفين وحذاق الناقدين، وفيه أشرقت شمس الكتب الستة التي كادت لا تغفل من صحيح الحديث إلا النزر اليسير، والتي يعتمد عليها المستنبطون، وبها يعتضد المناظرون، وعن محياها تنجذب الشبه، وبضوئها يهتدى الضال، وببرد يقينها تثلج الصدور.

وبانسلاخ هذا القرن يكاد يتم جمع الحديث وتدوينه ويبتدئ عصر ترتيبه وتهديئه وتسهيله على رواه وتقريبه.

كتب السنة في القرن الثالث:

أشهر الكتب في القرن الثالث: صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وجامع الترمذى، وسنن ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، والمنتقى في الأحكام لابن الجارود، ثم مصنف ابن أبي شيبة، وكتاب محمد بن نصر المروزي، ومصنف سعيد بن منصور، وكتاب تهذيب الآثار لمحمد بن جرير الطبري، وهو من عجائب كتبه، ابتداء فيه بما رواه أبو بكر الصديق، وتكلم

على كل حديث وعلته وطرقه وما فيه من الفقه واختلاف العلماء وحججه واللغة، فتم مسند العشرة وأهل البيت والموالى وقطعة من مسند ابن عباس. والمسند الكبير لبقي بن مخلد القرطبي، رتبته على أسماء الصحابة روى فيه عن ١٣٠٠ صحابي ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فجاء كتابا حافلا مع ثقة مؤلفه وضبطه وإتقانه.

ومسند عبيد الله بن موسى، ومسند إسحاق بن راهويه، ومسند عبد بن حميد، ومسند الدارمي، ومسند أبي يعلى الموصلي، ومسند ابن أبي أسامة الحارث ابن محمد التميمي، ومسند ابن أبي عاصم أحمد بن عمرو الشيباني، وفيه نحو خمسين ألف حديث، ومسند ابن أبي عمرو محمد بن يحيى العدني، ومسند أبي هريرة لإبراهيم بن حرب العسكري، ومسند الإمام علي لأحمد بن شعيب النسائي، ومسند العنبري، إبراهيم بن إسماعيل الطوسي، والمسند الكبير للبخاري، ومسند مسدد بن مسرهد^(١)، ومسند محمد بن مهدي، ومسند الحميدي، ومسند إبراهيم بن معقل النسفي، ومسند إبراهيم بن يوسف الهسنجاني^(٢)، ومسند مالك لأحمد بن شعيب النسائي، والمسند الكبير للحسن بن سفيان، والمسند المجلد لأبي بكر البزار، ومسند ابن سنجر، والمسند الكبير ليعقوب بن شيبه، ولم يؤلف أحسن منه لكنه لم يتم، ومسند علي بن المديني، ومسند ابن أبي عزرة أحمد بن حازم، ومسند عثمان بن أبي شيبه.

وكتب المسانيد كثيرة جدًا وإن أردت الزيادة فانظر كشف الظنون. تنبيه: كتب المسانيد دون كتب السنن في الرتبة، إذ جرت عادة مؤلفيها أن يجمعوا في مسند كل صحابي ما يقع لهم من حديثه صحيحًا كان أو سقيمًا، ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما يورد فيها مطلقًا، واستثنى بعض المحدثين منها مسند الإمام أحمد بن حنبل.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «مسدد بن سرهد» وصوابه من تقريب التهذيب، ص ٤٦٠.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «الهنجاني» وصوابه لدى السمعاني في الأنساب ١٢ / ٣٣٢.

كتب السنة في القرن الرابع:

الحَدِّ الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث وحملته هو رأس سنة ٣٠٠، وقد أُنْبِأَ فيما سلف أن القرن الثالث أسعد القرون بخدمة السنة وتمحيصها ونقد رواتها، وكل من أتى بعد ذلك فعالة على المتقدمين، إلا قليلاً يجمع ما جمعوا ويعتمد في نقده على ما نقدوا، لذلك كانت كتب السنة في القرن الثاني والثالث تمتاز في الأكثر بأولية الجمع فيها دون الأخذ عن غيرها، وهو الداعي لإفراد كتب السنة في القرن الرابع بالذكر.

أشهر الكتب في القرن الرابع:

المعاجم الثلاثة: الكبير، والأوسط، والصغير، للإمام سليمان بن أحمد الطبراني، رتب في الكبير الصحابة على الحروف، وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث، ورتب في الأوسط والأصغر شيوخه على الحروف، وسنن الدارقطني، وصحيح أبي حاتم محمد بن حبان البستي، وصحيح أبي عوانة يعقوب ابن إسحاق، وصحيح ابن خزيمة محمد بن إسحاق، وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان البغدادي، والمنتقى لقاسم بن أصبغ، محدث الأندلس، ومصنف الطحاوي، ومسند ابن جُميع محمد بن أحمد، ومسند محمد بن إسحاق، ومسند الخوارزمي، ومسند أبي إسحاق إبراهيم بن نصر الرازي.

فصل

به بيان درجة حديث كل كتاب من كتب السنة الشهيرة

فى القرنين الثالث والرابع

مسند الإمام أحمد بن حنبل:

كتاب جليل من جملة أصول السنة، يشتمل على ٤٠٠٠٠ حديث، تكرر منها ١٠٠٠٠، ومن أحاديثه ما ينيف على ٣٠٠ حديث ثلاثية الإسناد.

درجة حديثه: روى أبو موسى المدينى عن الإمام أحمد أنه سئل عن حديث فقال: انظره فإن كان فى المسند وإلا فليس بحجة.

قال الحافظ ابن حجر فى كتابه: تعجيل المنفعة فى رجال الأربعة: ليس فى المسند حديث لا أصل له إلا ثلاثة أحاديث أو أربعة.

وهذا المسند شرحه أبو الحسن بن عبد الهادى السندى، واختصره زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي، وسراج الدين عمر بن على المعروف بابن الملقن.

الجامع الصحيح المسند للإمام البخارى:

هو أول كتاب ألف فى الصحيح المجرد، وقد اتفق جمهور العلماء على أنه أصح الكتب بعد القرآن الكريم، ويقاربه فى ذلك: صحيح مسلم، وذلك أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما اتفق على ثقة ناقله إلى الصحابي المشهور مع كون الإسناد إليه متصلاً غير مقطوع وذلك ما يسمى بشرط الشيخين.

انتقد عليه الحافظ عشرة أحاديث ومائة، منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو ٣٢ حديثاً، وبقاها انفرد بتخريجه [وهو ٧٨ حديثاً].

قال الحافظ ابن حجر فى مقدمة شرح الفتح: ليست عللها كلها قاذحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدر فيه مندفع، وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه فى الجواب عنه تعسف، وقد أوضح ذلك مفصلاً.

وقد ضَعَّف الحفاظ من رجال الجامع للبخارى نحو الثمانين، ولكن أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز صحيحها من ضعيفها فهو بهم أعرف ولهم أنخبر، وقد روى عن البخارى جامعه الصحيح نحو من مائة ألف، منهم كثير من أئمة الحديث كمسلم، وأبى زرعة، والترمذى، وابن خزيمة.

شروحه: لم يعتن علماء المسلمين بشيء بعد الكتاب العزيز عنايتهم بالجامع المذكور، فما أكثر شارحيه والكاتبين فى رجاله والمؤلفين فى أغراضه والمختصرين لكتابه، وقد عد ملا كاتب جلى فى كشف الظنون ما ينيف على اثنين وثمانين شرحا دمجها يراع الجهابذة من السلف والأذكياء من الخلف، والمحسنون من الشراح إحسانا أربعة نفر: الإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشى، المتوفى سنة ٧٩٤، والعلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني، المتوفى سنة ٨٥٥، والحافظ السيوطى، والحافظ شيخ الإسلام أحمد بن على بن حجر العسقلانى، فى فتح البارى، فهو أمير أولئك المحسنين، فإن شرحه لا يدانيه شرح ولا يحيط بجماله وصف، ولو لم يكن له إلا مقدمته لكانت كافية فى الإشادة بذكره والإبانة عن جلالة قدره.

وله مختصرات كثيرة: من أشهرها: مختصر الإمام أحمد بن عمر الأنصارى القرطبى، وبدر الدين حسن بن عمر الحلبى، المتوفى سنة ٧٨٩، والحسين بن المبارك الزبيدى المتوفى سنة ٨٩٣.

وكتب رجاله منها: أسماء رجال البخارى للإمام أحمد بن محمد الكلاباذى، المتوفى سنة ٣٩٨، وكتاب التعديل والتجريح لرجاله لأبى الوليد الباجى، والإفهام بما وقع فى البخارى من الإبهام لجلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقينى، المتوفى سنة ٨٢٤.

الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج:

هو ثان الكتب الستة وأحد الصحيحين المشهود لهما بعلو الرتبة، شرحه كثير من العلماء، ذكر منها صاحب كشف الظنون نحو خمسة عشر شرحا، منها: المعلم

للإمام المازري، والمنهاج للحافظ النووي، ومنها شرح القاضي عياض، وشرح القرطبي، وشرح أبي الفرج عيسى الزواوي، وشرح أبي عبد الله محمد الأبي. مختصراته من أشهرها: تلخيص أحمد بن عمر القرطبي، ومختصر الإمام عبد العظيم المندري، ومختصر زوائد مسلم على البخاري لسراج الدين عمر بن الملحق، ولأبي بكر أحمد بن علي الأصبهاني كتاب في أسماء رجال مسلم.

المستدرك على الصحيحين:

قد أودع الحافظ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري في كتابه: المستدرك ما ليس في الصحيحين مما رأى أنه على شرطهما أو شرط أحدهما أو ما تأدى إليه اجتهاده إلى تصحيحه، وهو متساهل في التصحيح، وقد لخص الحافظ الذهبي مستدركه وأبان ما فيه من ضعيف أو منكر وهو كثير.

المستخرجات على الصحيحين:

الاستخراج: أن يعتمد حافظ إلى صحيح البخاري مثلاً فيورد أحاديثه واحداً واحداً بأسانيد لنفسه غير ملتزم فيه ثقة الرواة من غير طريق البخاري إلى أن يلتقي معه في شيخه أو فيمن فوقه، إذا لم يكن الاجتماع معه في الأقرب، وربما ترك المستخرج أحاديث لم يجد له بها إسناداً مرضياً، وربما علقها عن بعض رواة، وربما ذكرها من طريق صاحب الأصل.

قال القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري نقلاً عن شيخه الحافظ ابن حجر: وشرطه أن لا يصل إلى شيخ أبعد من وجود سند يوصله إلى الأقرب، إلا لغرض من علو أو زيادة حكم أو نحو ذلك، وإلا فلا يسمى مستخرجاً. اهـ. وقد اعتنى كثير من الحفاظ بالتخريج، وقصروا ذلك في الأكثر على الصحيحين لكونهما العمدة في هذا الفن.

وللمستخرجات فوائد، منها: ما قد يقع فيها من زوائد في الحديث، لأنهم لا يلتزمون ألفاظ المستخرج عليه، ومنها علو الإسناد إذ رواية الحديث عن صاحب المستخرج عليه أبعد من روايته عن طبقته أو شيوخه، وقد يقع فيها التصريح بالسماع مع كون الأصل مُعْتَمَداً، أو بتسمية مبهم في الأصل، ولا يحكم للزيادات

الواقعة في المستخرجات بالصحة إلا إذا كان سند المستخرج إلى الشيخ الذي التقى فيه مع مصنف الأصل صحيحاً متصلاً، وقد يطلق التخريج على عزو الحديث إلى من أخرجه من الأئمة، كقولنا: أخرجه البخاري للحديث الذي يوجد في صحيحه.

ومن الكتب المستخرجة على صحيح البخاري: المستخرج لأبي نعيم أحمد ابن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠، والمستخرج لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، المتوفى سنة ٣٧١، والمستخرج لأبي بكر أحمد بن محمد البرقاني المتوفى سنة ٤٥٢.

ومن المستخرجات على صحيح مسلم: تخريج أحمد بن حمدان النيسابوري، المتوفى سنة ٣١١، وتخريج أبي عوانة الإسفرائيني، المتوفى سنة ٣١٦، وتخريج أبي نصر الطوسي، المتوفى سنة ٣٤٤، والمسند المستخرج على مسلم للحافظ أبي نعيم الأصبهاني.

المجتبى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي:

درجته في الحديث بعد الصحيحين، وشرحه الحافظ السيوطي، وأبو الحسن محمد السُّنْدِي، وقد شرح سراج الدين عمر بن علي بن الملحق زوائده على الصحيحين، وأبي داود، والترمذي في مجلد.

سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني:

كتاب شريف، قد رزق فيه القبول.

قال أبو داود: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، فانتخبت منها أربعة آلاف حديث وثمانمائة ضمنتها هذا الكتاب، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ويكفي الإنسان لدينه، من ذلك أربعة أحاديث: أحدها: قوله ﷺ: «الأعمال بالنيات» والثاني: قوله ﷺ: «من حَسَنَ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» والثالث: قوله ﷺ: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه» والرابع: «الحلال بين والحرام بين» الحديث.

وقد اشتهر هذا الكتاب بجمعه لأحاديث الأحكام، وفيه كثير من المراسيل.

شرحه جماعة، منهم: الإمام الخطابي، وشهاب الدين الرملي، واختصره زكي الدين المنذرى، وهذبه ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ وشرح مذهب.

الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد الترمذى:

قال أبو عيسى: عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه، وقال: ما أخرجت بكتابي هذا إلا حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء، فعلى هذا كل حديث احتج به محتج أو عمل بموجبه عامل أخرجه، سواء صح طريقه أو لم يصح، لكنه تكلم على درجة الحديث، وبين الصحيح منه والمعلول، كما ميز المعمول به من المتروك، وساق اختلاف العلماء، فكتابه لذلك جليل القدر جم الفائدة، كما أنه قليل التكرار.

شرحه جماعة، منهم: أبو بكر بن العربي، والسيوطي، والسندی، واختصره نجم الدين محمد بن عقیل، ونجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي وغيرهما.

سنن محمد بن يزيد بن ماجه القزويني:

عد بعض الحفاظ: أصول السنة خمسة، يعني: كتب البخاري، ومسلم، والترمذى والنسائي، وأبي داود، وعدّها بعض آخر ستة بضم سنن ابن ماجه إلى الخمسة السابقة، وإنما قدموا سنن ابن ماجه على الموطأ لكثرة زوائده على الخمسة بخلاف الموطأ، قال بعض المحدثين: ينبغي أن يجعل السادس كتاب الدارمي، فإنه قليل الرجال الضعفاء نادر الأحاديث المنكرة والشاذة، وإن كان فيه أحاديث مرسلّة وموقوفة.

وقد جعل بعض العلماء — كرزين السرقسطي — سادس الكتب الموطأ، وتبعه على ذلك المجد بن الأثير في كتاب جامع الأصول وغيره.

قال الحافظ المزني^(١) إن كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف، ولكن قال الحافظ ابن حجر: إنه انفرد بأحاديث كثيرة، وهي صحيحة، فالأولى حمل الضعف على الرجال.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «المزني».

شرحها جماعة، منهم: كمال الدين محمد بن موسى الدميرى ولم يتم، وإبراهيم بن محمد الحلبي، والجلال السيوطي، والسندی.

باقى كتب السنة الصحيحة غير الكتب الستة:

منها: صحيح محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابورى، وصحيحه أعلى مرتبة من صحيح ابن حبان تلميذه لشدة تحريه، ومنها: صحيح أبي حاتم محمد بن حبان البستي، وهو غير مرتب على الأبواب ولا المسانيد، وقد رتبته ابن الملحق، وجرّد أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين، وقد نسبوا لابن حبان التساهل فى التصحيح، ومنها: صحيح أبي عوانة يعقوب بن إسحاق، وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان، وسنن الإمام الحافظ على بن عمر الشهير بالدارقطنى، والمنتقى فى الأحكام لابن الجارود عبد الله بن على، والمنتقى فى الآثار لقاسم بن أصبغ، ومنتقى ابن الجارود شرحه يوسف بن عبد الله المعروف بابن عياد الأندلسي، المتوفى سنة ٥٧٥، وقد جمع بين المنتقى والاستذكار وبين الترمذى وسنن أبي داود الإمام محمد بن زرقون، المتوفى سنة ٥٨٦.

كتب الأطراف:

الأطراف هى ما تذكر طرفاً من الحديث يدل على بقيته وتجمع أسانيد إمام مستوعبة أو مقيدة بكتب مخصوصة.

فمن ذلك:

أطراف الصحيحين للحافظ إبراهيم بن عبيد الدمشقى، ولأبي محمد خلف بن محمد الواسطى، قال الحافظ ابن عساكر: وكتاب خلف أحسنهما ترتيباً ورسماً، وأقلهما خطأ ووهماً، ولأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وللحافظ ابن حجر العسقلاني، وأطراف السنن الأربعة لابن عساكر الدمشقى، واسمه: الأشراف على معرفة الأطراف، وأطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسى، وللحافظ يوسف ابن عبد الرحمن المزنى أطراف الكتب الستة، واختصره الحافظ الذهبي، ولابن حجر إتحاف المهرة بأطراف العشرة: الكتب الستة، والمسانيد الأربعة.

دور التهذيب بعد القرن الرابع:

إن جمع السنن من أفواه الرواة والنظر فى رجال الأسانيد وإنزالهم منازلهم وبيان علل الحديث من صحيحه كاد ينتهى بانتهاء القرن الرابع، كما انطفت إز ذلك جذوة الاجتهاد، وركن الناس إلى التقليد فى الدين، فأكثر الكتب التى تجدها بعد ذلك العصر سلكت مسلك التهذيب، أو جمع الشتيت وبيان الغريب، أو نَحَتْ مَنَحَى الإبداع والترتيب، أو طرقت سبيل الاختصار والتقريب. وجلّ من تكلم فى الأسانيد بعد المائة الرابعة كان عالة على ما دونه أئمة الحديث فى القرون السالفة.

أهم الكتب الجامعة لمتون الحديث فى دور التهذيب:

الجمع بين الصحيحين: قد جمع كثير من الأفاضل بين صحيحى البخارى ومسلم، ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الجوزقى، المتوفى سنة ٣٨٨، وحسين بن مسعود البغوى، المتوفى سنة ٥١٦، وإسماعيل بن أحمد — المعروف بابن الفرات — المتوفى سنة ٤١٤، ومحمد بن أبى نصر الحميدى الأندلسى المتوفى سنة ٤٨٨، وأحمد ابن محمد القرطبى المعروف بابن أبى حجة، المتوفى سنة ٦٤٢.

الجمع بين الكتب الستة: جمع بينها: عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبلى، عُرف بابن الخراط، وقطب الدين محمد بن علاء الدين المكى، وأبو الحسن رزين ابن معاوية السرقسطى فى كتابه: تجريد الصحاح ولكنه لم يحسن فى ترتيبه وتهذيبه، فلما جاء أبو السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزرى، المتوفى سنة ٦٠٦، هذب كتابه ورتب أبوابه، وأضاف إليه ما أسقطه من الأصول، وشرح غريبه وبيّن مشكل الإعراب وخفى المعنى وحذف أسانيد، ولم يذكر إلا راوى الحديث من صحابى أو تابعى، كما ذكر المخرج له من الستة ورتب أبوابه على حروف المعجم وسماه: جامع الأصول لأحاديث الرسول، فجاء كتاباً فذاً فى بابيه لم ينسج أحد على منواله، فقرب إلينا البعيد وسهل علينا العسير، واختصر هذا الجامع كثيرون، منهم: محمد المروزى، المتوفى سنة ٦٨٢، وهبة الله بن عبد الرحيم الحموى، وعبد الرحمن بن على المعروف بابن الدّيع الشيبانى الزبيدى وهو

أحسن المختصرات وقد طُبِع، وإمام الحرمين محمد بن سليمان الفاسي السوسي، المتوفى سنة ١٠٩٤ الجمع بين الكتب الخمسة والموطأ على طريقة ابن الأثير.

الجامع العامة:

جامع المسانيد والألقاب لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، جمع فيه بين الصحيحين، ومسنند أحمد، وجامع الترمذی.

ومنها: جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن للحافظ إسماعيل بن عمر الوشي الدمشقي المعروف بابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤، جمعه من الصحيحين، وسنن النسائي، وأبي داود، والترمذی، وابن ماجه، ومن مسانيد أحمد، والبزار، وأبي يعلى، والمعجم الكبير للطبرانی.

ومنها مجمع الزوائد للحافظ أبي الحسن الهيثمي جمع فيه زوائد مسانيد أحمد، وأبي يعلى، والبزار، ومعاجم الطبرانی الثلاثة.

ومنها: مصابيح السنة للإمام البغوي جمع فيه ٤٤٨٤ حديثاً من الصحاح والحسان، ويعني بالصحاح ما أخرجه الشيخان، وبالحسان ما أخرجه أبو داود والترمذی وغيرهما، وما كان فيه من ضعيف أو غريب بيّنه ولا يذكر ما كان منكراً أو موضوعاً، وقد اعتنى بها العلماء عناية عظيمة فشرحوها شروحاً كثيرة، وكملها محمد بن عبد الله الخطيب وذيل أبوابها بذكر الصحابي الذي روى الحديث والكتاب الذي أخرجه، فجاء كتاباً حافلاً وسماه مشكاة المصابيح، وقد شرح المشكاة كثيرون.

الكتب الجامعة لأحاديث الأحكام منها: بلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر العسقلاني.

وكتب أخرى نفيسة مختارة، منها: كتابان صغير وكبير لأحمد بن حسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨، قيل: لم يصنف في الإسلام مثلهما، قال ابن الصلاح: ما تم كتاب في السنة أجمع للأدلة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي، وكأنه لم يترك في سائر أقطار الأرض حديثاً إلا وقد وضعه في كتابه.

ومنها: بحر الأسانيد للإمام الحافظ الحسن بن أحمد السمرقندى، المتوفى سنة ٤٩١، جمع فيه مائة ألف حديث ورتبه وهذبه، ولم يقع فى الإسلام مثله.
ومنها: الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى، وهو من أحسن الكتب طريقة فى جمع الحديث وبيان درجته، طبع.

قلت: تقدم فى ترجمة شمس الدين محمد بن عمار المصرى أنه شرح عمدة الأحكام وشرح غريبها، وله التقريب فى اختصار الترغيب والترهيب، والغيوث الشجاعة فى منتخب ابن ماجه، والمنن فى شرح السنن، وشرح ألفية العراقى وله غير ذلك، انظره وانظر ما ذكرناه فى ترجمة الخطيب ابن مرزوق.

ترتيب كتب الحديث فى الصحة:

قد بينا — فيما سلف — درجة كل كتاب من كتب السنة الشهيرة فى الصحة، وها نحن ندلى إليك بفصل جم الفائدة عظيم العائدة، ينجلي لك فيه ترتيب كتب السنة من حيث الصحة لتكون على بينة من أمرها، فنقول وبالله التوفيق:

قسّم الجمهور الحديث الصحيح بالنظر إلى تقارب الأوصاف المقتضية للصحة إلى سبعة أقسام، كل قسم منها أعلى مما بعده، فالأول: ما أخرجه البخارى ومسلم وسُمى بالمتفق عليه، والثانى: ما انفرد به البخارى، والثالث: ما انفرد به مسلم، والرابع: ما كان على شرطهما مما لم يخرجهما واحد منهما، والخامس: ما كان على شرط البخارى، والسادس: ما كان على شرط مسلم، والسابع: ما صححه أحد الأئمة المعتمدين.

وترجيح كل قسم من هذه الأقسام السبعة على ما بعده إنما هو من قبيل ترجيح الجملة على الجملة، لا ترجيح كل واحد من أفرادها على كل واحد من أفراد الآخر، فيسوغ أن يرجح حديث فى مسلم على آخر فى البخارى إذا وجد موجب الترجيح.

قلت: انظر الفريدين الخامسة والسادسة من مقدمة الشجرة تستفد منها شرح ما نحن بصدد تحريره.

تاريخ علوم الحديث الأخرى:

إلى هنا كانت العناية موجهة إلى تاريخ الحديث من حيث الكتب الجامعة لألفاظه والشارحة لمتونه، وأن ذلك لغرض من أغراض، وناحية من نواح، فإن خيرة المسلمين وشيوخ المحدثين كما عنوا بذلك عنوا بالتأليف في شرح غريبه وبيان ناسخه من منسوخه، وإظهار حال رجاله، والكشف عن علومه ومصطلحاته من صحيح وعليل ومقبول ومردود ومتواتر ومشهور، إلى غير ذلك من جليل الأغراض ومتنوع الأقسام.

وسنفرد فصلاً لكل نوع من أنواعه الشهيرة نلّم فيه بتوضيحه ونعرج على تاريخه مقربين ذلك بذكر أحسن المؤلفات فيه حتى يتجلى لك تاريخ الحديث من جملة نواحيه.

علم غريب الحديث:

الغريب من الكلام يقال على وجهين: أحدهما: أن يراد به بعيد المعنى غامضه بحيث لا يتناول الفهم إلا عن بُعد ومعاناة الفكر، والوجه الآخر: أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب.

وها نحن أولاء نحكي لك خلاصة ما قاله ابن الأثير في مفتتح نهايته^(١)، فإنه أحسن من وفّى هذا الموضوع قسطه من البيان، ضامين إليه ما عثرنا عليه في بطون الكتب التي تعرضت لهذا الشأن.

كان ﷺ أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طرق الصواب.

وكان يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وتباين لهجاتهم، كلا منهم بما يفهم ويجادته بما يعلم، وكان أصحابه والوفود عليه من العرب يعرفون أكثر ما يقول، وما جهلوه سألوه عنه فيوضحه لهم، واستمر عصره ﷺ إلى حين وفاته على هذا السنن المستقيم، وعليه سلك الصحابة في عصرهم، وكان اللسان العربي

(١) انظر في ذلك: النهاية لابن الأثير ١ / ٤ وما بعدها.

عندهم صحيحًا محروسًا من الدخيل، إلى أن فُتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحبش والتَّبَطُّ^(٢) وغيرهم من أنواع الأمم الذين فُتحت بلادهم للمسلمين ورفرف عليها عَلمُ الموحدين، فاختلفت الفرق وامتزجت الألسنُ، وتداخلت اللغات، ونشأ بينهم الأولاد، فتعلموا من اللسان العربي ما لا بد لهم في الخطاب والمحاورة منه، وتركوا ما عداه لغنيته عنه.

واستمر الأمر على هذا النهج إلى أن انقضى عصر الصحابة القرن الأول، وجاء التابعون لهم بإحسان فسلكوا سبيلهم، وإن كانوا في الإتقان دونهم، ولم ينقض زمانهم سنة ١٥٠ إلا واللسان العربي قد استحال أعجميًا أو كاد، فلا ترى المستقل به والمحافظ عليه إلا الآحاد، فجهل الناس من هذا المَهم ما كان يلزمهم معرفته، وأخروا منه ما كان يجب عليهم تَقْدِمَتُهُ.

فلما أَعْضَلَ الدَّاءُ وَعَزَّ الدَّواءُ، أَلْهِمَ اللَّهُ جماعة من أولى المعارف والتُّهى أن يصرفوا إلى هذا الشأن طرفا من عنايتهم فَشَرَّعُوا للناس موارده، وَقَعَدُوا لهم قواعده.

فقليل: إن أول من جمع في هذا الفن شيئًا أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى البصرى المتوفى سنة ٢١٠ فجمع من ألفاظ غريب الحديث والآثار كُتُبًا صغيرة ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث، وإنما كان ذلك لأمرين: أحدهما: أن كل مبتدع لأمر لم يسبق إليه بأن يكون قليلا ثم يكثر، والثاني: أن^(١) الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة، فلم يكن الجهل قد عَمَّ.

ثم جمع أبو الحسن النَّضْر بن شَمِيل المازنى المتوفى سنة ٢٠٣ كتابا أكبر من كتاب أبي عبيدة بسط فيه القول على صغر حجمه.

ثم جمع عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي المتوفى سنة ٢١٤ وكان في عصر أبي عبيدة كتابا أحسن فيه الصنع وأجاد، وكذلك محمد بن المُسْتَنِير المعروف بِقُطْرُب

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «والقبط» وصوابه لدى ابن الأثير.

(١) تحرف في المطبوع: «إذا» وصوابه لدى ابن الأثير الذى ينقل عنه المصنف.

المتوفى سنة ٢٠٦، وغيره من أئمة اللغة والفقه، جمعوا أحاديث وتكلموا على لغتها ومعناها.

واستمر الحال إلى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٣ فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار، وإنه لكتاب حافل بالحديث والآثار والمعاني اللطيفة والفوائد الجمّة، وبقي كتابه معتمد الناس إلى عصر أبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦، وهو كتاب مثل كتاب أبي عبيد أو أكثر منه.

ثم أكثر الناس من التصانيف في هذا الفن كالمرّد المتوفى سنة ٢٨٥، وثعلب المتوفى سنة ٢٩١، ومحمد بن قاسم الأنباري، وسلمة بن عاصم النحوي وعبد الملك بن حبيب المتوفى سنة ٢٣٨، وغيرهم من أئمة اللغة والنحو والفقه والحديث.

واستمر الحال إلى عهد الإمام محمد بن أحمد الخطّابي البُستيّ، فألف كتابه المشهور في غريب الحديث، سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة، فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث والأثر أمّهات الكتب وعليها عوّل علماء الأمصار.

وأبو عبيد أحمد بن محمد الهروي المتوفى سنة ٤٠١ وهو من طبقة الخطّابي ومعاصريه، ألف كتابه السائر جمع فيه بين غريب القرآن والحديث ورتبه ترتيباً لم يسبق إليه، مرتباً على حروف المعجم، وذاع صيت هذا الكتاب بين الناس واتخذوه عمدة في الغريب، واقتفى أثره كثيرون، واستدرك ما فاته آخرون.

وما زالت الأيام تنقضي عن تصانيف وتبرز تأليف إلى عهد الإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، فألف كتابه الفائق في غريب الحديث، وإنه لكتاب قيم، ولكن في العثور على معرفة الغريب منه مشقة، فكان لذلك كتاب الهروي أقرب منه متناولاً.

وألف أبو بكر محمد بن أبي بكر المديني كتاباً جمع فيه على طريقة الهروي ما فاته من غريب القرآن والحديث.

وكذلك صنف أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى كتابا فى غريب الحديث خاصة.

ولمذهب الدين ابن الحاجب تأليف فى عشر مجلدات.

ثم جاء مجد الدين مبارك المعروف بابن الأثير الذى لخص ما تقدم من مقدمة نهايته فجمع ما فى كتاب الهروى والمدينى من غريب الحديث والأثر، وأضاف إليه ما عثر عليه فى كتب السنة من صحاح وسنن وجوامع ومصنفات ومسانيد سالكا فى الترتيب منهج أصله، فكان من ذلك كتابه النهاية فى غريب الحديث والأثر. وقد اختصر النهاية عيسى بن محمود الصفوى، وكذلك الجلال السيوطى فى كتابه الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير، وقد طبعت النهاية وبالهامش الدر النثير. قلت: ومن الكتب المؤلفة فى غريب الحديث: مشارق الأنوار للإمام القاضى عياض فى تفسير غريب حديث الموطأ والبخارى ومسلم وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيقات، وضبط أسماء الرجال، وهو كتاب لو كتب بالذهب ووزن بالجواهر لكان قليلاً فى حقه.

علم رجال الحديث:

هذا فن جليل القدر عظيم الأثر، الحاجة إليه داعية، والضرورة به قاضية، وليس من عظيم فى الحديث وهو عنه بعيد أو باعه فيه قصير، وكيف لا يكون كذلك وهو نصف علم الحديث، فإنه سند ومتن، والسند عبارة عن الرواة، فمعرفة أحوالهم نصف هذا العلم بلا ريب، والكتب المصنفة فيه كثيرة الأنواع متشعبة الأغراض، فمن مؤلف فى أسماء الصحابة خاصة، أو فى رواية الحديث عامة، ومن خاص بالثقات أو الضعفاء أو الحفاظ أو المدلسين أو الوضاعين، ومن ميين للجرح والتعديل وألفاظهما ومراتب كل منهما، ومن كاشف عن المؤلف والمختلف، أو المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب، ومن قاصر على ذكر الوفيات، أو موضح لرجال كتاب معين أو عدة كتب مخصوصة، وكل كتب فيه العلماء فأحسنوا الكتابة وبلغوا فيها الغاية، كما ترى بعد.

أسماء الصحابة:

الصحابي كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، ولو تخللت ردة في الأصح، وأول من يعرف عنه التصنيف في هذا النوع: الإمام أبو عبد الله البخارى، أفرد أسماء الصحابة في مؤلف، وجمعها مضمومة إلى من بعدهم جماعة من طبقة مشايخه كخليفة بن الخياط المحدث النسابة، ومحمد بن سعد الذى بلغ مؤلفه خمسة عشر مجلداً، ومن قرناؤه كيعقوب بن سفيان، وأبى بكر بن أبى خيثمة.

وصنف في الصحابة خاصة جَمَعَ بعدهم: كالحافظ البغوى، والحافظ عبد الله ابن أبى داود، ثم على بن السكن، ثم عمر بن شاهين، وأبو حاتم الرازى، والطبرانى، ثم أبو عبد الله بن منده المتوفى سنة ٣٩٥^(١) والحافظ أبو نعيم، ثم ابن عبد البر ألف الاستيعاب، فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذيلًا حافلاً، وذيل عليه جماعة في تصانيف لطيفة، وذيل المدينى على ابن منده ذيلًا كبيراً.

وما زال الناس يؤلفون في ذلك إلى أن كانت تباشير القرن السابع فجمع عز الدين بن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠ كتاباً، حافلاً سماه أسد الغابة جمع فيه كثيراً من التصانيف المتقدمة، إلا أنه تبع من قبله فخلط من ليس صحابياً بهم وأغفل كثيراً من الأوهام الواقعة في كتبهم.

ثم جرد الأسماء التى في كتابه مع زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبى في كتابه التحرير، وأعلم لمن ذكر غلطاً ولمن لا تصح صحبته ولم يستوعب ذلك ولا قارب.

ثم جاء الحافظ ابن حجر فألف كتابه الإصابة جمع فيه ما في الاستيعاب وذيله وأسد الغابة، وقد استدرك عليهم كثيراً، وقد اختصره تلميذه الجلال السيوطى في كتاب سماه عين الإصابة.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «سنة ٣٥٥» وصوابه من العبر وفيات سنة ٣٩٥، وكذا طبقات الحافظ للسيوطى ص ٤٢٤ ونص على أنه أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده، وأضاف: «وله معرفة الصحابة» ومثله لدى الكتانى في الرسالة المستطرفة ص ١٢٧.

وقد ألف كل من البخارى ومسلم كتاباً في أسماء الوجدان، أى: الصحابة الذين ليس لهم إلا حديث واحد.

وكذلك ألف يحيى بن عبد الوهاب بن منده الأصبهاني، المتوفى سنة ٥١١، كتاباً فيمن عاش من الصحابة عشرين سنة ومائة.

علم الجرح والتعديل:

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بالألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ، والكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً، ثابت عن رسول الله ﷺ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وجوز ذلك صوتاً للشرعية لا طعنًا في الناس، وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة، والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال، فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك.

وقد تكلم في الرجال خلق لا يتهيأ حصرهم، وقد سرد ابن عدى، المتوفى سنة ٣٦٥، في مقدمة كتابه: الكامل، جماعة إلى زمنه، فمن الصحابة: ابن عباس، وعبد الله بن الصّامت، وأنس.

ومن التابعين الشّعبي، وابن سيرين، وسعيد بن المسيّب، وهم قليل بالنسبة لمن بعدهم، وذلك لقلة الضعف فيمن يروون عنهم، إذ أكثرهم صحابة وهم عدول، وغير الصحابة منهم أكثرهم ثقات، إذ لا يكاد يوجد في القرن الأول من الضعفاء إلا القليل.

وأما القرن الثاني فقد كان في أوائله من أواسط التابعين جماعة من الضعفاء، وضعف أكثرهم نشأ غالباً من قبل تحملهم وضبطهم للحديث، فكانوا يرسلون كثيراً ويرفعون الموقوف، وكانت لهم أغلاط، وذلك مثل أبي هارون العبّدى، ولما كان آخر عصر التابعين، وهو حدود الخمسين ومائة تكلم في التعديل والتجريح طائفة من الأئمة، فضعف الأعمش جماعةً ووثق آخرون، ونظر في الرجال شعبة، وكان مثبّثاً لا يكاد يروى إلا عن ثقة، ومثله مالك، ومن كان في هذا العصر، إذا قال قبل قوله: معمر، وهشام الدستوائي، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وابن الماجشون، وحامد بن سلمة، والليث بن سعد، المتوفى سنة ١٧٥.

وبعد هؤلاء طبقة منهم: ابن المبارك وهُشَيْمُ بن بَشِيرٍ، وأبو إسحاق الفَرَزَارِيُّ، والمعافى بن عَمْران الموصلي، وبِشْرُ بن المُفَضَّل، وابن عُيَيْنَةَ. وقد كان في زمنهم طبقة أخرى، منهم: ابن عُليَّة، وابن وهب، ووكيع بن الجراح.

وقد انتدب في ذلك الزمان لنقد الرجال الحافظان الحجتان: سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي، وكان للناس وثوق بهما فصار من وثقاه مقبولا ومن جرَّاه مجروحًا، ومن اختلفا فيه — وذلك قليل — رجع الناس فيه إلى ما ترجح عندهم.

ثم ظهرت بعدهم طبقة أخرى يرجع إليهم في ذلك، منهم: يزيد بن هارون، وأبو داود الطيالسي، وعبد الرزاق بن همام، وأبو عاصم الضحاك النبيل بن مَخْلَدٍ. ثم صنفت الكتب في الجرح والتعديل والعلل وبينت فيها أحوال الرواة، وكان رؤساء الجرح والتعديل في ذلك الوقت جماعة، منهم: يحيى بن مَعِين، ومن طبقته أحمد بن حنبل، وقد تكلم في هذا الأمر محمد بن سعد كاتب الواقدي في طبقاته، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأبو جعفر عبد الله بن محمد النبيل حافظ الجزيرة الذي قال فيه أبو داود: لم أر أحفظ منه، وعلى بن المديني، وله التصانيف الكثيرة في العلل والرجال، ومحمد بن عبد الله بن نمير الذي قال فيه أحمد: هو درة العراق، وأبو بكر بن أبي شيبة، صاحب المسند، وعبد الله بن عمر القواريري، وإسحاق ابن راهويه، إمام خراسان، وأبو جعفر محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي الحافظ، وأحمد بن صالح حافظ مصر، وهارون بن عبد الله الحَمَّال، وكل هؤلاء من أئمة الجرح والتعديل.

ثم خلفهم طبقة أخرى متصلة بهم، منهم: إسحاق الكَوْسَج، والدارمي، والبخاري، والعجلي الحافظ نزيل المغرب.

ويتلوهم: أبو زُرْعَةَ، وأبو حاتم الرازيان، ومسلم، وأبو داود، السجستاني، وبقى بن مَخْلَدٍ، وأبو زرعة الدمشقي، ثم عبد الرحمن بن يوسف البغدادى، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، ومحمد بن وضاح حافظ قرطبة، وأبو بكر بن أبي

عاصم، وعبد الله بن أحمد، وأبو بكر البزار، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثم أبو بكر الفريابي، والنسائي، وأبو يعلى، وأبو الحسن سفیان، وابن خزيمة، وابن جرير الطبري، والدولابي، وأبو عروبة الحرائي، وأبو الحسن أحمد بن عمير، وأبو جعفر العقيلي.

ثم ابن أبي حاتم، وأحمد بن نصر البغدادي شيخ الدارقطني وآخرون، ثم أبو حاتم ابن حبان البستي، والطبراني، وابن عدى، الجرجاني وكتابه في الرجال إليه المنتهى في الجرح والتعديل.

وقد جاء بعد ابن عدى وطبقته جماعة، منهم: الحسين بن محمد النيسابوري وله مسند معلل في ألف جزء وثلاثمائة وأبو الشيخ ابن حبان، وأبو بكر الإسماعيلي، وأبو أحمد الحاكم، والدارقطني، وبه ختمت معرفة العلل.

ثم من بعدهم جماعة، منهم: ابن منده، وأبو عبد الله الحاكم، وعبد الرحمن بن قُطَيْسٍ، قاضي قرطبة، وله دلائل السنة، وعبد الغني بن سعيد، وأبو بكر بن مَرْدَوِيهِ الأصبهاني.

ثم من بعدهم جماعة، منهم: محمد بن أبي الفوارس البغدادي، وأبو بكر البرقاني، وأبو حاتم العبدري، وخلف بن محمد الواسطي، وأبو مسعود الدمشقي، وأبو فضل الفلكي^(١) له كتاب الطبقات في ألف جزء.

ثم من بعدهم جماعة، منهم: الحسن بن محمد الخلال البغدادي، وأبو يعلى الخليلي.

ثم من بعدهم جماعة، منهم: ابن عبد البر، وابن حزم، والبيهقي، والخطيب. ثم من بعدهم جماعة منهم ابن مأكولا، وأبو الوليد الباجي، وأبو عبد الله الحميدي.

(١) لدى السمعاني في الأنساب ٣٢٩ / ٩: «الفلكي»: بفتح الفاء واللام وفي آخرها الكاف، هذه النسبة إلى الفلك ومعرفة وحسابه، وعُرف بهذه النسبة أبو بكر أحمد بن الحسن الفلكي الحمداني، هكذا ذكره حفيده أبو الفضل الفلكي.

ثم من بعدهم جماعة، منهم: أبو الفضل بن طاهر المقدسى، والمؤتمن بن أحمد، وشهرويه الديلمى.

ثم من بعدهم جماعة منهم: أبو موسى المدينى، وأبو القاسم بن عساكر، وابن بشكّوال.

ثم من بعدهم جماعة، منهم: أبو بكر الحازمى، وعبد الغنى المقدسى، والرُّهاوى، وابن مفضل المقدسى.

ثم من بعدهم جماعة، منهم: أبو الحسن بن القطان، وابن الأنماطى، وابن نُقْطَة.

ثم من بعدهم جماعة، منهم ابن الصَّلَاح، والزَّكَّيُّ المُنْذِرَى، وأبو عبد الله البرزالى، وابن الأبار، وأبو شامة.

ثم من بعدهم جماعة، منهم: ابن دقيق العيد، والشرف الميديمى^(١) وابن تيمية. ثم من بعدهم جماعة منهم: المزّى، وابن سيّد الناس، والدّهى، والشهاب ابن فضل الله، ومغلطاي، والشريف الحُسَيْنِىّ الدمشقى، والزين العراقى.

ثم من بعدهم، جماعة: منهم الولى [ابن] العراقى، والبرهان الحلبى، وابن حجر العسقلانى.

وآخرون من كل عصر، إلا أن المتقدمين كانوا أقرب للاستقامة وأبعد من موجبات الملامة، ولعلك سئمت الإكثار من ذكر الأسماء وإن كان مقتضى الحال وعين ما يتطلبه المقام، لكن لنا فى ذلك غرض جليل ومغزى نبيل، وهو أن نكمّ أفواه أولئك الذين تقولوا على السنة أنه دخل فيها الغريب عنها، إذ قد طال العهد عليها وتناولتها عصور الجهالة وبعثت منها إحن الزمان وطوارئ الحدثان، فنحن نقدم لهم دليلاً بيناً وبرهاناً ساطعاً أن السنة خدمها المسلمون خدمة جليلة لم تعهد لدى أمة من الأمم، ولا فى ملة من الملل، وأن ذلك كان ديدن المسلمين فى كل عصر فلم يغفلوها فترة من الزمن حتى يعث بها أولو الأغراض وينال منها ذوو

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الميدوى» وصوابه لدى السخاوى فى الضوء اللامع ١١ / ٢٣٠.

الإلحاد، بل لا زالت محفوظة من يد العابثين، مخدومة من جهابذة المحدثين فلهم الكلمة على المتقولين والثناء من عامة المسلمين.

كتب الجرح والتعديل:

الكتب المؤلفة فى الجرح والتعديل ذات مسالك مختلفة، فمنها: خاص بالثقات أو الضعفاء أو المدلسين، ومنها جامع لكل أولئك، ثم منها ما لا يتقيد برجال كتاب معين أو كتب مخصوصة، ومنها ما يتقيد بذلك، ونحن ذاكرون من كل نوع كتبه المشهورة، إن شاء الله.

الكتب الجامعة بين الثقات والضعفاء:

منها: طبقات محمد بن سعد الزهرى البصرى، المتوفى سنة ٢٣٠، وهو من أعظم ما صنف، جمع فيه الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وكذلك طبقات خليفة ابن خياط المتوفى سنة ٢٤٠ ومسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١، وتاريخ ابن أبى خيثمة المتوفى سنة ٢٧٩، وهو كثير الفوائد، وتواريخ البخارى وهى ثلاثة: كبير وأوسط وصغير، ولمسلمة بن قاسم ذيل على الكبير، ولابن أبى حاتم المتوفى سنة ٣٢٧ جزء كبير انتقد فيه على البخارى وله الجرح والتعديل مشى فيه خلف البخارى، ولعلى بن المدينى تاريخ عشرة أجزاء، ولابن حبان كتاب فى أوهام أصحاب التواريخ فى عشرة أجزاء أيضًا، ولأبى محمد بن عبد الله بن على بن الجارود كتاب فى الجرح والتعديل، ولمسلم رواة الاعتبار، وللنسائى التمييز، ولأبى يعلى الخليلى الإرشاد، وللعمام بن كثير التكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل جمع فيه بين تهذيب المزى وميزان الذهبى مع زيادات وتحرير فى العبارات، وهو أنفع شىء للمحدث والفقهاء التالى لأثره.

ومنها: تاريخ الذهبى، والتكملة فى أسماء الثقات والضعفاء، لإسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الدمشقى، المتوفى سنة ٧٧٤، وطبقات المحدثين لعمر بن على ابن الملقن، المتوفى سنة ٨٠٤، ذكر فيها المحدثين إلى زمنه، والكمال فى معرفة الرجال له.

كتب الثقات:

منها: كتاب الثقات للعجلي، المتوفى سنة ٢٦١، وكتاب الثقات للخليل بن شاهين، والثقات لأبي حاتم بن حبان البستي، وكتاب الثقات الذين لم تذكر أسماءهم في الكتب الستة لزين الدين قاسم بن قطلوبغا، المتوفى سنة ٨٧٩، وهو في أربع مجلدات، ومن هذا النوع الكتب المبينة لطبقات الحفاظ، وقد ألف فيها جمع، منهم: الذهبي، وابن الدباغ المتوفى سنة ٥٤٦، وابن المفضل، وابن حجر العسقلاني، وللسيوطي ذيل على الذهبي وتقي الدين بن فهد.

كتب الضعفاء:

كتاب الضعفاء للبخاري، والضعفاء والمتروكين للنسائي، ولأبي الفرج بن الجوزي كتاب كبير اختصره الذهبي ثم ذيله، كما ذيله علاء الدين مغلطاي، والضعفاء لمحمد بن عمرو العُقَيْلي كتاب مفيد، وللإمام حسن بن محمد الصَّغَانِي^(١)، ولمحمد بن حبان البستي كتاب كبير، ولأبي أحمد بن عدي كتاب الكامل وهو أكمل الكتب وأجلها، وعليه اعتماد الأئمة، وله ذيل يقال له: الحافل، ولأبي العباس أحمد بن محمد الإشبيلي المعروف بابن الرومية المتوفى سنة ٦٣٧، والضعفاء للدارقطني، وللحاكم، وميزان الاعتدال للذهبي وهو أجمع ما جمع، طبع، وذيل عليه الزين العراقي في مجلدين، وللحافظ ابن حجر لسان الميزان، وله كتابان آخران: تقويم اللسان وتحرير الميزان، ويوجد عدا ذلك كتب كثيرة.

كتب المدلسين:

المدلس: من لا يذكر اسم شيخه بل يروي عن فوقه بلفظ يوهم السماع منه ولا يكون كذباً قطعياً، كقوله عن فلان، وقال فلان، والحديث المدلس بفتح اللام من أقسام المنقطع.

وأول من أفرد المدلسين بالتصنيف الإمام حسين بن علي الكرايسي صاحب الشافعي، ثم صنف فيه النسائي، ثم الدارقطني، ونظم الذهبي في ذلك أرجوزة وتبعه

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الصنعاني» وصوابه من الرسالة المستطرفة.

تلميذه أحمد بن إبراهيم المقدسي فزاد عليه من جامع التحصيل للعلاني شيئا كثيرا مما فاته، ثم ذيل الحافظ زين الدين العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦، في هوامش كتاب العلاني أسماء وقعت له زائدة، ثم ضمها ولده ولي الدين إلى من ذكره، وصنف إبراهيم بن محمد الحلبي كتابه: التبيين في أسماء المدلسين، وللسيوطي رسالة في المدلسين.

المصنفات في رجال كتب مخصوصة:

منها: رجال البخاري لأحمد بن محمد الكلاباذي، ورجاله أيضا لمحمد بن داود الكردي، ورجال مسلم لأحمد بن علي بن منجويه، ورجاله أيضا لأحمد بن علي الأصبهاني.

ومن جمع بين رجالهما محمد بن طاهر المقدسي، جمع بين كتابي ابن منجويه والكلاباذي، وأحسن في ترتيبه على الحروف واستدرك عليهما.

ومن أفرد رجال السنن لأبي داود حسن بن محمد الحبان، وجمع رجال الموطأ السيوطي، ورجال المشكاة لصاحبها محمد بن عبد الله الخطيب، ورجال الأربعة: موطأ مالك ومسنند الشافعي، ومسنند أحمد، ومسنند أبي حنيفة لابن حجر العسقلاني، ورجال السنن الأربع سنن الترمذي، والنسائي، وأبي داود، وابن ماجه لأحمد بن أحمد الكردي.

ومن جمع رجال الكتب الستة أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ في كتابه الكمال في معرفة الرجال وتهذيبه لجمال الدين يوسف ابن عبد الرحمن المزني، المتوفى سنة ٧٤٢، وهو كتاب كبير في ثلاثة عشر مجلداً لم يؤلف مثله، وإكمال التهذيب لعمر بن علي بن الملقن، وزوائد الرجال على تهذيب الكمال للسيوطي.

وللتهذيب مختصرات كثيرة، منها: الكاشف للحافظ الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨، قال فيه: هذا مختصر رجال الكتب الستة: الصحيحين والسنن الأربع، مقتطف من تهذيب الكمال للمزني، ومنها: تهذيب التهذيب لابن حجر، وهو

أكمل من كاشف الذهبى، كما اختصره فى كتابه تقريب التهذيب، وقد جمع الحافظ أبو المحاسن الدمشقى فى كتابه التذكرة [فى] رجال العشرة.

وفيات المحدثين:

قد أفرد الوفيات بالتأليف جمع من العلماء، فقد ابتداءً أبو سليمان محمد بن عبد الله الحافظ فجمع وفيات النقلة من وقت الهجرة إلى سنة ٣٣٨، ثم ذيل على كتابه أبو محمد بن عبد العزيز الكتانى الحافظ، المتوفى سنة ٤٦٦، ثم ذيل على الكتانى هبة الله بن أحمد الأكفانى ذيلًا صغيرًا وصل فيه إلى سنة ٤٨٥، ثم ذيل على الأكفانى على بن مفضل المقدسى إلى سنة ٥٨١، ثم ذيل على ابن المفضل عبد العظيم المنذرى ذيلًا فى ثلاث مجلدات سماه: التكملة لوفيات النقلة، ثم ذيل على المنذرى تلميذه عز الدين أحمد بن محمد إلى سنة ٦٧٤، وذيل على العز أحمد ابن أليك الدمياطى إلى سنة ٧٤٩، وذيل على ابن أليك الحافظ الزين العراقى. والكل مرتب على حسب وفياتهم فى السنين والشهور، لا على ترتيب حروف الهجاء.

ومن الكتب المفردة بوفيات النقلة: تاريخ البرزالى القاسم بن محمد الإشبلى الدمشقى، المتوفى سنة ٧٣٨، وذيله تقى الدين بن رافع من سنة ٧٣٧ إلى سنة ٧٧٤، وذيل الذيل ابن حجر.

ومنها: وفيات الشيوخ لمبارك بن أحمد الأنصارى، ولإبراهيم بن إسماعيل الحبال كتاب الوفيات.

معرفة الأسماء والكنى والألقاب:

من رواة الحديث من يكون مشهورًا باسمه دون كنيته أو لقبه، أو مشهورًا بكنيته أو لقبه دون اسمه، وقد ألف العلماء فى بيان أسماء ذوى الكنى، وبيان كنى المشهورين بالأسماء، وكذلك ألفوا فى بيان ألقاب ذوى الأسماء، كما ألفوا فى نحو ذلك حتى لا يشتبه راو بآخر، ولا يظن لقب شخص أو كنيته اسمًا لثان، فيعدّ الثقة ضعيفًا، أو الصادق كاذبًا، أو يعكس الأمر.

فمن ألف في النوع الأول على بن المدينى، والنسائى، والحاكم، وابن عبد البر، وكثيرون غيرهم، وللحافظ الذهبي كتاب: المقتنى في سرد الكنى، وهو من أجل الكتب المؤلفة في هذا النوع.

ومن كتب في بيان كنى المعروفين بالأسماء أبو حاتم بن حبان البستي. ومن صنف في الألقاب أبو بكر الشيرازى المتوفى سنة ٤٠٧، وأبو الفضل الفلكى في كتابه: منتهى الكمال، وابن الجوزى، وابن حجر العسقلانى.

المؤتلف والمختلف والمتفق والمفترق والمشتبه من الأسماء والأنساب:
من الأسماء والأنساب ما يأتلف في الخط صورته ويختلف في اللفظ صيغته كسلام بتخفيف اللام، وسلام بتشديدها، ويسمى المؤتلف والمختلف. ومنها ما يتفق خطه ولفظه ولكن يفترق شخصه كالخليل بن أحمد، اسم لعدة أشخاص ويسمى المتفق والمفترق.

ومنها ما تتفق فيه الأسماء خطأ ونطقاً وتختلف الآباء أو النسب نطقاً مع ائتلافها خطأ أو بالعكس، كمحمد بن عقيل بكسر القاف، ومحمد بن عقيل، بفتحها، وشريح بن النعمان، وسريج بن النعمان، الأول بالشين المعجمة والحاء المهملة، والثاني بالسين المهملة والجيم، ويسمى هذا النوع بالمشتبه، ومعرفة هذه الأنواع مهمة.

قال على بن المدينى: أشد التصحيف ما يقع في الأسماء، ووجه بعضهم بأنه شيء لا يدخله القياس، ولا قبله شيء يدل عليه ولا بعده ولأنه يخشى أن يظن الشخصان شخصاً واحداً إذا اتفقت الأسماء وفي ذلك ما فيه من الخلط بين الرواة. ولقد ألف المحدثون في كل هذه الأنواع، فصنف في النوع الأول أبو أحمد العسكري لكنه أضافه إلى كتاب التصحيف له، ثم أفرده بالتأليف عبد الغنى بن سعيد المتوفى سنة ٤٠٦ فجمع فيه كتابين في مشتبه الأسماء وكتاباً في مشتبه النسبة، وجمع شيخه الحافظ الدارقطنى كتاباً حافلاً، ثم جمع أحمد بن على الخطيب ذيلاً سماه المؤتلف تكملة المختلف، ثم جمع الجميع أبو النصر على بن هبة الله بن

ماكولا في كتاب حافل سماه الإكمال واستدرك عليهم ما فاتهم في كتاب آخر جمع فيه أوهامهم وبيئها، وكتابه عمدة كل محدث بعده.

وقد استدرك عليه محمد بن عبد الغنى المعروف بابن نقطة ما فاته أو تجدد بعده في مجلد ضخيم، ثم ذيل عليه منصور بن سليم في مجلد لطيف، وأبو محمد بن على الدمشقى، وذيل على ذيلهما علاء الدين بن مغلطاي لكن أكثره في أسماء الشعراء وأنساب العرب، وقد جمع الذهبى في ذلك كتاباً مختصراً جداً اعتمد فيه على الضبط بالقلم فكثرت فيه الغلط والتصحييف المبين لموضوع الكتاب، وقد وضعه الحافظ ابن حجر في كتابه تبصير المشتبه بتحرير المشتبه، وهو مجلد ضبطه بالحروف وزاد عليه شيئاً كثيراً مما أهمله الذهبى أو لم يقف عليه، وألف فيه أيضاً جماعة غير من ذكر.

ومن ألف في النوع الثانى أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب في كتابه المتفق والمفترق، وكذلك ألف الخطيب في النوع الثالث في كتابه تلخيص المتشابه، ثم ذيل عليه هو^(١) أيضاً بما فاتته، وهو كثير الفائدة.

علم ناسخ الحديث ومنسوخه:

إذا سلم الحديث المقبول من المعارضة سُمى مُحكما، وإن عورض بمثله وأمكن الجمع بين المتعارضين بلا تعسف فذلك مختلف الحديث، وإن لم يكن الجمع وثبت تأخر أحدهما فالتأخر يقال له: الناسخ، والمتقدم يطلق عليه المنسوخ. وقد ألف في ناسخ الحديث ومنسوخه جمع كثير، منهم: أحمد بن إسحاق الدينارى، ومحمد بن بحر الإصبهاني، وأحمد بن محمد النحاس، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن عثمان المعروف بالجعد الشيباني، وهبة الله بن سلامة، ومحمد بن موسى

(١) لدى الكتانى في الرسالة المستطرفة ص ١١٩ موضحاً: «تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل عن بوادى التصحيح والوهم للخطيب البغدادي، ثم ذيل عليه بما يتفق من أسماء الرواة وأنسابهم، وسماه تالى التلخيص في أجزاء، وهو كتاب جليل القدر كثير الفائدة، بل قال ابن الصلاح: إنه من أحسن كتبه».

الحازمى فى كتابه الاعتبار، وعمر بن شاهين، وقد اختصر كتابه إبراهيم بن على المعروف بابن عبد الحق فى مجلد.

علم تلقيق الحديث:

هو علم يبحث فيه عن التوفيق بين الأحاديث المتناقضة ظاهراً إما بتخصيص العام تارة أو بتقييد المطلق أخرى، أو بالحمل على تعدد الحادثة إلى غير ذلك من وجوه التأويل، ويطلق عليه مختلف الحديث.

ومن ألف فيه: الإمام الشافعى، وأبو يحيى زكريا بن يحيى الساجى، والطحاوى، ولأبى الفرج بن الجوزى التحقيق فى أحاديث الخلاف، وقد اختصره إبراهيم بن على بن عبد الحق.

علل الحديث:

معرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وأدقها وأشرفها، ولا يقف عليها إلا من رزقه الله فهما ثاقبا، وحفظاً واسعاً، ومعرفة تامة بمراتب الرواة، وملكة قوية بالأسانيد والمتون، ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل من أهل هذا الشأن.

وعلل الحديث عبارة عن أسباب خفية غامضة قاذحة فيه، من وصل منقطع، أو رفع موقوف، أو إدخال حديث فى حديث، أو نحو ذلك، وكل هذا مما يقدر فى صحة الحديث.

ومن كتب فى هذا النوع ابن المدينى، وابن أبى حاتم وكتابه قيم، والخلال، والإمام مسلم، والدارقطنى، والحاكم، وأبو على حسن بن محمد الزجاجى، وابن الجوزى.

علم مصطلح الحديث:

قد كتب أئمة فى بعض فنون الحديث ومصطلحاته، ثم توسع العلماء فى ذلك، وأول من تصدى لذلك: الحاكم، وقد اشتمل كتابه على خمسين نوعاً، وتلاه أبو نعيم الأصبهاني فعمل على كتابه مستخرجاً، ثم جاء أحمد بن على المعروف بالخطيب فصنف فى قوانين الرواية كتاباً سماه الكفاية، وفى آدابها كتاباً سماه الجامع

لآداب الشيخ والسماع، وقل فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتاباً فكان كما قال ابن نقطة: كل من أنصف، علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه، وهو حافظ المشرق، المتوفى سنة ٤٦٣.

وفيها توفى حافظ المغرب ابن عبد البر ثم جاء بعد الخطيب القاضي عياض، وألف كتاب الاماع، ثم ألف الحافظ أبو عمرو وعثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، المتوفى سنة ٦٤٣، كتابه الشهير المطبوع ذكر فيه خمسة وستين نوعاً، وقد اعتنى به العلماء عناية عظيمة بين معارض له أو منتصر أو ناظم أو مختصر، أو شارح له أو مستدرك عليه.

ومن المختصرين له: يحيى النووى فى كتابه الإرشاد، ثم اختصر مختصره فى كتابه التقريب والتيسير، وقد شرح السيوطى التقريب بكتابه تدريب الراوى، وهو من أجل الشروح.

وقد عمل الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى ٨٠٥ ألفية لخص فيها علوم ابن الصلاح وزاد عليها وعمل عليها شرحاً. وقد عمل برهان الدين إبراهيم البقاعى حاشية عليه سماها النكت الوفية بما فى شرح الألفية.

وشرح الألفية كثيرون، منهم: محمد بن عبد الرحمن السخاوى، وقد نظم السيوطى ألفية جمعت كثيراً من الفوائد.

ومن المتون الجامعة الممتعة: نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر، وقد شرحها بكتابه نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر، وتوجيه النظر فى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزائرى، فإنه كتاب تحقيقات لطيفة ومسائل دقيقة ووفى المصطلح من الإبانة حقه، وهو من أهم الكتب التى عوّل فى الرجوع إليها مؤلف مفتاح السنة الذى نحن بصدد تلخيصه.

فهؤلاء الأعلام وأمثالهم من أئمة الإسلام قاموا للسنة بخدمات جليلة أحسن قيام، وزادوا الناس التفاتاً وشغفاً بها، فلهم منا الثناء الجميل، ومن الله الشكر والثواب الجزيل.

تخريج أحاديث مؤلفات مخصوصة:

اعلم أن علماء الحديث سعوا فى توفير الراحة لطلاب العلم فسهلوا لهم عسيره وكشفوا لهم عن غوامضه، وكفوههم العناء ومؤنة البحث والتنقيب، ولما علموا أنك ستتناول كتابا من كتب التفسير الشهيرة، أو من كتب الفقه السائرة أو من نحو ذلك، وأنه سيمر بك أحاديث مختلفة لم يذكر لها سند، ولم تنسب لأصل من أصول السنة، وأنك ستقف عند ذلك تطلب درجة الحديث لتعرف قيمة الاستدلال به وإيصاله إلى الغرض الذى سيق له، وأنهم إن وكلوك إلى نفسك كلفوك شاقا وأوردوك صعبا، وربما لم يكن لك فى فنون الحديث باع، فأمسكوا بالكتاب وجمعوا ما فيه من الأحاديث وعزوها إلى رواتها وبينوا درجاتها، فما عليك سوى نظرة تحظى فيها بالغبية وسأتلوها عليك:

١- تخريج أحاديث الكشاف فى التفسير لجمال الدين محمد عبد الله الحنفى، فى مجلد.

٢- الفتح السماوى بتخريج أحاديث البيضاوى فى التفسير، للشيخ عبد الرؤوف المناوى.

٣- الطرق والوسائل إلى معرفة خلاصة الدلائل شرح مختصر القدورى فى فقه الحنفية لأحمد بن عثمان التركمانى.

٤- تخريج أحاديث الهداية، كتاب شهير فى فقه الحنفية لمحمد بن عبد الله، وكذلك لعبد الله بن يوسف الزيلعى، وقد طبع بالهند.

٥- تخريج أحاديث الشرح الكبير للوجيز فى فقه الشافعية لسراج الدين عمر ابن على الأنصارى فى سبع مجلدات، وقد لخصه ابن حجر العسقلانى فى ثلث حجه مع زيادات عليه.

٦- تخريج أحاديث المنهاج فى فقه الشافعية لسراج الدين عمر بن على، المعروف بابن الملتن.

٧- كتاب المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار لعبد الرحيم بن الحسين العراقى، وقد طبعه الحلى فى مصر بهامش الإحياء فأحسن صنعاً.

٨- إدراك الحقيقة فى تخريج أحاديث الطريقة فى الموعظة لعلى بن حسن بن صدقة المصرى ثم اليماني، فرغ من تأليفه سنة ١٠٥٠.

فصل

اعلم أن الحديث ينقسم إلى مقبول فيسوغ لك الاحتجاج به، أو مردود فترفض الاعتقاد والعمل به.

فالمقبول: ما رواه عدل ضابط لما يرويه بسند متصل، مع خلوه من الشذوذ والإعلال، والشذوذ مخالفة الثقة من هو أرجح منه، والإعلال وجود أمر خفى يقدح فى صحة الحديث كوصل منقطع، أو رفع موقوف، ثم المقبول إن سلم من المعارضة يسمى محكماً، وإن عورض بمثله فإن أمكن الجمع بغير تعسف فهو مختلف الحديث، وإن لم يكن الجمع وثبت تأخير أحدهما عرف المتأخر بالناسخ والآخر بالمنسوخ، وإن لم يثبت فإن أمكن الترجيح بين الحديثين صير إليه وإلا توقفنا عن العمل بهما.

والحديث المردود: ما وجد فيه أحد أمرين: الأول: عدم الاتصال فى السند، والثانى: وجود أمر فى الراوى يوجب طعناً فيه، ودرجات الطعن فى الراوى عشرة: الكذب، والتهمة به، وفحش الغلط، والغفلة عن الإتيان، والوهم، بأن يروى على سبيل التوهم، ومخالفة الثقات، والفسق، وجهالة الراوى، والبدعة، وسوء الحفظ.

وللعلماء تفصيل فى هذه الدرجات، فالحققون يقبلون رواية المبتدع فى غير ما يؤيد بدعته، وقال بعضهم: ما لم يكن داعية.

ولهم فى العمل بالحديث الضعيف الذى لم يشتد ضعفه أقوال وشروط يميزونه بها أو يقدمونه على القياس، كما يعلم من كتب أصول الحديث وأصول الفقه.

انتهى ما أردنا تلخيصه من مفتاح السنة والله الحمد والمنة، وإن أردت شرح ما لخصناه فعليك بمراجعة ألفية العراقي وشروحها وكشف الظنون.

وقد انتهى بنا القول فيما جمعناه بالمقصد واستوفينا الشرط الذي شرطناه بتحرير ما أودعنا فيه من تراجم شيوخنا المتقدمين والمتأخرين بأسانيدهم المعنونة على حسب أعصارهم وطبقاتهم، كل طبقة مرتبطة بالطبقة التي قبلها ارتباط القمرين النيرين، إلى إمامنا الأعظم مالك بن أنس، ثم إلى عين الرحمة وينبوع كل فضيلة وحكمة سيدنا محمد ﷺ وشرف وكرّم.

وختمناه بخاتمة قيمة في تاريخ تدوين الحديث وأدواره وفنونه، كما انتهى ما أردنا اقتطافه من الطبقات وفقه ما أشرنا إليه في الخطبة، حيث قلنا: ثم لخصنا المقصد في مثال شجرة عبارات وجيزة محررة فروعه بالدرر يانعة، وغرناها طيبة نافعة، وأنوارها ساطعة لامعة.

وبالبعث على تلخيصه على نحو ما ذكرناه، والغرض الذي انتجناه، هو التوصل للأسانيد بسهولة عند المطالعة، وتيقن المطالع ارتباطها عند المراجعة، فهي غريبة الموضوع في بابها، فائقة في الحسن والإحسان على أترابها، جاذبة للقلوب عند خطابها، دانية الجني لطابها، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

. واقتطفنا منها ما أثبتناه في خلاصة الأسانيد من خلاصة المقصد والتمهيد.

وقد أفردنا في المقدمة فريدة بخصوص الكلام على فضيلة الأسانيد نقلاً عن كثير من الأئمة، وأنه من خصائص هذه الأمة ومن فوائدها الكثيرة وعوائدها الغزيرة أنها موصلة بسهولة إلى معرفة طبقات علماء الأمصار والأقطار، وما طرأ على العلم والعلماء والأمراء من الأطوار والأدوار، وما نالهم من الضعف والانقطاع والانتشار، إن في ذلك لعبرة وموعظة وحكمة لأولى الأنظار والأبصار.

والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً على ما هدانا إليه من تربيته وجمعه

وتهذيبه وألهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما أودعناه وفهم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

مَهَيِّدٌ

ذكرنا فما تقدم ما أمكن ذكره من التراجم والمناقب لبعض الصحابة والتابعين، والأئمة المهتدين، والعلماء المشهورين، وهم نحو الثمانية عشر مائة، من أعز فريق وأفضل فئة، في طبقات على الترتيب الذى قصدناه، والأسلوب الذى أصّلناه، غير أن ما ذكرناه، بالنسبة إلى ما تركناه، قليل وما لا يذكر كله لا يترك كله، وعين الرحمة، وينبوع كل فضيلة وحكمة، هو واسطة عقدهم، ومركز دائرة مجدهم ﷺ وكرم وعظم، وفي سلك تلك الطبقات الكثير من الصحابة والتابعين، والقراء والمحدثين، والأئمة المجتهدين، والعلماء المقلدين، والصوفية والمتكلمين، والشعراء واللغويين والنحويين، والقضاة والأمراء والسلاطين، والملوك العادلين، وهؤلاء السادات، قاموا بالواجبات، التى هى غاية الغايات، هم المسلمون في دينهم وديارهم، وبها تحصل السعادة في آخرهم.

فمنهم من ساس الأمة وقادها، وبين ما لها وما عليها وأفادها، وجاب البلاد، وهذب العباد، وأزال البغى والفساد، واستوسع في الفتوحات، حتى دخل الناس في هذا الدين الحنيف أفواجاً أفواجاً من سائر الجهات.

ومنهم من حث على الجد والكد والاستمرار على الأعمال، بما يعود بالفائدة في الحال والمآل، وقد امتن الله سبحانه على عبده في غير آية فقال ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ وقال ﷺ: «اعمل عمل امرئ يظن أن لا يموت أبداً، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً» رواه البيهقي عن ابن عمر.

ومنهم من ألّف في الفن الذى جنح إليه، وعول في التحصيل عليه، ففسر وقرر ووضح، وبَيَّن ورجح، ورتب وهذب ونقح، وعدل وجرح، واستعمل ما لديه من الوسائل، وأيد ذلك بالبراهين والدلائل، والمنقول والمعقول، وكل مفيد

يمكن به الوصول، فأحاط بما ألف خبيراً، ودَوَّن علم الشريعة نظماً ونثراً، بأفصح عبارة، وألطف إشارة، وفصيح اللسان منهم والقلم، قام على المناير في المحافل خطيباً في الأمر الذي يهم، فخطب الخطب البارة المذكورة، الجامعة النافعة المؤثرة، بأبلغ لسان، وأبين بيان، ونسج الشعراء في قصائدهم الطنانة على هذا المنوال، وأتوا بما يعتمد عليه في الأقوال والأفعال، وبما تحمد عقباه في الحال والمآل. فهؤلاء الأعلام، هداة الإسلام مهّدوا للأمة طرق إرشادها، وما يفيد في أمر معاشها ومعادها، بما ذكر وبضرب الأمثال والنصح بجوامع الكلم، والمواعظ الرقائق والحكم، قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كل ذلك باللغة العربية الفصيحة التي جاء بها الكتاب المبين، قال جل جلاله وعز كماله ﴿كَتَبْتُ فُصِّلْتُ عَايَنْتُمْ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وحثوا على التعليم والتعلم ليقع التفقه في الدين ويحصل التقدم.

فالعلم وسيلة النفوس الشريفة إلى المطالب المنيفة، والسبيل في الآخرة إلى السعادة وفي الدنيا إلى النحلة عادة، قال عز من قائل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا الْأَلْبَابِ﴾ وعن كميل بن زياد أن علياً عليه السلام قال: يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير، الناس ثلاث: فعالم رباني ومتعلم في سبيل نجاة، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا منه إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، العلم دين يدان به يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجميل الأحدث بعد وفاته، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أشخاصهم مفقودة وأمثالهم^(١) في القلوب موجودة. اهـ. من سراج الملوك^(٢).

وفي هذا المعنى أنشد أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي:

(١) في المطبوع: «وأشباحهم» والمثبت من سراج الملوك الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) سراج الملوك ص ٥٦.

أخو العلم حتى خالده بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يظن من الأحياء وهو علم وقال أيضاً كرم الله وجهه في بعض خطبه: اعلّموا أن الناس أبناء ما يحسنون وقدّر كل امرئ ما يحسن، وهو كلام لم يسبق به أحد فيه حتّى على طلب العلم، ونظم ذلك بعضهم:

تلوم على أن رحت للعلم طالباً وأجمع من علم الرواة فنونه
فيا لائمي دعني أغالي بمهجتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه
وفي كتاب الاعتصام أن الله سبحانه شرف أهل العلم ورفع أقدارهم وعظم
مقدارهم ودل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، بل قد اتفق الفضلاء على
فضيلة العلم وأهله وأنهم المستحقون شرف المنازل، وهو مما لا ينزع فيه عاقل.
واتفق أهل الشرائع على أن علوم الشريعة أفضل العلوم وأعظمها أجراً عند
الله يوم القيامة ولا علينا أسأحننا بعض الفرق في تعيين العلوم أعنى العلوم التي
الشارع على مزيته وفضلتها أو لم يسأحننا بعد الاتفاق من الجميع على الأفضلية
وإثبات المزية، وأيضاً فإن علوم الشريعة منها ما يجري مجرى الوسائل بالنسبة إلى
السعادة الأخروية، ومنها ما يجري مجرى المقاصد، والذي يجري مجرى المقاصد
أعلى مما ليس كذلك بلا نزاع بين الفقهاء أيضاً كعلم العربية بالنسبة إلى علم
الفقه، فإنه كالوسيلة فعلم الفقه أعلى.

وإذا ثبت هذا فأهل العلم أشرف الناس وأعظم منزلة بلا إشكال ولا نزاع.
وإنما وقع الثناء في الشريعة على أهل العلم من حيث اتصافهم بالعلم لا من
جهة أخرى، ودل على ذلك وقوع الثناء عليهم مقيداً بالاتصاف به فهو إذا العلة
في الثناء، ولولا ذلك الاتصاف لم يكن لهم مزية على غيرهم، ومن ذلك صار
العلماء حكاماً على الخلائق أجمعين قضاء وفتياً وإرشاداً لأنهم اتصفوا بالعلم
الشرعي الذي هو حاكم بالإطلاق.

ثم قال بعد تفصيل وكلام طويل: فعلى كل تقدير لا يتبع أحد من العلماء إلا
من هو متوجه نحو الشريعة قائم بحجتها حاكم بأحكامها جملة وتفصيلاً، وأن من

وجد متوجهاً غير تلك الوجهة في جزئية من الجزئيات أو فرع من الفروع لم يكن حاكماً ولا استقام أن يكون مقتدى به فيما حاد به عن صوب الشريعة البتة. اهـ.

وقال الإمام الغزالي: إن أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات وما أشبه ذلك إنما هي قانون السياسة وضبط الجمهور الذين يتنازعون بحكم شهواتهم، فالفقيه معلم السلطان ومرشده إلى قانون سياسة الخلق، وهذا في الحقيقة حراسة للعالم والدنيا بما يتم الدين، فالفقيه الذي عند الأمة الإسلامية إنما هو القانون والقانون يحفظ البلاد والعباد ويحفظ هؤلاء يتم الدين.

وقال الحسن البصري رحمته الله: العلماء سراج الأزمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره، ولولا العلماء لكان الناس في عمى كالبهائم، ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضاً.

ولله در عبد الله بن المبارك حيث قال:

لولا الخلافة ما قامت لنا سبل
وكان أضعفنا ثمناً لأقوانا
وكما أن الله سبحانه شرف العلم وأهله شرف الحكام العادلين، في الصحيح: «سبعة يظلهم الله بعرشه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل» والوعيد الذي جاء في حقهم إنما هو في حق غير العادل.

في الجامع الصغير^(١) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه إمام جائر».

رواه الترمذي والإمام أحمد في مسنده.

وقال سفيان الثوري: صنفان إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة: الملوك والعلماء، والملك العادل هو الذي يقضى بكتاب الله عز وجل ويشفق على الرعية شفقة الرجل على أهله.

في الجامع الصغير عن معقل بن يسار «أبما وال ولي شيئاً من أمر أمي فلم ينصح لهم ويجهد [لهم] كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار»^(١).

رواه الطبراني في الكبير.

وفي سراج الملوك^(٢): العدل النبوي بأن يجمع السلطان إلى نفسه حملة العلم الذين هم حفاظه ورعاه وفقهاؤه وهم أولياء^(٣) الله تعالى والقائمون بأمر الله والحافظون لحدوده والناصحون لعباده.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة — ثلاثاً — قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٤).

وأن يتخذ العلماء شعاراً والصالحين دناراً وأخلق بملك يدور بين هاتين الخصلتين أن تقوم عمده ويطول أمده، ثم قال: ويجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضعهم عن سواهم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وفيه استمالة لقلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته، فواجب على السلطان أن لا يقطع أمراً دونهم ولا يفصل حكماً إلا بمشاورتهم لأنه في ملك الله يحكم، وفي شريعته يتصرف، وأقل الواجب على السلطان أن يتزل نفسه مع الله متزلة ولاته [معه أليس إذا خالف واليه أمره وما رسمه له من الأحكام عزله وعاقبه] ولم يأمن سطوته، وإذا امتثل أوامره وازدجر من زواجه حل منه محل الرضا، فهذا طريق إقامة العدل الشرعي والسياسة الإسلامية الجامعة لوجوه المصلحة الآخذة لأزمة التدبير السالمة من العيوب الممهدة لاستقامة الدنيا والدين، فكما أن الملك الحازم لا يتم له حزمه إلا بمشاورة الوزراء الأخيار، كذلك لا يتم له عدله إلا باستمالة العلماء الأبرار. اهـ^(٥).

(١) الجامع الصغير ٢١ / ١، وما بين حاصرتين منه.

(٢) سراج الملوك ص ٤٥.

(٣) في سراج الملوك: «وهم الأدلاء على الله تعالى».

(٤) نقله في سراج الملوك ص ٤٥.

(٥) سراج الملوك ص ٤٦، وما بين حاصرتين منه.

وفيه قال الله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ هاته الآية في السلاطين على ما اقتضته من السياسة العامة التي فيها إبقاء الممالك وثبوت الدول ثم سمي المنصورين وأوضح شرائع النصر فقال ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فضمن الله تعالى النصر للملوك وشرط عليهم كما ترى، فمن تضععت قواعدهم وانتقض عليهم من أطراف ممالكهم أو ظهر عليهم عدو أو باغى فتنة أو حاسد نعمة أو اضطربت عليهم الأمور فليلجئوا إلى الله تعالى بإصلاح ما بينه وبينهم بإقامة ميزان القسط الذي شرعه الله لعباده وركوب سبيل العدل والحق الذي قامت به السموات والأرض وإظهار شرائع الدين ونصرة المظلوم والأخذ على الظالم، وكف يد القوى عن الضعيف، روى أن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» وفيه: وينبغي للسلطان أن يولى الأفضل فالأفضل، وإن كان على خلاف ذلك كان سيئ النظم، وينبغي أن يكون الأقرب إليه أهل العلم والعقل والأدب والرأى والأصالة والشرف والكمال من كل قبيلة وإن كان على خلاف ذلك كان نقصاً. انتهى.

واعلم أنه اقتضت حكمة هذا الدين أن يكون الخليفة رئيسه السياسى والدينى، وهى فى هاته الأمة دينية نافعة فى الدنيا والآخرة وتصرفه الدينى مختص بخطط ومراتب لا تعرف إلا للخلفاء الإسلاميين، منها الصلاة والقضاء والجهاد والحسبة وهى بهذه المثابة لم تتجاوز عهد الخلفاء الراشدين وصارت بعد ذلك ملكاً دُنياوياً بحتاً، إذ ترك الخلفاء أهم أصل من أصول الدين وهى الصلاة بالناس التى استخلف بها رسول الله ﷺ أبا بكر فكان الخليفة على الأمة فى الدين كما صار أميراً عليها فى أمور سياستها فى الدنيا.

وعقد ولى الدين ابن خلدون فصلاً فى معنى الخلافة والإمامة قال فيه: إذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة فى الدنيا وفى الآخرة، وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط، فإنها كلها عبث وباطل إذ غايتها الموت والفناء، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا

خَلَقْتُمْ عَبَّاءَ» فالقصد منهم إنما هو دينهم المفضى بهم إلى السعادة في آخرتهم
 «صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» فجاءت الشرائع
 بحملهم على^(١) ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو
 طبيعي في الاجتماع الإنساني، فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطاً بنظر
 الشارع^(٢).

وقال في فصل الخطط الدينية: تبين أن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع
 في حفظ الدين وسياسة الدنيا، فصاحب الشرع يتصرف في الأمرين: أما في الدين
 فمبقتضى التكليف الشرعية الذي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها، وأما في
 سياسة الدنيا فمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشرى وهو ضرورى للبشر
 وأن رعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد إن أهملت^(٣). اهـ.

إذا علمت ذلك وظهر لك هنالك، علمت علم اليقين أن بين القضاة والعلماء
 والملوك والأمراء وأهل الرئاسة وأرباب السياسة الارتباط الشرعى الذى هو في
 سياسة الملك مرعى، وقد ذكرنا في المقصد بعض أعيان الفريق الأول.

وبقى علينا ذكر البعض من الفريق الثانى الذى عليهم في إدارة الملك المعول في
 تمتة أذكر فيها أئمة أعيان المرجوعا إليهم في كل مهمة حيث كانوا رجال
 علم وأدب وهم سامية، كأسد بن الفرات، وسحنون، وسعدون، والخولان
 وأضرأهم من عظماء الرجال الذين تركوا ثناء عاطراً وذكرًا خالداً، وهم في
 الحقيقة كالوزراء لمعاصريهم من الملوك والأمراء، منتخبون من طبقات المقصد على
 مقتضى ترتيبها بالطف إشارة وأفصح عبارة تمهيداً لذكر معاصرى كل طبقة منها
 من الملوك والأمراء في قطر إفريقية وذكرهم كذلك خلاصة نقية وتمهيداً لتنبيهات
 مهمة جدية بالاعتبار عند ذوى الأنظار، يعلم منها سيرة السلف وما آل إليه أمر
 الخلف من زمن البعثة إلى هذا الوقت، فبعضهم ارتكب ما يؤدى إلى الخسران

(١) في المطبوع: «فجاءت الشرائع تحملهم ذلك» والمثبت لدى ابن خلدون الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢ / ٥٦٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون ٢ / ٦٠٢.

والخذلان والمقت، وبعضهم مستور الحال، وبعضهم جمع الفضائل ونسجها على أحسن منوال، وهذا في الحقيقة من الطراز الأول وعليه في أمور الدين والدنيا المعول.

وتعلم ما حصل لتلك الأجيال في القرون الخالية من الحوادث والأحوال كبسط النعم وسلبها، وما حصل في ذلك من الأطوار والأدوار وكيفية انتشار مذهب مالك بإفريقية وغيرها من الأقطار والأمصار، وانتشار العلوم واتساعها وانحطاطها في بعض الجهات وانقطاعها.

ومن المعلوم أن العلوم والمعارف لا تنمو وتتسع والتقلب في النعم لا يسمو ويرتفع، إلا بعد الأمن والاطمئنان، ومد رواق الراحة والعافية وما يؤدي إلى العمران، وجمع الكلمة وبسط العدل، وارتكاب الفضائل واجتناب الرذائل، وعدم الغفلة عن الله وما هو عنا بغافل.

فائدة

في خاتمة بداية المجتهد الإشارة إلى تقسيم الفضائل ونصه ببعض اختصار: الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين: قسم يقضى به الحكام وجل ما ذكرناه في هذا الكتاب داخل في هذا القسم، وقسم لا يقضى به الحكام وهذا أكثره داخل في المندوب إليه، مثل رد السلام، وتشميت العاطس وغير ذلك، وقد رأينا أن نذكر من هذا الجنس المشهور منه إن شاء الله.

وينبغي قبل هذا أن تعلم أن السنن المشروعة العملية المقصود منها هو الفضائل النفسانية، فمنها ما يرجع إلى تعظيم من يجب تعظيمه، وشكر من يجب شكره، وفي هذا الجنس تدخل العبادات وهذه هي السنن الكرامية، ومنها ما يرجع إلى الفضيلة التي تسمى عفة، وهذه صنفان: السنن الواردة في المطعم والمشرب، والسنن الواردة في المناكح.

ومنها ما يرجع إلى طلب العدل والكف عن الجور، فهذه هي أجناس السنن التي تقتضى العدل في الأموال والأبدان، وفي هذا الجنس يدخل القصاص والحروب والعقوبات، لأن هذه كلها إنما يطلب بها العدل.

ومنها السنن الواردة في الأعراض.

ومنها السنن الواردة في جميع الأموال وتقويمها وهي التي يقصد بها طلب الفضيلة التي تسمى السخاء، وتجنب الرذيلة التي تسمى البخل، والزكاة تدخل في هذا الباب من وجه، وتدخل أيضاً في باب الاشتراك في الأموال، وكذلك الأمر في الصدقات.

ومنها سنن واردة في الاجتماع الذي هو شرط في حياة الإنسان وحفظ فضائل العملية والعلمية، وهي المعبر عنها بالرياسة، ولذا ألزم أيضاً أن يكون سنن الأئمة والقوام بالدين.

ومن السنن المهمة حين الاجتماع السنن الواردة في المحبة والبغضة، والتعاون على إقامة هذه السنن وهو الذي يسمى النهي عن المنكر والأمر بالمعروف وهي المحبة والبغضة أي الدينية التي هي إما من قبل الإخلال بهذه السنن، وإما من قبل سوء المعتقد في الشريعة، وأكثر ما يذكر الفقهاء في الجوامع من كتبهم ما شذ عن هذه الأجناس الأربعة التي هي فضيلة العفة وفضيلة العدل وفضيلة الشجاعة وفضيلة السخاء، والعبادة التي هي كالشروط في تثبيت هذه الفضائل. اهـ.

الطبقة الأولى

منحصرة فيمن أنزل عليه القرآن وجاء بالشرعية المطهرة ﷺ وكرّم وعظّم

اعلم أنه ﷺ أرسل رحمةً للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً على رأس الأربعين سنة وأول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وأول ما نزل عليه من القرآن ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ كما في الصحيح، قال الألوسي: وعليه أكثر الأئمة، ثم فتر الوحي ثلاث سنين ثم نزل عليه القرآن وحى وتتابع منجماً بحسب الوقائع في ظرف عشرين سنة سمعه منه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وعملوا به وبلغوه لقوله ﷺ: «فليبلغ الشاهد الغائب» وكذلك أخذوا عنه السنن التي سنّها ولم ينتقل ﷺ حتى ترك الدين تام الأصول.

روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «تركتم فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يترفقا حتى يردا على الخوض». وروى أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، ولفظه: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين من بعدى عَضُوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

وفي جامع المعيار عن الإمام المازري: «القرآن قاعدة الإسلام وقطب الأحكام ومفزع أهل الملة ووزرهم وآية رسولهم ودليل صدق دينهم». اهـ. والقرآن فيه تبيان كل شيء، جامع لكل فضيلة وناه عن كل رذيلة، يدعو إلى الإخاء والاتحاد، والاجتماع والعدل والإحسان، واجتناب البغى والفساد، طأطأت الرؤوس لسلطانه، وانصاع أبلى العرب لبلاغته وبيانه، ونهض به الإسلام نهضة لم تعهد، واستعذبت النفوس والقلوب، وحصل به غاية المطلوب.

في أوائل تبصرة ابن فرحون أن الله تعالى أكمل لنبيه ﷺ دينه القويم وهدى به من يشاء إلى الصراط المستقيم، وأسس شرعه المطهر على أحسن الطرائق وأحكم القواعد، وشيده بالتقوى والعدل وجلب المصالح ودرء المفاصد، وأيده بالأدلة الموضحة للحق وأسبابه المرشدة إلى إيصال الحق لأربابه، وحماه بالسياسة الجارية على سنن الحق وصوابه، ولذا قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ فالمراد بالكلمات القرآن العظيم، تمت دلائله وحججه وأوامره ونواهيه وأحكامه وبياناته وإنذاره قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

وفيها في طالعة القسم الثالث: السياسة نوعان: سياسة ظالمة الشرع يجرمها، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيراً من المظالم وترد أهل الفساد ويتوصل بها إلى المقاصد الشرعية، فالشرعية يجب المصير إليها والاعتماد في إظهار

الحق عليها وهى باب واسع تضل فيه الأفهام وتزل فيه الأقدام، وإهماله يضيع الحقوق ويطل الحدود ويجرى أهل الفساد، ويعين أهل العناد، والتوسع فيه يفتح باب المظالم الشنيعة ويوجب سفك الدماء وأخذ الأموال بغير الشريعة، ولذا سلكت فيه طائفة مسلك التفريط المذموم فقطعوا النظر عن هذا الباب إلا فيما قلَّ ظناً منهم أن تعاطى ذلك مناف لقواعد الشريعة فسدوا من طرق الحق سبيلاً واضحة، وعدلوا إلى طريق العناد الفاضحة، لأن فى إنكار السياسة الشرعية ردّاً للنصوص الشرعية وتغليظاً للخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم.

وطائفة سلكت فى هذا الباب مسلك الإفراط فتعدوا حدود الله تعالى وخرجوا عن حدود الشرع إلى أنواع الظلم والبدع والسياسة، وتوهموا أن السياسة الشرعية قاصرة عن سياسة الخلق ومصلحة الأمة وهو جهل وغلط فاحش، قال عز من قائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فدخل فى هذا جميع مصالح العباد الدينية والدنيوية، وقال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي».

وطائفة توسطت وسلكت مسلك الحق وجمعوا بين السياسة والشرع فغمصوا الباطل ودحضوه ونصفوا الشرع ونصروه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. انتهى.

وفى الاعتصام أن الله تعالى أنزل الشريعة على رسوله ﷺ فيها تبيان كل شىء يحتاج إليه الخلق فى تكاليفهم التى أمروا بها وتعبداتهم التى طوقوها فى أعناقهم، ولم يمت ﷺ حتى كمل الدين بشهادة الله تعالى حيث قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ والمراد بالكمال بحسب ما يحتاج إليه من القواعد الكلية التى يجرى عليها ما لا نهاية له من النوازل والجزئيات. انتهى.

وفى أوائل بداية المجتهد: أن الطرق التى تلقيت منها الأحكام عن النبى ﷺ بالجنس ثلاثة: إما لفظ وإما فعل وإما إقرار، وأما ما سكت عنه الشارع من الأحكام فقال الجمهور: إن طريق الوقوف عليه هو القياس، وقال أهل الظاهر:

القياس في الشرع باطل وما سكت عنه الشارع فلا حكم له، ودليل العقل يشهد بقبوله وذلك أن الوقائع بين أشخاص الأناسى غير متناهية والنصوص والأفعال والإقرارات متناهية، ومحال أن يقابل ما لا يتناهى بما يتناهى. اهـ.

وزبدة القول أن القانون الإسلامى هو القرآن العظيم وسنة نبيه الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ وقال: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

ثم استنباط المجتهدين من الكتاب والسنة، وقد اعتنى المجتهدون بحفظ مقاصد الشريعة في الخلق لأنها جاءت لإخراج المكلف عن داعية هواه في جميع الأحوال من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذى هو ضرورى للاجتماع الإنسانى، فأجرته على قانون مستقيم ومنهاج من الدين قويم في شروط صاحبه، وما يجب عليه من العدل والدين والأمانة واتباع المصلحة وغير ذلك مما هو مقرر في كتب الدين، ومن له مساس بالفقه لا يخفى عليه أن أحكام الشرع تدور مع المصالح والمفاسد وتختلف باختلاف الأحوال والأزمان، قال عمر بن عبد العزيز رحمته الله: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور.

في روح المعانى عند قوله عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أى يعادونهما ويشاققوهما.

قال ناصر الدين البضاوى: ويضعون أو يختارون حدودًا غير حدود الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقال شيخ الإسلام سعد الله جلى: وعلى هذا ففيه وعيد عظيم للملوك وأمراء السوء الذين وضعوا أمورًا خلاف ما حده الشرع وسموها القانون.

قال شهاب الدين الخفاجى بعد نقله ما ذكر: وقد صنف العارف بالله الشيخ بهاء الدين رسالة في كفر من يقول يعمل بالقانون والشرع إذا قابل بينهما وقد قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقد وصل الدين إلى رتبة من الكمال لا يقبل التكميل وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ولكن أين من يعقل. انتهى. وليتنى رأيت هاته الرسالة ووقفت على ما فيها فإن إطلاق القول بالكفر مشكل

عندى فتأمل، ثم إنه لا شبهة في أنه لا بأس بالقوانين السياسية إذا وقعت باتفاق ذوى الآراء من أهل الحل والعقد على وجه يحسن بها الانتظام ويصلح أمر الخاص والعام، ومنها: تعيين مراتب التأديب والزجر على معاص وجنایات لم ينص الشارع فيها على حد معين بل فوض الأمر في ذلك لرأى الإمام فليس ذلك من المحادة لله تعالى ورسوله ﷺ في شيء بل فيه استيفاء حق الله تعالى على أتم وجه لما فيه من الزجر عن المعاصى وهو أمر مهم للشارع ﷺ.

ويرشد إليه ما في تحفة المحتاج: للإمام أن يستوفى التعزير إذا عفا صاحب الحق لأن الساقط بالعفو هو حق الأدمى، والذي يستوفيه الإمام هو حق الله تعالى للمصلحة.

وفي كتاب الخراج لأبى يوسف: إشارة إلى ذلك أيضاً ولا يعكر على ذلك ونحوه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ لأن المراد كماله من حيث تضمنه ما يدل على حكمة الله تعالى خصوصاً أو عموماً ويرشد لهذا عدم النكير على أحد من المجتهدين إذا قال بشيء لم يكن منصوباً عليه بخصوصه، ومن ذلك ما ثبت بالقياس بأقسامه نعم القانون الذى يكون وراء ذلك فإن كان مصادماً لما نطقت به الشريعة الغراء زائغاً عن سنن الحجّة البيضاء فيه ما فيه كما لا يخفى على العارف النبیه والآية نزلت في كفار قريش. اهـ.

صلة بها

أن القرآن هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة مع الإبانة عن فضل المعنى

الذى به باين سائر الكلام:

اعلم أن في آى القرآن العبرة لمن اعتبر، والذكرى لمن اذكر، والبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، في تفسير الإمام المفسر المجتهد أبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى عند تفسير الفاتحة ما نصه:

مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد الطاعنون في القرآن إن سألنا منهم سائل فقال: إنك قد قدمت في أول كتابك هذا في وصف البيان بأن أعلاه درجة

وأشرفه مرتبة أبلغه في الإبانة عن حاجة المبين به عن نفسه وأبينه عن مراد قائله وأقر به من فهم سامعه، وقلت مع ذلك: إن أولى البيان بأن يكون كذلك كلام الله جل ثناؤه بفضلله على سائر الكلام وبارتفاع درجته على أعلى درجات البيان، فما الوجه إذ كان الأمر على ما وصفت في إطالة الكلام بمثل سورة أم القرآن بسبع آيات وقد حوت معاني جميعها منها آيتان وذلك قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إذ كان لا شك أن من عرف ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فقد عرفه بأسمائه الحسنی وصفاته المثلى، وإن من كان لله مطيعاً فلا شك أنه لسبيل من أنعم الله عليه في دينه متبع، وعن سبيل من غضب عليه وضل معتدل، فما في زيادة الآيات الخمس الباقية من الحكمة التي لم تحوها الآيتان اللتان ذكرنا.

قيل له: إن الله تعالى جمع لنبينا محمد ﷺ ولأمته بما أنزل إليه من كتابه معاني لم يجمعهن بكتاب أنزله إلى نبي قبله ولا لأمة من الأمم قبلهم وذلك أن كل كتاب أنزله جل ذكره على نبي من أنبيائه قبله فإنما أنزله ببعض المعاني التي يحوى جميعها كتابه الذي أنزله إلى نبينا محمد ﷺ كالتوراة التي هي مواعظ وتفصيل، والزبور الذي هو تحميد وتمجيد، والإنجيل الذي هو مواعظ وتذكير، لا معجزة في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق.

والكتاب الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ يحوى معاني ذلك كله ويزيد عليه كثيراً من المعاني التي سائر الكتب غيره منها خال، وقد قدمنا ذكرها فيما مضى من هذا الكتاب، ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب، ورصفه الغريب، وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء، وكلت عن وصف شكل بعضه البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء، وتبلدت قصوراً عن أن تأتي بمثله لديه أفهام الفهماء، فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار، مع ما يحوى مع ذلك من المعاني التي هي ترغيب وترهيب، وأمر وزجر، وقصص وجدل ومثل، وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء، فمهما يكن فيه من

إطالة على نحو ما في أم القرآن، فلما وصفت قبل من أن الله جل ذكره أراد أن يجمع برصفه العجيب ونظمه الغريب المنعدل على أوزان الأشعار وسجع الكهان وخطب الخطباء ورسائل البلغاء، العاجز عن وصف مثله جميع الأنام، وعن نظم نظيره كل العباد الدلالة على نبوة نبينا محمد ﷺ وبما فيه من توحيد وتمجيد وثناء عليه تنبيه للعباد على عظمتهم وسلطانهم وقدرته وعظم مملكته، ليذكروه بآلائه ويحمدوه على نعمائه فيستحقوا به منه المزيد ويستوجبوا عليه الثواب الجزيل، وبما فيه من نعت من أنعم عليه بمعرفته وتفضل عليه بتوفيقه لطاعته تعريف عباده أن كل ما بهم من نعمة في دينهم ودنياهم فمنه، ليصرفوا رغبتهم إليه ويتغوا حاجاتهم من عنده دون ما سواه من الآلهة والأنداد، وبما فيه من ذكره ما حل بمن عصاه من مثلاته، وأنزل بمن خالف أمره من عقوباته، ترهيب عباده من ركوب معاصيه والتعرض لما لا قبل لهم به من سخطه فيسلك بهم في النكال والنقمات، سبيل من ركب ذلك من الهلاك، فذلك وجه إطالة البيان في سورة أم القرآن، وفيما كان نظيراً لها من سائر سور القرآن وذلك هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة. انتهى.

وقد وصف البيان، في أول كتابه بأبين بيان، ومحل الحاجة منه:

لا شك أن أعلى منازل البيان درجة وأسمى مراتبه مرتبة أبلغه في حاجة المبين نفسه وأبينه عن مراد قائله وأقربه من فهم سامعه فإن تجاوز ذلك المقدار وارتفع عن وسع الأنام وعجز عن أن يأتي بمثله جميع العباد كان حجة وعلمًا لرسول الواحد القهار كما كان حجة وعلمًا لها إحياء الموتى وإبراء الأبرص وذوى العمى بارتفاع ذلك عن مقادير أعلى منازل طب المتطبين وأرفع مراتب علاج المعالجين إلى ما يعجز عنه جميع العالمين، وكالذى كان لها حجة وعلمًا قطع مسافة شهرين في الليلة الواحدة بارتفاع ذلك عن وسع الأنام وتعذر مثله على جميع العباد وإن كانوا على قطع القليل من المسافة قادرين واليسير منه فاعلين، فإذا كان ما وصفنا من ذلك كالذى وصفنا فبين أن لا بيان أبين ولا حكمة أبلغ ولا منطق أعلى ولا كلام أشرف من بيان ومنطق تحدى به امرؤ قومًا في زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة، وقيل الشعر والفصاحة والسجع والكهانة كل خطيب منهم

وبليغ وشاعر منهم وفصيح، وكل ذى سجع وكهانة، فسفه أحلامهم وقصر معقولهم وتبرأ من دينهم ودعا جميعهم إلى اتباعه والقبول منه والتصديق به، والإقرار بأنه رسول إليهم من ربهم، وأخبرهم أن دلالته على صدق مقالته وحجته على حقيقة نبوته ما أتاها به من البيان والحكمة والفرقان بلسان مثل ألسنتهم ومنطق موافقة معانيه معاني منطقهم.

ثم أنبأ جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عجزة، ومن المقدرة عليه نقصة، فأقر جميعهم بالعجز وأذعنوا له بالتصديق وشهدوا على أنفسهم بالنقص، انتهى من تفسير أبي جعفر بن جرير الطبري.

وفي خلاصة تاريخ العرب: أشهر معجزاته ﷺ القرآن الكريم لاشتهار البلاغة والفصاحة في زمنه عند قريش الذين كانوا يفتخرون بحسن الكلام ويتغالون فيه، كما كان إحياء الموتى لعيسى والثعبان لموسى زمن اشتها السحر، والنفس الطيب لداود زمن اشتها الموسيقى، وتلا ﷺ على عباد الأصنام أول سورة فصلت وبلغ: ﴿قُلْ أَبِئْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ دُندَادًا﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ۖ ﴿٦٠﴾ تَزْلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

وكان من أراد الله هدايته يسمع القرآن فيسلم كعمر ﷺ فإنه توجه بسيفه لقتل النبي ﷺ فقيل له لا تفعل لئلا يقتلك بنو عبد مناف، ولكن اردع خباباً وأختك وابن عمك سعيد بن زيد فإنهم أسلموا، فقصدهم وهم يتلون سورة طه فسكتوا، فسألهم عما سمعه فأنكروه فضرب أخته فشجها قائلاً: أرى ما كنتم تقرأونه، وخافت على الصحيفة فعاهدها على أن يردّها إليها فدفعتها وقرأها وقال: ما أحسن هذا وأكرم، ثم توجه إلى النبي ﷺ فأسلم^(١). اهـ.

وفيها بعد نقله آياً من القرآن في الآداب ما نصه: ما فرط القرآن في شيء من الآداب التي قوامها الحكمة وأسها العدل والإحسان وغايتها قصد سبيل الحق، والصد عن محجة الضلالة، والخروج من ظلمات الرذائل إلى نور الفضائل، والتطهير من شوائب النقص، والتحلي بزينة الكمال.

(١) خلاصة تاريخ العرب لسيدو، ص ٤٦.

وما قصدنا بإيراد ما سلف إلا أن يكون لهذه الأمة الشريعة دليل على تقديس غايتها وحرمة مذهبها ورفعة حكمتها، وموافقتها لما نزل من قبل على الرسل الكرام، فبذلك يهتدى البصير إلى فضل القرآن المجيد، إذ جمع فأوعى ما أوتيهِ النبيون من قبل من البينات. انتهى من خلاصة تاريخ العرب للعالم المنصف سيديو. وقصة إسلام عمر رضي الله عنه سنذكرها في خلافته.

درة:

اعلم أنه جرت عادة الله أن أوامره لا تخلو من حكمة فإن ظهرت فهي معقولة المعنى وإلا فتعبد، وذلك لأننا استقرأنا عادة الله تعالى فوجدناها جالبة للمصالح دائرة للمفاسد، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما: «إذا سمعت نداء الله فهو إنما يدعوك لخير أو يصرفك عن شر كإيجاب الزكاة والنفقات لسد الخلات وأرشد جبر الجنائيات المتلفات وتحريم القتل والزنا والسكر والسرقة والقذف صوناً للنفس والأنساب والعقول والأموال والأعراض عن المفسدات». اهـ. خطاب.

جوهرية:

في الاعتصام: أن الله عز وجل أنزل القرآن عَرَبِيًّا لَا عُجْمَةَ فِيهِ، بمعنى أنه جار في ألفاظه ومعانيه وأصاليه على لسان العرب، قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ وقال: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وكان المنزل عليه القرآن عربياً أفصح من نطق بالضاد وهو محمد بن عبد الله صلوات الله عليه، وكان الذين بعث فيهم عرباً أيضاً يجرى الخطاب به على معتادهم في لسانهم فليس فيه شيء من الألفاظ والمعاني إلا وهو جار على ما اعتادوه، ولم يدخله شيء بل نفى عنه أن يكون فيه شيء عجمي، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ وقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ هذا وإن كان بعث للناس كافة فإن الله جعل جميع الأمم وعامة الألسنة في هذا الأمر تبعاً للسان العرب، وإذا كان كذلك فلا يفهم كتاب

الله تعالى إلا من الطريق الذى نزل به عليه وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها. اهـ.

فريدة:

فى الاعتصام: أن الله بعث إلينا محمداً ﷺ رحمة للعالمين حسبما أخبر فى كتابه، وقد كنا قبل طلوع ذلك النور الأعظم لا نتهدى سبيلاً ولا نعرف من مصالحنا الدنياوية إلا قليلاً على غير كمال، ولا من مصالحنا الآخروية كثيراً ولا قليلاً، بل كان كل أحد يركب هواه وإن كان فيه ما فيه ويطرح هوى غيره فلا يلتفت إليه فلا يزال الاختلاف بينهم والفساد فيهم يخص ويعم حتى بعث الله نبيه ﷺ لزوال الريب والالتباس، وارتفاع الخلاف بين الناس، كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إلى قوله ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾.

ولم يكن حاكم بينهم فيما اختلفوا فيه إلا وقد جاءهم بما ينظم به شملهم وتجتمع به كلمتهم، وذلك راجع إلى الجهة التى من أجلها اختلفوا، وهو مما يعود عليهم بالصلاح فى العاجل والآجل، ويدرأ عنهم الفساد على الإطلاق، فاحتفظت الأديان والدماء والعقول والأنساب والأموال من طريق يعرف مأخذها العلماء وذلك القرآن العظيم بل المنزل على النبى ﷺ قولاً وعملاً وإقراراً، ولم يردوا إلى تدبير أنفسهم للعلم بأنهم لا يستطيعون ذلك، ولا يستقلون بدرك مصالحهم ولا تدبير أنفسهم.

فإذا ترك المبتدع هذه المهمات العظيمة والعطايا الجزيلة وأخذ فى استصلاح نفسه ودينه بما لم يجعل الشرع عليه دليلاً، فكيف له بالعصمة والدخول تحت هذه الرحمة، وقد حل يده من حبل العصمة إلى تدبير نفسه فهو حقيق بالبعد عن الرحمة، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعد قوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِيهِ﴾ فأشعر أن الاعتصام بحبل الله هو تقوى الله حقاً، وأن ما سوى ذلك تفرقة لقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

والفرقة من أحسن أوصاف المبتدعة لأنه خرج عن حكم الله وباين جماعة الإسلام، روى عبد الله بن حميد عن عبد الله: أن حبل الله الجماعة، وعن قتادة: حبل الله المتين هو القرآن وسننه وعهده إلى عباده الذي أمر أن يعتصم بما فيه من الخير والثقة وأن يتمسكوا به ويعتصموا بحبله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَانَكُمْ﴾ اهـ.

وفيه: لولا أن من الله على الخلق ببعثة الأنبياء لم تستقم لهم حياة ولا جرت أحوالهم على كمال مصالحهم، وهذا معلوم بالنظر في أخبار الأولين والآخرين. وفيه أيضاً: الشريعة موضوعة لإخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله، وهى حجة على الخلق كبيرهم وصغيرهم مطيعهم وعاصيهم برهم وفاجرهم، بل إن المرسلين بها صلوات الله عليهم داخلون تحت أحكامها، فأنت ترى أن نبينا محمداً ﷺ مخاطب بها فى جميع أحواله وتقلباته مما اختص به دون أمته، أو كان عاماً له ولأمته كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى سائر التكاليف التى وردت على كل مكلف والنبي فيهم.

فالشريعة هى الحاكمة على الإطلاق والعموم عليه وعلى جميع المرسلين، وهى الطريق الموصل والهادى الأعظم، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلِكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ فهو ﷺ أول من هداه الله بالكتاب والإيمان ثم من اتبعه فيه والكتاب هو الهادى والوحى المنزل عليه مرشد ومبين لذلك الهدى والخلق مهتدون بالجميع.

ولما استنار قلبه وجوارحه ﷺ، وظهره وباطنه بنور الحق علماً وعملاً، صار هو الهادى الأول لهذه الأمة، والمرشد الأعظم حيث خصه الله دون الخلق بإنزال ذلك النور عليه واصطفاه من جملة من كان مثله فى الخلقة البشرية اصطفاء أولياً لا من جهة كونه بشراً عاقلاً لا شراكه مع غيره فى هذه الأوصاف، ولا لكونه من قريش مثلاً دون غيرهم، وإلا لزم ذلك فى كل قريش، ولا لكونه من بنى عبد

المطلب، ولا لكونه عربيًا ولا لغير ذلك، بل من جهة اختصاصه بالوحي الذى استنار به قلبه وجوارحه فصار خلقه القرآن حتى نزل فيه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وإنما كان خلقه القرآن لأنه حكم الوحي على نفسه حتى صار فى علمه وعمله على وفقه فكان للوحي موافقًا قائلًا مدعنا ملبيًا ندائه واقفًا عند حكمه.

وهذه الخاصة كانت من أعظم الأدلة على صدقه فيما جاء به إذ قد جاء بالأمر وهو مؤتمر، وبالنهى وهو منته وبالوعظ وهو متعظ، وبالتخويف وهو أول الخائفين وبالترجية وهو سائق دابة الراجين، وحقيقة ذلك كله جعله الشريعة المنزلة عليه حجة حاكمة عليه ودلالة له على الصراط المستقيم الذى سار عليه ﷺ ولذا صار عبدًا لله حقًا وهو أشرف اسم تسمى به العباد، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ وما أشبه ذلك من الآيات التى وقع مدحه فيها بصفة العبودية.

وإذ كان ذلك فسائر الخلق حريون بأن تكون الشريعة حاكمة عليهم ومنارًا يهتدون بها إلى الحق، وشرفهم إنما يثبت بحسب ما اتصفوا به من الدخول تحت أحكامها والعمل بما قولاً واعتقاداً وعملاً، لا بحسب عقولهم فقط، ولا بحسب شرفهم فى قومهم، لأن الله تعالى إنما أثبت الشرف بالتقوى لا غير لقوله: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِندَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ فمن كان أشد محافظة على اتباع الشريعة فهو أولى بالشرف ومن كان دون ذلك لم يكن أن يبلغ فى الشرف مبلغ الأعلى فى اتباعها، فالشرف إذاً إنما هو بحسب المبالغة فى تحكم الشريعة. اهـ. بعبص.

خلاصة

فى العلوم التى تفرعت من القرآن أو نشأت لخدمته

اعلم أن العرب فى صدر الإسلام حفظوا القرآن وليس فى أيديهم من الكتب غيره يقرءونه ويتعظون به ويتحاكمون إليه، وقد عجبوا بأسلوبه ودهشوا ببلاغته،

لأنه ليس من قبيل ما كانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ونظم الشعراء المقفى الموزون، وقد خالف كليهما، وفيه من البلاغة وأساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم، فسحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والأحكام والأخبار، فأصبح همهم تلاوته وتفهم أحكامه، لأنه قاعدة الدنيا والدين وبه تتأيد السلطة والخلافة، وهو أول كتاب أخذوا في قراءته وحفظه.

القراءات السبع:

واختلفوا في قراءة بعض آياته، فتولدت القراءات السبع نسبة إلى سبعة من القراء — تقدم ذكرهم في المقدمة — وتفرع بتوالى الأعصر إلى سبعة علوم هي: علم الشواذ، وعلم مخارج الحروف، ومخارج الألفاظ، والوقوف، وعلل القرآن، وكتابة القرآن، وآداب كتابة المصحف، وفي كل من هذه العلوم قواعد وكتب، وأكثر العلوم الإسلامية نشأت من القرآن أو تولدت خدمة له، ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه رأساً أو ضمناً.

النحو:

أول شيء احتاجوا إليه في ضبط القرآن النحو، وكان الباعث على التعجيل في ضبطه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن الناس في قراءة القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق، وقد نمت قواعده ولم يتم القرن الثاني للهجرة، أى نضج في قرن وبعض القرن، واليونان لم يتم علم النحو عندهم إلا بعد إنشاء دولتهم بعدة قرون، ولم يضع الرومان نحو اللغة اللاتينية إلا بعد قيام دولتهم بستة قرون، ويفتقر علم النحو في تأييد قواعده إلى معرفة كلام العرب وأساليبهم.

التفسير وعلم الأدب:

ولما أخذ العلماء في تفسير القرآن احتاجوا أيضاً إلى ضبط معاني ألفاظه وتفهم أساليب عبارته، فجرهم ذلك إلى البحث في أساليب العرب وأقوالهم وأشعارهم وأمثالهم، وهو علم الأدب المشتمل على الفنون الأدبية والعلوم المتعلقة بالألفاظ وهى تريد على العشرين علماً كالنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبدیع والعروض، والفضل في تعجيل ظهورها للقرآن.

الحديث:

واحتاجوا في تفسير القرآن إلى تفهم الحديث لأنهم كانوا إذا أشكل عليهم فهم آية أو اختلفوا في تفسيرها أو حكم أو أحكامها استعانوا بأقوال النبي ﷺ على استيضاحها، فلما تفرق الصحابة في الأرض تفرقت الأحاديث معهم فاشتغل جماعة من المفكرين في جمعها وتدوينها، وتولد من ذلك العلوم المتعلقة بالحديث وهي التي مر بيانها بخاتمة المقصد، والتفسير نفسه لما نضج تفرع إلى علوم كثيرة مذكورة في مفتاح السعادة وهي تزيد على السبعين علماً ولكل منها علماء ومصنفات ومناظرات، وكان للعلوم اللغوية ارتباط بالعلوم الشرعية، لا يستطيع الطالب إتقان الواحدة إن لم يتقن الأخرى.

الفقه:

ولما صار الإسلام دولة احتاج أمراؤه إلى ما يقضون به بين رعاياهم في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية، فكان معولهم على القرآن والحديث، فاستنبطوا منهما الشريعة وأحكامها، وهو الفقه بفروعه المشهورة علم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوى ونحوها.

السير والتاريخ:

ولما اشتغل المسلمون في جمع القرآن وجمع الأحاديث احتاجوا إلى تحقيق الأماكن والأحوال التي كتبت بها أو قيلت فيها الأحاديث، فعمدوا إلى جمع السيرة النبوية ودونوها واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والأدب إلى البحث في أسانيدھا والتفريق بين ضعيفها ومتينها، فحرّهم ذلك إلى النظر في الرواة وتراجمهم وسائر أحوالهم، وقسموا رواة كل فن إلى طبقات.

فتألف من ذلك تراجم العلماء والأدباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات: كطبقات الشعراء، وطبقات المفسرين، أو النحاة، أو الفقهاء، أو الحفاظ، أو النساين أو غيرهم.

وكان ذلك أساً لعلم التاريخ وزد على ذلك ما في القرآن من الآيات الحاثية على الاشتغال بالتاريخ أو بالأخبار للعبرة والموعظة كقوله جل ذكره ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

الجغرافيا:

ومن الأسباب التي ساعدت على وضع علم الجغرافيا وتقوم البلدان الأسفار في طلب الحديث من حملته، والحج إلى مكة والرغبة في تطبيق القواعد الفقهية، ويفتقر ذلك إلى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صلحاً أو عنوة، وقد جر ذلك إلى تعريف البلاد ومواطنها، ومع ذلك فإن في القرآن نصوصاً تحض على طلب هذا العلم كقوله جل جلاله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ وغير ذلك، وقد ذكرنا فضيلة التاريخ والجغرافيا في صدر المقصد من هذا المؤلف.

الخطابة:

هذا ما كان من تأثير القرآن في آداب الجاهلية، وهناك تأثير أحدثه القرآن أيضاً في الآداب التي كانت شائعة قبل الإسلام فغير أسلوبها ورقاها، وأهمها الخطابة والشعر من الفنون الأدبية الجاهلية التي زادها الإسلام رونقاً وبلاغة، وارتفعت زمن الصحابة والتابعين والفضل في ذلك عائد للكتاب المبين من وجوه: منها: أن القرآن وإن كان نزل بلغة القوم التي بها يتخاطبون وبفصاحتها يتفاخرون إلا أن أساليبه العالية أعجزت فصحاءهم وأخذت بمسامع قلوبهم وأكسبتهم ملكة من البلاغة في تحسين الأساليب العالية، ولذا كانوا يعيرون الخطيب المصقع إذا لم يكن في كلامه شيء من آداب القرآن، روى الحافظ عن الهيثم بن عدي أنهم — يعني العرب — كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آية من آي القرآن فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار وحسن الموقع.

ومنها ما جاء في القرآن من الترغيب والترهيب على الأسلوب العجيب البالغ حد الإعجاز في التأثير على الضمائر، والأخذ بشكائم النفوس، أعانهم على التفنن في أساليب الوعظ الخطابي عند حلول الأزمات، والحاجة إلى تأليف قلوب الجماعات، حتى لقد كان الخطيب البليغ منهم ليدفع بالخطبة الواحدة من الملمات ما لا يدفع بالبليض المرففات، ويملك بها من قلوب الرجال ما لا تملكه البدر^(١). كما صنع أبو بكر رضي الله عنه في خطبته يوم السقيفة التي امتلك بها قلوب المهاجرين والأنصار، وصرف عن الأمة فتنة هي من الأمور الكبار، وكان الخطباء في صدر الإسلام يخطبون الناس عند طروء كل حادث جلل فلا تقييد لوقت ولا تكليف لقول، فكانوا يجمعون المسلمين تارة لإعلان خير عليهم، وتارة لاستشارتهم، ووقتاً لتحذيرهم، وآخر لوعظهم وتذكيرهم.

الشعر:

أما الشعر فقد كان له أعظم التأثير في قلب العربي، يحركه كما يحرك الهواء ريشة في الجو، وكان عندهم بمثابة الجرائد في هذا الوقت، ينطق الشاعر عندهم بكلمته فتتلقاها الأسماع وتدور بعد ذلك على ألسنتهم، وكانت أسواقهم التي بها يجتمعون لإلقاء أشعارهم ومبادلة متاجرهم بالقرب من البيت الحرام، وهي: عكاظ، ومجنة، وذو مجاز.

وبالجملة فإن للقرآن تأثيراً عظيم الأهمية لم يوفق لغير القرآن من الكتب الدينية في الأمم الآخري وفي آداب اللغة العربية الفصحى وفي أخلاق أصحابه ممن سواه، لأنهم مكلفون بحفظه قبل كل علم وهم أطفال، وهو داخل في كل شيء من الأمور الدينية والدنيوية، وأساس شرائعهم القضائية، وقاعدة معاملاتهم اليومية، وأحوالهم العائلية حتى الطعام والشراب واللباس والنوم والغسل، وكل شيء يمكن استنباطه منه وتجد له مثلاً فيه، وهذا لا تراه في غيره من الكتب السماوية.

(١) البدر: جمع بدرة، وهي الكمية العظيمة من المال.

فصل

أذكر فيه الوازع والحرية

فأقول: إن الإنسان ميال بطبعه للسعادة إذا أرشد إليها وحث عليها، والشرائع إنما شرعت للسعادة البشرية وقوام الحالة الاجتماعية، فالوازع الذى يزعم الناس بالشرعية لا يحاول بما يزعم به قهراً للنفوس ولا حجراً على الإرادة، بل يماشى الإرادة ويساعد النفوس على نيل السعادة، لهذا فطاعة الوازع من مستلزمات السعادة لا يأبأها العقل ولا يهضم فيها حق من حقوق الحرية ما دامت طاعته يراد بها طاعة القانون الذى هو أصل فى السعادة، لا طاعة الوازع نفسه من حيث كونه أمراً مجواه وشهوته لا مأموراً من القانون ومهيئاً عليه، فالحرية مقيدة بقيدين: نفسى وخارجى.

فالنفسى: هو الزاجر الدينى والفضيلة الذاتية، ففى مطاوعة الزاجر النفسى مطاوعة للفضيلة ووقوف عند حد الإنسان.

والخارجى: هو الوازع وفى مطاوعتها للوازع مطاوعة للشرع وخضوع للقانون، وليس فى كلا القيدين معنى العبودية، أو منع للحرية، وإنما هو إمساك النفس عن الاندفاع فى تيار الهوى الذى يُلحق الإنسان بالبهائم، فهاته الفضيلة وسط وطرفاها رذيلة إفراط وتفريط، وكلاهما رجوع للبهيمية، فالحرية بالقيد المذكور فضيلة معناها تخلص الإنسان من الأسر وتخلصه من ضيق الحجر وجواز تصرفه فى كل حق من حقوق الإنسانية التى سوغها العقل وقضت بها أصول الاجتماع والتعاون، بحيث يكون الإنسان مالِكاً لإرادته لا بهيمة تتحرك بإرادة سواه، مالِكاً لثمرة عمله لا حق لآخر بحرمانه منها، مالِكاً لأمنه لا لسلطان آخر يسلب منه ذلك، ومتى فقد الشخص واحدة من هذه الثلاث سلب منه معنى الحرية وصار كالحيوان، يتعب ليأكل سواه، ويشقى ليسعد غيره، ويسعى ليموت هو ويحيى من عداه.

البشارة بالسعادة والندارة بالشقاوة:

والبشارة المطلقة لا تكون إلا بخير، والإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف، إذا علمت ذلك فاعلم أن الشريعة جاءت بها الرسل لتدعو الناس إلى السعادة والنجاة من الشقاوة، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ فالسعادة تكون بالإقرار لله تعالى بالوحدانية، ولحمد بالرسالة والاتباع لما جاء به وسنه من فعل المأمورات واستجلاب الفضائل واجتناب الرذائل وجمع الكلمة وبسط العدل ورفع مقام العلم واستعمال غاية الجهد في اتخاذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عز كماله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ما من شيء يحتاج إليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يترك أو يؤتى إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية.

في روح المعاني: أن الآية — كما أخرج البخاري في الأدب والبيهقي في شعب الإيمان والحاكم وصححه عن ابن مسعود — أجمع آية للخير والشر.

وأخرج أبو نعيم عن عبد الملك بن عمير قال: بلغ أكتم بن صيفي مخرج النبي ﷺ فأراد أن يأتيه فأتى قومه فانتدب رجلين فأتيا رسول الله ﷺ فقالا: نحن رسل أكتم يسألك: من أنت؟ وما جئت به؟ فقال النبي ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله» ثم تلا عليهم هذه الآية، قالوا: ردد علينا هذا القول، فردد ﷺ حتى حفظوه، فأتيا أكتم فأخبراه، فلما سمع الآية قال: إني لأراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن مذامها فكونوا في هذا الأمر رأساً ولا تكونوا فيه أذناً.

وروى عن ابن عباس أن هذه الآية كانت سبب استقرار الإيمان في قلب عثمان بن مظعون بعد أن أسلم محبة في النبي ﷺ.

ولجمعها ما جمعت أقامها عمر بن عبد العزيز حين آلت الخلافة إليه مقام ما كان بنو أمية يجعلونه في أواخر خطبهم من سب علي كرم الله وجهه، وكان ذلك من أعظم مآثره ﷺ.

وقال غير واحد: لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، ولعل إيرادها عقب قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا﴾ للتبنيه عليه. انتهى باختصار.

أما الشقاوة: فإنها تكون باجتناب المأمورات وارتكاب الرذائل والمحرمات واتباع البدع والشهوات وإيثار اللذات كالفسحور، وقول الزور، وشرب الخمر، وحب الظهور، والدخول تحت معاصي الله ومساخطه جهلاً باستدراج الله وأمناً لمكره، قال جل ذكره ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وقال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

في روح المعاني: المراد بالفتنة الذنب، وفسر بنحو إقرار المنكر والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع.

وفيه عند قوله عز من قائل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أخرج أبو الشيخ وأبو نعيم والخطيب والديلمي وغيرهم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث هن رواجع في المكر والنكت والبغى» ثم تلا ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿وَلَا حِمِيقُ الْمَكْرِ السِّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

وأخرج ابن مندويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لو بغى جبل على جبل لذلك الباغى» والبغى هو الظلم الظاهر الذي لا يخفى قبحه على أحد، وفي ذلك من الزجر ما لا يخفى. اهـ.

لا يأمن الدهر ذو بغى ولو ملكا جنوده ضاق عنها السهل والجبل فصدور مثل تلك المخالفات سالبة للنعم جالبة للنقم، وإثارة الفتن والمصائب والإحن، وفقد الراحة، والهوان، وقلة العمران، وخراب الديار والمنازل، والفناء في الشعوب والقبائل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾.

والخلاصة: أن السعادة والشقاوة مقترنتان بالعمل الفاسد والصالح وتترتب عليهما في الدنيا ما قد علم، وفي الآخرة الجنة وجهنم.

خلاصة

فيما حصل لرسول الله ﷺ وهو بمكة عندما أعلن بالرسالة

وما حصل لمن آمن به

في كتاب الاعتصام: أن رسول الله ﷺ بعثه الله تعالى على حين فترة من الرسل وفي جاهلية جهلاء لا تعرف من الحق رسماً ولا تقيم به في باب مقاطع الحقوق حكماً، بل كانت تنتحل ما وجدت عليه آباءها، وما استحسنته أسلافها من الآراء المنحرفة، والنحل المخترعة، والمذاهب المبتدعة، فحين قام فيهم ﷺ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فسرعان ما عارضوا معروفه بالنكر وغيروا في وجهه صوابه بالإفك والمكر، ونسبوا إليه إذ خالفهم في الشريعة وناذبهم في النحلة كل محال ورموه بأنواع البهتان، فتارة يرمونه بالكذب وهو الصادق المصدوق الذي لم يجربوا عليه قط خبراً بخلاف مخبره، وآونة يتهمونهم بالسحر وفي علمهم أنه لم يكن من أهله ولا ممن يدعيه، وكرة يقولون: إنه مجنون، مع تحققهم بكمال عقله وبرأته من مس الشيطان وخبله.

وإذا دعاهم إلى عبادة المعبود بحق وحده لا شريك له قالوا: «أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» مع الإقرار بمقتضى هذه الدعوة الصادقة «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ».

وإذا أُنذِرهم بطشة يوم القيامة أنكروا ما يشاهدون من الأدلة على إمكانه وقالوا: «أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ».

وإذا خوفهم نقمة الله قالوا: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» اعتراضاً على صحة ما أخبرهم به مما هو كائن لا محالة.

وإذا جاءهم بآية خارقة افترقوا في الضلالة على فرق واخترقوا فيها مجرد العناد ما لا يقبله أهل التهدي إلى التفرقة بين الحق والباطل، كل ذلك قصداً منهم إلى التأسى بهم والموافقة على ما يتحلون إذا رأوا خلاف المخالف لهم في باطلهم رداً لما هم عليه ونبذاً لما شددوا عليه يد الظنة، واعتقدوا إذا لم يتمسكوا بدليل أن الخلاف يوهن الثقة ويقبح جهة الاستحقاق، وخصوصاً حين اجتهدوا في الانتصار بعلم فلم يجدوا أكثر من تقليد الآباء، ولذا أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في حاجة قومه: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ١٦٦ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّهَا عِيَكْفِينَ ١٦٧ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ١٦٨ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ١٦٩ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ١٧٠ فحادوا كما ترى عن الجواب القاطع المورد مورد السؤال إلى الاستمسك بتقليد الآباء، وقال الله تعالى: ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ ١٧١ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ١٧٢ فرجعوا عن جواب ما ألزموا به إلى التقليد، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أُولَئِكَ جَفَّتْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ ١٧٣ فأجابوا بمجرد الإنكار ركوناً إلى ما ذكروا من التقليد لا بجواب السؤال.

فكذلك كانوا مع النبي ﷺ فأنكروا ما توقعوا معه زوال ما بأيديهم، لأنه خرج عن معتادهم وأتى بخلاف ما كانوا عليه من كفرهم وضلالهم حتى أرادوا أن يستنزله على وجه السياسة في زعمهم ليقعوا بينهم وبينه المؤالفة والموافقة، ولو في بعض الأوقات أو في بعض الأحوال، أو على بعض الوجوه ويقنعوا منه بذلك ليقف لهم بتلك الموافقة وأهمل بنائهم، فأبى ﷺ إلا الثبوت على محض الحق والمحافظة على خالص الصواب وأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَيُّمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ١٧٤ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ١٧٥ إلى آخر السورة، فنصبوا له عند ذلك حرب العداوة ورموه بسهام القطيعة، وصار أهل السلم كلهم حرباً عليه، وعاد الولي الحميم عليه كالعذاب الأليم، فأقربهم إليه نسباً كان أبعد الناس عن موالاته كأبي جهل وغيره، وألصقهم به رحماً كانوا أفسى قلوباً عليه، ومع ذلك فلم يكلفه الله إلى

نفسه ولا سلطتهم على النيل من أذاه إلا نيل المصلوفين، بل حفظه الله وعصمه وتولاه بالرعاية والكلاءة حتى بلغ دعوة ربه.

ثم ما زالت الشريعة في أثناء نزولها وعلى توالى تقريرها تبعد بين أهلها وبين غيرهم وتضع الحدود بين حقها وبين ما ابتدعوا، لكن على وجه من الحكمة عجيب، وهو التأليف بين أحكامها وبين أكابرهم في أصل الدين الأول الأصيل.

ففى العرب نسبتهم إلى أبيهم إبراهيم عليه السلام، وفي غيرهم لأنبيائهم المبعوثين فيهم كقوله تعالى بعد ذكر كثير من الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنِهِمْ آتَدَتْهُ﴾ وقوله ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾.

وما زال ﷺ يدعو إليها فيثوب إليه الواحد بعد الواحد على حكم الاختفاء خوفاً من عادية الكفار زمان ظهورهم على دعوة الإسلام، فلما اطلعوا على المخالفة أنفوا وقاموا وقعدوا.

فمن أهل الإسلام من لجأ إلى قبيلة فحموه على إغماض أو على دفع العار في الإخفار، ومنهم من فر من الإذابة وخوف الغرة هجرة إلى الله وحبا في الإسلام، ومنهم من لم يكن له وزر يحميه ولا ملجأ يركن إليه فلقي منهم من الشدة والغلظة والعذاب أو القتل ما هو معلوم، ثم لما وقعت المؤامرة على قتله وأعلمه الله بذلك وأمره بالخروج لدار هجرته وهى المدينة المنورة هاجر إليها ﷺ واستمر تزيد الإسلام واستقام طريقه مدة حياة النبي ﷺ ومن بعد موته. اهـ اعتصام.

وزبدة القول أن رسول الله ﷺ مكث في مكة من وقت النبوة إلى أن هاجر إلى المدينة اثني عشر سنة وخمسة أشهر وأياماً إذا اعتبرنا آخر يوم لها هو يوم الوصول إلى قباء، أنزل عليه في أثناءها معظم القرآن، والذي نزل منه بمكة ثلاث وتسعون سورة، والباقي وهو اثنان وعشرون سورة نزلت بالمدينة، ويمتاز المدين من القرآن عن المكي بأمرين: الأول: ما فيه من قصص الغزوات وأسبابها، وما كان فيها مما يصح درساً نافعا للمسلمين، والثاني: ما تناول من الشرائع

الاجتماعية والدينية، والمراد بالدينية ما شرعه لإصلاح النفوس وتهذيبها وهى التى يطلق عليها المسلمون العبادات، والاجتماعية ما شرعه ليكون أساساً لمعاملات الناس بعضهم مع بعض.

وأهم ما جاءت به الآيات المكية التوحيد، ورفض الأوثان والأصنام فلا يكون بين العبد وربّه واسطة وإثبات يوم آخر يجازى فيه كل امرئ بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وبيان الخصال التى تقرب إلى الله ولا تبعد منه وعبادات عملية تربطهم بالله وتوجههم إلى نحو الخير، وفى آخر أيامه بمكة أذن له بالقتال والإذن به لم يشرع إلا دفعاً عن أنفسهم وتأميناً للدعوة من أن تقف الفتنة فى طريقها. اهـ باختصار من محاضرات الخضرى.

وقوله إذا اعتبرنا، كان وصوله ﷺ إلى قباء يوم الاثنين وأقام بها إلى يوم الجمعة ثانى عشر ربيع.

واعلم أن من المقرر أن وظيفة الرسل تبليغ الشرائع وتقريرها على وجه يجمع إليها شملهم ويتكفل بسعادتهم، وبعد هذا لا يبقى من وظيفة الرسل لمن يخلفه إلا حماية هذه الشرائع والحكم بينهم بما أنزل الله وسنة الرسل.

ومن المعلوم أن مؤازرة القوة للشرائع قاعدة كلية لا تتخلف سواء عن الشرائع الإلهية أو الأوضاع البشرية، وقد ترتب عليها قيام الدول فى كل ملة من الملل لضرورة وجود الوازع الذى يزع الناس بالكتاب والميزان ويردهم ولو بالقوة إلى حدود الشرع، وذلك بدليل قوله تعالى فىمن سبق عن الرسل أولى الشرائع: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ وفى ذلك من الإشارة إلى ملازمة القوة للدين ما لا يخفى إرهاباً للناس وكبحاً للنفوس التى يقودها مجرد الإرشاد واللين، وهاته القوة إنما تقوم بالوازع وأعوانه ومنهم تتألف الدولة.

قال الزهرى: أول آية نزلت فى الإذن بالقتال قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ فشرع ﷺ حينئذ فى

تهية الجيوش وبعث البعث والسرايا، فغزا بنفسه الكريمة هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجا، وكان عدد مغازيه ﷺ ثمانياً وعشرين، قاتل في ثمان أو تسع منها بنفسه: بدر وأحد والمريسيع والخندق وقريظة وحنين وفتح مكة الذى هو الفتح الأعظم وخيبر والطائف وغزوة بدر الكبرى وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام، وأهله وأذل فيه الشرك وأهله.

ومغازيه وسراياه مذكورة في كتب السير وغيرها، غزوة غزوة، وسرية سرية، آخرها سرية أسامة بن زيد التى جهزها ﷺ في مرضه الذى توفى فيه ونفذها بعده أبو بكر ﷺ وسيأتى خبرها، وما أشير إليه من الغزوات والسرايا وتبليغ الدعوة وأسباب النزول ومعجزاته وفضائله وشماله وسيرته وغير ذلك مما شرفه الله به وما حصل له من نشأته إلى وفاته مذكور على وجه التفصيل في كتب السنة والسير المختصة لهذا الشأن بأبين بيان وأفصح لسان.

خطبته ﷺ في حجة الوداع:

في التاسع من ذى الحجة من السنة العاشرة توجه ﷺ إلى عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة، وإليك نصها:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير، أما بعد أيها الناس، اسمعوا منى أبين لكم، فإنى لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا في موقفى هذا، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومك هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمن عليها، إن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبداً به ربا عمى العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير

السدانة والسقاية، والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يُعبدَ في أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحرقون بل تحرقون من أعمالكم، أيها الناس، إن النسى^(١) زيادة في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم: ثلاث متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق، أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن وتجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس، إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

(١) في هامش المطبوع: «قوله: النسى»، كانت العرب تحرم أربعة أشهر ثلاثة متواليات: ذى القعدة وذى الحجة والمحرم وشهر رجب، وكانوا ربما استطالوا هذه الأشهر المتوالية لحاجتهم إلى الحرب والقتال فأحلوا المحرم وحرّموا صفرًا من العام المقبل، فهذا هو الذى عابه القرآن عليهم لاتباعهم الهوى في عقيدتهم.

أيها الناس، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصية ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى لغير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، والسلام عليكم ورحمة الله.

وفي هذا اليوم امتنَّ الله على المؤمنين بقوله في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فلا غرابة أن اتخذهُ المسلمون عيداً ويوماً سعيداً يظهر فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى. انتهى نور اليقين.

ذكر مرضه ووفاته ﷺ:

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله فدينك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فعجبنا له، وقال الناس: انظروا لهذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه الله من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده وهو يقول: فدينك بآبائنا وأمهاتنا قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير — وكان أبو بكر أعلمنا به — فقال النبي ﷺ: «إِنَّ مَنْ أَمَّنَ النَّاسَ عَلَيَّ بِصَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبا بكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» ولكن أخوة الإسلام، لا يبقى في المسجد خوذة إلا سدت إلا خوذة أبي بكر».

وكانت هذه الخطبة في ابتداء مرضه الذي مات فيه، ولما اشتد به وجعه ﷺ قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء، قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فعاودته مثل مقالتها، فقال: إنكن صواحبات يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس» رواه الشيخان وأبو حاتم واللفظ له.

وعند سالم بن عبد الله الأشجعي قال: «لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بقائم سيفه وقال: لا أسمع أحداً يقول

مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا، قال فقالت الناس: يا سالم اطلب لنا صاحب رسول الله، قال: فخرجت إلى المسجد فإذا أنا بأبي بكر رضي الله عنه فلما رأيته أجهشت بالبكاء — أي تهيأت — فقال: يا سالم أمت رسول الله ﷺ؟ فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا، قال: فأقبل أبو بكر حتى دخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سحاه، والتفت إلينا فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِيَّاهُمْ﴾ أيها الناس: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال عمر: فوالله لكأنى لم أتل هذه الآيات قط» رواه الترمذى.

قال الحافظ ابن رجب: كان ابتداء مرضه ﷺ في أواخر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً في المشهور.

وفي نور اليقين: لحق بربه يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ الموافق ليويني سنة ٦٣٣ فيكون عمره ثلاث وستون سنة وثلاثة أيام، وتقدم في صدر المقصد ذكر نسبه، وولادته كانت في يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول عام حادثة الفيل ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان ويوافق العشرين من شهر إبريل سنة ٥٧١ حسبما حققه العالم الفلكي محمود باشا في رسالة سماها: نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، وقيل: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، وقيل: لثمان وهو اختيار أكثر أهل الحديث.

الحالة الاجتماعية على عهده ﷺ:

اعلم أن الإسلام جاء قاضياً بتوحيد الله وتوحيد الاجتماع، وتوحيد الأفكار، وتوحيد المقاصد، في عصر غلبت فيه نزغات الأهواء البشرية على النفوس، ونزع الأمم كافة منازع الوثنية، فشوه مؤمنهم وجه الدين وانحرف عن وجهة الكتاب، وأوغل كافرهم في مناحي الخيال فخلق من ضعيف التصور أشكالا من العبادة تختلف باختلاف المنازع والأقطار، فتشكلت بأشكالها الأخلاق، وتنوعت

المقاصد، وتخالفت الوجهة، وتناكرت النفوس، وتجزأت الوحدة عند كل أمة في الاجتماع والسياسة والدين.

فأصبح أهل الكتاب اليهود منهم بين قرائن وربانيين وسامريين وغيرهم. والنصارى بين يعاقبة وآريوسيين ونسطوريين وما لا يعد من الفرق، وغير أهل الكتاب من الأمم الأخرى بين صابئة ومجوس وبراهمة وما لا يعد من الفرق أيضاً، فكان الانقسام والتجرؤ في الاجتماع والسياسة تبعاً للنحل قائماً مع الأهواء، فباتت الدول المجاورة للعربية وهى فارس والروم — وما أدراك ما فارس والروم — أعرق الدول في المدنية وأقصاها غاية في التاريخ وأرهبها قوة في الأرض وأمدّها ظلّاً عليها، أشبه بشجرة تأصلت جذورها وتسامقت فروعها في الفضاء، فجاءتها ريح عاصف تعتعت أصلها وتلاعبت بأغصانها فقصفتها قصفاً وعصفت فيها عصفاً، فزوت وتفرقت مع الريح أغصانها.

فكانت دولة الروم غرضاً ترمى إليها الأهواء بسهامها وفريسة تتنازعها العناصر المنفردة منها والأقوام المنشقة عنها والشاغبة عليها كالعرب والأرمن واليونان والرومان والصقالبة وغيرهم.

ودولة الفرس كذلك تفككت أعضاؤها وتجزأت وحدتها، فاستبد عمالها بالأطراف وتنازعوا سلطان الأكاسرة وتوثبوا على الملك وتعسفوا بالحكم وظلموا الرعية.

ومن ثم انحلت من تلك الأمم عرى وحدتها وتفرقت أهواء أهلها، وتباينت مقاصد قادتها وزعمائها، فانزوت شمس مدنيتهما وكادت تندثر من الوجود آثار الحضارة والعلم التي انتهت إلى دولتي الفرس والروم، وتعود حالة البشر إلى أقبح ما كانت عليه قبل تاريخ الحضارة وبعثة الأنبياء هذه الأمم من فوضى الاجتماع وتفرق الأهواء وانحطاط المدارك والعقول، ويأبى الله إلا أن يتم كلمته في خلقه ويجعل الإنسان مظهر قدرته ويلسم عليه سوابغ رحمته، لهذا أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وأنزل عليه القرآن فيه هدى ونور ورحمة للعالمين لينذر به من كان حياً ويحق

القول على الكافرين، فامتثل محمد ﷺ أمر ربه ودعا الناس إلى دينه، دعاهم إلى توحيد الله فلا يشركون به شيئاً، وإلى توحيد الاجتماع فلا يتفرقون شيئاً يباذ بعضهم بعضاً، وإلى توحيد الأفكار فلا يجادلون في الحق، وإلى توحيد المقصد فلا يتخبطهم شيطان الأهواء وتفرقهم عن الحق نزغات النفوس، وإلى توحيد اللغة فلا يتناكرون وبلسان واحد يتفاهمون.

دعا أولاً أهله وعشيرته ثم قومه ثم سائر العرب ثم عامة الناس بما كتب للموكلهم الذين ينتهى إليهم أمر الهمم بل الأمم، وبهم تقوم الدعوة حتى قامت لله على الناس الحجة، والله الحجة البالغة على الناس أجمعين.

وأجاب دعوة نبيه من أجاب وأقبل عليها من أقبل، وكان جلهم من العرب الذين لم يلبثوا أن تلقوا هذا الذين حتى ظهر أثره فيهم ظهوراً يبشر بصير السيادة على الأمم إليهم لما أصبحوا عليه من الإخاء بعد التنافر، والاجتماع بعد التفرق، والتوحيد بعد الشرك، والتنبه بعد الغفلة، والإيمان بعد الكفر، والتحابب بعد التناكر يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويجاهدون في الله وينصرون دينه ويقىمون حدوده، ويواسون الفقير، ويؤدون الحق، ويرغبون في القناعة بالكفاف عما بأيدي الناس، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

على هذا الأساس قامت حياة المسلمين الاجتماعية، وبذلك الأخلاق وصف الله أتباع النبي محمد ﷺ في كتابه العزيز: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تمثل حالة المسلمين يومئذ تمثيلاً، وتدل على مبلغ تأثير الإسلام في نفوس تلك الأمة البدوية التي أخرجها القرآن من ظلمات الفوضى والجهل إلى نور العلم والاجتماع.

الطبقة الثانية

طبقة الصحابة رضى الله عنهم

في البخارى باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: قوله: أصحاب، أى بطريق الإجمال ثم التفصيل، أما الإجمال فيشمل جميعهم، وأما التفصيل فلمن ورد فيه شيء بخصوصه، وقوله: أو رآه هو الراجح. اهـ.

وقال الأبي في شرح صحيح مسلم: الصحابة كلهم عدول لظاهر الكتاب والسنة وإجماع من يقتدى بإجماعه.

القرطبي: لم يختلف السلف في أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر.

أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجتمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم بيعة الرضوان، ومعنى التفضيل كثرة الثواب ورفع الدرجة وذلك لا يدرك بالقياس، وإنما يدرك بالنقل. اهـ باختصار.

ولشدة اعتناء الله تعالى بنبيه ﷺ وخصوصيته إليه وصف أتباعه في كتابه العزيز فقال: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وقال: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» وفي البخارى عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» قال البيضاوي: ومعنى الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه. اهـ.

واعلم أن فضل الصحابة لا مطمع فيه لمن جاء بعدهم لأنهم حازوا قصبة السبق بصحبته ﷺ: قال ابن حجر الهيتمي في شرح الهمزية: أفضلية الصحابة لا يعادها عمل، انظره عند قوله:

ليته خصني برؤية وجهه زال عن كل من رآه الشقاء
وفي الاعتصام: أن أصحابه ﷺ كانوا مقتدين به مهتدين بمديه وقد جاء مدحهم في القرآن العظيم وأثنى على متبوعهم ﷺ الذي كان خلقه القرآن العظيم فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فالقرآن إنما هو المتبوع في الحقيقة وجاءت السنة مبينة له فالمتبع للسنة متبع للقرآن، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله، وهو معنى قوله ﷺ: «ما أنا عليه وأصحابي» فالكتاب والسنة هو الطريق المستقيم وما سواهما من الإجماع وغيره فناشئ عنهما، هذا هو الوصف الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وهو معنى ما جاء في الرواية الأخرى من قوله: «وهي الجماعة» لأن الجماعة في وقت الإخبار كانوا على ذلك الوصف إلا أن في لفظ الجماعة معنى ستره بعد إن شاء الله.

وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار» وأخرج أبو داود عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» وعن عَرْفَجَةَ^(١) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في أمتي هَنَاتٌ وهَنَاتٌ، فمن أراد أن يفرق أمر المسلمين وهم جميعٌ فاضربوه بالسيف كائناً من كان».

واختلف الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال:
الأول: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام وهو الذي يدل عليه كلام أبي غالب أن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق بما كانوا عليه من أمر دينهم فهو

(١) هو عرفجة بن شريح الأشجعي، وقد تحرف في المطبوع إلى: «عرجفة» وهو تحريف قبيح، وانظر في ذلك: أسد الغابة ٤/ ٢٢، ٢٣.

الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق، قال بهذا أبو مسعود الأنصارى وابن مسعود فروى أنه لما قُتل عثمان سئل أبو مسعود الأنصارى عن الفتنة فقال: عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة، واصبر حتى تستريح أو يستراح من جائر، وقال: وإياك والفرقة فإن الفرقة هي الضلالة.

وقال ابن مسعود: عليكم بالسمع والطاعة فإنها الحبل الذي أمر به ثم قبض يده وقال: إن الذي تكرهون في الجماعة خير من الذين تحبون في الفرقة. وعن الحسين قيل له: أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، فقال: أى والذي لا إله إلا هو ما كان ليجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة.

فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلمائها وأهل الشريعة العاملون بها ومن سواهم داخلون في حكمهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا، وهم نبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة لم يدخلوا في سوادهم بحال.

الثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج عما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية لأن جماعة الله العلماء جعلهم الله حجة على العالمين، وهم المعنيون بقوله ﷺ: «لن تجتمع أمتي على ضلالة» وذلك أن العامة عنها تأخذ دينها وإليها تفزع في النوازل وهي تبع لها فمعنى قوله: «لن تجتمع أمتي» لن يجمع علماء أمتي على ضلالة، ومن قال بهذا عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه وجماعة ممن سلف، وهو رأى الأصوليين.

قيل لعبد الله بن المبارك: من الجماعة الذين ينبغي أن يُقتدى بهم؟ فقال: أبو بكر وعمر، ولم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين بن واقد. فقيل: هؤلاء ماتوا، فمن الأحياء؟ فقال: أبو حمزة السكري^(١).

(١) تحرف في المطبوع إلى: «حمزة العسكري» وصوابه من الأنساب ٧/ ٩٥.

فعلى هذا القول لا مدخل في النوازل بل في السؤال عمن ليس بعالم مجتهد، لأنه داخل في أهل التقليد، فمن عمل منهم بما يخالفهم فهو صاحب الميتة الجاهلية ولا يدخل أيضاً أحد من المبتدعين لأن العالم لا يبتدع وإنما يبتدع من ادعى لنفسه العلم وليس كذلك، ولأن البدعة قد أخرجته عن غلط من يعتمد بأقواله، وهذا بناء على القول بأن المبتدع لا يقتدى به في الإجماع وإن قال بالاعتداء به فيه ففى غير المسألة التي ابتدع، لأنهم في نفس البدعة مخالفون للإجماع، فعلى كل تقدير لا يدخلون في السواد الأعظم رأساً.

الثالث: أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً وقد يمكن فيمن سواهم، ألم تر قوله ﷺ: «ولا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله»^(١) وقوله: «ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» فقد أخبر ﷺ أن من الأزمان زماناً يجتمعون فيه على ضلالة وكفر، قالوا: ومن قال بهذا عمر بن عبد العزيز فروى ابن وهب عن مالك قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها، من اهتدى بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.

قال مالك: فأعجبني عزم عمر، فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى في قوله ﷺ: «ما أنا عليه وأصحابي» فكأنه راجع لما قالوه وما سنوه وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق وبشهادة رسول الله ﷺ بذلك خصوصاً في قوله: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، وأشباهه، أو لأنهم المتلقون لكلام النبوة المهتدون للشريعة الذين فهموا أمر دين الله بالتلقى من نبيه مشافهة على علم

(١) في هامش المطبوع: «قوله الله الله» ضبطوها برفع اسم الجلالة فكل منهما مبتدأ حذف خبره ليفيد العموم أى حتى لا يبقى أحد يسند إلى الله تعالى ثناء كقول: الله أكبر، ولا عملاً كأن يقول: الله شفا هذا العليل أو أغنى هذا الفقير وما أشبه ذلك.

وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال، بخلاف غيرهم، فإن كل ما سنوه فهو سنة من غير نظر فيه، بخلاف غيرهم فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالاً للنظر ردّاً وقبولاً، فأهل البدع إذاً غير داخلين في الجماعة قطعاً على هذا القول.

الرابع: أن الجماعة هي جماعة الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم وهم الذين ضمن الله لنبيه ﷺ أن لا يجمعهم على ضلالة، فإن وقع بينهم اختلاف فواجب تعرف الصواب فيما اختلفوا فيه.

قال الشافعي: الجماعة لا تكون فيها غفلة عن معنى كتاب الله ولا عن سنة ولا قياس، وإنما تكون الغفلة في الفرقة، وهذا القول يرجع إلى الثاني، وهو يقتضي أيضاً ما يقتضيه، أو يرجع للقول الأول وهو الأظهر وفيه من المعنى ما في الأول من أنه لا بد من كون المجتهدين فيهم وعند ذلك لا يكون مع اجتماعهم على هذا القول بدعة أصلاً فهم إذاً الفرقة الناجية.

الخامس: ما اختاره الإمام الطبري من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا أجمعوا على أمير فأمر ﷺ بلزومه، ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم ثم نقل ما يؤيد ما ذهب إليه، وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، ثم قال: فهذه خمسة أقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع، وأنهم المرادون بالحديث فلتأخذ ذلك أصلاً. اهـ اعتصام ببعض اختصار.

فصل

في خلافة أبي بكر ﷺ ونبذة من فضائله

تقدم ذكر نسبه في أول المقصد وسماه رسول الله ﷺ عبد الله وصديقاً لأنه بادر بتصديق النبي ﷺ، ولقبه عتيقاً لجمال وجهه أو لأن رسول الله ﷺ قال له: أنت عتيق من النار، كما في حديث رواه الترمذی، فهو صاحب في الغار، وفي السر والجهار، في الليل والنهار، والسابق الأول في الإسلام، لم يعبد صنماً قط توفيقاً من الله وفطرة فطره الله عليها، ولا شرب الخمر قط، والمقدم للصلاة في

الحياة النبوية، والذي قدم نفسه وماله كله لله، والخليفة الأول بعده بإجماع من يعتد به، والذي أنقذ الإسلام بعد الوفاة النبوية بعلمه وتوفيقه وعدله وصرامته في الحق أنفذ وصايا رسول الله ﷺ، كان قوَّالاً بالحق، صادقاً بالأمر، سالكاً سبيل الصديق، غير مائل ولا متجاف، قائماً بالعدل لا تأخذه في الله لومة لائم، عفيفاً لم يستأثر بحال، ولا مالَ قطَّ عن سنن الرسول، وكان يوليه الرسول إمرة الجيوش موصوفاً بأصالة الرأي خطيباً مصقفاً، وقد وجهه ﷺ أمير الحاج سنة تسع ولا يوجه إلى هذه الوظيفة إلا من كان بالمكانة العليا فقهاً وإفتاءً ليعلمهم مناسكهم ويفتيهم فيما لم يعلموا، قال ﷺ فيما رواه الترمذى عن حذيفة: «اقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر...» الحديث.

قال أبو سعيد الخدرى: كان أبو بكر أعلمنا.

وقال الأئمة في شرح مسلم: هو أول من أسلم من الرجال، ثم أسلم على يديه من العشرة المشهود لهم بالجنة: عثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وجملة ما حُفِظَ عنه من الأحاديث مائة واثنان وأربعون حديثاً، في الصحيحين منها ثمانية عشر.

القرطبي: ومن المقطوع به أنه حفظ من الأحاديث ما لم يحفظ غيره، وحصل له من العلم ما لم يحصل لغيره لأنه الصفي والملازم في الحضر والسفر، والليل والنهار، وإنما لم يتفرغ للحديث والرواية لاشتغاله بالأهم، ولأن غيره قام عنه بذلك. اهـ.

أجمعت الأمة أنه هو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ قال الفخر الرازى: إذا ضمت هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَنَكُمُ﴾ أنتج لنا أنه أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ، وقد ذكر البخارى واحداً وعشرين حديثاً في فضائله منها: «ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» وتقدم نصه قريباً.

وأخرج عبد الرحمن بن حميد في مسنده وأبو نعيم وغيرهما: «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي بكر إلا أن يكون نبياً». قد علم مما تقدم قريباً أنه اقتضت حكمة هذا الدين أن يكون الخليفة رئيسه الديني والسياسي، لذا كان أول مقاصد المسلمين وأهل السابقة والمهاجرين بعد وفاة النبي ﷺ واجتماع المسلمين على كلمة التوحيد متوجّهاً إلى وجوب نصب خليفة يجمع الأمة الإسلامية على كتاب الله وسنة رسوله، ويأخذ بالقوة على ذوى العبت بالنظام، لأنهم اختلفوا فيمن يولونه هذا الأمر اختلافاً ليس فيه ما ينافي المصلحة الإسلامية، بل غايتها تمحيص الفكر ومحض النصيحة فيمن تجتمع على تأميره كلمة الجمهور الأعظم من المسلمين، ليكون أثبت قدماً في الخلافة وأشد حجة على المخالفين، فاختراروا لهذا المنصب الرفيع أبا بكر ﷺ وقالوا: نرضى لدينانا ما رضيه ﷺ لديننا حيث قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس».

وخلاصة القول في انعقاد البيعة له ﷺ أنه بينما كان الناس مشغولين بوفاة النبي ﷺ وتجهيزه ودفنه جاء مخبر فأخبر باجتماع الأنصار بسقيفة بني ساعدة بقصد المفاوضة في شأن الخلافة، وأسرع إليهم أبو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين ليتداركوا هذا الأمر قبل افتراق الكلمة، فأتوا الأنصار وقد اجتمعوا بالسقيفة لمبايعة سعد بن عباد فأعجلهم المهاجرون عن أمرهم وغلبوهم عليه وتكلم يومئذ أبو بكر فأدلى بالحجة، وكان مما قاله: «يا معشر الأنصار إنكم لا تذكرون فضلاً إلا وأنتم له أهل وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش هم أوسط العرب داراً ونسباً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين» وأخذ بيد عمر ابن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، فكثر حينئذ اللغط بين الأنصار ومنهم بشير ابن سعد يرون رأى المهاجرين يجعل الخلافة في قريش وأن الأمر إذا أجل النظر فيه ربما صعب حله، فقام إلى أبي بكر وقال: ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعه وبايعه عُمَرُ وسائر الناس.

في البخارى عن إسماعيل بن عبد الله مرفوعاً إلى عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح — قال إسماعيل: تعنى بالعالية — فقام عمر

يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسى إلا ذاك وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، فقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والله الذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الخالف على رسلك.

فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَصِيرَةٌ﴾ قال: فنشج الناس ليكون.

قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أننى قد هيات كلاماً قد أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب ابن المنذر: ألا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأعرفهم أحساباً فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده وبايعه وباعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عباد، فقال عمر: قتله الله.

البيعة: هى العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه سلم له النظر في أمر نفسه وفي أمور المسلمين لا ينازعه في شىء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه.

في صحيح مسلم: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكروه على أن لا أثره علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».

خطبة أبي بكر رضي الله عنه

لما استقرت الخلافة لأبي بكر صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ له الحق إن شاء الله، لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله».

هذا كلام صدر من أول خليفة في الإسلام يمثل معنى الرئاسة العامة في الإسلام تمثيلاً تستكن أمامه القلوب التي اشرأبت إلى حب العدل.

الكلام على جيش أسامة رضي الله عنه

أول جيش بعثه أبو بكر رضي الله عنه جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما الذي كان تجهزه رسول الله ﷺ وتوفي قبل بعثه، وارتدت العرب حول المدينة بعد وفاته ﷺ، وقبل بعثه اجتمع أصحاب النبي ﷺ وقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: رد هذا الجيش كيف توجه هؤلاء وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فأجابهم بقوله: والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفني ما رددت جيشاً تجهزه رسول الله ﷺ ولا حلت له لواء، وكان بعض الصحابة استصغر أسامة أمير الجيش^(١) وقالوا لعمر رضي الله عنه: امض إلى أبي بكر وأبلغه عنا واطلب منه أن يولى أمرنا أقدم سنًا من أسامة، فلما بلغه عمر ذلك قال له: ثكلتك أمك يا بن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله؟ ثم خرج أبو بكر للجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا نزلت ولا ركبت وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله.

(١) في هامش المطبوع: «قوله استصغر: انتقد جماعة على تأميره وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشر من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين والأنصار (انظر نور اليقين)».

فلما أراد أن يرجع أوصى أسامة ومن معه فقال: لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لأكله.

فسار أسامة فجعل لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن هؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلحقوا الروم، فلقوهم فهزموهم، وأغار أسامة على أبني — موضع في الجنوب الغربي من الشام — وغنم وعاد بعد أربعين يوماً، وقيل: بعد سبعين يوماً.

وهذا يدل على علو كعب أبي بكر رضي الله عنه في السياسة وبعد نظره في مهمات الأمور، فإنه ظهر به للعرب بمظهر القوة واستهان بإنفاذه بخطب الردة، فنفت في روح العرب روح الرهبة، فكانوا بين مقبل على الردة ومدبر عنها ومتردد بين الأمرين.

فصل الكلام على أهل الردة وقتالهم

اعلم أن من أعظم فضائل أبي بكر رضي الله عنه قتال العرب الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والذين منعوا الزكاة، وقال: والله لأجاهدكم ما استمسك السيف بيدي وإن منعوني عقلاً أو عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عمر رضي الله عنه: وكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله تعالى؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال وقد قال: «إلا بحقها» قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيتُ الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

قال الشيخ محيي الدين بن العربي في المسامرة: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب أبو بكر رضي الله عنه الزكاة كفر بها قوم، وقالوا: قد كنا ندفع أموالنا إلى محمد فما بال ابن أبي قحافة يسألنا! والله لا نعطيها منها شيئاً أبداً، فاستشار أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمع القوم على التمسك بدينهم في أنفسهم وأن يتركوا الناس مع ما اختاروه لأنفسهم، وتخيلوا أنهم لا يقدرّون على من ارتد من المسلمين، فقال

أبو بكر رضي الله عنه: لو لم أجد أحداً يؤازرني لجاهدكم بنفسى وحدى حتى أموت أو يرجعوا إلى الإسلام، ولو منعوني عقلاً مما كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدكم حتى ألحق بالله تعالى، فلم يزل أبو بكر رضي الله عنه يجاهد بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عاد الناس جميعاً إلى الإسلام ودخلوا فيه كما خرجوا منه.

نفض رضي الله عنه بعزيمة ماضية، وحكمة سامية، ونهض لنهضته رجال قريش، فاستقبلت بصورها حوادث الردة المريعة، ونيرانها المتأججة، وأخذت على عاتقها استخضاع العرب وقد ارتدت قبائلها عامة وخاصة إلا ثقيفاً وقريشاً فاقتحمت رجالات قريش بالمهاجرين والأنصار وثقيف وبعض الأحلاف ذلك العجاج الذى يرتج بأهل الردة ارتجاجاً، وخاضت بخيلها ورجلها حروب القوم بحرّاً أجاجاً، ولم يلبث أبو بكر رضي الله عنه أن أطفأ نيران الردة برجال قريش وأمثالهم حتى رمى بهم جيوش القياصرة وجنود الأكاسرة وتابعة على ذلك عمر رضي الله عنه فكان من قوادهما فى استخضاع تلك الجيوش الحرارة وتدويخ تلك الممالك العظيمة الشاسعة التى شيدت فيها صروح الإسلام وذكر على منابرهما اسم محمد صلى الله عليه وسلم، منهم: خالد بن الوليد، وخالد بن سعيد، وعمرو بن العاص، وأبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبى سفيان، وأخوه معاوية، وعياض بن غنم، وحبيب بن سلمة^(١) الفهرى، وسعد بن أبى وقاص وأضرابهم من صناديد قريش ورؤسائها الذين ذلوا الصعاب وقطعوا من العقبات ولاقوا من الأهوال، ما لا يحلم بذكرع إنسان، ولا يدانيهم فيه من مشاهير العالم مدان، كما سترى إن شاء الله.

بلغ بعزيمة أبى بكر رضي الله عنه وعظيم رأيه بعد إذ رأى ما أصاب المسلمين من الغم أن آلى على نفسه أن لا يدع العرب يقر لهم قرار إلا والسيف آخذ برقابهم والإسلام ضارب بينهم بجراحه، وبينما هو يطاول فى الأمر انتظاراً لرجوع أسامة وجيشه أعجلته عبس وغطفان وأسد وطئى، وكان بعضهم نازلاً بذى القصة وبعضهم بالأبرق فأرسلوا إليه وفدًا يذلون الصلاة ويمنعون الزكاة فردهم خائبين، فرجعوا وأخبروا القوم بقلّة المسلمين وضعفهم وقد غرّتهم كثرتهم وأعماهم الجهل

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «مسلمة» وصوابه لدى ابن الأثير فى أسد الغابة ١/ ٤٤٨.

عن أن مع المسلمين قوة الإيمان واليقين، وفيهم من الصناديد وليوث الحرب الشجعان مثل عمر، وعلى، وطلحة، والزبير الذين لا يقل لهم حد ولا يدرك لهم جد.

خشى أبو بكر بعد مسير الوفد من البيات فجعل على أنصار المدينة علياً وطلحة والزبير وابن مسعود وأمرهم بملازمة المسجد خوف إغارة من العدو فما لبثوا ثلاثاً حتى طرق العدو المدينة غارة ليلاً وخلفوا بعضهم بذى حسى ليكونوا لهم رداءً، فوافوا ليلاً الأنقاب وعليها المقاتلة فمنعهم وأرسلوا إلى أبي بكر فخرج بالمسلمين على النواضح فردوا العدو واتبعوهم حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم أهل الردة بأنحاء قد نفخوها وفيها الحبال ثم ددهوها^(١) على الأرض فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى المدينة، ولم يصرع أحد منهم ثم خرج أبو بكر ليلاً على تعبئة فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد، فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فولوا الأدبار واتبعهم أبو بكر ﷺ حتى نزل بذى القصة وكان أول الفتح ووضع فيها النعمان بن مقرن في عدد ورجع للمدينة.

وقدّم في أثناء ذلك أسامة بن زيد بجيش المسلمين فاستخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهورهم، ثم خرج فيمن كان معه فقام عليه على والمسلمون وناشدوه الله ليقم فأبى، وقال: والله لا واسيتكم بنفسى، وصار إلى ذى حسى وذى القصة حتى نزل بالأبرق فقاتل من به فهزمهم وغلب على بنى ذبيان وبلادهم، وحماها لدواب المسلمين ثم رجع للمدينة.

فلما استراح أسامة وجنده بادر أبو بكر ﷺ إلى تسيير الجيوش إلى أهل الردة فعقد أحد عشر لواء.

الأول: لخالد بن الوليد وأمره بطليحة الأسدى ومالك بن نويرة.
والثاني: لعكرمة بن أبي جهل، وسيره لمسيلمة.

(١) ددهوها: أى نفخوها.

والثالث: للمهاجر بن أبي أمية المخزومي القرشي وأمره بجنود العنسى في اليمن ومعونة الأبناء على قيس ثم يمضى إلى كندة بحزموت.
 الرابع: لخالد بن سعيد بن العاص، وبعثه إلى مشارف الشام.
 الخامس: لعمر بن العاص القرشي وأرسله إلى قضاة.
 السادس: لحذيفة بن محصن وأمره بأهل دبا.
 السابع: لعرفجة^(١) بن هرثة الأزدي وأمره بمهرة.
 الثامن: لشرحبيل بن حسنة حليف بني زهرة وأرسله في إثر عكرمة بن أبي جهل وإذا فرغ يلحق بقضاة.
 التاسع: لمعن بن حاجر^(٢) وأمره ببني سليم وهوازن.
 العاشر: لسويد بن مقرن وأمره بتهامة.
 الحادى عشر: للعلاء بن الحضرمي حليف بني أمية ووجهه إلى البحرين.
 سائر أبو بكر رضي الله عنه هؤلاء الأمراء وكتب لهم عهداً كما كتب للمرتدين، تركنا ذكرهما اختصاراً.

ثم انتهت حروب الردة بعد تذليل عقبات وأهوال في أخبار طوال بانتصار جيوش المسلمين في كل الوقائع انتصاراً باهراً، وذهبت دعوى النبوة التي ظهرت بين العرب كأمس الدابر، وهي التي ادعاها أربعة رجال وامرأة على عهد الرسالة إلى نهاية أيام الردة، وهم: الأسود العنسى في اليمن، وطلحة في أسد وغطفان، ومسيلمة في بني حنيفة، ولقيط بن زرارة في عمان، وسجاح في أخوالها من بني بكر ورهطها من بني تميم، ورجع العرب للركون بعد أن علموا أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وأن المسلمين قوم نصروا لله فنصرهم على أعدائهم ومكّن لهم السلطان في الأرض، وحصل لهم بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «لعرجفة» وهو تحريف قبيح، صوابه لدى ابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٢٣.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «معن بن جابر» وصوابه: لدى ابن حجر في الإصابة ٦/ ٣٠٨ وأضاف: «كان هو وأخوه طريفة مع خالد بن الوليد في قتال أهل الردة».

لا ينكر ما لأبي بكر رضي الله عنه من حسن الاختيار بمن ولاهم حروب الردة من القواد العظام الذين أمعنوا بجيوش المسلمين القليلة في أحشاء بلاد العرب وجابوا أنحاءها القاصية حتى بلغوا مشارف الشام والجزيرة شمالاً، وشطوط البحر الهندي جنوباً، والعراق العربي وخليج فارس شرقاً، وشطوط البحر الأحمر ومضيق باب المندب غرباً.

ولم تكن غيبتهم إلا كما يغيب المرتد للمناجع، ثم انقلبوا ظافرين وقد عمموا في جزيرة العرب دعوة القرآن وجمعوا سكانها على كلمة الإيمان، ونتج عن ذلك أن وقعت هيبة الإسلام في قلوب العرب، وأيقنوا أنه الدين الحق الذي لا يفلح مناوئته ولا ينجح شائته، فأقبلوا بأجمعهم إليه، وجمعوا كلمتهم المتفرقة عليه.

ثم التفت أبو بكر رضي الله عنه للفتوحات، ورأى أن لا يدع لبعض المنافقين الذين لا يروق لهم سمو شأن الإسلام وقتاً لدسّ سموم الفتنة في جسم تلك الأمة العظيمة التي جمعتها كلمة الإسلام، وأن يشغلهم مع الجيوش الإسلامية بالفتح تعميماً للدعوة الإسلامية، وبثاً لروح العدل والحرية بين الأمم، فما هو إلا أن ولج بالعرب هذا الباب حتى انكفئوا على الأمم التي مزقت أحشائها سيوف الأهواء والأوهام، وقضى على مجدها القديم ظلم أرباب السيطرة على النفوس والأجسام، فلم يلبث أن وافاها المسلمون يحملون لفريق أهل الكتاب منها ﴿ قُلْ يَتَاهَلْ آلِ كَتَابٍ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ ولفريق الصابئة ومن على نخلتهم من المشركين الإسلام أو الجزية أو السيف حتى اشرأبت لعدل سلطانهم أعناق الناس، ودانت لدينهم الشعوب وخضعت لسلطانهم فعمروا المسالك، وشادوا الممالك، ومصروا الأمصار، وكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقىمون القسطاس، ويأخذون من أنفسهم للمظلوم حتى يرضى، كما يأخذون على الظالم متى يتعدى.

أول ما التفت إليه أبو بكر رضي الله عنه فتح العراق، والذي حركه لذلك هو البطل الجليل المثنى بن حارثة بن ضَمْضَم الشيباني بن بكر بن وائل، وهو ممن لم يتابع بكرًا على ردّها وبقي وقومه على الإسلام، وسهل إليه الأمر ورغبه بغزوهم

فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه عهداً وسار إلى بلاده ثم إن أبا بكر رضي الله عنه استدعى خالد بن الوليد في اليمامة سنة ١٢ وأمره بالمسير إلى العراق، وأن يبدئه من أسفله، وكتب إلى عياض بن غنم الفاتح الشهير الذي كان على يده فتح الجزيرة وإرمينية أن يأتي العراق من أعلاه ويسير حتى يلقي خالداً، وأوصى أبو بكر خالداً وعياضاً رضي الله عنهما أن لا يضرا بفلاحى العراق وأهل السواد حرصاً منه على منابع الثروة، وعلماً بأن العمران لا تقوم بدونه الدولة والفلاحة كما لا يخفى مصدر حياة الناس وتقدمها أساس عمران الممالك.

لما سار خالد إلى العراق كان معه من الجند عشرة آلاف، واستقبله المثنى بشمانية آلاف ثم أمد أبو بكر خالداً بالقعقاع بن عمرو بطل المسلمين المغوار، فقبل له: أتمدّه برجل واحد؟ فقال: لا يهزم جيش فيه مثل هذا، وأمد عياضاً بعد غوث^(١) الحميرى، وكتب إلى المثنى يأمره بالسمع والطاعة لخالد، وأمر مدعوراً بن عدى العجلي أن ينضم مع قومه إلى خالد وكذلك سويد بن قطبة الذهلى من بكر وائل، واستنفر رضي الله عنه العرب وأذن لعامتهم بالانضمام إلى جيوش الفتح، وكان لزعماء الردة منهم — كطليحة الأسدى وعمرو بن معديكرب والسمط بن الأسود الكندى، والأشعث بن قيس وأمثالهم — البلاء الحسن فى فتوح العراق والشام، والإخلاص العظيم فى إعلاء كلمة الإسلام، ومعظمهم استشهد فى أيام الفتوح.

واختلف المؤرخون فى أول بلد قصده خالد فقبل: الأبله، وقيل: الحيرة، وأن الأبله كان على عهد عمر رضي الله عنه وعليه فالحيرة هى أول فتح بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، ثم إن خالداً بعد أن استخضع أهل الحيرة وقضى على دولة المناذرة التى كانت تحكم العراق من قبل الأكاسرة وقاعدتها الحيرة وأتم فتح العراق العربى بلداً بلداً، وكان كلما فتح فتحاً وتوفرت لديه الغنائم يبعث بالخمسة إلى أبى بكر مع خبر الفتح، ثم

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «عبد يغوث» وهو تحريف قبيح جداً، وصوابه لدى ابن حجر فى الإصابة ١١١ / ٥ ولديه: «ذكر سيف أن أبا بكر الصديق بعثه إلى عياض بن غنم لما استمدّه من العراق، وشكا قلة من معه».

انصرف خالد بعد هذا الفتح إلى الشام واستخلف المثنى بن حارثة على جند العراق.

لما انتهى فتح العراق العربي وجاس المسلمون خلال ديار الفرس واستقر لهم في تخوم فارس الملك والسلطان، واتخذوا بها الثغور يدخرون بها معدات القوة للإجهاز على ممالك الفرس، انصرفت همة أبي بكر عليه السلام إلى الشام التي هي مركز التجارة بين الشرق والغرب ومدخر الخيرات، وكانت الشام يومئذ تابعة لمملكة الروم وكان سلطانهم في تقلص ونفوذهم في اضمحلال، ولما توجهت أنظاره إلى فتحها استنفر المسلمين من أطراف البلاد العربية وأخذوا يفدون عليه من كل فج ويعسكرون بالجرف قرب المدينة.

وفي مستهل صفر سنة ١٣ عقد ألوية: فلواء ليزيد بن أبي سفيان ووجهه إلى البلقاء، ولواء لعمر بن العاص ووجهه إلى فلسطين، ولواء لشرحبيل بن حسنة ووجهه إلى الأردن، ولواء لأبي عبيدة بن الجراح ووجهه إلى حمص.

وكان العقد في بدء الأمر لكل أمير على ثلاثة آلاف فلم يزل أبو بكر يتبعهم الإمداد حتى صار مجموعهم أربعة وعشرين ألفاً، ساروا ولهم قوة العزيمة والصبر والاعتماد على الله في السر والجهر، وعدم المبالاة بالحياة في سبيل إعلاء كلمة الدين، ونصرة الإسلام والتعفف عما بأيدي الناس وحماية المال والنفس، وإطلاق الحرية في العوائد والدين، وأضف إلى هذا ما يصاحب أولئك المجاهدين من حسن الرأي. بمن يصاحبهم من رجال الإسلام وأقطاب السياسة والحرب يومئذ، كعمر بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، ومعاوية ويزيد ابني أبي سفيان رضي الله عنهم، ومن ورائهم مثل أبي بكر عليه السلام يمددهم بالرأي ويتابع النصائح، وحسبهم من وصاياء وصيته ليزيد المذكور التي تعجز أقطاب السياسة وتنفع قادة الجيوش وساسة الأمم في كل عصر، أوصاه بها لما شايعه ماشياً كما أوصى سائر الأمراء، ونصها:

«إني قد وليتك لأبلوك وأجربك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله، فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من

ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليًا له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقريبًا إليه بعمل، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد فإياك وعيبة الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضًا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم واقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكري وهم جاهلون به، ولا تريثهم فيروا خللك ويعلموا عملك، وأنزلهم في ثروة عسكري وامنع من قبلك من يحادثهم، وكن أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل شرك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تحزن عن المشير خيرك فتؤتى من قبل نفسك، واسهر بالليل في أصحابك تأتلك الأخبار وتنكشف عنك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكري وأكثر مفاجآتهم في محارستهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، واعقب بينهم بالليل واجعل التوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسر لهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها، ولا تسرع إليها ولا تأخذها مدفعًا، ولا تغفل عن أهل عسكري فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له». اهـ.

لما سار أمراء الأجناد المتقدم ذكرهم وكتبوا إلى هرقل عظيم الروم يدعونه إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب — وهو يومئذ بالقدس — جمع له البطارقة وكبار القواد وشاورهم في أمر المسلمين وأشار عليهم بصلحهم فأبوا عليه إلا الحرب، ولما لم يوافقوه على رأيه أخذ في إعداد الجنود والعدة وأرسل لكل أمير جيشًا ليشغل كل طائفة من المسلمين بطائفة من قومه، أما أمراء المسلمين فإنهم أوغلوا بجيوشهم في أحشاء البلاء ولهم وقائع كثيرة قبل وقعة اليرموك كوقعة مرج الصفر

— على وزن سكر — ووقعة أجنادين التي بشر أبو بكر بظفر المسلمين فيها وهو بآخر رمق، ووقعة العربة من فلسطين وبصرى وحوران وغيرها.

اقتحم المسلمون بجيوشهم البلاد اقتحام الجحريين في الحرب العارفين بمواقع الخطر الواقفين على عورات العدو الخبيرين بطرق البلاد، فإنهم أوغلوا في جنوب الشام على شكل مثلث متقارب الخطوط رأسه في اللقاء مع يزيد بن أبي سفيان مما يلي الحجاز وطره الواحد في الجنوب الغربي في فلسطين وهو مع عمرو بن العاص، والآخر في الجنوب الشرقي في حوران وهو مع أبي عبيدة بن الجراح، وفي الوسط بميلة إلى الغرب وهو مع شرحبيل وهو في الأردن بحيث يمد بعضهم من بعض بقرب، ومن ورائهم يزيد يحفظ خط الرجوع ويدعم النظر في طرق المواصلات.

على هاته الصفة افتتح كل أمير ما مر عليه من البلاد صلحاً أو حرباً حتى أخذت الصيحة الروم من كل مكان فانتبهوا من غفلتهم، فضرب هرقل البعث على العرب الذين هم تحت حمايته والروم فاجتمع لديه منهم زهاء مائة وخمسين ألفاً، ولما تفرق المجاهدون في البلاد وراعهم ما جمعه هرقل من الجموع استشاروا عمرو بن العاص فأشار عليهم بالاجتماع فاجتمع الأمراء والجيوش باليرموك وكتبوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فأمدهم بخالد بن الوليد، ولما وصل تأمر عليهم ورتب الجيوش ترتيباً على غاية من النظام وتعبئة يعجز عنها حذاق الأمراء، ثم نشب القتال بين الفريقين وكانت حركة عظيمة انجلت عن انكسار الروم وانهمزاهم شر هزيمة، بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة وأصيب من المسلمين بين قتيل وجريح زهاء الثلاثة آلاف فيهم من وجوه المهاجرين وجلة قريش عدد كبير: منهم عكرمة بن أبي جهل، وابنه، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدى، وخالد بن سعيد، وهم ممن أبلى بهذه الحرب، ومنهم: أبو سفيان بن حرب ذهبت فيها عينه.

وبينما هم في اليرموك في أشد حالات الحرب قدم اليريد بخير وفاة أبي بكر وتولية عمر رضي الله عنهما ومعه أمر بعزل خالد وتأمر أبي عبيدة، فكتب هذا الخبر على المسلمين ريثما تضع الحرب أوزارها وتولى الروم أدبارها.

وقد اختلف المؤرخون: هل جاء الخير بموت أبي بكر والمسلمون في اليرموك أو على دمشق، كما اختلفوا هل فتح شيء من الشام قبل اليرموك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه أو لا؟.

ومما لا ريب فيه أن جيوش المسلمين لما أوغلت في القسم الجنوبي من الشام افتتحت كل ما مرت عليه من البلاد وربما بلغت حمص شمالاً، إلا أن انجلاءهم بعد البلاد وتقهرهم لليرموك جعل ذلك الفتح الأول كأن لم يكن لانتقاض البلاد بعد خروج المسلمين عنها، وعدم استطاعتهم ترك الحامية فيها لقلة عددهم وكثرة جنود عدوهم، لهذا عول المؤرخون في سياق أخبار الفتح على ما كان منه بعد اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه، وفي كلا الحالين فإن الفتح الحقيقي للديار الشامية تم في زمن عمر، ولأبي بكر الفضل العظيم في سبقه إليه وإعداده مثل جيش اليرموك له، وأما عزل خالد بن الوليد فالأصح أنه جاء وهم على دمشق كما سترى بعد إن شاء الله، واختلف في اليرموك هل كانت قبل وقعة أجنادين أو بعدها، واليرموك من عمل الأردن وهو واد بناحية الشام وأجنادين من عمل فلسطين.

فصل

كان أبو بكر رضي الله عنه كثيراً ما يعمل بما يشير به علي رضي الله عنه عند بعث الجنود ولا يأذن له في الخروج مع المجاهدين حرصاً على بقائه معه للانتفاع برأيه ومشورته، وكذلك لم يأذن في الخروج لعمر وعثمان رضي الله عنهما للاستعانة بكل منهما على تدبير أمور المسلمين، ولا يفعل شيئاً إلا بعد مشورتهم مع غيرهم من وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان رضي الله عنه من العلم بقوانين الشريعة والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا يطاولها سماء، ومع هذا لا يبرم أمراً في حادثة إلا بعد أن تتداولها آراء الجماعة من الصحابة.

أخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه خرج يسأل

المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فرمما اجتمع إليه نفر كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا، فإن أعياءه أن يجد في سنة رسول الله ﷺ جمع رعوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به.

وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك فإن أعياءه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبي بكر قضاء، فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به وإلا دعا رعوس المسلمين فإذا أجمعوا على أمر قضى به.

أوليائه:

من مناقبه الكريمة ومآثره العظيمة جمعه القرآن ولا يعلم قدر فضله بهذا العمل الجليل إلا من عانى أمر الحديث وعرف مقدار ما اجتريء فيه على الكذب على رسول الله ﷺ وهم جماعة القصاص والوعاظين الذين شوشوا على الأمة في الدين والسياسة والأخلاق تشويشاً الله أعلم بما جر على الأمة من البلاء، ولو لم ينهض أئمة الحديث وحفاظه أواخر القرن الثاني وما بعده إلى تلافي هذا الخطب وتتبع الأسانيد الصحيحة وترتيب درجات الحديث وتفريق الموضوع من الصحيح، لكان الخطب أعظم والمصيبة أشد.

أما القرآن فله الحمد والمنة على أنه سبحانه تكفل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقال ﴿لِكَتَّابٍ عَزِيزٍ ﴿١١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ لهذا كان أول ما ألهم إليه أبو بكر النهوض إلى جمعه من صدور الرجال وبعض الصحف فجمع وكتب بين الدفتين دون أن يلحق حرفاً واحداً منه تغيير أو تبديل وقد تقدم شرح ما ذكر في المقدمة، وهو أيضاً أول من سُمي خليفة، وأول من أسلم من الرجال، وأول من وضع بيت المال.

ولما مرض رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه عهد بالخلافة لعمر رضي الله عنه، وكتب له عهداً في ذلك ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما عهد أبو بكر خليفة محمد ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقى الفاجر، إن استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإن برّ وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدّل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردتُ فلا علم لي بالغيب ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

توفي ﷺ في مرضه المذكور، روى الحاكم أن سبب موته وفاة رسول الله ﷺ كمدًا بما يجري — أي ينقص — حتى مات، قال الحافظ ابن حجر: وهو مرض السل، وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها: «أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن مت في ليلتي فلا تنظروا في الغد فإن أحب الأيام والليالي إلى أقربها من رسول الله ﷺ، وتوفي من ليلته تلك، وهي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة في السنة الثالثة عشر من الهجرة، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وغسلته امرأته أسماء كما أوصى، وصلى عليه عُمر بين القبر والمنبر وكبر أربعًا ودفن إلى جنب رسول الله ﷺ، وأخرج ابن هشام عن ابن عروة عن أبيه: أن أبا بكر صلى عليه ليلاً ودفن ليلاً، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وبضعة أيام، وكان نقش خاتمه: نعم القادر الله.

وكان فصيح اللسان قوى الحجة إذا خطب، كثير التذكير بالله والتخويف منه والترغيب فيه، روى عن الزبير بن بكار أنه قال: سمعت بعض أهل العلم يقول: أفصح خطباء رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب.

خطبة على في تأبين أبي بكر رضى الله عنهما

أجمع الرواة أن أبا بكر لما قبض ارتجت المدينة، ودهش القوم كيوم قبض رسول الله ﷺ، وجاء على مسرعاً باكياً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول: رحمك الله يا أبا بكر كنتَ والله أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدّهم يقيناً وأعظمهم غنى وأحفظهم على رسول الله ﷺ وأحدهم على الإسلام وأحماهم عن أهله وأنسبهم برسول الله خلقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حيث قعدوا، وسماك الله في كتابه صديقاً فقال: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ يريد محمداً ويريدك، كنت والله للإسلام حصناً وللكافرين ناكياً، لم تضلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تبجن نفسك، كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنتَ كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدنك، قوياً في دينك، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في الأرض، كبيراً عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى، فالضعيف عندك قوى، والقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذ للضعيف، فلا حرمنّا الله أجرك ولا أضلنا بعدك.

تنبيه: اعلم أن الأخبار عن على عليه السلام بصحة خلافة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وكونهما خيرى الأمة بعد النبي ﷺ ثبتت عنه من طرق كثيرة بروايات كثيرة من الثقات العدول، منهم: ابنه محمد ابن الحنفية بحيث يجزم من يتبعها بصدور ذلك القول من على عليه السلام جزماً قاطعاً ليس فيه شك ولا ريب.

قال الحافظ الذهبي: تواتر ذلك عن على عليه السلام ورواه عنه نيف وثمانون من أصحابه وصرح بذلك في الخلوة والملا، وخطب بذلك على منبر الكوفة زمن خلافته مع حضور الجمع العظيم، ولهذا اتفق الأئمة الأربعة وأئمة الحديث مثل البخارى ومسلم وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم وأئمة السلف وبقية أهل السنة والجماعة على اعتقاد صحة خلافته.

قال سفيان الثوري: من قال: إن علياً عليه السلام كان أحق بالخلافة من أبي بكر فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وما أراه يرتفع له مع هذا الاعتقاد عمل إلى السماء، وأخرج الدارقطني عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما مثل ذلك.

الحالة الاجتماعية على عهد أبي بكر

اعلم أن الحالة الاجتماعية التي كانت على عهد الرسالة كانت كذلك في عهد أبي بكر عليه السلام، وقد نهض أبو بكر بعد الرسول ﷺ بإتمام نشر الدعوة وتوحيد كلمة الشعوب فهوذا يعلم من سيرته، فرمى ﷺ بالجيوش الإسلامية فارس والروم ليكونوا حماة الدعوة بعد إذ لم تنجح فيهم الدعوة مجردة عن القوة في عهد رسول الله ﷺ، فخالط المسلمون تلك الأمم البالغة منتهى درجات الرفاهة والتنعم المنغمسة في حمأ الشهوات النفسية ودوخوا بلادهم واستفتحوا كنوزهم، ومع هذا فلم يؤثر ذلك في أخلاقهم ولم تدعهم تلك الزخارف إلى تنكب المحجة الواضحة التي تركهم عليها نبيهم لا سيما وإن القرآن بين أيديهم يهتدون بهديه وأبو بكر من ورائهم يحملهم على طريقته ويؤدبهم بأدب نفسه، وكان جل أمره منصرفاً إلى إقامة شعائر الدين، والتأدب بأداب النبي ﷺ خصوصاً في خشونة العيش، وكبح جماح النفوس، والقناعة بالكفاف، هذا مع علمه بأن الله سبحانه وتعالى أحل الطيبات للمؤمنين، وإنما هو كان حريصاً على تأدب المسلمين بأداب النبوة وآدابه كي لا يشغلهم عن بث الدعوة والجهاد في الله وتوحيد كلمة الشعوب شاغل الإخلاد إلى الراحة، والرغبة بنعيم الحياة الفانية، وأنى يشغلهم شيء عن أمر الله وهم خير أمة أخرجت للناس وعصرهم خير العصور.

وكيف لا يكون خير العصور وقد كان فيه المؤمنون على جانب من سلامة الفطرة وطهارة الأخلاق وتآلف القلوب، ونصرة العدل والحق، ومواساة الضعيف والقيام بواجب الإخاء وتبادل الثقة والحب، لم تبلغ مبلغهم في أمة حديثة عهد في الدين من قبل ولن يأتي أمة سواهم من بعد.

روى الغزالي في الإحياء: أن تبادل الثقة والحب بين المسلمين يومئذ بلغ بهم أن كانوا خلطاء بالمال يأخذ فقيرهم من مال الآخر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

كان أبو بكر رضي الله عنه خير قدوة للمسلمين وكان على جانب من التواضع وشظف العيش، وخشونة الملبس، مع غناه ووفرة دخله من أملاكه، فقد اقتدى به المسلمون وتحوشنوا في مآكلهم وملبسهم وتعفف كبارهم حتى عن التمتع بدخلهم.

في تاريخ المسعودي: لما قدم على أبي بكر زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشي المثقل بالذهب والتيجان والحبرة وشاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة، ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم، وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته، وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلي، فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى إنه رثى يوماً في سوق من أسواق المدينة وعلى كتفيه جلد شاة ففرغت عشيرته، وقالوا له: فضحتنا بين المهاجرين والأنصار، قال: أفأردتم أن أكون ملكاً جباراً في الإسلام، لا والله لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع والزهد.

قال المسعودي: وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر، وذلوا بعد التجبر، لا جرم أن قدوة الأمم رؤساؤها، وقادتها إلى الخير والشر ملوكها، ولم يرنا التاريخ مصارع قوم هلكى بشقاء الحياة إلا بملوكهم، كما لم يرنا تسود قوم وتمتعهم بسعادة الحياة إلا إذا استقام ملوكهم.

هذه كانت الحالة الاجتماعية على عهد أبي بكر رضي الله عنه على وجه الإجمال «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ».

خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه ونبذة من سيرته

الخليفة الثاني الفاروق الأعظم، أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تقدم ذكر نسبه في صدر المقصد، شب على الشجاعة والنجدة، كان المسلمون في أوائله في حاجة إلى ذوى العصبية والإقدام من رجالات قريش ليستطيعوا إعلان دينهم والذب عن نبيهم، وكان ممن عرف في قريش بنفوذ الكلمة والبطش وسمو المكانة عمر بن الخطاب وأبو جهل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، يتوقع خيراً للمسلمين بإسلام أحد هذين الرجلين، لهذا قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام» يعنى أبا جهل، فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم بأحب الرجلين إليه عمر بن الخطاب، فأسلم في ذى الحجة لمضى ست سنين من البعثة.

أخرج الحافظ ابن الأثير^(١) في أسد الغابة عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أنه قال: قال لنا عمر بن الخطاب: أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامي؟ قال: كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما أنا في يوم شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا بن الخطاب؟ أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: أحتك قد صَبَّأت، قال: فرجعت مُعْظَبًا، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصييان من^(٢) طعامه وقد كان ضم إلى زوج أختي رجلين، قال: فجئت حتى قرعت الباب فقبل: من هذا؟ فقلت: ابن الخطاب — قال: وكان القوم جلوساً يقرءون القرآن في صحيفة معهم، فلما سمعوا صوتي اختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم، قال: فقامت المرأة ففتحت لي الباب، فقلت: يا عدوة نفسها قد بلغني أنك صَبَّأت^(٣)!

(١) في المطبوع: «ابن الجزرى» وقد اشتهر بذلك أيضاً.

(٢) في المطبوع: «ويصييان في طعامه» والمثبت لدى ابن الأثير في أسد الغابة الذى ينقل عنه المصنف.

(٣) يقال: صَبَّأ فلان، إذا خرج من دين إلى دين غيره.

وضربتها بشيء كان في يدي فسال الدم، فلما رأت المرأة الدم بكت ثم قالت: يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل، فقد أسلمت، قال: فدخلت وأنا مغضب فجلست على السرير فنظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت فقلت: ما هذا الكتاب؟ أعطيتني، فقالت: لا، لست من أهله، أنت لا تغتسل من الجنابة، ولا تطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون! قال: فلم أزل بها حتى أعطيتني، فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي، قال: ثم رجعت إلى نفسي فإذا فيها: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ قال: فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت، ثم ترجع إلى نفسي، حتى بلغت ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ حتى بلغت إلى قوله: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني، وحمدوا الله، عز وجل، ثم قالوا: يا ابن الخطاب، أبشر، فإن رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال: «اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين: إما عمر بن الخطاب وإما عمرو بن هشام» قال: فقلت لهم: أخبروني بمكان رسول الله ﷺ، فقالوا: هو بيت أسفل الصفا وصفوه، قال: فخرجت حتى قرعت الباب، قيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، قال: وقد عرفوا شدتي على رسول الله ﷺ ولم يعلموا بإسلامي، قال: فما اجتراً أحد منهم أن يفتح الباب، قال: فقال رسول الله ﷺ: افتحوا له الباب، فإنه إن يرد الله به خيراً يهده، قال: ففتحوا لي، وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله ﷺ، فقال: «أرسلوه» فأرسلوني فجلست بين يديه، فأخذ بمجمعي^(١) قميصي فحببني^(٢) إليه، ثم قال: «أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده» قال: فقلت: أشهد

(١) في المطبوع: «بجميع» والمثبت لدى ابن الأثير الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) في المطبوع: «فحببني» والمثبت لدى ابن الأثير الذي ينقل عنه المصنف.

أن لا إله إلا الله، وأنت^(١) رسول الله، فكبر المسلمون تكبيرة سُمعت بطرق مكة. اهـ^(٢).

وروى أن عمر لما أسلم، قال: يا رسول الله، علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنا قليل، وقد رأيت ما لقينا» فقال عمر: والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان، ثم خرج رسول الله ﷺ في صفين من المسلمين، حمزة في أحدهما وعمر في الآخر، حتى دخلوا المسجد، فنظرت قريش إلى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة، ومن يومئذ سماه رسول الله ﷺ الفاروق، لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل.

أخرج الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم اليوم، وأنزل الله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى في البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا [فصلينا]. أخرجه في أسد الغابة^(٣).

وأخرج البخارى عن ابن مسعود أيضاً «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر» كان قواماً على الحق منافحاً عن رسول الله ﷺ، مراقباً لأعدائه، حريصاً عليه من وصول أذاهم إليه، مبغضاً لمن أبغضه، وكان النبى ﷺ يستشير أصحابه في بعض الأمور فكان أبو بكر وعمر أفضلهم عنده رأياً لصدق لهجهما وعظيم إخلاصهما، ولهذا قال النبى ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» رواه الترمذى.

(١) في المطبوع: «وأنت» والمثبت لدى ابن الأثير الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) الخبر بطوله لدى ابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ١٤٧.

(٣) أسد الغابة ٤/ ١٥٢ وما بين حاصرتين منه.

وفي رواية لأبي داود عن أبي ذر قال: «إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به» وكان ﷺ يرى رأى فينزل به القرآن، حتى بلغت موافقاته نيفاً وعشرين، منها: آية تحريم الخمر، فإنه لما قال: اللهم بين لنا في الخمر بيئاً شافياً نزلت آية التحريم.

ومنها: آية الحجاب.

ومنها: آية الاستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائماً فقال: اللهم حرّم الدخول، فنزلت آية الاستئذان. وفي البخارى خمسة عشر حديثاً في فضائله.

وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى جبريل آنفاً فقلت: يا جبريل، حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب، فقال: لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح فى قومه ما نفدت فضائل عمر، وإن عمر حسنة من حسنات أبى بكر رضى الله عنهما» وقال الأئبى: سمى الفاروق، لأنه فرق بإسلامه بين الحق والباطل، ونزل جبريل فقال: يا محمد، استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

وحفظ له من الحديث خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثاً، فى الصحيحين منها واحد وثلاثون، قال الشعبى: إذا اختلف الناس فخذوا بما قال عمر، وقال: قضاة هاته الأمة: عمر، وعلى، وزيد بن ثابت، وأبو موسى.

تقدم أن أبى بكر ﷺ عهد إليه بالخلافة فوليهها يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، ولما تلا كتاب العهد على المسلمين بايعوه جميعاً ولم ينكل عن بيعته أحد من المهاجرين والأنصار، وقد قام ﷺ بهذه الوظيفة السامية قياماً محموداً لا يجارىه فيه أحد من قادة الأمم وساسة الحكومات، بل كان من عظيم أثره وأثر عمر^(١) فى الخلافة الإسلامية أن كانا مثلاً لمن بعدهما، يضرب بالعدل وحسن السياسة، وحجة على من تنكب طريقهما من الخلفاء، وخالف سيرتهما من الأمراء.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أبى بكر».

في أسد الغابة عن علي عليه السلام قال: إن الله جعل أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة، فسبقا والله سيقا بعيدا، وأتعبا والله من بعدهما إتعابا شديدا، فذكرهما حزنا للأمة، وطعن على الأئمة^(١). اهـ.

وحسب عمر عليه السلام من خلافته أن يكون مثلا في العدل وحجة على الخلفاء والولاة من بعده، بل حسبته من سيرته فخرا وذكرًا أن كل المؤرخين سواء كانوا من المسلمين أو المنصفين من غير المسلمين أجمعوا على أنه أعدل من ساس الأمم وأعظم رجل في الإسلام.

روى أن معاوية عليه السلام قال لصعصعة بن ضوحان: صف لي عمر، فقال: كان عالما برعيته، عادلا في قضيته، عاريا عن الكبر، قابلا للعذر، سهل الحجاب، مصون الباب، متحريرا للصواب، رفيقا بالضعيف، غير محاب للقوى، وغير جاف للغريب.

والحاصل أن فضائله عليه السلام كثيرة جدا شهيرة خُصت بالتأليف، وسنقص عليك بعضها.

فتوح الشام

قد علم مما تقدم أن أول عمل قام به عمر عليه السلام عزل خالد بن الوليد عن الإمارة العامة وتوسيدها لأي عبدة عامر بن الجراح عليه السلام، وعلم أن المسلمين انتصروا في وقعة اليرموك، ولما هزم الله جند العدو وفرغ من المقاسم والأنفال وبعث بالأخماس وسُرحت الوفود استخلف أبو عبدة على اليرموك بشير بن كعب ابن أبي الحميرى، وخرج أبو عبدة حتى تزل بمرج الصُّفَر، وهو يريد اتباع قُلُهْم^(٢)، ولا يدرى يجتمعون أو يفرقون؟ فاتاه الخبر بأنهم اجتمعوا بفحل، وأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص، فهو لا يدرى، أبدمشق يبدأ أو بفحل من بلاد الأردن؟ فكتب في ذلك إلى عمر وانتظر الجواب وأقام بالصفرة، فلما جاء عمر فتح اليرموك أقر الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر، إلا ما كان من

(١) أسد الغابة ٤ / ١٦٧.

(٢) في القاموس (ف ل ل) قوم قُل: منهزمون، وفي المطبوع: «الغالة».

عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، فإنه ضم خالدًا إلى أبي عبيدة وأمر عمرًا بمعونة الناس حتى يصير الحرب إلى فلسطين، ثم يتولى حربها، وكان هرقل قبل انكسار جيشه باليرموك بأورشليم، ولما جاء خبر انكسار جيشه رحل إلى حمص.

لما بلغ أبي عبيدة عليه السلام كتاب الخليفة بالذى ينبغي أن يبدأ به وهو دمشق، امتثل وسرح عشرة قواد وبعث ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص، وبعث علقمة بن حكيم ومسروقًا فكانا بين دمشق وفلسطين، والأمير يومئذ يزيد بن أبي سفيان، فقدم خالد بن الوليد وعلى مجنبتيه، عمرو وأبو عبيدة، وعلى الخيل عياض ابن غنم^(١)، وعلى الرجل شُرَحِيل بن حَسَنَة^(٢)، فقدموا دمشق ونزلوا حوالها.

فكان أبو عبيدة على ناحية، وعمرو على ناحية، وخالد على ناحية، ويزيد على ناحية، فحاصروا أهل دمشق نحوًا من سبعين ليلة حصارًا شديدًا حتى تم فتحها، والفضل في ذلك لأولئك الأمراء، وبالخصوص خالد، واتفق كثير من الرواة والمؤرخين على أن الذى تولى عقد الصلح مع الدمشقيين هو خالد وأمضاه أبو عبيدة بعد أن أطلععه على كتاب الخليفة بعزله عن^(٣) إمارته، وهذا يدل على أن خبر عزل خالد لم يأت وهم على اليرموك، بل أتى وهُم على دمشق، وكتبه أبو عبيدة ريثما تم الصلح.

تنبيه: ومن جميل سياسة عُمر أنه كان يعلم من نفسه الشدة فلا يرضى لعماله أن يكونوا مثله، لهذا عزل خالد بن الوليد عن الإمارة وجعل بدله أبا عبيدة، وكان عماله جميعهم عُرفوا باللين كأبي عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، وحذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف وأضراهم، ومع شدته عليه السلام فقد كان يوصى عماله بالرفق والعدل وعدم الإيغال في العقوبة، وبلغ به كره الإيغال في العقوبة أن أرسل إلى أبي موسى الأشعري، وقد شدد في العقوبة على بعضهم يهدده بالعقاب إذا عاد إلى مثلها.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «عياض بن أبي غنم» وصوابه من أسد الغابة.

(٢) حَسَنَة: وهى أمه.

(٣) في المطبوع: «على».

لما انتهى فتح دمشق أخذ أمراء الأجناد في فتح بقية الشام قرية قرية ومدينة مدينة كعجلون، وبيسان، وطبرية، ومرج الروم، وحمص، وبلبك، وبيروت، وأجنادين، وغزة، ونابلس، وبيت جبرين وإيليا — أى بيت المقدس —.

والذى عقد الصلح مع أهل بيت المقدس الخليفة عُمر رضي الله عنه، قدم بطلب من الأهالى، وصلى الصبح ببيت المقدس وعقد الصلح بنفسه إجابة لمطلبهم، ثم وقع فتح حماة، واللاذقية، وقنسرين، وأنطاكية وغيرها من البلاد السورية.

وتم هذا الفتح بعد حروب طويلة استمرت ثلاث سنين، ولاقى جند المسلمين في غزونها من العناء أشده، وبذلوا من الدماء ما جعل ثمن هذه البلاد غالياً ومقامها في نظرهم عالياً، وكان لرجال قريش وأشرافها في حرب الشام خلاصة من الأثر العظيم والبلاء الجسيم، ما لم يكن لقوم غيرهم في الفتوحات الأخرى، وقتل منهم عدد كثير، لا سيما في وقعة اليرموك، ومن قتل منهم: عكرمة بن أبى جهل، وابنه، وخالد بن سعيد، وهشام بن العاص، وسُهَيْل بن عمرو، وأبان بن سعيد وأضرأهم من صناديد قريش وأشرافها، وكان للنساء القرشيات من البلاء ما كان للرجال.

روى الطبراني أن النساء المسلمات قاتلن يوم اليرموك وخرجت جويرية ابنة أبى سفيان، وهند بنت عتبة، أم معاوية بن سفيان.

وبالجملية فقد لاقى المسلمون أشد الأهوال وصادموا عدواً استمات في حوزة الدفاع عن حوزته والذب عن سلطانه.

القواد الذين حضروا هاته الفتوحات، وهم من أنجاد قريش وسادتها، ومن كان له البلاء الحسن: خالد بن الوليد، وأبو عبيدة، وخالد بن سعيد، وعمرو بن العاص، ويزيد ومعاوية ووالدهما أبو سفيان، وحبيب، بن مسلمة، وعياض بن غنم، وعكرمة بن أبى جهل، وسُهَيْل بن عمرو، وأبان بن سعيد.

والذين هم من غير قريش: فذو الكلاع الحميري، وشُرَحْبِيل ابن حَسَنَة، والقعقاع بن عمرو، والسمط بن الأسود الكندى، وعلقمة بن مجزز، وعلقمة بن حكيم، وعبادة بن الصامت، ومالك بن الأشتر النخعي، وأبو أيوب المالكى، ومعاذ بن جبل، وغيرهم.

وقد كان لهم حسن ترتيب للجيش وإمام بطرق البلاد وتفنن بأساليب الحرب، وكان الخليفة — وهو بالمدينة — يصدر أوامره للأمراء كيف يسرون، وأى المسالك يسلكون، وأى البلاد يقصدون، كأنما ينظر إلى القطر على خريطة مصورة بين يديه.

جغرافية سوريا

يحد سوريا شمالاً أذنة^(١) (أى كيليكيا) من آسيا الصغرى، وشرقا الفرات والبادية، وجنوبا جزء من بلاد العرب ويقال له: تيه بنى إسرائيل، وغربا البحر المتوسط، وقد قام فى هذا القطر حكومات كثيرة تعددت بتعدد الأقوام القاطنين فيه كالفينيقيين والحثيين والآشوريين والكنعانيين وغيرهم من الشعوب، ثم رحل إليه بنو إسرائيل من مصر وزاحموا سكان البلاد وأخذوا قسما عظيما منه، وغزاه كثير من الدول القديمة كدولة الفراعنة المصريين، والماديين، والفرس، والرومانيين، واليونانيين، وعرب الإسلام، ولم تثبت فيه قدم دولة من الدول الفاتحة كما ثبتت دولة الرومانيين ودولة الإسلام فقد كان ابتداء دولة الرومان من سنة ٦٥ قبل المسيح إلى سنة ٦٣٣م، حيث ابتدأ الفتح الإسلامى فى البلاد السورية، وكانت نهايته سنة ٦٣٨م أو سنة ١٧هـ، وفيها تقلص ظل الروم عن هذا القطر، وكان على عهد الرومانيين مقسوما إلى ثلاثة أقسام كبيرة، وهى فلسطين وتوابعها، وأنطاكية وتوابعها، وكان القسم الشمالى منه يسمى سورية، والجنوبى يسمى فلسطين، فأطلق عليه اسم سورية منذ تملكه الرومان، ولما تملكه الإسلام وأطلقوا عليه اسم الشام، وقسمه عمر إلى أربعة أقسام: الأول: قسم الثغور وهى حمص وقنسرين وحلب وأنطاكية وقاعدته حمص، والثانى: دمشق، والثالث: الأردن، وحاضرتة طبرية، والرابع: فلسطين، وهذا ينقسم إلى قسمين قسم حاضرتة الرملة، وقسم حاضرتة إيلياء^(٢) أى القدس.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أذنة» بالبدال المهملة وصوابه من ياقوت.

(٢) لدى ياقوت: «إيلياء بكسر أوله واللام، وياء وألف ممدودة، اسم مدينة بيت المقدس، عبرى، قيل: معناه بيت الله.

انتداب عمر رضي الله عنه لفتح العراق وفارس

اعلم أن عمر أول عمل قام به أيضًا انتداب الناس لحرب الفرس، وذلك أن المثنى بن حارثة رضي الله عنه كان منذ وفوده على أبي بكر رضي الله عنه في أول خلافته يُهَوَّن عليه أمر الفرس حتى ولاه قتالهم، ثم ولى خالداً فقاتل تحت رايته، ثم لما سافر خالد إلى الشام وبقي المثنى أميراً على ما وقع فتحه من العراق دفعه الإقدام إلى أن يتوسع في الفتح ويرمى بسهم المسلمين مملكة الأكاسرة، ويدوخ ذلك الملك العريض.

فوفد على أبي بكر رضي الله عنه في حال مرضه، ففاوضه في أمر الهجوم على فارس، إلا أن أبا بكر رضي الله عنه لم يسعه إجابة مطلبه لمرضه، وأوصى عمر أن يندب الناس بعد توليته الخلافة مع المثنى، وفي صبيحة الليلة التي دُفن فيها أبو بكر قام عمر فانتدب الناس وأول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي، انتدبه رضي الله عنه أميراً على الجيش وخرج في أوائل جمادى الآخرة سنة ١٣، ومعه سعد بن عبيد^(١)، وسليط بن قيس، والمثنى بن حارثة، فتقدمهم إلى الحيرة ووقع القتال بين المسلمين والعدو التمارق^(٢)، وكان النصر حليف المسلمين.

ولما انهزم العدو أخذ في أثره إلى كسكر، ثم إلى الحيرة ووقعت مقاتلة على جسر الفرات انهزم فيها المسلمون وقتل فيها أبو عبيد وسليط وجرح المثنى، ولما انتهى خبر الهزيمة إلى عمر رضي الله عنه اشتد عليه الأمر، ثم إن المثنى جمع القبائل التي حوله وبعث عمر رضي الله عنه البعوث وأمر عليه أمراء كعرفجة^(٣) بن هرثمة، من زعماء العرب.

(١) لدى ابن حجر في الإصابة ٣/ ١١٣: «وسعيد بن النعمان، تقدم في سعد، وهو أصح، وفي ترجمة سعد في الإصابة ٣/ ٦٨: «مات سعد بن عبيد بالقادسية شهيداً سنة ست عشرة» وفي المطبوع: «سعيد بن عبيد».

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «القمارق» بالقاف في أوله، وهو تحريف قبيح جداً، وصوابه في معجم البلدان لياقوت، ولديه: «التمارق» موضع قرب الكوفة من أرض العراق، نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق، فقال المثنى:

غَلَبْنَا عَلَى خَفَّانٍ بَيِّدَا مَشِيحَةً إِلَى النُّخْلَاتِ السَّمْرِ فَوْقَ التَّمَارِقِ
وَأَنَا لَنَرْجُو أَنْ تَجُولَ خِيولُنَا بِشَاطِئِ الْفَرَاتِ بِالسِّيُوفِ الْبَوَارِقِ

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «عرجفة» وصوابه لدى ابن حجر في الإصابة.

أما الفرس فإنهم لما أحسوا باجتماع العرب جمعوا كلمتهم بعد أن كانت في حال ارتباك، وجمعوا جيشًا كثيفًا بالبويب أميره مهران، ثم التحم القتال بين الفريقين واشتد الحال إلى أن آل الأمر إلى اضطراب جيش العدو وقتل مهران، وتم ذلك بحسن قيادة البطل الجليل المثنى بن حارثة، ومات من أعلام المسلمين في هاته الوقعة ناس، منهم: خالد بن هلال، ومسعود بن حارثة، أخو المثنى.

ولما فرغ المثنى من أمر البويب وتشتت أمر الفرس وعاد جرير بن عبد الله البجلي من غزاته، فرّق المثنى جنوده في السواد وأخذ يستخضع البلاد التي عصت من قبل، وكانت له وقائع كثيرة مع الفرس ظفر بها المسلمون ما شاءوا من متاع ومال، وبلغت غارتهم شرقاً قرب مدائن فارس، وشمالاً إلى الجزيرة فأوقعوا الرعب في قلوب الأعداء حتى قام لذلك الفرس وقعدوا وأجمعوا على تأمير يزدجرد والتجهيز لحرب المسلمين، ولما بلغ المثنى ذلك كتب للخليفة بذلك، ولما وصل إليه الخبر كتب إلى عماله على العرب والكور يستحثهم على الاستنفار ووافاه بعض القبائل إلى المدينة، وبعض القبائل انضموا إلى المثنى، ورأى من السداد أن لا يفوته أمر خاصة المسلمين وعامتهم فيمن يوليه أمر هذه الحرب، فاستشار العامة فأشاروا عليه بالمسير بنفسه، والخاصة فأشاروا عليه بتسليم القيادة لغيره وبقائه بالمدينة، وبعد استشارتهم قام خطيباً فقال: «أما بعد فإن الله عز وجل جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخواناً، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره، وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم وبين ذوى الرأى منهم، فالتناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما أجمعوا عليه ورضوا به لزم الناس، وكانوا فيه تبعاً لهم، ومن قام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم.

أيها الناس، إني كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأى منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، وقد أحضرت لهذا الأمر من قدمت ومن خلفت». اهـ.

ويعنى بمن خلف عليا وطلحة، لأكما لم يحضرا رأى الأول، ولما انتهى من خطبته أشار عليه طلحة وعلى بما أشار إليه العامة، ونهاه العباس وعبد الرحمن بن عوف عن هذا رأى، وقال له الثانى: أقم وابعث جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك فى جنودك قبل وبعد، فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك، وإنك إن تقتل أو تهزم فى آنف الأمر خشيت أن لا يكبر المسلمون وأن لا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً. اهـ.

فأخذ ﷺ برأى عبد الرحمن ﷺ، وأمر على الجند سعد بن أبى وقاص ﷺ، عامله على هوازن، ودعاه وأوصاه بوصية، ثم خرج سعد ومعه أربعة آلاف من اليمن وغيرهم وفيهم من السراة وزعماء العرب عدد وافر، منهم: خميص بن النعمان البارقى، وشداد بن ضمعج^(١) الحضرمى، وعمرو بن معديكرب، وشرحبيل بن السمط الكندى وأضراهم من صناديد العرب وقادتها.

وخطب خطبة عند مشايعتهم، وسار الجند حتى انضم إلى جند العراق الذين كانوا مع المثنى، فكان عدد الجند الذى شاهد وقعة القادسية ثلاثين ألفاً. وفى أثناء ذلك توفى المثنى بن حارثة الشيبانى، أمير جيش العراق من أثر انتقاض جراحة أصابته فى وقعة الجسر المتقدم ذكرها، وكان ﷺ على جانب عظيم من الشجاعة والإقدام والنظر البعيد فى شئون الحرب، لا يدانيه إلا خالد بن الوليد.

ولما تم لسعد الاستعداد انتشب القتال بينه وبين عدوه، وانتهى بفلّ جموع الفرس وفتح القادسية، وأقام فيها بعد الفتح شهرين، وكتب للخليفة فيما يفعل، فكتب إليه يأمره بالمسير إلى المدائن فسار إليها لأيام بقين من شوال سنة ١٥ أو سنة ١٦، وفتح فى طريقة بابل، ثم دخل المدائن، وهى عاصمة الأكاسرة بعد حصار شهرين، وهرب منها كسرى إلى حلوان، فغنم المسلمون من ذخائر كسرى وأموال الفرس ما لا يعد، وجعل سعد إيوان كسرى مسجداً.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «ضمضج» وصوابه لدى الطبرى فى تاريخه.

وموقع المدائن على دجلة من الجنوب الغربي من بغداد، ولم يبق غربي دجلة إلا أرض العرب وكلهم آمنوا واغلبوا بملك الإسلام، ثم أرسل جيشاً بقيادة ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى حلوان وفتحها بعد أن فر كسرى منها إلى الري، وفي أثناء إقامة سعد بالمدائن وقع فتح تكريت والموصل، ثم تحول إلى الكوفة بعد أن اختطها بأمر من الخليفة، وسنشرح الكلام على تكريت عند التعرض لفتح الجزيرة، ثم وقع فتح الأهواز وسوس وتُسْتَر، والأهواز اسم ولاية واقعة بين ولاية البصرة وولاية فارس، وكان بها الهرمزان، وهو أحد البيوتات السبعة في أهل فارس وكان شهد القادسية مع الفرس، فانهزم بهزيمتهم، فجاء إلى الأهواز فتولى أمرها، وكانت وقعت منه عهود أثناء وقائع تقدمت، فنقضها، ولما وقع فتح الأهواز طلب الهرمزان الأمان على أن ينزل من القلعة التي اعتصم بها على حكم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فنزل على حكم ذلك، واقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف.

وقُتل في وقعة الأهواز جمع من المسلمين، فيهم: البراء بن مالك ومجزأة بن ثور، قتلها الهرمزان بيده، وسنذكر ما آل إليه أمر الهرمزان، إن شاء الله بعد. ثم وقع فتح جُندِ يَسَابُور بعد أن حاصرها زَرَّ بن عبد الله بن كليب. ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اهتم بفتح بقية ممالك الفرس، فأعد لذلك العدة وقسم الجيوش والأمراء، فأمر أبا موسى الأشعري أن يسير من البصرة، وبعث ألوية مع سهيل بن عديٍّ فقدم بها، ودفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، ولواء سابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي، ولواء إصطخَر إلى عثمان بن العاص الثقفي، ولواء نهاوند إلى سارية بن زنيَم الكناني، ولواء كَرْمَانَ إلى الحكم بن عمرو الثعلبي^(١).

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الحكم بن عمير الثعلبي» وصوابه من الإصابة لابن حجر ٢/ ١٠٨، ولديه: «الحكم بن عمرو الثعلبي، له ذكر في الفتوح، وأنه الذي حاصر مكران وهزم مليكها، وبعث بالفتح إلى عمرو... في قصة طويلة». ولدى ياقوت: «كان الحكم بن عمرو الثعلبي افتحتها في أيام عمر».

وسارت هاته الجيوش كل جيش إلى وجهته بعد أن أمدهم بإمدادات، وفي غضون خمس سنين تم الفتح الأعظم من بلاد فارس الشرقية والغربية صلحاً وحرباً، فبلغت ولاية أذربيجان شمالاً وسجستان من ولاية أفغانستان ومكران من ولاية السند شرقاً وبحراً الهند وخليج فارس جنوباً وكردستان والجزيرة غرباً.

واختلف في فتح خراسان هل كان في خلافة عمر أو عثمان، رضي الله عنهما، وكانت وقعة نهاوند أعظم الوقائع وأحسن فتح، وفيها من القواد العظام وزعماء العرب جماعة، منهم: حذيفة بن اليمان وأميرهم البطل الجليل النعمان بن مقرن المزني، وكان فتحها بعد حصار طويل، وممن قتل في هاته الوقعة: طليحة الأسدي، وعمر بن معديكرب الزبيدي، ودخل الجيش المدينة بعد هزيمة الفرس واحتلوا على ما فيها، وجمعوا الأسلاب إلى أمين المال السائب بن الأقرع، وجاءهم الهربذ صاحب بيت النار مستأئماً ودلهم على ذخيرة لكسرى كانت عنده، على شرط أن يعطوه الأمان على نفسه وعلى من شاء، فأعطاه حذيفة بن اليمان، فأخرج له تلك الذخيرة التي كان أعدها لنواب الزمان، فأجمع رأى المسلمين على رفعها لعمر عليه السلام.

ولما تم الفتح طلب الفرس الأمان وأجيبوا إلى ذلك على شروط، منها: إرشاد ابن السبيل، وإصلاح الطرق، وقسم حذيفة الغنائم فكان سهم الفارس ستة آلاف وسهم الرجل ألفين، ورفع ما بقي من الأخماس إلى السائب بن الأقرع وهو خرج بها إلى عمر عليه السلام، مع ذخيرة كسرى، وتقدم الرسول بخبر الفتح وهو طريف بن سهم، أخو بني ربيعة، وكان عمر ينتظر أخبار نهاوند فلما جاء وأخبره خبر الفتح واستشهاد النعمان عليه السلام بكى حتى اخضلت لحيته، وترحم على النعمان، وكان عليه السلام رقيق القلب محباً للمسلمين، حريصاً على حياة القواد، ويحزن حزناً شديداً إذا أصيب أحد منهم.

ثم وصل السائب بالأخماس فوضعت بالمسجد وأمر عمر نفرًا من أصحابه منهم: عبد الرحمن بن عوف بالمبيت فيه، ودخل منزله فاتبعه السائب بالسفطين وهي جوهر ثمين، وأخبره خبرهما وأن الناس رضوا بأن يكونا له، فقال له عمر:

يا مُليكة والله ما دروا هذا ولا أنت معهم، فالنجاء النجاء، عودك على بدئك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه، فأقبل راجعاً حتى انتهى إلى حذيفة فباعهما فأصاب أربعة آلاف ألف (أربعة ملايين) وذلك غاية في عفة عمر عليه السلام.

قلت: وأخلاقه عليه السلام كأخلاق الأنبياء عليهم السلام، الذين استهانوا بالدنيا ومتاعها، وفي قصة الهرمزان الآتية قريباً ما يصدق ذلك، فإنه لما رأى عمر عليه السلام ورأى ما رأى من أخلاقه قال: إن عمر ينبغي أن يكون نبياً، فقالوا: ليس بنبي ولكنه يعمل عمل الأنبياء.

فقد بان لك من تلك المقالة أخلاق هذا الخليفة العظيم الذي دوخ ملك فارس والروم وأرهبت سطوته الأمم وامتد ظل سلطانه إلى حدود الهند شرقاً وإفريقية الشمالية غرباً، ومنحه الله هذا الملك العريض والسلطان، ومع هذا فإنه لا يرضى لنفسه منزلة فوق منزلة الناس حتى من أدنى رعاياه، إن هذا هو العدل الذي ليس فوقه عدل، فبمثل ذلك عظم قدره وشاع ذكره وملأ الأذهان خبره حتى عده المؤرخون من أعظم رجال الإسلام، وحتى أننا لنفخر به على ملوك الأرض، رضى الله عنه وأرضاه.

رجوع إلى خبر الهرمزان

تقدم أن الهرمزان نزل من القلعة التي تحصن بها بأمان على حكم أمير المؤمنين، وبعد نزوله أوفد أبو سيرة إلى المدينة وفدًا فيهم أنس بن مالك، والأحنف بن قيس ومعهم الهرمزان، فلما اقتربوا من المدينة ألبسوه حلته الملوكية وتاجه، ودخلوا به المدينة ليراه المسلمون على هاته الصفة، وانطلقوا إلى المسجد يطلبون أمير المؤمنين فوجدوه نائماً في ميمنة المسجد متوسداً برنسه، فجلسوا دونه، وليس في المسجد غيره، فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا، فقال أين حرسه وحجابه؟ فقالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا ديوان، فقال: ينبغي أن يكون نبياً، فقالوا: يعمل عمل الأنبياء، وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً، ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ فقال: نعم، فتأمله وتأمل ما عليه، وقال: الحمد لله الذي

أذل بالإسلام هذا، يا معشر المسلمين، تمسكوا بهذا الدين واحسدوا بهدى نبيكم، ولا تبطنركم الدنيا فإنها غرارة، هيه يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عُمَرُ، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم، إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا، فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا.

وحاصله أن استقلال الأمم وتفرقها تابع لاجتماع الكلمة وتفرقها.

فتح الجزيرة

وهي القسم الشمالى من الأرض الواقعة بين الفرات ودجلة والجنوبى منها هو العراق العربى وكلاهما كان من منازل العرب من بكر وربيعه ومضر، وكان رحيل العرب إلى هذه البلاد من أزمنة متطاولة قيل: إنها تمتد إلى ما بعد سيل العرم، وقاعدة الجزيرة الموصل، وكان فتحها وفتح تكريت على يد عبد الله بن المعتز، وربيعى بن الأفكل، وكان بعثهما سعد بن أبى وقاص من العراق.

وقيل: بل كان فتح الموصل على يد عياض بن غنم الفهرى القرشى لما فتح الجزيرة سنة ١٨، وهو من أكبر الفاتحين، وأبو عبيدة بن الجراح ابن عمه، وهو أمير الجيوش، ولما توفى أبو عبيدة فى طاعون عمواس فى السنة ١٨ تولى عياض عمل أبى عبيدة، وهو: حمص وقنسرين، وأضاف إليه عُمَرُ الجزيرة، وأمره بفتحها ففتحها.

والحاصل: أن فتحها قيل: كان من قِبَلِ سعد وهو بالعراق، وقيل: من قِبَلِ أبى عبيدة، وبلغ عياض فى الفتح بادية الشام غربا وإِرمينية وكردستان شرقا، وتوفى سنة ٢٠، ولما تم الفتح صلحا كتب لأهل الرها بذلك ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب عياض بن غنم لأسقف الرها، إنكم إن فتحتم لى باب المدينة على أن تؤدوا إلى على كل رجل دينارا ومُدَى قمح فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم، وعليكم إرشاد الضال، وإصلاح الجسور والطرق، ونصيحة المسلم، شهد الله وكفى بالله شهيدا.

فتح مصر وبرقة

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه شديد التطلع إلى مصر راغباً فتحها، لأنه جاءها مرة في الجاهلية ورأى من ثروة أهلها وسهولة أمرها ما أطمعه في فتحها، فلما قدم الخليفة عمر رضي الله عنه الجاهية في سنة ١٨، اختلى به وفتحها بما في نفسه وهون عليه أمر مصر ورغب إليه أن يوليه فتحها، فتردد عمر رضي الله عنه في الأمر، لأن جيوشه متفرقة في الشام والجزيرة وفارس تكافح دولة الفرس والروم، فما زال به عمرو حتى استرضاه وأذن له بقصدها، وجهاز معه أربعة آلاف فارس كلهم من عك، وقال له: سر وأنا مستخير الله في مسيرك، ثم أمدته بأربعة آلاف ثم بأربعة آلاف آخرين وكتب إليه: إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، منهم رجال مقام الألف: الزبير ابن العوام، والمقداد بن الأسود، وعُباد بن الصّامت، ومسلمة بن مخلد، وإن معك اثني عشر ألفاً ولا يُغلب اثنا عشر ألفاً من ^(١) قلة.

وكان القبط في مصر يكرهون سيادة الروم ويودون التخلص منها ولو بسيادة المسلمين، فلما بلغ عمرو مصر وظفر بجنود الروم تواطأ على صلحه المقوقس مع قومه وصالحوه على شيء معلوم، وبعد أن تم الصلح شخص عمرو بجنده إلى الإسكندرية، وكان فيها جمع كثيف من الروم فحاصرها مدة طويلة ثم أخذها عنوة، وكتاب بالفتح إلى عمر واستقرت قدمه في البلاد فأخذ في تنظيم شئونها وترتيب خراجها وتقرير أسباب الراحة والأمان بين أهلها، وما زال والياً عليها حتى عزله عثمان بن عفان رضي الله عنه، وستأتي ترجمة هذا الفاتح العظيم.

وزبدة القول في هذا الفتح أن المقوقس لما أحس بالغلبة فر بجنده من حصنه بعد حصار شديد إلى منف، وبعث لعمرو كتاباً طالباً فيه توجيه رجال ليكون الاتفاق على يدهم، فأرسل عمرو كتاباً مع عشرة نفر، رئيسهم عبادة بن الصّامت، وكان هائل المنظر أسود اللون طوله عشرة أشبار، فتقدم إليه عبادة في صدر أصحابه فهابه المقوقس وطلب تقديم غيره، فأجابوا: إن هذا الأسود أفضلنا

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٨٢، ٨٣.

رأيا وعلمًا، وهو سيدنا وخيرنا ونرجع جميعًا إلى قوله ورأيه، وقد أمر الأمير أن لا نخالف رأيه وقوله^(١)، فقال المقوقس لعبادة: تقدم وتكلم برفق.

فألقى عبادة خطبة أتى فيها على المراد بأفصح عبارة وألطف إشارة، ولما انتهى كلامه قال المقوقس لمن حوله بلغتهم: ما سمعت مثل كلام هذا الرجل قط، لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب.

ثم قال له عبادة: بيننا وبينك خصلة من ثلاث خصال، فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين، وهو عهد رسول الله من قبل إلينا: إما الإسلام الذي هو الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمر الله أن نقاتل من غالبه ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا، وكان أحنانا في دين الله، فإن قبلت أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم، وإن أبيتم إلا الجزية فأدوها إلينا وأن نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدًا ما بقينا وبقيتكم، وأن نقاتل عنكم من نأواكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذ^(٢) كنتم في ذمتنا، وكان لكم به عهد علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا، أو نصيب ما نريد منكم، هذا ديننا ولا يجوز لنا غيره، فانظروا لأنفسكم^(٣).

وبعد محاورات دارت في النازلة تركنا ذكرها اختصارًا، قال المقوقس: أعلم أميرك أني لا أزال حريصًا على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال، وأنى أريد أن نجتمع به مع جماعة من أصحابي فإن استقام الأمر بيننا تم، وإلا رجعنا إلى ما كنا عليه.

(١) في المطبوع: «أن لا نخالف له، فقال» والمثبت رواية ابن عبد الحكم.

(٢) في المطبوع: «إن» والمثبت لدى ابن عبد الحكم.

(٣) ابن عبد الحكم ص ٩٠.

ثم اجتمع عمرو بالمقوقس وكتبوا الصلح بأن يعطوا الأمان للمصريين وهم يدفعون الجزية.

ولما استتب لعمرو الأمر بمصر صار إلى برقة، وتسمى قديمًا أنطابُلُس، وهي واقعة بين مصر وطرابلس الغرب، ومن فرضها الشهيرة بنغازي، فصالحه أهلها على الجزية، وصار إلى طرابلس الغرب ففتحها وكتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه: أما بعد، فإننا قد بلغنا طرابلس، وبينها وبين إفريقية تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل، فنهاه عمر وولى على برقة عقبة بن نافع الفهري. هاته خلاصة أخبار هذا الفتح في خلافة عمر رضي الله عنه.

تنبيه: اعلم أن العرب أمة حربية قل أن يمثّلها في ذلك العصر شعب من الشعوب في الشجاعة والإقدام والتعود على أساليب القتال لدأب أفرادها منذ نعومة الأظفار على الفروسية، وتعلم فنون الحرب، وائتلافهم للقتال، وحبهم للغارة التي تقتضيها حالتهم الاجتماعية، وعوائدهم البدوية، إلا أنه كانت تنقصهم الجماعة والعدة أي آلات الحرب، فكانوا مع كونهم أمة واحدة من جنس واحد قبائل متفرقة الأهواء والمنازع، يقاتل بعضهم بعضًا، ويشب بعضهم على بعض، ولم يكن عندهم من آلات الحرب والقتال وأنواع السلاح إلا الرمح والسيف والدرع والسهم، ولم يكن لعامتهم حظ بالجيد من أنواع هذا السلاح لفقرهم، وربما كان أجودهم سلاحا أهل اليمن لخصب أرضهم وتقديم بلادهم في الحضارة وعراقتهم في الملك من عصور التبابعة، ولذلك كان الفرس في واقعة القادسية يشبهون سهام العرب بالمغازل لدقتها وسداجة صنعها.

ولما جاء الإسلام جمع هذه الأمة على كلمته وضم قبائلها إلى رايته، فلم يلبثوا أن دب فيهم روح الاجتماع وشعروا بالحاجة إلى الطاعة والانقياد، والتكاتف والاتحاد، وكان من ذلك أن خضدوا شوكة الدولتين فارس والروم لما دفعهم أبو بكر وعمر إلى قتال الأمم وفتح الممالك، وأظهروا في قتال جنود الدولتين من التفنن في أساليب الحرب والتعود على الطعن والضرب ما رأيت فيما تقدم مما جعل النصر حليفهم والقوة رائدهم في كل مكان.

فمن ذلك: أنهم كانوا لا يقتحمون جنداً ولا يعمنون في داخل البلاد ما لم يجعلوا وراءهم رذءاً، أى مدداً، يحمى ظهورهم ويؤمن طريق الرجعة، ولا يمكن العدو من أن يقطع على موادهم.

ومنها: أنهم كانوا لا يحاصرون مدينة ما لم يقطعوا عنها طرق المواصلات مع جيش العدو.

ومنها: أنهم كانوا يبدؤون العدو بالقتال في أطراف بلاده التي تلى البادية، حتى إذا أصابتهم هزيمة تكون جزيرة العرب من ورائهم، فلا يسع جيش العدو تتبع أثرهم واقتحام صحارى بلادهم.

ومنها: براعتهم في إقامة خطوط الدفاع على طول البلاد إذا أرادَ مُهاجمتها العدو.

ومنها: اليقظة الدائمة لحركات العدو والاستعداد لصد غاراته.

ومنها: توهينهم قوة العدو بإشغال جيوشه بالحرب عن أن يمد بعضها بعضاً عند الحاجة.

هذا وأشباهه من مكائد الحرب التي مر ذكرها في غضون أخبار الفتح، كما تدل على براعة القواد المسلمين يومئذ، وتفوقهم في أساليب الحرب وأصول القيادة على قواد جيوش الروم والفرس، لاسيما الخليفة عُمر رضي الله عنه، الذي كان مع بعده عن مواقف القتال يصدر أوامره إلى القواد في الأعمال الحربية وكيفية الهجوم والدفاع على وجه يدل على أنه من أعظم قواد الجيوش في العالم، هذا فضلاً عما كان يوصى به القواد من الرفق وحسن المعاملة مع المغلوبين، وعدم التسلط بالإيذاء عليهم، وبدوام اليقظة والسهر والرفق بجيوش المسلمين، وعدم إلقاءهم في المهالك والترتيب في الحرب والتبصر في أمور القتال إلى غير ذلك.

وأما تعبئة العرب للجيوش في إبان الفتح الذي مر ذكره في هذا الكتاب، فقد بلغ الغاية في الترتيب وحسن النظام والانتظام، ولنذكر لك كيفية تعبئتهم للجيوش في وقائعهم الشهيرة، وهى: وقعة اليرموك، ووقعة القادسية، ومنها تظهر لك مرتبتهم في فنون الحرب ومكانهم من البصيرة في تعبئة الجيوش التي تشبهها من كل

الوجوه تعبئة الجيوش في هذا العصر كالطلائع والمجردات (الكشاف) والميمنة والميسرة (الجناحين) والقلب والساقة والردء والمدد والرجل (المشاة) والركبان (الفرسان).

وكان الغالب على العرب قبل الإسلام حب المبارزة والمهاجمة عند الالتقاء مع العدو، وصاروا في الإسلام يفضلون الزحف صفوفًا (كراديس) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾ وكان الأمراء والقواد يتفاوتون في المراتب، فمنهم الأمير العام (المشير الآن) ويليهِ خليفته (الفريق الآن) ويليهِما أمراء التعبئة كأمر الميمنة والميسرة والقلب وغيره (وهم الأولوية الآن) ويليهِم خلفاؤهم (الأمير أليات الآن) ويليهِم أمراء الكراديس (الصفوف) ويليهِم العرفاء وأمراء الأعشار (الجاويش والنقباء) ولعلمهم رؤساء المائة.

وفضلاً عن هذا فقد كان يكون مع الجيش الرائد يرتاد المواضع الموافقة لنزول الجيش، والقاضي، وأمير الأقباض الذي ينتهي إليه حفظ الغنائم وقسمة الفىء، والترجمان والكتائب، والأطباء لمداداة الجرحى.

روى الطبرى في تاريخه أن خالد بن الوليد عباً جيش المسلمين يوم اليرموك تَعْبَةً لم تُعَبَّى العرب مثلها، فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس وجعل عليها عمرو بن العاص، وفيها شَرَحْبِيل ابن حَسَنَة، وجعل الميسرة كراديس وجعل عليها يزيد بن أبى سفيان.

وجعل على كل كردوس من هذه الكراديس قائداً، فجعل القعقاع بن عمرو على كردوس من كراديس أهل العراق، ومذعور بن عدى على كردوس، وجعل غير هذين بضعة وثلاثين قائداً، كل قائد على كردوس، منهم: عياض بن غنم القرشى، وحبيب بن مسلمة القرشى، وسهيل بن عمرو القرشى، وعكرمة بن أبى جهل القرشى، في عدة مثلهم من قریش، وأما من كان من غير قریش، فمنهم: ذو الكَلَّاع الحميرى، والسمط بن الأسود الكندى، وضرار بن الأزور الأسدى، وأضرابهم من صناديد العرب، وكان القاضي أبو الدرداء وابن مسعود على

الأقباض، وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس ويحرض المسلمين على القتال^(١).

هكذا كانت تعبئة جيش اليرموك.

وأما القادسية فكانت أحسن من ذلك وأرقى نظاماً وترتيباً، فقد ذكر الطبرى أن سعد بن أبي وقاص قدر الناس وعبأهم كما أمره عمر رضي الله عنه، فأمر أمراء الأجناد وعرف العرفاء، على كل عشرة رجالاً، كما كانت العرافات أزمان النبي ﷺ^(٢). قال الطبرى: وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء، وأمر على الرايات رجالاً من أهل السابقة، وعشر الناس، وأمر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام، وولى الحرب رجالاً، فولى على مقدماتها ومجنّياتها وساققتها وبجرداتها وطلائعها ورجلها وركبانها فلم يفصل — أى من شراف — إلا بتعبئة^(٣).

فأما أمراء التعبئة فاستعمل زهرة بن عبد الله بن قتادة الحويّ من ملوك هجر، فقدمه ففصل بالمقدمات من شراف حتى انتهى إلى العذيب، واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتّم، واستعمل على الميسرة شريحيل بن السّمط الكندى، وكان غلاماً شاباً، وكان قد قاتل أهل الردة، فعرف ذلك له، وجعل خليفته خالد بن عرقطة، وجعل عاصم بن عامر التميمى على الساقة، وسواد بن مالك التميمى على الطلائع، وسلمان بن ربيعة الباهلى على المجردة، وعلى الرجل حمّال بن مالك الأسدى، وعلى الركبان عبد الله بن ذى السهمين الحثعمى، فكان أمراء التعبئة يلون الأمير (أى بعده فى المرتبة) والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار، والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات، والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رعوس القبائل^(٤).

(١) تاريخ الطبرى ٣ / ٣٩٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٣ / ٤٨٨.

(٣) تاريخ الطبرى ٣ / ٤٨٨.

(٤) تاريخ الطبرى ٣ / ٤٨٨، ٤٨٩.

قال الطبرى: وبعث عمر رضي الله عنه الأطباء، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن ابن ربيعة الباهلي، ذا النور، وجعل إليه الأقباض^(١) وقسمة الفىء، وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسي، والترجمان هلال الهجري، والكاتب زياد بن أبي سفيان^(٢).

وبالجملة فإن تعبئة الجيش على عهد عمر رضي الله عنه كانت وافية بالغرض من كل الوجه، وصرف العناية في كل ما يعود بالقوة والعز على المسلمين، ويرفع شأن الخلافة ويضاف إليه براعة القواد المسلمين وتفوقهم في أساليب الحرب واعتقاد المسلمين بالنعيم الأخروي الذي كان يحبب إليهم الموت في ميادين الحرب، ونيل الشهادة بين صفوف الأعداء، وصبرهم على المكاره وتحملهم لشظف العيش، ورضاهم بالكفاف من القوت، واستخفافهم بجنود الأعداء، قتلوا أو كثروا، واعتقادهم بالحصول على النصر الذي وعدهم الله به إذا نصروا الحق وعدلوا بين الناس.

وهذا من أهم الأسباب التي رجحت جانب المسلمين على جانب الأعداء، ومهدت طرق الغلبة بجيوش من العرب، والذي وفر هذه الأسباب إنما هو اجتماع العرب بعد التفرق، واتحادهم على كلمة الإسلام بعد التخاذل والانقسام.

أوليائه — فمنها كتابة التاريخ الهجري

لم يكن للعرب قبل الإسلام تاريخ يؤرخون به إلا الحوادث الشهيرة عندهم، فإنما كانت بمثابة التاريخ فكانوا يقولون: حدث ذلك في عام الفيل مثلاً، وولد فلان بعد عام الفجار بكذا، وهلم جرأً، واستمر ذلك في الإسلام إلى مضي سنتين ونصف من خلافة عمر رضي الله عنه، فرأى لزوم وضع التاريخ لضبط الحوادث، حيث انتشر الإسلام وكثر الفتح ومست الحاجة لضبط الشؤون والأعمال في الحكومة الإسلامية، فجمع الصحابة واستشارهم في ذلك، وسألهم من أى يوم نكتب التاريخ؟ فأشار عليه على رضي الله عنه بأن يجعل التاريخ من السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ إلى المدينة ففعل.

(١) الأقباض: جمع قبض، وهو ما جمع من الغنائم.

(٢) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٨٩.

ومنها — تدوين الدواوين وفرض العطاء

من البديهي أن حاجات الدولة تترقى بترقى العمران وامتداد السلطان، وقد كانت دولة الإسلام في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر في مبادئ الظهور وعدم اتساع السلطان، ولم يكن لها من الدخل والخرج إلا الصدقة التي كانت تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء.

وأما المغام والفىء فكانت قليلة لم تحوج أحاسها التي يبعث بها إلى المدينة إلى صرف العناية في ترتيب الشؤون الإدارية على أصول الدول المتقدمة يومئذ كفارس والروم، وإنما كانت العناية منصرفة إلى الشؤون الحربية والفنون العسكرية، ولما توسع المسلمون في الفتح وانتشروا في الممالك وكثرت موارد الدولة وتبسطت في مناحي العمران وأخذ يزداد الفىء من الخراج والحزبة زيادة لا طاقة للخليفة وأمرائه بضبطها، ولا قبل لهم بإحصاء مستحقيها، وتوزيع الأعطيات — المرتبات — على أربابها بالعدل إلا بضبطها وترتيبها على أصول ثابتة وقيدها في قيود خاصة، دعا عمر رضي الله عنه الصحابة واستشارهم في تدوين الديوان، وحيث كانت النتيجة الموافقة على رأيه، دعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نبهاء قريش فأمرهم بتدوين الديوان ففعلوا.

والديوان هو الدفتر أو مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية كما في القاموس، وتوسعوا بمسماه فأطلقوه على كل دفاتر الحكومة الإدارية وغيرها، ثم على المكان الذي يكون فيه الديوان فسموه ديوانًا.

ومنها: ترتيب العمال وتقسيم الولايات، ومنها اتخاذ دار الدقيق يعين به المنقطع، ومنها توسعة المسجد النبوي، ومنها ضرب النقود، كان العرب قبل الإسلام تتعامل بالنقود الفارسية والرومية من الدراهم، واستمر ذلك إلى صدر من خلافة عمر، فلما كانت سنة ١٥ هجرية ضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية وشكلها، غير أنه زاد في بعضها: الحمد لله، وفي بعضها: محمد رسول الله، وجعلها كل عشرة دراهم بزنة سبعة مثاقيل، ذكر ذلك المقرئ في النقود

الإسلامية، ولم يضرب ﷺ الدينار، وضربُه إنما كان على عهد عبد الملك بن مروان.

ومنها: اتخاذ بيت المال، ومنها قيام شهر رمضان، ومنها العقاب على الهجاء، ومنها الجلد في الخمر ثمانين، ومنها وضع البريد وهو اسم للمسافة التي بين كل محطة من محطات البريد وهي أربعة فراسخ أو اثنا عشر ميلاً، ثم أطلق على حامل الرسائل، وتوسعوا فيه الآن فأطلقوه على أكياس البريد.

وأصله من وضع الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم استعمله الرومان وغيرهم من الأمم، ثم استعمل في الإسلام، وأول من استعمله عُمر رضي الله عنه، ثم إن معاوية بن أبي سفيان رتبته على أصول معروفة ووضع له الخيل وأقام له المحطات.

ومنها جمع الناس في صلاة الجنائز، ومنها تمصير الأمصار، ومنها التسمية بأمر المؤمنين، ومنها إقامة الجسور والطرق وحفر الترعة وإرشاد الضال.

في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له» أي رضى فعله وقبله منه وأثنى عليه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله علمني شيئاً أنتفع به، قال: «اعزل الأذى عن طريق المسلمين».

الأذى: عزل الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، ويلحق بالشوك كل مؤذ من حجر يعثر به أو جيفة أو قذر أو غير ذلك، ويدخل فيه كل من أدخل نفعاً على المسلمين أو أزال عنهم ضرراً لأن ذلك من النصيحة الواجبة للمسلمين بعضهم على بعض التي بايع النبي ﷺ أصحابه على النصح لكل مسلم في حضرته وغيبته فيما يرجع لدينه ودنياه. اهـ.

ومنها إقامته واليًا للحسبة، ومنها استقضاء القضاة في الأمصار.

قضاؤه

كان ﷺ يتولى القضاء بنفسه وينيب غيره لما هو معروف من أن القضاء في الإسلام وظيفة من وظائف الإمام له أن يتولاها بنفسه وأن ينيب بها عند الحاجة غيره، وكان تحريره للعدالة في انتخاب القضاة كتحريه في انتخاب الولاة لا يراعى في كليهما إلا الأهلية والاستعداد والتقوى والعدل، ويعلم أن إثم الظالم إذا ظلم على موليه، فقد أخرج ابن الجوزي في المناقب عن عبد الملك بن عمير قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: من استعمل رجلاً لمودة أو لقربة لا يستعمله إلا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين^(١).

وكما كان يتحرى في انتقاء العمال والقضاة التقوى والعدالة، يتحرى العلم والمعرفة والذكاء.

وكان لا يحب تعجيل الفصل في الخصومة رجاء أن يصطلح الخصمان وتمحي آثار الضغائن من النفوس.

ففي كنز العمال عنه ﷺ أنه قال: رُدُّوا^(٢) الخصومَ حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء^(٣) يورث الضغائن بين الناس^(٤).

كتابه في القضاء إلى أبي موسى الأشعري

اعلم أن الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا، فصاحب الشرع يتصرف في الأمرين: أما في الدين فبمقتضى التكليف الشرعية التي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها، وأما في سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري، وهو ضروري للبشر، وأن رعايته مصالحه كذلك لئلا يفسد إن أهملت،

(١) مناقب عمر لابن الجوزي، ص ٨٨.

(٢) في المطبوع: «رددوا» والمثبت من الكنز الذي ينقل عنه المصنف.

(٣) في المطبوع: «الخصومة» والمثبت من الكنز الذي ينقل عنه المصنف.

(٤) كنز العمال برقم ١٤٤٣٨.

وتصرفه الديني يختص بخطط ومراتب لا تعرف إلا للخلفاء الإسلاميين، منها: الصلاة والقضاء والجهاد والحسبة، وأول خليفة دفع القضاء لغيره وفوضه فيه عمر رضي الله عنه فولى أبا الدرداء معه بالمدينة، وولى شريحاً بالبصرة وكتب إليه كتاباً تركنا إيراداً هنا اختصاراً، وولى أبا موسى الأشعري بالكوفة وكتب له الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء ونصه:

أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، وانفذ إذا تبين لك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وسو بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يبأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس وراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه إلى الحق، فإن الحق قائم، ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل، الفهم الفهم عند ما يتلحج في صدرك ما ليس في كتاب ولا سنة، اعرف الأمثال والأشياء وقس الأمور عند ذلك، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيها ترى، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء، فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ للعدر، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنياً في ولاء أو قرابة، فإن الله سبحانه قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات، وإياك القلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر، فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه هتك الله ستره وأبدى فعله. اهـ. بعد التحرى.

وقد نقل هذا الكتاب غير واحد منهم ابن خلدون، والتسولي، والبيان والتبيين. وله رضي الله عنه كتب كثيرة بارعة وخطب عزيزة غزيرة نافعة تركنا ذكرها اختصاراً. إلى هنا انتهى ما أردت إيراداً من أخبار عمر رضي الله عنه، ومنها تعلم كيف كان هذا الرجل العظيم، والشهم الهمام الفخيم، فيتمثل لك في صورة من النور وجسم من

الفضيلة والكمال، وعلم من أعلام الرجال، الذين تفتخر ببياتهم الأمم، ويقتدى بسيرتهم أرباب المهمة، فالجد والصبر والثبات والجلد والقوة والعدل والتقوى والتواضع والرفق والحلم والبصيرة والرأى كلها أخلاق قل أن تجتمع في عدد من الرجال، وقد اجتمعت في عمر بن الخطاب، وكل أخلاقه تكاد تكون فطرية لا يظهر عليها شيء من التصنع والتكلف وأخباره كثيرة لا يمكن استقصاؤها.

وكانت فيه خلال ﷺ جعلت الأمة تحبه فقد عرفوا منه قبل كل شيء أنه فني في مصلحة أمته لا يهتم في أمر نفسه شيء إلا أن يكون مع الله في جميع أمره، لا يرى لنفسه حقاً أن يتمتع في هذه الدنيا بأكثر مما يتمتع به أفقر رجل من أمته، تجد ذلك في مأكله وملبسه ومشربه، ثم عرفوا منه أنه للامة قبل الخاصة بكل هؤلاء إلى ما لهم من الحول والحيلة في الحياة الدنيا ويقبل على عامة الناس وضعفتهم فيقويهم ويسودهم وينظر في صغار أمورهم وكبارها، ولا يبالى بما يصيبه من تعب الجسم فيما هو بسببه، لذلك كانت قوة الأمة معه.

وعرفوا منه أيضاً خلافاً أدبه فيها القرآن وهي: الحق والعدل والصدق والصبر على البأساء والضراء والوفاء بالعهد وهي صفات تحلى بها عمر ﷺ فأتعب من بعده، وكان من أخص صفاته الجد المصحوب بالحزم مع التأني في الأمور والاستشارة في جليلها وصغيرها، لهذا من تتبع سيرته لا يراه فشل في أمر من الأمور.

من ذلك الفتح العظيم الذي كان على عهده الذي توفى إليه صاحبه من أول عهده بالخلافة إلى وفاته، وسبب هذا التوفيق هو الجد والحزم وعدم التردد في الأمر وتمحيص الأشياء، شأن كل رجل عظيم يريد ما يقول وينال ما يريد، ولو بحثنا في التواريخ القديمة والحديثة لوجدنا في كل أمة رجلاً أو رجلاً من رجال السياسة والحرب تفتخر بهم، لكن ليس من هؤلاء الرجال من اجتمعت فيهم الخصال السامية والأخلاق الحميدة التي اجتمعت في عمر ﷺ.

نعم إن من مشهورى الرجال رجالاً أسسوا ملكاً عظيماً أوسع من ملك عمر، وافتتحوا من الممالك ما لم يفتحه، ونالوا من السيادة على الشعوب الكثير فوق ما نال، لكن هل كان منهم من كان كعمر جباراً غير ظالم، كريماً غير مسرف، عادلاً لا عن

ضعف، شجاعاً غير متهور، وقنوعاً غير شره، زاهداً بغير تصنع، حليماً من غير جبن، تقياً غير متنطع؟ كلا، لا سيما إذا نشأ بين قوم كقومه حالهم من البداوة معروف. والحاصل أن التاريخ حكمٌ عدلٌ، وقد جاء تاريخ عمر حافلاً بالخصال الحميدة والأمور الجسام التي جعلته سابقاً على كل من أتى بعده، وجعلت كبار أصحاب رسول الله ﷺ يشعرون بأن الإسلام فقد بفقده أثبت أركانه.

وفاته ﷺ

استشهد ﷺ من طعنة بخنجر من أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وقت صلاة الغداة، روى المؤرخون أنه شكاً إلى عمر ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة ورجاه في تخفيفه، واختلف المؤرخون في جواب عمر ﷺ فقال بعضهم: إنه وعده خيراً وعزم أن يذاكر المغيرة في تخفيف الخراج عنه.

وهناك روايات أخرى تختلف في جوهرها عن هذه، ويؤخذ من أقوال المؤرخين أن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد الغلام عليه وعدم تخفيف الخراج عليه ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان، وجفينة، وكعب الأحبار الذين حقدوا على عمر تدويخه لبلادهم مما هو مفصل في التاريخ، وقد اصطنعوا أبا لؤلؤة لتنفيذ غرضهم.

في العقد الفريد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: دخلتُ على عمر في أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم، وعنده جماعة من أصحاب النبي ﷺ فقال له رجل: ليس عليك بأس، قال: لئن لم يكن علىّ اليوم ليكونَ بعد اليوم، وإن للحياة لنصيياً من القلب، وإن للموت لكربة، وقد كنتُ أحب أن أنجى نفسي وأنجو منكم، وما كنتُ من أمركم إلا كالغريق يرى الحياة فيرجوها، ويخشى أن يموت دونها، فهو يركض بيديه ورجليه، وأشد من الغريق الذى يرى الجنة والنار وهو مشغول^(١).

ولقد تركتُ زهركم كما هي، ما لبستها فأخلقتها، وثمرتكم يانعة في أكمامها ما أكلتها، وما جنيت ما جنيتُ إلا لكم، وما تركت ورائي درهماً ما عدا ثلاثين أو

أربعين درهماً، ثم بكى وبكى الناس معه، فقلت: أمير المؤمنين، أبشر فوالله لقد مات رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ومات أبو بكر وهو عنك راض، وإن المسلمين راضون عنك، قال ﷺ: المغرور والله من غرتموه، أما والله لو أن لي ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المَطْلَع^(١).

وفيه عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما طعن عمر قيل له: [يا] أمير المؤمنين لو استخلفت؟ قال: إن تركتكم فقد ترككم من هو خير مني، وإن استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير مني، ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّاً لاستخلفته، فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالمٌ مولى أبي حذيفة^(٢) حيّاً لاستخلفته، فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالماً يحب الله حبّاً لو لم يخفه ما عصاه، قيل له: فلو إنك عهدت إلى عبد الله فإنه [له] أهل في دينه وفضله وقدم إسلامه، قال: بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد، ولوددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لا لي ولا عليّ، ثم قالوا: يا أمير المؤمنين، لو عهدت؟ فقال: كنت أجمعت بعد مقاتلي لكن أن أولي رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحق — وأشار إلى علي بن أبي طالب — ثم رأيت أن لا أتحمّلها حيّاً وميتاً، فعليكم هؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبي ﷺ: إنهم من أهل الجنة وذكر السبعة واستثنى من الشورى سعيد بن زيد، وقال عن الستة: فليختاروا منهم رجلاً فإذا ولّوكم والياً فأحسنوا مؤازرته أى معاونته^(٣).

وروى أنه لما ثقل قال لابنه عبد الله: ضع خدي على الأرض، فوضعه على الأرض، فجعل يقول: ويلي وويل أُمى أن لا يغفر لي ربّي، ثم مات، ولما توفي صلى عليه في المسجد وحمل على سرير رسول الله ﷺ ودفن بجانب أبي بكر، وغسله ابنه عبد الرحمن، وصلى عليه صهيب، وكان تقدم قبل ذلك على وعثمان للصلاة عليه، فقال

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٧٣ وقد تحرف فيه: «المطلع» إلى: «المطمع» وصوابه من العقد الفريد.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «مولى حذيفة» وصوابه من العقد الفريد.

(٣) العقد الفريد ٤ / ٢٧٤ وما بين حاصرتين منه.

عبد الرحمن: لا إله إلا الله ما أحرصكما على الإمرة أما علمتما أن أمير المؤمنين قال: ليصل بالناس صهيب.

وفي أسد الغابة روى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد [عن أبيه] قال: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة ٢٤، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا^(١). وقال غيره: هذا وهم، توفي لأربع ليال بقيت من ذى الحجة، وبويع عثمان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة^(٢). وكانت ولادته بمكة سنة ٣٧ قبل الهجرة^(٣).

وصيته لمن يخلفه

اخرج ابن الجوزي وغيره من الحفاظ والمحدثين عن ابن عمر أنه قال: دفع إلى عمر كتابًا فقال: إذا اجتمع الناس على رجل فادفع إليه هذا الكتاب وأقرئه مني السلام، فإذا فيه: أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله، وأوصيه بالمهاجرين الأولين ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أن يعرف حقهم ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ إلى قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وأن يشركوا في الأمر، وأوصيه بذمة الله وذمة محمد ﷺ وهم أهل الذمة أن يوفى بعهدهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم يقاتل من ورائهم^(٤) أى يحميهم. اهـ.

هكذا كانت حياة هذا الرجل العظيم الطاهر السريرة، الذى فتح الممالك، ورفع منار الإسلام، وبسط العدل، وبث روح الجِد والنشاط فى العرب، وأسس لهم ذلك الملك العريض، وفلَّ بهم جيوش فارس والروم، ورباهم على العفاف وكف يد الظلم،

(١) أسد الغابة ٤ / ١٧٩ وما بين حاصرتين منه.

(٢) أسد الغابة ٤ / ١٧٩.

(٣) أسد الغابة ٤ / ١٤٦، مناقب عمر ص ٤

(٤) مناقب عمر لابن الجوزي، ص ٢٥١.

واحترام العهود والوفاء بالذمة، كما أمر به الإسلام وقررت شريعة محمد ﷺ، سعدت بحياته الرعية، ودخل الأمم في طور جديد من الحرية والعدل والأمن والراحة، بلغ به الحرص على ذلك البذار الطيب الذى بذره فى المسلمين الذى يدل على الهمة العالية والشيم الطاهرة والأخلاق البارة التى اكتسبها من النبى ﷺ، فكان خير قدوة للمسلمين، وذكرى الفخر الخالد لهم بين الناس أجمعين.

الحالة الاجتماعية على عهده

كانت الحالة الاجتماعية على عهد عمر غيرها على عهد أبى بكر رضى الله عنهما، إذ توطد على عهد الثانى للمسلمين الملك، وشيدت دعائم الدولة وصارت تلك الأمة العربية المشهورة بالانقسام والتفرق والجهل بأمور الدولة والانغماس فى الجهالة وسذاجة الفطرة، سائسة ملك، وربة سطوة ومجد، ومقتنة قانون، وصاحبة دين، جعلها أمة تذكر فى التاريخ بأنها أعظم الأمم، وكانت تلك الحياة العربية والجامعة المليمة مع أنها بادية الزهور تنمو بسرعة وتؤذن بانقلاب عظيم يحدث فى أنحاء العالم وتهتز له أركان الدول العظمى يومئذ، حيث اندفعت هذه الأمة بقوة الجامعة الإسلامية والاتحاد القومى على أطراف الممالك المجاورة لها وهى فارس والروم على نحو ما تقدم ذكره.

ثم خالط العرب تلك الأمم، ودال إليهم ذلك الملك العريض ورأوا أهمة الحضارة واستشعروا بلزوم الحالة المدنية للأمم الغالبة وليس لديهم من ذلك إلا الاستعداد الفطرى لقبول الخير والشر والشرع الإلهى الذى دعاهم إلى الخروج من ظلمات البداوة، فأخذوا بحكم الضرورة يقلدون مجاوريههم فى العادات وبدأوا يبارزونهم فى مضمار الحياة، وكان مطمح نظرهم وأول عملهم بالطبع تقليد مجاوريههم فى الأمور الحرية واستعمال آلات القتال الفارسية والرومية ليقابلوا القوة بمثلها ويعدوا لهذه الفتوح عدتها، ثم تطرقوا من ذلك إلى الأمور السياسية والإدارية، فوضع الخليفة التاريخ ودون الدواوين ثم أقبل على ترتيب الولايات وتقسيم الأعمال وانتقاء العمال، ثم فرض الأعطيات وقرر مصروف الفئ فى غير سرف ولا تقتير، ونشر جناح الأمن وأقام ميزان العدل وقرر أصول الجباية بلا إجحاف فى حقوق الرعية، ولا غبن للدولة، فعم الرخاء وبدت مظاهر العمران تتجلى فى أنحاء المملكة، وانمال الغنى والثروة على

القائمين، وخطوا خطى خفيفة إلى ميدان الراحة والنعيم مع الأخذ على الشكائم، والتخوشن في المأكل والملبس والتوسط في العيش، والقصد في الإنفاق، والإمساك عن البذل خوفاً الأخذ على أيديهم من عمر عليه السلام، كما أخذ على يد خالد بن الوليد إذ وصل بعشرة آلاف من الدراهم شريقاً من أشرف العرب هذا من وجه.

ومن وجه آخر فإن عمر عليه السلام لم يدع للعرب بعد إذ دفع بهم في غمار الحضارة وقذف بهم في مضمار الحروب وقتاً للإخلاد إلى الراحة والإيواء إلى ظل التنعم والسكون تحت كنف الأمصار، بل شغلهم عن ذلك بالفتح وألهاهم بإدخار الغنائم عن التمتع بها ريثما يأمن غائلة الأمم المغلوبة، وله بهذا مآرب أخرى وهى إشغال العرب بالحرب وزجهم في مضمار الفتح ليأنسوا بأصول الاجتماع والحضارة، وتبدل أخلاقهم الجافية وتزول من نفوسهم أسباب التنافر والانتماء إلى العصبية الداعية إلى الشقاق والفرقة.

بسط المسلمون على عهده يد السلطة على الشرق، واستفتحوا أغلاق الكنور، وملكوا ما ملكوا من البلاد، ومع هذا فلم تأخذهم الدنيا بزخارفها ولم يغرمهم الغنى والسلطان بالنعيم، ولم ييطرهم المال ولم تخط بهم الحضارة إلا خطى قليلة إلى الإمام، فكانوا وسطاً في المعيشة في كل الأمور لأن عمر عليه السلام يريد لهم على البطء في السير في طريق الترقى، ويحملهم على التوسط في العيش فلا يمنعهم منعاً ولا يدفعهم دفعاً، اللهم إلا الأمراء والعمال فإنه كان يحملهم على طريقته في التقشف وشطف العيش.

وبالجملية فإن الحالة الاجتماعية على عهد عمر عليه السلام على حدائث عهد أهلها في تسنم ذرى الارتقاء تمثلها سيرته في قالب الجدد والاستقامة والعزيمة، وتظهرها لديك في مظهر النهوض إلى ارتقاء قمم المجد التي انتهى إليها المسلمون فيما بعد بسيرهم سيراً حثيثاً مدة تزيد عن جيلين، وقفوا بعدها وقفة المستريح من وعناء السفر الشاق المتلذذ بجنى ثمرات الجدد والنشاط والعمل، وهكذا حتى تغير الحال وانقلب الجد والنشاط إلى فتور وإهمال.

فضائل عثمان عليه السلام

هو الخليفة الثالث أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان القرشي الأموي.

تقدم ذكر نسبه في صدر المقصد يكنى أبا عمرو وأبا عبد الله، لم يختلف في صحة خلافته، وكان من حديثها ما هو مسطر في كتب السنة وغيرها، في البخاري في باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، عن عمرو بن ميمون ونص محل الحاجة منه قال: قال عمر رضي الله عنه لابنه عبد الله: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام — ولا تقل أمير المؤمنين، فإنني لست اليوم للمؤمنين أميراً — وقل: يستأذن عمر ابن الخطاب أن يُدْفَنَ مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمرُ بن الخطاب السلام ويستأذن أن يُدْفَنَ مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى، ولأثرته به اليوم على نفسى، فلما أقبل^(١) قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ فقال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله ما كان شيء أهم إلى من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت فأدخلوني، وإن ردوني إلى مقابر المسلمين^(٢).

وجاءت أم المؤمنين حفصة، والنساء تسير معها فلما رأيتها قمنا فوكلت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فوكلت داخلاً لهم — أى مدخلاً كان في الدار — فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر — أو: الرهط — الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسَمِّيَ علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة وسعداً، وعبد الرحمن، وقال: يَشْهَدُكم عبد الله ابن عمر، وليس له من الأمر شيء كههيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرأة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمُر، فإنني لم أعز له عن عجز ولا خيانة^(٣).

وقال: أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردة الإسلام وجباة

(١) في المطبوع: «فلما أقفل» والمثبت رواية ابن الأثير في أسد الغابة.

(٢) أسد الغابة ٤/ ١٧٦.

(٣) أسد الغابة ٤/ ١٧٧.

المال وغيظ العدو، وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يأخذ من حواشي أموالهم وترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فوضع هناك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن ابن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فتجعله إلى والله عليه — أي رقيب — وكذا الإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أتجعلونه إليّ، والله على أن لا آلو عن أفضلكم، قالوا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، بالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق فقال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه وبايع له عليٌّ وولج أهل الدار فبايعوه.

كان ﷺ من السابقين للإسلام هاجر الهجرتين، وصلى القبلتين، يقال له ذو النورين لأنه تزوج ابنتي رسول الله ﷺ رقية فلما ماتت زوجه أم كلثوم، فلما ماتت قال لو كان عندي ثالثة لزوجتكها، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ومن أصحاب النبي ﷺ الذين توفى وهو عنهم راض وكان في قریش يوصون إليه ويعظمونه وكانت المرأة في العرب لترفع صبيها وهي تقول:

أحبك والرحمن، حب قریش عثمان

وكان عادلاً في بيت المال لا يأخذ لنفسه منه شيئاً لأنه كان غنياً، وغناه مشهور في حياة النبي ﷺ وبعده، كثير الإنفاق، في نهاية الجود والسماحة والبذل في القريب والبعيد، وكان من أكبر المساعدين للنبي ﷺ بكثير من ماله عند شدة احتياج الإسلام إليه.

ومآثره في ذلك مشهورة جهز في جيش العسرة ثلاثمائة بعير بأسلحتها وأفتابها وأنزل الله فيه ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

روى الحكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حين حفر بئر رومة وحين جهز جيش العسرة، ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لم يكن بها ماء مستعذب غير بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم: من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟ فاشتراها عثمان رضي الله عنه بخمسة وثلاثين ألف درهم، وجعلها للمسلمين، وكانت بقعة إلى جنب المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من يشتريها ويوسعها في المسجد فله مثلها في الجنة، فاشتراها عثمان رضي الله عنه بعد ذلك فوسعها في المسجد.

وقال صلى الله عليه وسلم: رحم الله عثمان تستحيه الملائكة، وكان كثير العتق للرقاب، وجملة ما أعتقه ألفان وأربعمائة، وكان يطعم طعام الإمارة ويدخل بيته ويأكل الخل والزيت وينام في المسجد، ورداؤه تحت رأسه ويخطب الناس وعليه رداء غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة، يصوم النهار ويقوم الليل ويختم القرآن في ليلة، كان ذا عقل رصين وشرف أثيل، وعلم غزير، ولم ينقل عنه الكثير منها لاشتغاله بغير ذلك، شديد الحياء والحلم مائلاً إلى السلم زاهداً في الدنيا فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك.

ومن أعظم آثاره: جمعه الناس على مصحف واحد بعد أن تعددت القراءات واختلف فيها أهل الأمصار، وفضله في ذلك كفضل أبي بكر رضي الله عنه في جمع القرآن، وقد مرّ بيان ذلك في مقدمة هذا المؤلف.

وكررت الفتوحات في مدته، فقد فتح: إفريقية، وسواحل الأردن، وسواحل الروم، وإصطخر، وطبرستان، وسجستان، والقوقاز وغير ذلك من الأقطار والأمصار. وكررت أموال الصحابة في خلافته حتى بيعت جارية بوزنها وفرس بمائة ألف ونخلة بألف.

قال الحسن البصري: كانت الأرزاق في زمن عثمان وافرة، وكان الخير كثيراً، وظهر الرفه الكثير في الأمة بما لم ير مثله، ولم يحضر بدرًا بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم ولا بيعة

الرضوان وذلك لما أرسله رسول الله ﷺ إلى أهل مكة رسولا ليخلوا بينه وبين العمرة، وجاءه الخبر الكاذب بأن عثمان قتل فجمع أصحابه فدعاهم إلى البيعة فبايعوه على قتل أهل مكة يومئذ، ثم جاءه الخبر بأن عثمان لم يقتل، وهذا يدل على مكانته عنده وحبه له.

أخرج الترمذى عن أنس قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة فبايع الناس، فقال النبي ﷺ: «إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله» فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله ﷺ خيرا من أيديهم لأنفسهم.

إلا أنه ﷺ كبر سنه وضعف جسمه، وكان له ثقة في قرابته بنى أمية فتغلبوا على أمره وتولوا أعظم الولايات وانتفعوا وراء ذلك بسعة العيش ووجاهة في الدولة حسدها عليهم غيرهم، فوجدت الجمعيات السرية التي كانت تكيد الإسلام بالطعن فيه مع استغنائهم ببني أمية عن مشاورة أكابر المهاجرين والأنصار، ونقم الطاعنون عليه أشياء بعضها لها مخرج وبعضها مكذوب عليه ذكرها الأئبي في شرح مسلم.

ولجماعة من العلماء كلام طويل الذيل في الاعتذار عن عثمان منهم حافظ الحجاز المحب الطبري في كتابه الرياض النضرة في فضائل العشرة، ومنهم محمد بن يحيى الأشعري المعروف بابن بكر في كتابه التمهيد والبيان في مقتل عثمان استوفى فيه الكلام على ما نسب لعثمان من الأحداث، وبين كل ما يمكن الاعتذار عنه من تلك الأحداث التي تسبب عنها حصره في داره وطلبوا منه التخلي عن الخلافة فامتنع واستشهد ﷺ لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما وكان عمره اثني وثمانين على أحد الأقوال.

أخرج الترمذى عن ابن عمر رضی الله عنهما قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة يقتل فيها هذا مظلوماً، لعثمان ﷺ.

وأخرج أيضاً: أن النبي ﷺ قال لعثمان: «إن الله مقمصك قميصاً فإن أردك المنافقون على نخله فلا تخلعه حتى تلقاني» فلما حصره المنافقون وأرادوا منه أن يخلع نفسه امتنع لهذا الحديث وقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهداً فأنا صابر عليه.

قال الأئبي نقلاً عن ابن العربي: كانت قتلة عمر مصيبة في الإسلام خاصة، وقتلة عثمان مصيبة في الإسلام عامة، عزاؤها المصيبة برسول الله ﷺ، قتل ﷺ ورحمه وطالبوه أربعة آلاف وفي المدينة أربعون ألفاً كلهم لا يريد قتله ويريد نصره، لكن منع الكل واستسلم الأمر للعهد الذي كان من رسول الله ﷺ ولم يرض أن يراق بسببه دم ورضى أن يكون عند الله المظلوم ولا يكون عنده الظالم، وكل من في المدينة برىء من دمه إلا أربعة آلاف المكاشفين بالحصار والإنكار وما أنكروا إلا معروفاً.

وقد وصف المؤرخون في كتبهم أخبارهم فحذاراً أيها الرهط المتطلبون العلم أن تعولوا على تاريخ فإنكم تلاقون الله متقدمين في الجهل متأخرين في العلم.

الحالة الاجتماعية على عهده

لما استكمل الفتح على عهده ونزع الناس بالضرورة على طلب الراحة، وأخذوا بقسطهم من السيادة على الشعوب، وجاوروا المترفين من أهل المدن، واستخشنوا عيش البداوة واستغلوا ثمرة الضرع دون الحرث والزرع.

وكان عثمان ﷺ ليس من الشدة عليهم والأخذ على شكائهم بالمكانة التي كانت لعمر قبله طمحت إلى ذلك نفوسهم واتجهت بمجاورة الشعوب الأخرى رغائبهم، فاستقطعوا من عثمان القطائع، واستأذنوه في استثمار الأرضين التي جلا عنها أصحابها فأقطعهم إياها، فقاموا على حرثها وأخذوا باستثمارها.

روى أن عثمان لما ولى معاوية على الشام والجزيرة أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ويأذن لهم في اعتمال الأرضين التي لا حق فيها لأحد، فأنزل بني تميم الراية وأنزل المازحين والمُدَيِّرَ أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم، وفعل ذلك في جميع ديار مضر ورتب ربيعة في ديارها على ذلك، وألزم المدن والقرى والمصالح من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء ثم جعلهم ثم جعلهم مع عماله^(١).

(١) ولدى ياقوت: «المازحين لما فتح المسلمون الحيرة وولى عثمان، ولى معاوية الشام والجزيرة وأمره أن يُنزل العرب مواضع نائية عن المدن والقرى، ويأذن لهم في اعتمال الأرضين التي لا حق لأحد فيها، فأنزل بني تميم الراية وأنزل المازحين والمُدَيِّرَ أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك، وفعل مثل ذلك في جميع ديار مضر».

وفي ذلك دليل على تدرج القوم في مدارج الرقى وجنوحهم إلى الكسب من طرق التجارة والفلاحة وميلهم إلى الاستعمار.

وكان عثمان غنياً جداً محباً لل عمران ميالاً إلى التألق في المعيشة والتداول في البنين وإنفاق المال في وجوه البذل ليوسع على الناس وخصوصاً على أهله وقربته، فقد ماشاه الناس في ذلك وساروا سيرته فيه، وكانوا في عصر عمر لا يجرعون على اقتناء الضياع والدور والإكثار من مظاهر الثروة والغنى مع إقبال الدنيا عليهم كما هي في عهد عثمان، فقد بنى لنفسه ولنسائه وأولاده بضع دور بالمدينة وشيد داره بالحجارة والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر، وبنى مسجد رسول الله ﷺ بالعمد المرفوعة وتأنق في بنائه، واقتنى الدور والضياع والجنات والعيون بالمدينة وأظهر بهذا أثر النعمة التي أنعمها الله على العرب، وتبعه الناس في ذلك وتظاهروا بمظهر الغنى، وجنحوا إلى الحصول على المال والتنعم في المعيشة، فاقتنى سعيد بن العاص ومروان بن الحكم القصور خارج المدينة وأخذ كبار الصحابة في ذلك بمذهبه.

ذكر المسعودي منهم جماعة اقتنوا الضياع والدور وماتوا على مال كثير ونعم وفيرة، منهم: الزبير بن العوام بنى داراً بالبصرة وداراً بمصر ومثلها بالإسكندرية والكوفة واقتنى كثيراً من المال والضياع حتى ضرب المثل بغناه، وأكثرها كانت من التجارة لأنه كان تاجراً محظوظاً.

وكذلك طلحة بن عبيد الله وكانت ثروته من التجارة أيضاً. وكذلك عبد الرحمن بن عوف، وزيد بن ثابت ويعلى بن أمية، وأنهم بنوا الدور وشيدوا القصور وتركوا أموالاً وضياعاً كثيرة وأن سعد بن أبي وقاص ابتنى داراً بالعقيق ورفع سمكها ووسع فضاءها، ومثله فعل المقداد بداره بالجرف على أميال من المدينة. وهذا دليل على سرعة انتقال القوم من حال إلى حال في عصر عثمان وجنوحهم إلى التمتع بنعيم الحضارة، وهو أثر محمود من آثار الشكر للنعم إذ لم يتجاوز حد القصد إلى السرف ولم يتناول كل الطبقات ولم يتدرج منه الناس إلى المنكرات.

ومما لا ريب فيه أن عصر الصحابة مهما انطلق أهله في مجال السعة لا يتجاوزون الحد الشرعى ولا يأخذون بغير المباح، وقد فاضت عليهم الدنيا وكثر لديهم المال فلا بد من صرفه في وجوه التنعم بما أحله الله من الطيبات دون المنكر والشهوات.

استكمل الفتح في عهد عثمان ودان للعرب ملك فارس وصارت إليهم سياسة الممالك فساروا في الناس سيرة جميلة أمر بها الإسلام، وسلكوا من العدل والحق طريقاً توخاه الخلفاء وتبعهم فيها الولاة والأمراء، فازدهى أمر الدولة الجديدة وعمت كلمة العدل وكثر المال وامتد رواق العمران وراجت التجارة وتضاعدت أثمان السلع والعقار وكل ما يباع ويشترى بنسبة كثرة النقد.

فبيعت جارية بوزنها، وفرس بمائة ألف درهم، ونخلة بألف درهم، نقل هذا المحب الطيرى في الرياض النضرة عن ابن سيرين.

هذا غاية ما تصل إليه الممالك في ترقى العمران وتوقى أسباب الكسب ونمو الثروة بين طبقات الناس، فبينما العرب في مثل هذا الرخاء والرغد من العيش يتمتعون بما أفاء الله عليهم من تراث الأمم ويتسمنون ذرى الحضارة ويتسبطون في العيش ويسيروا سيرهم الخيث في الفتح ويرفعون لأخلافهم بنيان المجد والدنيا مقبلة عليهم، ومُلْك الفرس والروم صار إليهم، وعثمان في مأمن من رأفته بهم ولينه عليهم، إذ صاح بهم صائح الفتنة فاستوقفهم عن سيرهم ثم قذف بهم في لجج من التخاصم ما بلغوا ساحله إلا وهم أحزاب متفرقة وشيع متباينة.

فكان عصر عثمان بهذا عصراً جمع بين الأضداد من الرخاء والشدة، والراحة والتعب، والغنى وضده، والقوة والضعف، ومنها بدأت سلسلة الأحزاب السياسية والدينية والجمعيات السرية والجهرية وإليه ينتهى تاريخ الانقلاب العظيم الذى طرأ على الدول الإسلامية، وحول مجرى السياسة عن وجهتها الأصلية.

إن الدول إذا قامت في أول نشأتها بقوة الحياة المالية والتناصر القومى ونشأت على أساس الوحدة في الاعتقاد والفكر بين أصناف الأمة، وأخذت على نفسها إنصاف المغلوبين لها الخاضعين لسلطانها من الشعوب الأخرى، قل أن تتعرض لخطر الضعف والانحلال العاجل بما يعرض لها من الفتن أو يظهر فيها من الأحزاب والشيع، لهذا فإن اضطراب الدولة وتفرق أغراض الأمة في عهد عثمان لم يؤثر على مركز الدولة في أرجاء ممالكها القاصية والدانية، ولم يقلل من سطوة الخلافة بين الدول المتاخمة والأمم المغلوبة، بل كأن الأمم استشعرت من تلك الضوضاء القائمة أنها نتيجة حياة قومية

ونشاط عظيم يراد بها تمحيص الحق، وتدعيم أمر الخلافة فلبثت على الحياء تنتظر غاية الأمر، ولا تمد إلى الدولة يد الغدر حتى انجلت الفتنة عن قتل عثمان، وقيام على الأحزاب الأخرى، ثم مصير الخافة إلى بني أمية.

ولولا ما حجب إلى الناس من خلافة الراشدين وما بهرهم من قوة أولئك الفاتحين، لربما كانت اشتعلت المملكة يومئذ نارا واستفز الطيش الأشرار، لكن الملك الذي ينهض بالعدل، والدولة التي تقوم على الأساس الذي ذكرنا لا يززعها تفرق المالكين إلى أحزاب وشيع، ولا يطمع في جانبها الطامعون.

فضائل علي القرشي الهاشمي ﷺ

هو الخليفة الرابع أمير المؤمنين سيدنا أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أول هاشمية ولدت هاشميا أصغر أولاد أبي طالب الثلاثة جعفر وعقيل وطالب.

ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح، وأسلم وهو ابن عشر سنين على الراجح، واتفق الجمهور على أنه أول من أسلم من الصبيان لحديث «أولكم وأردا على الحوض أولكم إسلاما على بن أبي طالب» وعن علي قال: «عبدت الله تعالى قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة بخمس سنين» وعنه «ما كان يصلي مع رسول الله ﷺ غيري وغير خديجة».

بويع بالخلافة في اليوم الذي قتل فيه عثمان، واجتمع على بيعته أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار، وتزاحم الناس عليه، وتحلف عن بيعته معاوية في أهل الشام والتحمت بينهما حروب لم يُسمع بمثلهما في الإسلام، ولم يزل له فيها الظهور على الفئة الباغية إلى أن وقع التحكيم وخُذع فيه وحينئذ خرجت الخوارج فكفروا وكفروا من معه، وقالوا: حكمت الرجال في دين الله والله يقول ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ثم اجتمعوا وشقوا عصا^(١) المسلمين، ونصبوا راية الخلاف فسفكوا الدماء فخرج إليهم بمن معه، وطلبهم إلى الرجوع فأبوا إلا القتال فقاتله من بالنهروان واستأصل جميعهم ولم ينج

(١) يقال: شَقَّ الْعَصَا: خالف الجماعة وشَقَّ اجتماعهم.

منهم إلا اليسير، فانتدب إليه رجل من بقية الخوارج يقال له عبد الرحمن بن ملجم فدخل عليه فقتله في التاسع عشر من رمضان سنة أربعين، وقصة استشهاده مشهورة. فهو عليه السلام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد ستة الشورى، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان والزهاد والخطباء والشعراء، ومناقبه وما أوتيته من الاجتهاد والفهم معلوم، وكان صاحب شورى عمر في أقضيته، وكذلك كان مع أبي بكر وعثمان، وكان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن.

وفي البخارى أحاديث سبعة في فضائله منها: حديث عمر: «على أقضانا» ومنها حديث قتاله البغاة «تقتل عماراً الفئة الباغية» وكان عمار مع على، ومنها حديث قتاله الخوارج وهذان الحديثان من علامات النبوة.

قال الحافظ ابن حجر بعد نقله ما ذكر: وأوعب من جمع مناقبه من الأحاديث الجياد النسائي في كتاب الخصائص، وأما حديث «من كنت مولاه فعلى مولاه» فقد أخرجه الترمذى والنسائى وهو كثير الطرق جدًّا، وقد رويناه عن الإمام أحمد قال: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن على، ويروى من فضائله قوله عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» قال مسروق: شافهت أصحاب محمد عليه السلام فوجدت علمهم ينتهى إلى ستة: على، وعبد الله بن مسعود، وعمر، وزيد بن ثابت، وأبى الدرداء، وأبى بن كعب.

ثم شافهت الستة فوجدت علمهم ينتهى إلى على وابن مسعود. شهد المشاهد كلها مع النبى عليه السلام إلا تبوك، فإنه استخلفه فيها على المدينة وقال له: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وفي البخارى «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى» وزوجه عليه السلام ابنته فاطمة سيدة أهل الجنة، ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَتَعْبَأْ أُذُنْ وَاعِيَةً﴾ قال النبى عليه السلام: اللهم اجعلها أذن على، قال على عليه السلام: ما نسيت بعد ذلك شيئاً، وله من العلم والشجاعة والحلم والزهد والورع وكرم الأخلاق ما لا يسعه كتاب.

وبالجملة فإن فضائله كثيرة قد جمعها الناس ودونوها وأجمعها لنعته ما وصفه به ضرار الصدائى إذ قال له معاوية: صف لى عليًّا فقال: اعفى يا أمير المؤمنين، قال:

لتصفه، قال: أما إذا لا بد من وصفه: «فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يتوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان منبئاً كأحدنا يخبئنا إذا سألناه، وفيما إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريره إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوى في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله قابضاً على لحيته يتململ تلمل السليم — أى اللديغ — ويكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غرى غرى، إلى تعرضت أم إلى تشوفت، هيهات هيهات قد طلقك ثلاثاً لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير وحظك قليل، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ فقال: حزن من ذبح ولدها في حجرها.

الكلام على الفتنة

اعلم أن الفتنة المذكورة هى فتنة عثمان وعلى وطلحة والزبير ومعاوية التى تحزب فيها المسلمون أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، وهى الفتنة التى يقف دونها عقل الحكيم حائراً بين الإقدام على خوض عباها واستكناه كنه خباياها، وبين الإحجام عنها وإلقاء أخبارها على علاقتها وغطى الطرف عما انطوى فى ثناياها لا لأنها أول بادرة بدرت فى الملك وفتنة ظهرت فى الدول، كلا إن قيام الدول واستصفاء الملك إنما يتم بوجود أحزاب ينصرون النازع إلى الملك، وأعوان يتبعون القوة أو يناضلون عن صاحب الحق فى كل قوم وعصر، وإنما صبغ السلف لهذه الفتنة بصيغة دينية هو الذى يجعل الباحث بين إقدام وإحجام مع أنها فتنة سياسية تابعة لمجرى السنن الطبيعية فى الدول إذ ما دامت شئون البشر لا تستقيم إلا بالوازع، والمجتمعات لا تقوم إلا بحاكم يدير أمورها وينظم شئونها وينفذ قوانينها، فالخلاف فى رئاسة الدول والنزاع على منصب الحكم متوقع بين الطامحين إليه القادرين عليه فى كل أمة وجيل، وتنازع البقاء فى الملك أمر طبيعى كما هو فى كل الأشياء.

خلاصة فيما عليه أهل السنة في هاته الفتنة

تقدم أن الطاعنين في عثمان رضي الله عنه نقموا عليه أشياء وعابوه، منها ثقته في قرابته بنى أمية فغلبوا عليه وتولوا أعظم الولايات، وذلك لا يعاب عليه فيه لأنه كان باجتهاد منه وطلباً لإظهار العدل لأنه رأى أن أقاربه يعينونه على إظهار العدل وإقامة الحق، وهكذا جميع الأشياء التي عابوه بها كلها كانت اجتهادية وله فيها أعذار ومخارج تدل على أنه إنما أراد بذلك العدل وإظهار الحق، وكلها مبسوسة في كتب السنة.

ولما حصره الناقمون وقتلوه بايع الناس بعده علي بن أبي طالب، وبايعه أيضاً القوم الذين حصروا عثمان وقتلوه، ف وقعت الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم لذلك فقال الذين امتنعوا من بيعته: لا نبايعك حتى تعطينا قتلة عثمان نقتص منهم، فقال علي: بايعوني أولاً ثم بعد ذلك نتبع قتلة عثمان فمن ثبت عليه شرعاً موجب القصاص نقتص منه، وأما الاقتصاص منهم قبل دخولكم في البيعة فإنه عسير جداً لأن لهم قبائل وعشائر يتعصبون لهم فتنتشر الفتنة وترداد، هذا هو السبب في الخلاف الذي وقع بينهم فنشأ عنه وقعة الجمل ووقعة صفين وتمسك كل من الفريقين بالحجج وأدلة وتعارضت الأدلة عند بعضهم وهم نحو العشرة آلاف فاعتزلوا الفريقين، منهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، والمغيرة بن شعبة.

وبقى الأمر مشتبهاً بين الناس إلى زمن الأئمة الأربعة فنظروا في الحجج والأدلة التي تمسك بها كل فريق فظهر لهم واتضح تصويب اجتهاد علي رضي الله عنه وتخطئة اجتهاد غيره، لكن لما كان ذلك الخطأ ناشئاً عن اجتهاد لم يأثموا به لقول النبي ﷺ: «من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد» فلا سبيل إلى الحكم بتأثير أحد منهم، فلذلك كان مذهب أهل السنة السكوت عما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم وتأويله وحمله على أحسن المحامل تحسباً للظن بهم لأن الله تعالى أثنى عليهم وشهد لهم بالصدق وأخبر بأنه رضي عنهم ورضوا عنه، وكذلك جاء عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، وزد على ذلك ما سبق له من الفضل على المسلمين في بث دعوة الإسلام وتدوين الممالك والبلدان وتأسيس بنیان الدولة الذي نشر على معظم الأرض جناح السلطان، ما يوجب على كل فرد من أفراد المسلمين عنده ذرة من العقل وقليل

من الإنصاف أن يقدرهم قدرهم، ولا يبخسهم من الثناء حقهم، ويعترف على ملاء الشعوب بفضل كل فريق منهم والتنويه بكل خصلة حسنة لكبارهم وقادة الأمر منهم، إعلاء لشأنهم، وتنويعاً بجميل عملهم، وجميل صحبتهم وسداً للذرائع القدح فيهم ممن يحاول احتقار أعمالهم، واستصغار أقدارهم، وتكذيب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والواجب أن يحمل ما صدر منهم على الاجتهاد الذي لا إثم فيه وإليه ذهب أهل السنة وهو المذهب الحق الذي من عدل عنه فقد زاع وضل ومن تمسك به فقد نجا.

وأول التشاجر الذي ورد إن خضت فيه واجتنب داء الحسد

فضائل الستة بقية العشرة المبشرين بالجنة

سيدنا أبو عبيدة^(١) ؓ

هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري — كان إسلامه هو عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة الأسدي في ساعة واحدة — أحد العشرة المبشرين بالجنة، هاجر المجرتين وشهد بدرًا وما بعدها، في الصحيح عن النبي ﷺ «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح» قال الأئبي: أصحابه فضلاء مختارون وإنما أخبر عن كل واحد بما هو الأغلب فيه، ففي الترمذي: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفضهم زيد، وأقرأهم أنبي لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة» قتل أباه يوم بدر ونزلت فيه: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» الآية.

كانت له عند رسول الله ﷺ حظوة لصدقه وحبه واتباعه أمره وطاعته له، تقدم أنه تولى الإمارة العامة على جيوش فتح الشام، وكان أكثر فتحه على يده، تولى تلك الإمارة لا لدنيا يصيبها، ولا لجاه يرغب فيه، ولا لمال يدخره، بل لمطلق خدمة الأمة ورجاء رضا الله.

(١) انظر في أبي عبيدة: الإصابة ٣/ ٥٨٦.

مات على ولايته ولم يملك من حطام الدنيا إلا سيفه وترسه ورحله، ولم يكن في بيته ما يأكل إلا كسيرات من خبز، وهو الذى قال لعمر: أنفّر من قدر الله؟ فقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفّر من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى، وذلك دال على جلالة عند عمر.

وبالجملة فإنه من كبار الصحابة ومن لازم النبي ﷺ وتخلق بأخلاقه، متواضعاً، زاهداً، تقياً، عاقلاً، رزيناً، لين الجانب، عادلاً، مخفوض الجناح، عالماً بالشرع، ذا دربة في أمور الحروب.

أخرج الحاكم في المستدرك قال: لما طعن أبو عبيدة قال: يا معاذ صلّ بالناس، فصلّى ثم مات أبو عبيدة فخطب معاذ فقال: إنكم فجعتكم برجل ما أزعّم والله أنى رأيت في عباد الله قط أقل حقداً ولا أبر صدرًا ولا أبعد غائلة ولا أشدّ حياءً للعاقبة ولا أنصح للعامة منه فترحموا عليه.

مات في طاعون عمواس سنة ١٨ وسنه ثمان وخمسون على أحد الأقوال وأوصى أن يدفن حيث مات.

عمواس: بين الرملة وبيت المقدس على أربعة فراسخ من الرملة وكان ظهوره سنة ١٨ وانتشر في البلاد فاجتاح السكان، وفي رواية ابن عساكر: كان أبو عبيدة في ستة وثلاثين ألفاً من المسلمين فلم يبق منهم إلا ستة آلاف رجل، مات به كثير من الأعلام، منهم: أبو عبيدة ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان.

سيدنا عبد الرحمن بن عوف^(١) ؓ

هو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري، كان اسمه عبد الكعبة، ويقال: عبد عمرو، فغيره النبي ﷺ، أحد العشرة، وأحد ستة الشورى، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا فما بعدها، ولاه النبي ﷺ بعث دومة الجندل، وهو الأمين على أزواج النبي ﷺ في حجهن، ولاه عمر ذلك وقال فيه: هو سيد من سادات المسلمين

(١) انظر في عبد الرحمن عوف: الإصابة ٤ / ٣٤٦.

ذورأى مسدد، وهو الذى رجع عُمرُ بحديثه^(١) من سَرَع^(٢) ولم يدخل الشام من أجل الطاعون والحديث عن ذلك مذكور فى الصحيحين، وهو أحد المشهورين بالثروة فى الإسلام، كان محظوظاً فى التجارة والعقل والعلم، له إعانات مالية شهيرة، وصدقات وأعمال برّ كبرى.

فى الإصابة^(٣) قال جعفر بن بُرقان: بلغنى أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف نسمة، أخرجه أبو نعيم فى الحلية، وكان حرم الخمر فى الجاهلية. وذكر البخارى فى تاريخه من طريق الزهري قال: أوصى عبد الرحمن بن عوف لكل من شهد بدرًا بأربعمائة دينار فكانوا مائة رجل، وبالجملعة فمناقبه جمة، مات سنة ٣٢ على الأشهر وعاش ٧٢ سنة على أحد الأقوال.

سيدنا طلحة^(٤) رضي الله عنه

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشى التيمى، أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا للإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر، وأحد ستة الشورى، شهد المشاهد كلها إلا بدرًا فإن رسول الله ﷺ كان بعثه هو وسعيد بن زيد يتحسنان على غير قريش ولقيا رسول الله ﷺ منصرفاً من بدر فضرب لهما بسهميهما وأجرهما فكانا كمن شهدها.

وسماه رسول الله ﷺ: طلحة الخير، ويوم ذات العسرة: طلحة الفياض، ويوم حنين: طلحة الجواد.

وثبت يوم أحد مع رسول الله ﷺ ووقاه بيده فشلت أصبعاه، وجرح يومئذ أربعة وعشرين جرحاً وأبلى فيها البلاء الحسن، قال فيه رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر

(١) فى المطبوع: «بجيشه» والمثبت لدى ابن حجر الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) سرغ: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم غين معجمة، وهو أول الحجاز وآخر الشام، بين المغيرة وتبوك من منازل حاج الشام، وهناك لقى عمر بن الخطاب أمراء الأجناد: وبينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة.

(٣) الإصابة ٤ / ٣٤٩.

(٤) انظر فى طلحة: الإصابة ٣ / ٥٢٨.

إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فليُنظر إلى طلحة» قتل يوم الجمل في جمادى الأولى سنة ٣٦ وهو ابن ستين سنة على أحد الأقوال.

سيدنا الزبير^(١) ﷺ

هو أبو عبد الله الزبير بن العوّام بن خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ، وفيه يجتمع مع رسول الله ﷺ وهو ابن عمته ﷺ، أسلم وهو ابن ثمان سنين، وعذبه عمه بالدخان ليرجع فأبى، وهاجر المجرتين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله، وكان يوم بدر على الميمنة وعليه عمامة صفراء، فزلت الملائكة بعمائم صفر على سيماءه، وهو أحد العشرة، وأحد ستة الشورى، ومن الشجعان المشهورين، وكان له الفضل في فتح مصر مع عمرو بن العاص.

وفي الصحيحين قال النبي ﷺ: «إن لكل نبي حوارياً وإن حوارياً الزبير بن العوام» وقتل في جمادى الأولى سنة ٣٦ حين انصرف من وقعة الجمل تاركاً القتال، قتله غُدرًا عمرو بن جرموز وله ست أو سبع وستون سنة.

سيدنا سعيد بن زيد^(٢) ﷺ

هو سَعِيد بن زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العزى العدوى، كان والده زيد يقول: إلهي إله إبراهيم ودين إبراهيم، وكان ترك عبادة الأوثان وترك كل ما يذبح على النصب، وكان يقول: اللهم لو أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك به ولكني لا أعلمه ثم يسجد على الأرض براحته.

وفي البخارى عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت: رأيت زيد بن عمرو ابن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى، وكان يحبى الموءودة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها.

(١) انظر في الزبير: الإصابة ٢/ ٥٥٣.

(٢) انظر في سعيد بن زيد: الإصابة ٣/ ١٠٣.

وابنه سعيد أحد السابقين المشهود لهم بالجنة شهد أحدًا والمُشاهد بعدها ولم يشهد بدرًا حيث كان غائبًا بالشام، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها، شهد اليرموك وفتح دمشق.

قال سعيد بن حبيب: كان مقام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وسعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف مع النبي ﷺ واحدًا كانوا أمامه في القتال وخلفه في الصلاة^(١).

وكان سعيد من فضلاء الصحابة مجاب الدعوة، وقصته مع أروى بنت أنيس مشهورة في إجابة دعائه عليها وهو ابن عم عمر بن الخطاب^(٢) وكان إسلامه عنده في بيته لأنه كان زوج أخته فاطمة.

توفي بالعقيق وحمل إلى المدينة وذلك سنة ٥٠ أو ٥٢^(٣).

سيدنا سعد بن أبي وقاص

هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك القرشي الزهري، أحد العشرة وآخرهم موتًا، من السابقين الأولين مكث ثلاثة أيام، وهو ثالث الإسلام، وأحد ستة الشورى، وأول من رمى سهمًا في سبيل الله ومن شجعان قريش وكماقم، من خيرة أصحاب النبي ﷺ، مخلصًا في إيمانه.

شهد المشاهد كلها وكان مجاب الدعوة حيث دعا له رسول الله ﷺ أن يسدد رميته ويحيب دعوته، وكان صادق الحديث والرواية لما فطر عليه من صدق اللهجة وقول الحق.

روى ابن عساكر عن عبد الله بن عمر، عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه مسح على الخفين وأن ابن عمر سأل عمر عن ذلك فقال: إذا حدثك سعد عن رسول الله ﷺ فلا تسألن عنه غيره.

(١) الإصابة ٣/ ١٠٤.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «وهو ابن ابن عم عمر بن الخطاب» وصوابه لدى ابن عبد البر في الاستيعاب، ص ٦١٤، الذي ينقل عنه المصنف.

(٣) هذا قول الواقدي في الإصابة ٣/ ١٠٥.

وروى الشيخان والترمذى والنسائى من حديث عائشة قالت: لما قدم النبى ﷺ المدينة أرق فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يجرسني، إذ سمعنا صوت السلاح، فقال: من هذا؟ قال: أنا سعد، فقام^(١).

ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة، وهو الذى كوف الكوفة وأمره عمر عليها سنة ٢١، كانت له قيادة الجيوش فى حرب الفرس، وقد مر الخبر عن مسيره إلى القادسية والوقائع التى وقعت هناك وكانت من أعظم الوقائع التى دونها التاريخ، قتل فيها من المسلمين نحو السبعة آلاف وخمسمائة، وأما من قُتل من الفرس فعدد كثير بالغ فيه المؤرخون، وكان النصر حليف المسلمين وحصل فيها وهن للفرس، ووقع بها فتح المدائن عاصمة الأكاسرة، فانحدرت تلك العاصمة من شاهق عزها إلى هاوية الخراب، وقامت مقامها فى تلك الأصقاع بغداد دار الخلافة العباسية وانبعث منها أشعة التمدن الإسلامى العظيم:

وإذا نظرت إلى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتسعد على أن ما ضمته بغداد تحت جناحي الخلافة الإسلامية من الممالك الشاسعة والأمصار النائية لم تضمه المدائن على عهد الأكاسرة، والفضل فى ذلك لسعد وأضرابه من أقيال الصحابة السابقين ورجال الخلافة الراشدين، جزاهم الله خير الجزاء عن المسلمين.

مات سنة ٥٦ على الأشهر بالعقيق، وحُمل إلى المدينة وصلى عليه مروان وإلى المدينة، وأدخل للمسجد وصلى عليه أزواج النبى ﷺ وهن فى حجرهن، وأوصى أن يكفن فى جبة صوف لقى المشركين بما يوم بدر، ودفن بالبقيع.

(١) لدى ابن حجر فى نهاية هذا الخبر: «فقام، وفى رواية: ودعا له».

ذكر بعض السادات من أعيان الصحابة وفضلائهم

سيدنا حمزة^(١) ؓ

هو أبو عمار حمزة بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتها ثويبة^(٢) كما في الصحيحين، أسلم في السنة الثانية من البعثة، لازم نصر رسول الله ﷺ وهاجر معه، وشهد بدرًا وأبلى في ذلك، وعقد له النبي ﷺ لواءً، وأرسله في سرية وذلك أول لواء عقد في الإسلام، واستشهد بأحد، وكان ذلك في النصف من شوال سنة ٣ ولقبه رسول الله ﷺ أسد الله، وسماه سيد الشهداء، ودفن وعبد الله بن حنشل في قبر واحد، ولما استشهد قال رسول الله ﷺ: رحمك الله أي عم، لقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات.

ورثاه كعب بن مالك بأبيات منها^(٣):

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاهَا وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا حمزة ذاكم الرجل القليل

أخوه سيدنا العباس^(٤) ؓ

هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وكان العباس أسن من النبي ﷺ بستين أو ثلاث، وكان إسلامه على المشهور قبل فتح مكة، وضاع وهو صغير فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو البيت الحرير فوجدته فكست البيت الحرير، فهي أول من كساه ذلك.

(١) انظر في حمزة: الإصابة ٢ / ١٢١، والاستيعاب، ص ٣٦٩ وإنما عولنا في كتابنا على هذين المصدرين في هذا الموضع وما مثله لأن المصنف أشار إليهما في مصادره التي اعتمدها في كتاباته.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «ثويبة» وصوابه لدى ابن حجر الذي ينقل عنه المصنف وانظر ترجمتها لدى ابن حجر في الإصابة ٧ / ٥٤٨.

(٣) البيتان لدى ابن حجر في الإصابة ٢ / ١٢٣.

(٤) انظر في العباس: الاستيعاب، ص ٨١٠، الإصابة ٣ / ٦٣١.

وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، وشهد الفتح وثبت يوم حنين، وقال النبي ﷺ: «من آذى العباس فقد آذاني فإن عم الرجل صنو أبيه» أخرجه الترمذى. وكان أعظم الناس عند رسول الله ﷺ والصحابة يعترفون له بالفضل ويشاورونه ويأخذون رأيه، وفي حديث أنس: أن عمر كان إذا قحطوا استسقى بالعباس. مات بالمدينة في رجب أو في رمضان سنة ٣٢ وله بضع وثمانون سنة.

سيدنا جعفر (١) ﷺ

هو أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب، وكان أكبر من شقيقه على ﷺ بعشرين سنة، وهو من السابقين الأولين، هاجر المهجرتين، ونشر الدين بالحبشة، وعلى يده كان إسلام النجاشي، وقدم من الحبشة سنة سبع على رسول الله ﷺ وعانقه وقال: ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحاً بقدم جعفر أم بفتح خير، وأسهم له ولأهل السفينة من فء الفتح المذكور كما في الصحيحين، واختط له رسول الله ﷺ إلى جنب المسجد، وقال له: أشبهت خلقى وخلقى.

ثم غزا غزوة مؤتة — بضم الميم وسكون الواو وبهمز وبدونه — وهى بحدود الشام وكانت سنة ثمان، وقتل فيها بعد أن قاتل حتى قطعت يده معاً فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء» فمن ثم قيل له ذو الجناحين، ولما بلغ النبي ﷺ نعى جعفر أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزاها فيه، فدخلت فاطمة تبكى وتقول: واعماه، فقال رسول الله ﷺ: على مثل جعفر فلتبك البواكى، وجدت فيه نحو تسعين جراحة ليس فيها شيء في ظهره.

وهاته الغزوة من أعجب ما سطره التاريخ للإسلام، كان المسلمون ثلاثة آلاف خاضوا بحراً من جيش الروم يتجاوز مائة ألف، وهى فاتحة المعارك بين الإسلام والروم وأول نصر عليهم.

في البخارى أن رسول الله ﷺ نعى زيداً وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة

(١) انظر في جعفر: الاستيعاب، ص ٢٤٢، الإصابة ١/ ٤٨٥.

فأصيب وعيناه تذرغان، ثم أخذها سيف من سيوف الله تعالى حتى فتح الله عليهم، وفي رواية: ثم أخذها سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح عليهم.

سيدنا زيد بن حارثة^(١) رضي الله عنه

هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أصابة سبي في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعتمته خديجة فوهبته للنبي ﷺ قبل أن يوحى إليه، وزيد حينئذ ابن ثمان سنين فأعتقه ﷺ، وكان من أحب الناس إليه وتبناه، وكان يطوف به على حلق قريش ويقول: هذا ابني وارثاً وموروثاً.

قال الزهري: لا أعلم أحداً أسلم قبله، وقال ابن عمر: ما كنا ندعو زيداً إلا زيد ابن محمد حتى نزلت: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ كما في البخاري، ولم يُذكر أحدٌ في القرآن باسمه من الصحابة سواه، هاجر بدرًا وكان ﷺ يؤمره على الجيوش، وأمره على جيش مؤتة فقاتل حتى قتل قبل جعفر، فلما أتى النبي ﷺ موت جعفر وزيد بكى وقال: أحوى ومؤنساي ومحدثاي، استشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة.

سيدنا عبد الله بن رواحة^(٢) رضي الله عنه

هو عبد الله^(٣) بن رَوَاحَةَ الأنصاري الخزرجي، أحد قواد الإسلام في البعوث والسرايا وفي النقباء، شهد بدرًا وما بعدها، وكان الخليفة بعد جعفر في غزوة مؤتة فاستشهد بعد الأميرين قبله، وكان من شعراء الصحابة، ينافح عن رسول الله ﷺ بسنانه ولسانه، ومن ذلك أنه أنشد بين يدي رسول الله ﷺ عند دخوله مكة^(٤):

خَلُّوا بَيْنَ الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ	اليوم نضربكم على تأويله
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ	ويُذهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

(١) انظر في زيد بن حارثة: الاستيعاب، ص ٥٤٢، الإصابة ٢/ ٥٩٨.

(٢) انظر في عبد الله بن رواحة: الاستيعاب، ص ٨٩٨، الإصابة ٤/ ٨٢.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «هو أبو عبد الله» وصوابه من المصدرين السابقين، ولدى ابن عبد البر في الاستيعاب: «يكنى أبا محمد».

(٤) البيتان لدى ابن حجر في الإصابة ٤/ ٨٦.

فقال عمر: يا بن رواحة، أفي حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر؟ فقال: خلّ عنه يا عمر، فوالذي نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقّع النبل. وفي الزهد لأحمد أن النبي ﷺ قال: «رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة».

سيدنا خالد بن الوليد^(١) ﷺ

هو أبو سليمان^(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي. يجتمع مع النبي ﷺ في مرة.

أسلم على الأصح سنة سبع ولم يشهد معه النبي ﷺ إلا ما كان بعد الفتح كان موصوفاً في قومه بالشجاعة محبباً فيهم مقدماً عندهم بالحروب، موفقاً للنصر، عارفاً بأحوال الحرب، وشهد وقعة مؤتة المذكورة آنفاً، أخذ الراية بعدما استشهد أمراء ثلاثة قبله وأبلى فيها البلاء الحسن حتى اندق يومئذ في يده سبعة أسياف، ثم ما زال يدافع القوم حتى انحازوا عنه، ثم عاد بجيش المسلمين.

وفي هذه الوقعة سماه رسول الله ﷺ سيفاً من سيوف الله، له رواية في الصحيحين وغيرهما وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهد ظهرت فيها نجابته، وهو الذي أخضع أهل الردة، وقتل مسيلمة الكذاب ومن أبي من دفع الزكاة، وكان على يده فتوح الكثير من البلاد الكبار بالعراق والشام، وكان له بعد من جميل الأثر ما رأيت في فضائل أبي بكر، وكان فتحه للعراق تمهيداً إلى تدويخ فارس وإدالة دولة الأكاسرة، وقد كانت أعظم الدول حينئذ شأناً وأرقاها مكاناً إلا أنها بلغت من الكبر عتياً ومن فشل السياسة مكاناً قصياً، فجاءها جند الإسلام بادي الشباب ناعم الأعصاب فأسس ملكه الجديد.

(١) انظر في خالد بن الوليد: الاستيعاب، ص ٤٢٧، الإصابة ٢ / ٢٥١، كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٢٦ / ٥.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «أبو الوليد» وصوابه من مصادر الترجمة، ولدى ابن سعد: «يكنى أبا سليمان».

وكانت حروب العراق أيام خالد أشد ما لقي المسلمون من حرب الفرس لاجتماع قبائل العرب بالعراق وجند فارس على حرب المسلمين، وبعدما تم له ذلك الفتح أمره أبو بكر بالمسير إلى الشام فسار وحصل له من الفتح هناك ما قد علم. قال بعض المؤرخين: قل أن يوجد فارس في العالم يوفق للنصر في كل واقعة كما وفق خالد عليه السلام، فإن التاريخ لم ينبئنا عن انخذه ولا في وقعة واحدة من وقائعه مع أهل الردة أو في العراق أو في الشام، وهذا إنما هو من نتائج الحزم والشجاعة والبصيرة بأمور الحرب.

وقد علمت كيف فلّ جموع الروم في اليرموك وكشف عن المسلمين سحب الضيق والخيبة منذ سلموا قيادتهم له مع أن فيهم من الصيد الصناديد وأهل البصيرة والرأى كعمرو بن العاص، وأبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان وأضرأهم من كفاءة الإسلام وقادة الجيوش العظام.

اتخذ عليه السلام بعد تمام تلك الفتوحات مقرّاً له حمص وفيها توفي سنة ٢١ ومدفنه هناك لم يزل معروفاً يزار إلى الآن، ولما حضرته الوفاة قال: لقد شهدت مائة زحف وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وهأنا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء، وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله وأنا مترس بها.

سيدنا خالد بن سعيد عليه السلام ^(١)

هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي. من أشرف قريش وأعيانهم وهو أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم، ومن السابقين الأولين، أسلم بعد أربعة، وهاجر الهجرة، وصلى القبلتين ورجع من الحبشة هو وزوجه وأخوه وابنته مع جعفر بن أبي طالب، وكان استعمله النبي ﷺ على صدقات مذجج، وأمره أبو بكر على مشارف الشام في الردة، استشهد في أجنادين أو مرج الصفر.

(١) انظر في خالد بن سعيد: الإصابة ٢/ ٢٣٦.

سيدنا سالم^(١) مولى أبي حذيفة رضى الله عنهما

هو أبو عبد الله سالم بن معقل.

كان من فضلاء الصحابة وخيارهم وكبرائهم من السابقين الأولين، هاجر مع عمر ونفر مع الصحابة فكان يؤمهم لأنه أكثرهم قرأناً، وكان يؤم المهاجرين بقباء وفيهم عمر، شهد بدرًا.

روى البخارى ومسلم والنسائى والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه «خذوا القرآن من أربعة: ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ ابن جبل» وروى عن عائشة رضى الله عنها: «احتبست على النبى ﷺ فقال: ما حبسك؟ قالت: سمعت قارئاً يقرأ فذكرت من حسن قراءته، فأخذ رداءه وخرج فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال: الحمد لله الذى جعل فى أمي مثلك» شهد بدرًا فما بعدها وكانت بيده راية المهاجرين يوم اليمامة فقطعت يده اليمنى، فأخذها باليسرى، فقطعت أيضًا، مات فيها هو ومولاه حذيفة ووجد رأس أحدهما عند رجلى الآخر وذلك سنة ١٢.

سيدنا معاذ بن جبل^(٢) الأنصارى الخزرجى

يكنى أبا عبد الرحمن، إمام الفقهاء وسيد العلماء شهد بدرًا والعقبة وكان أميرًا للنبي ﷺ على اليمن، وخرج معه رسول الله ﷺ ماشيًا ومعاذ راكبًا، منعه رسول الله ﷺ من أن ينزل.

أخرج ابن حبان والترمذى من طريق أبي هريرة رفعه: نعم الرجل معاذ بن جبل، كان عقبيًا بدرًا من فقهاء الصحابة، وأخرج الترمذى وابن ماجه «أرحم أمي أبو بكر — وفيه — وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ» وفى الصحيح: استقرئوا القرآن من أربعة: ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وصح عن عمر أنه قال: من أراد الفقه فليأت معاذًا، وقال أيضًا: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ،

(١) انظر فى سالم: الاستيعاب، ص ٥٦٧، الإصابة ٣/ ١٣.

(٢) انظر فى معاذ بن جبل: الاستيعاب، ص ١٤٠٢، الإصابة ٦/ ١٣٦.

ولولا معاذ لهلك عمر، وقال: من أراد الفرائض فليأت زيد بن ثابت، وكان من أجمل الرجال، قانتاً عابداً مجتهداً ورعاً محققاً شهد اليرموك ومات شاباً عن نيف وثلاثين سنة في طاعون عَمَواس سنة ١٨.

سيدنا يزيد بن أبي سفيان^(١) ؓ

هو أبو خالد يزيد الخير بن أبي سفيان صَخْر بن حرب بن أمية القرشي الأموي. كان من فضلاء الصحابة من مسلمة الفتح، استعمله النبي ﷺ على صدقات بني فراس وكانوا أخواله، أحد أمراء الأجناد بالشام، ومن كان تحت رايته أبوه أبو سفيان وأخوه معاوية، وأمره عمر على فلسطين ثم على دمشق، مات في طاعون عمواس سنة ١٨، وقيل: ١٩.

سيدنا أبي بن كعب^(٢) ؓ

هو أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس النجاري الخزرجي، أسلم قديماً، شهد العقبة الثانية وباع فيها وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، وهو أول من كتب الوحي لرسول الله ﷺ بعد الهجرة، وكان من فقهاء الصحابة وقرائهم، وحسبك أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ أن يقرأ عليه القرآن، وقال فيه ﷺ: أقرأكم أبي، وقال: خذوا القرآن عن أربعة وعد منهم أبيًا، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وكان عمر يسميه سيد المسلمين ويسأله عن العضلات ويتحاكم إليه إذا وقع خلاف بين الصحابة، وتوفي في خلافة عمر على الأكثر سنة ١٩، وقيل: سنة ٢٠.

تنبيه: تخصيص هذه الأربعة بالذكر دون غيرهم ممن حفظ القرآن وهم كثير، لأنهم هم الذين تفرغوا لتعليمه دون غيرهم ممن اشتغل بغير ذلك من العلوم أو العبادات أو الجهاد، ويحتمل لأنه ﷺ علم أنهم هم الذين ينتصبون لتعليمه فأحال عليهم لعلمه بأن الأمة ترجع إليهم كما أظهر الوجود إذ هم أئمة القراء وإلى روايتهم ينتهي غالب أسانيد الأئمة الفضلاء. اهـ من الأبي.

(١) انظر في يزيد: الاستيعاب، ص ١٥٧٥، أسد الغابة ٥ / ٤٩١، الإصابة ٦ / ٦٥٨.

(٢) انظر في أبي: الإصابة ١ / ٢٧١.

سيدنا عبد الله بن مسعود^(١) الهذلي

يكنى أبا عبد الرحمن، هو سادس من أسلم، كان يلج على رسول الله ﷺ ويلبسه نعله ويمشي معه وأمامه ويستتره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام، و «قال له: إذْكَ عَلَى أَنْ ترفع الحجاب، وأن تسمع سِوَادِي حَتَّى أَفْهَكَ» السَّوَادُ بالكسر: السَّرَار.

وكان يشبه في هديه وسمته رسول الله ﷺ، شهد له بالجنة، هاجر إلى الحبشة مرتين، ثم إلى المدينة، وصلى القبلتين، وشهد المشاهد كلها، شهد له كثير من الصحابة أنه أعلمهم بكتاب الله تعالى قراءة وعلمًا، وكان من أعظم الأمور عليه أن الصحابة لما عزموا على كتب المصحف عينوا لذلك أربعة ولم يكن منهم ابن مسعود، وكتبوه على لغة قريش، ولم يعرجوا على ابن مسعود لأنه كان هذليًا وكانت قراءته على لغتهم وبينها وبين لغة قريش تباين عظيم فلذلك لم يدخلوه معهم.

حدث عن النبي ﷺ بالكثير، وروى عنه الكثير من الصحابة والتابعين، وكان يقول: أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، أخرجه البخاري، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة.

وفي البخاري: خذوا القرآن عن أربعة: عن ابن أم عبد، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة.

وشهد فتوح الشام، وسيّر عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمورهم، وبعث عمار بن ياسر أميرًا، وقال: إني من النجباء من أصحاب محمد ﷺ فاقتدوا بهما، ثم أمره عثمان على الكوفة، ثم عزله واستقدمه إلى المدينة.

قال حذيفة: ما أعلم أحدًا سواه أشبه دلاً وهدياً برسول الله ﷺ، وكان زاهدًا صالحًا له مزايا كثيرة، وقد انتشر العلم والدين عن أصحاب أربعة من أعلام الصحابة: ابن مسعود وأصحابه وهم أهل العراق، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر وأصحابهما، وهم أهل المدينة، وابن عباس وأصحابه وهم أهل مكة، توفي بالمدينة سنة ٣٢.

(١) انظر في عبد الله بن مسعود: الاستيعاب، ٩٨٧، الإصابة ٤/ ٢٣٣.

سيدنا أبو ذر^(١) رضي الله عنه

هو أبو ذرّ جندب بن عمرو الغفاريّ، من كبار الصحابة، أسلم بعد أربعة، وقصة إسلامه في الصحيحين، ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم عام الحديبية بعد أن مضت بدر وأحد والخندق، غلب عليه التعب والتزهّد، فكان يعتقد أن جميع ما يفضل عن الحاجة كنز فإمساكه حرام، ودخل الشام بعد موت النبي ﷺ، وهو ممن نشر العلم به والدين وكان في رتبة ابن مسعود في العلم، ووقع بينه وبين معاوية نزاع في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ الآية، فشكاه معاوية إلى عثمان فأقدمه عثمان المدينة، واستأذن عثمان في إقامته بالربرة موضع منقطع عن المدينة ومات هناك سنة ٣٢.

وهو أول من حيّا النبي ﷺ تحية الإسلام، وهى: السلام عليكم، وذلك لما دخل عليه ليسلم، روى ابن عساكر عن أبي الدراء أن رسول الله ﷺ قال: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر.

سيدنا المقداد^(٢) بن الأسود رضي الله عنه

هو أبو الأسود المقداد بن عمرو بن ثعلبة الحضرمي، تبناه الأسود واشتهر بذلك، فلما نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ قيل له: المقداد بن عمرو، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، وكان فارساً يوم بدر، ولم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره.

روى الترمذى مرفوعاً عن النبي ﷺ: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: على، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان».

شهد فتح مصر، وهو أحد الرجال الأربعة الذين بعثهم عمر مدداً إلى مصر، وقال: الواحد منهم مقام الألف: مسلمة، والمقداد، والزبير، وعبادة بن الصامت، مات سنة ٣٣.

(١) انظر في أبي ذر: الاستيعاب، ص ١٦٥٢، أسد الغابة ٦/ ٩٩، الإصابة ٧/ ١٢٥.

(٢) انظر في المقداد: الاستيعاب، ص ١٤٨٠.

سيدنا عباده بن الصامت^(١) ؓ

هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء شهد بدرًا وما بعدها، كان من أعلام الصحابة وقضاةهم، وشهد فتح مصر، وكان أمير ربع المدد، وقال فيه عمر: مقامه من الرجال مقام الألف.

في الصحيحين قال: أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، الحديث، وروى ابن سعد أنه ممن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر: قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأرسل معاذًا وعبادة وأبا الدرداء فقام عبادة بفلسطين، وهو أول من تولى القضاء بفلسطين مات بالرملة سنة ٣٤.

سيدنا أبو الدرداء^(٢) ؓ

هو عويمر بن عامر الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر وشهد المشاهد كلها، وأخى ﷺ بينه وبين سلمان، فكانا من الزهاد العباد، وهو معدود من الفقهاء الحكماء، قال فيه النبي ﷺ: إنه حكيم هذه الأمة، وقال فيه: ما حملت ورقاء، ولا أظلت خضراء أعلم منك يا أبا الدرداء.

تولى قضاء دمشق في خلافة عمر وعثمان، وقيل: إن عمر ولاه قضاء المدينة أيام خلافته، توفي سنة نيف وثلاثين.

سيدنا حذيفة بن اليمان^(٣) رضى الله عنهما

هو حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو العبسي، حليف بني عبد الأشهل من الأنصار، من كبار الصحابة، له ولأبيه صحبة، من السابقين الأولين، شهد أحدًا وما بعدها وبها استشهد أبوه، وله أياذ في الإسلام بعلمه وسيفه، وكان على يده فتح الكثير من البلاد كالدينور وهذان والرى وغيرها، وهو الذي أشار على عثمان بنسخ

(١) انظر في عبادة: الاستيعاب، ص ٨٠٧.

(٢) انظر في أبي الدرداء: الاستيعاب، ص ١٦٤٦.

(٣) انظر في حذيفة: الاستيعاب، ص ٣٣٤.

المصاحف وجمع الناس على مصحف واحد وتحريق ما سواه، روى عن النبي ﷺ الكثير، تولى بعض أمور الكوفة، وولاه عمر المدائن وبقي بها إلى أن مات بعد قتل عثمان بيسير سنة ٣٦.

سيدنا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ (١) ﷺ

يكنى أبا عبد الله ويعرف بِسَلْمَانَ الْخَيْرِ، وكان ينسب إلى الإسلام فيقول: أنا سلمان ابن الإسلام، ويعد من موالى رسول الله ﷺ لأنه كان السبب في عتقه ونسبه ﷺ إلى بيته، فقال: سلمان منا أهل البيت.

أصله فارسي، وأبوه مجوسى فنبهه الله تعالى إلى قبح ما كان عليه أبوه وقومه وجعل في قلبه التشوف إلى طلب الحق ففر عن أرضه إلى أرض الشام، فلم يزل يحول في البلدان ويختبر الأديان ويكشف الأحبار والرهبان إلى أن دُل على راهب الوجود بالوصول إلى المقصود بعد الصبر على المشاق والمكاره حسبما ذلك منقول في إسلامه في كتب السير.

وأول مشاهدته الخندق، وهو الذى أشار بحفره ولم يفته بعد ذلك مشهد، وكان خيراً فاضلاً عالماً حبراً زاهداً متقشفاً، قال الحسن: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به ويأكل من عمل يده حال كونه أميراً على المدائن عاصمة الأكاسرة، وقال النبي ﷺ: «لو كان الدين في الثريا لناله سلمان» وفي رواية: «رجال من الفرس» وعن عائشة: «كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به من الليل حتى كاد يغلبنا عن رسول الله ﷺ» وقال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني أن أحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: على، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان».

وعن على ﷺ: «أن سلمان مثل لقمان» وعن أبي هريرة قال: «كان سلمان صاحب الكتابين» قال قتادة: يعنى الإنجيل والفرقان، له أخبار حسان، وفضائل جمّة، توفى في آخر خلافة عثمان سنة خمس — أو ست — وثلاثين، قال الشعبي: وتوفى بالمدائن، قيل: عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: أكثر.

(١) انظر في سلمان: الاستيعاب، ص ٦٣٤.

سيدنا عَمَّار بن يَاسِر رضي الله عنه

هو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر العنسي حليف بني مخزوم، شهد المشاهد كلها، من السابقين الأولين هو وأبواه، وكانوا ممن يُعَذَّب في الله، وماتت أمه في ذلك التعذيب وكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة» وأول من أظهر إسلامه سبعة، منهم: ياسر.

وعن علي رضي الله عنه قال: «استأذن عمار على النبي ﷺ فقال: إيدئوا له مرحباً بالطيب المطيب» وفي رواية: إن علياً قال ذلك، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عمارا ملئ إيماناً إلى حشاشته» أخرجه الترمذي وابن ماجه.

كان من أعلام الصحابة وفقهائهم، روى عن النبي ﷺ الكثير، وعنه جماعة من الصحابة والتابعين، منهم: ابن عباس، وفي الترمذي مرفوعاً «ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أيسرهما» وأخرج الترمذي عن حذيفة رفعه «اقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار» وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عماراً تقتلته الفئة الباغية، وأجمعوا على أنه قُتل مع علي رضي الله عنه بصفين سنة ٣٧ وعمره ٩٣.

سيدنا عَمْرُو بن العاص ^(١) رضي الله عنه

هو أبو عبد الله أو أبو محمد عَمْرُو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، وأخوه لأمه عقبة بن نافع الفهري، ذاهية العرب عقلاً ورأياً ولساناً، وكانت له مكانة عند قومه لشهرته بالدهاء والمكيدة، وكان حريصاً على الإمارة يجب الظهور، ويميل إلى الإتيان بالأعمال الكبار ليكون كبيراً عند الناس، جامعاً بين أجرى الدنيا والآخرة.

تأخر إسلامه، وكان قبل فتح مكة بستة أشهر، وكذلك خالد بن الوليد، وكان حسن الصحبة محباً لرسول الله ﷺ، شديد الحياء منه، لا يرفع طرفه إليه إجلالاً له كما في الصحيح، روى عنه أنه قال: «ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في حربه منذ أسلمت» رواه ابن عساكر، وذلك بلا ريب لثقتهم بإسلامهما في أمور الحرب، وحسبهما فضيلة فتوحهما العظيمة بالعراق والشام ومصر.

(١) انظر في عمرو: الاستيعاب، ص ١١٨٤.

بعثه رسول الله ﷺ رئيسًا على جيش فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وذلك في غزوة ذات السلاسل، وأرسله ﷺ إلى عمان واليًّا على الصدقة، وأن يدعو الناس إلى الإسلام فذهب ودعاهم إلى الإسلام فآمنوا، وحسبه الفضيلة العظيمة فتحه مصر وطرابلس الغرب وحروبه مع الأمراء بالشام كما رأيت فيما مر من هذا الكتاب، إلا أنه عيب عليه دخوله غمار الفتنة العظمى وكونه اليد القوية فيها، ومن مكائده في الفتنة إشارته برفع المصاحف في وجوه أصحاب عليّ وخداعه لأبي موسى الأشعري يوم التحكيم، وبعد أن تم له فتح مصر والإسكندرية جعل مقره القسطنطينية بأمر من أمير المؤمنين عمر بعد أن أقره واليًّا عليها، فكان خير وال، وأعظم قائد، وأحب الولاة إلى الرعية، وأشدّهم قيامًا على العدل والنظر في عمران البلاد وراحة أهلها، فتألف بدهائه وحسن سياسته قلوب القبط حتى جعلهم عونًا للمسلمين، وعمهدت له البلاد فأحبها وأحبه أهلها لذلك كان شأن مصر عنده عظيمًا وإمارتها إليه محبة.

وفي إمارته وقع حفر الخليج المعروف بخليج أمير المؤمنين الذي كان يمتد من القسطنطينية إلى السويس، وكان الصلة العظمى بين مصر والبحر الأحمر والهند، وهذا الخليج قد تم جدًا قبل الإسلام، وتعطل قبل الفتح، وسبب فتحه أن الناس أصابهم جهد شديد في خلافة عمر عام الرمادة فكتب إلى عمرو بن العاص «سلام عليك أما بعد فلعمري يا عمرو ما تبالي إذا شيعت أنت ومن معك وأهلك ومن معي، فيا غوثاه ثم يا غوثاه» فكتب إليه «من عبد الله عمرو إلى أمير المؤمنين أما بعد فيا لبيك ثم يا لبيك فقد بعثت إليك بعيرًا أولها عندك وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضًا.

فلما قدمت على عمر وسّع بها على الناس وأصاب كل بيت بعيرًا بما عليه من الطعام، فلما رأى عمر ذلك حمد الله وكتب إلى عمرو أن يقدم إليه مع جماعة من أهل مصر ولما قدموا قال لهم: «إن الله قد فتح على المسلمين مصر وهي كثيرة الخير والطعام وقد ألقى في روعي لما أحببت من الرفق لأهل الحرمين التوسعة عليهم حين فتح الله مصر وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين أن أحفر خليجًا من نيلها حتى يسيل في البحر فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة، فإن الله على الظاهر يبعد ولا نبلغ به ما نريد» وأجابوه لذلك.

فانصرف عمرو وجمع الفعلة فاحتفر في حاشية الفسطاط مسافة من النيل إلى السويس فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن، فحمل عليها ما أراد من الطعام إلى الحرمين، وسمى خليج أمير المؤمنين، ولم يزل على ذلك إلى مدة عمر بن عبد العزيز، ثم ضيعه الولاة بعده.

أما الخليج المعروف بالبرزخ وهو يصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض فأبى عمر فتحه خوفاً من وصول الروم إلى البحر الأحمر، وهذا الخليج كان موجوداً في عهد البطالسة وآثاره باقية إلى عهد عمر، ولم يزل عمرو والياً على مصر إلى خلافة عثمان فعزله وولاه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم وليها في زمن معاوية وتوفى عليها يوم الفطر سنة ٤٣ وهو ابن ٩٠ سنة، ودفن بالمقطم وترك دنيا عريضة وثروة واسعة، ولما حضرته الوفاة بكى، فقال له ابنه عبد الله: ما يبكيك؟ وأجابه بما هو مذكور في حديث قصة إسلامه بطوله في صحيح مسلم.

سيدنا زيد بن ثابت (١) ﷺ

هو أبو سعيد زيد بن ثابت الأنصاري النجاري الخزرجي، شهد أحداً فما بعدها، وأعطاه ﷺ راية بني النجار في غزوة تبوك، وهو الذي تولى قسم غنائم اليرموك، وكان كاتب رسول الله ﷺ الوحي وغيره، ثم استكتبه أبو بكر عمر، وهو الذي باشر جمع المصحف الشريف أيام أبي بكر كما في الصحيح، وتولى نسخ المصحف زمن عثمان ومعه عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي المتوفى سنة ٤٣.

كان زيد رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والفرائض قال فيه ﷺ: «أفرضكم زيد» كان عمر يستخلفه وكذلك عثمان واستعمله أميناً على بيت المال، وكان من الراسخين في العلم، وهو أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، قال مالك: كان إمام الناس بالمدينة بعد عمر، زيد بن ثابت، وكان إمام الناس بعده، عبد الله بن عمر وقد أخذ بركابه يوماً ابن عباس وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقبل زيد رأسه وقال: هكذا

(١) انظر في زيد بن ثابت: الاستيعاب، ص ٥٣٧.

أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا، توفي سنة نيف وأربعين، وفي تحرير النيف أقوال، وفي خمس وأربعين قول الأكبر، ولما مات قال أبو هريرة: مات حبر هذه الأمة، وعسى أن يجعل الله في ابن عباس منه خلقاً.
ورثاه حسان بقوله:

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمعانى بعد زيد بن ثابت

سيدنا سعيد بن العاص^(١) ﷺ

هو أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية القرشي الأموي، كان من فصحاء قريش، ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن، قال ابن أبي داود في المصاحف: إن عريية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص إنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ، ولي الكوفة وغزا طبرستان وجرجان وكان في عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة، وولى المدينة لمعاوية، وكان حليماً قوراً مشهوراً بالكرم والبر.
روى عن ابن عمر أنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة فقالت: إني نذرت أن أعطى هذه البردة لأكرم العرب، فقال: أعطيتها لهذا الغلام وهو واقف يعنى سعيداً هذا، مات بقصره بالعقيق سنة ثلاث وخمسين.

سيدنا أبو موسى الأشعري^(٢) ﷺ

هو عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، من علماء الصحابة وأعيانهم، ومن السابقين الأولين، هاجر المجرتين، استعمله النبي ﷺ على بعض اليمن كزبيد وعدن وأعمالها، واستعمله عمر على البصرة بعد المغيرة فافتتح الأهواز وأصبهان وغيرهما، ثم استعمله عثمان على الكوفة وبه تفقه أهلها.
روى له من الحديث ستمائة وستون حديثاً، في الصحيحين منها ثمانية وستون حديثاً، كان حسن الصوت بالقرآن، وفي الصحيح: «لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود» وكان عُمر إذا رآه قال: شَوْقُنَا^(٣) إلى ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده.

(١) انظر في سعيد بن العاص: الاستيعاب، ص ٦٢١، الإصابة ٣/ ١٠٧.

(٢) انظر في أبي موسى: الاستيعاب، ص ١٧٦٢، الإصابة ٤/ ٢١١.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «شَوْقُنَا» والمثبت لدى ابن حجر الذي ينقل عنه المصنف.

قال الشعبي: انتهى العلم إلى ستة فذكره فيهم، وقال ابن المديني: قضاة الأمة أربعة: عُمر، وعلى، وأبو موسى، وزيد بن ثابت، شهد فتوح الشام، وكان أحد الحكمين بصفين وخُدع فيه حتى كان ما كان، ثم اعتزل الفريقين، مات سنة اثنتين — أو أربع — وأربعين أو ثلاث، وخمسين، قيل: بمكة، وقيل: بالكوفة وهو ابن نيف وستين.

سيدنا الحسن وسيدنا الحسين^(١) ابنا سيدنا علي

رضي الله عنهم

قال الحافظ ابن حجر: وقع جمعهما لما لهما من الاشتراك في كثير من المناقب، وكان مولد الحسن في رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر ومات بالمدينة مسموماً سنة خمسين وقيل: قبلها وقيل: بعدها، ودفن بالبقيع إلى جنب قبر أمه، وصلى عليه سعيد بن العاص.

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ قال في الحسن: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين...» الحديث، كان حليماً فاضلاً ورعاً، دعاه فضله وورعه إلى ترك الملك رغبة فيما عند الله تعالى، وظهر صدق ذلك، فإنه لما قُتل أبوه عليّ بايعه أكثر من أربعين ألفاً وكثير ممن تخلف عن أبيه ومن نكث بيعته، فبقى خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان خمسة أشهر، ثم سار إلى معاوية في أهل الحجاز وسار إليه معاوية في أهل الشام فلما التقى الجمعان بالأنبار كره الحسن القتال لعلمه أن إحدى الطائفتين لا تغلب حتى يهلك أكثر الأخرى فسلم الأمر إلى معاوية على شروط.

وأما الحسين فكان فاضلاً كثير الصوم والصلاة، حج خمساً وعشرين حجة ماشياً، وقال ﷺ فيه وفي الحسن: «سيد شباب أهل الجنة» وقال: «هما ريحانتاي من^(٢) الدنيا» شهد مع أبيه الجمل، ثم صفين ثم قتال الخوارج وبقي معه إلى أن قُتل، ثم مع أخيه إلى أن سلم الأمر إلى معاوية فتحول مع أخيه إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية، فخرج إلى مكة ثم أته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية، فأرسل إليهم

(١) انظر في الحسن: الإصابة ٢/ ٦٨، وانظر في الحسين الإصابة ٢/ ٧٦.

(٢) في المطبوع: «في» والثبت لدى ابن حجر الذي ينقل عنه المصنف.

ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب فأخذ بيعتهم وتوجه إليهم، وكان من قصة قتله ما كان، وقتل معه جماعة من أهل البيت في موضع يقال له كربلاء، ويقال له الطف قرب الكوفة في يوم عاشوراء سنة ٦١، مولده في شعبان سنة أربع على قول الأكثر.

سيدنا أسامة بن زيد^(١) رضى الله عنهما

تقدم ذكر نسبه في مناقب والده، يكنى أبا محمد ويسمونه حب رسول الله ﷺ، وترى في بيت النبوة مع أولاده وكان يجعله في حجره هو وسبطه الحسن ويقول: «اللهم إن أحبهما فأحبهما» توفي النبي ﷺ وهو ابن عشرين سنة، وولاه على جيش عظيم فيه أبو بكر وعمر فمات النبي ﷺ قبل أن يتوجه، فأنفذه أبو بكر، وتقدم الكلام على هذا الجيش في فضائل أبي بكر، وكان أسامة ممن اعتزل الفتنة، وتوفي آخر أيام معاوية.

سيدنا عبد الله بن سعد^(٢) رضي الله عنه

هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري أخو عثمان ابن عفان من الرضاعة.

شهد فتح مصر واختط بها، وكان صاحب الميمنة في الحرب مع عمرو بن العاص، وله مواقف محموددة في الفتوح برًا وبحرًا، وأمره عثمان على مصر، وافتتح إفريقية زمن عثمان وكانت ولايته مصر سنة ٢٥، وكان فتح إفريقية من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس فيه ثلاثة آلاف دينار سنة ٢٨، وقيل: كانت ولايته على مصر سنة ٢٧ بعد عزل عمرو بن العاص، فغزا إفريقية ومعه العبادلة، وقيل: كانت ولايته سنة ٢٥ وغزوه إفريقية سنة سبع.

وكان محمود السيرة ولما وقعت الفتنة سكن عسقلان ولم يبايع لأحد، روى البغوي بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال: خرج ابن أبي سرح إلى الرملة فلما كان عند الصبح قال: اللهم اجعل آخر عملي الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم

(١) انظر في أسامة: الاستيعاب، ص ٧٥، الإصابة ١/ ٤٩.

(٢) انظر في عبد الله بن سعد: الاستيعاب، ص ٩١٨، الإصابة ٤/ ١٠٩.

ذهب ليسلم عن يساره فقبض الله روحه، وذكره البخارى من هذا الوجه، وأخرج السراج عن عبد العزيز بن عمران قال: مات ابن أبى سرح سنة ٥٩ فى آخر سنى معاوية.

سيدنا معاوية^(١) ؓ

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان، تقدم ذكر نسبه فى مناقب أخيه يزيد. كان من كتبة الحسبة الفصحاء، حليماً وقوراً، قال المدائنى: كان زيد بن ثابت يكتب الوحى ومعاوية يكتب للنبي ﷺ فيما بينه وبين العرب، ولاءه عمر الشام بعد أخيه يزيد، وأقره عثمان، ثم استمر فلم يبايع علياً، ثم حاربه واستقل بالشام، ثم أضاف إليها مصر، ثم تسمى بالخليفة بعد الحكمين، ثم استقل لما صالح الحسن، واجتمع إليه الناس فسمى ذلك العام عام الجماعة، مات فى رجب سنة ٦٠ على الصحيح.

سيدنا مسلمة بن مُخَلَّد^(٢) ؓ

هو أبو سعيد مسلمة بن مُخَلَّد — على وزن محمد — الأنصارى الخزرجى. قال: ولدت حين قدم النبي ﷺ المدينة، وهو أحد الرجال الأربعة الذين بعثهم عمر ؓ مدداً لفتح مصر، وقال: الواحد منهم مقام الألف، وهو أول من جمعت له إمارة مصر والمغرب مات سنة ٦٢.

سيدنا مروان بن الحكم^(٣) ؓ

هو أبو عبد الملك مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية القرشى الأموى وهو ابن عم عثمان وكاتبه فى خلافته. ولد بعد الهجرة بستين وقيل: بأربع، كان يعد من الفقهاء، شهد فتح إفريقية وكان من أسباب قتل عثمان، وشهد الجمل مع عائشة ثم صفين مع معاوية، ثم ولى

(١) انظر فى معاوية: الإصابة ٦ / ١٥١.

(٢) انظر فى مسلمة: الإصابة ٦ / ١١٦.

(٣) انظر فى مروان: الإصابة ٦ / ٢٥٧.

إمرة المدينة لمعاوية ولم يزل بها إلى أن أخرجه ابن الزبير في أوائل إمرة يزيد بن معاوية فبايعه بعض أهل الشام في قصة طويلة.

ثم كانت الواقعة بينه وبين الضحاك بن حنين وكان أميراً لابن الزبير فانتصر مروان وقتل الضحاك، واستوثق له ملك الشام ثم توجه إلى مصر فاستولى عليها، ثم بغته الموت فهد إلى ولده عبد الملك، فكانت مدته في الخلافة نحو نصف عام، ومات في رمضان سنة ٦٥، وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

سيدنا عبد الله بن العباس^(١) ﷺ

هو أبو العباس عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ، وأمه أم الفضل كُبَّابَةُ^(٢) بنت الحارث الهلالية.

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وهو أثبت الأقوال، كان من أعيان علماء الصحابة ومن أعلمهم بتفسير القرآن، وكان عُمر يقدمه مع الأشياخ وهو شاب، أورد في حديثه قال: ضمنى النبي ﷺ وقال: «اللهم علمه الحكمة» وفي لفظ: «علمه الكتاب» وفي رواية «فقهه في الدين» وفي رواية «فاغمسه في الدين وعلمه التأويل» وفي رواية «اللهم بارك فيه وانشر عنه»^(٣) واجعله من عبادك الصالحين.

واختلف في تفسير الحكمة هنا، فقليل: الكتاب، وقيل: الإصابة في القول، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب بالصواب، وقيل غير ذلك.

وكان ابن مسعود يقول: نَعَمْ ترجمان القرآن ابن عباس، وكان ابن عمر يقول: ابن عباس فني الكهول، له لسان سئول، وقلب عقول، وقال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجهل الناس، وإذا تكلم، قلت: أفصح الناس، وإذا تحدث قلت: أعلم الناس، وكان يُسمى الحبر لغزارة علمه، والبحر لاتساع حفظه ونفوذ فهمه.

(١) انظر في ابن عباس: الاستيعاب، ص ٩٣٣، الإصابة ٤/ ١٤١.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «لبانة» وصوابه لدى ابن حجر.

(٣) في الاستيعاب: «منه».

وجملة ما رَوَى عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستمائة وستون، في الصحيحين منها مائتان وأربعة وثلاثون.

وهو أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ: أبو هريرة وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة. وأحد العبادلة الأربعة: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير.

والحاصل أن دعوات رسول الله ﷺ فيه قُبِلَتْ وظهرت بركاتها عليه فاشتهرت علومه وفضائله، فارتحل طلاب العلم إليه وازدحموا عليه ورجعوا عند اختلافهم إلى قوله وعولوا على نظره ورأيه، وكان يقال له: حبر العرب، ويقال: إن الذي لقبه بذلك جرجير ملك الغرب، وكان قد غزا مع عبد الله بن أبي سرح إفريقية فتكلم مع جرجير فقال له: ما ينبغي إلا أن تكون حبر العرب، ذكر ذلك ابن دريد في الأخبار المنتورة، قال ابن يونس: وكانت هاته الغزوة سنة ٢٧، فضائله جمة وتوفى بالطائف وفي وفاته أقوال والصحيح وهو قول الجمهور سنة ٦٨.

شقيقه أبو محمد عبيد الله كان من فضلاء الصحابة وكان جميلاً سخياً جواداً، استعمله عليٌّ على اليمن وحج بالناس سنة ٣٦ ومات بالمدينة سنة ٥٨ وبه جزم أبو نعيم.

سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص^(١)

رضي الله عنهما

تقدم ذكر نسبه في مناقب والده، يكنى أبا محمد^(٢) وأبا عبد الرحمن، أسلم قبل أبيه وفي الصحيحين قصته مع النبي ﷺ في نفيه عن مواظبة قيام الليل وصيام النهار وأمره بصيام يوم بعد يوم، وبقراءة القرآن في كل ثلاث، وهو مشهور، وفي بعض طرقه أنه لما

(١) انظر في عمرو: الاستيعاب، ص ٩٥٦، الإصابة ٤/ ١٩٢.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «أبو عبد الله» وصوابه من المصدرين السابقين، ولدى ابن حجر: «كنيته أبو محمد عند الأكثر».

كبر كان يقول: يا ليتني كنت قبلة رُخصة رسول الله ﷺ، وهو أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة حديثاً في البخارى.

عن أبي هريرة: ما أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله عمرو فإنه كان يكتب، روى عن النبي ﷺ وجماعة من الصحابة، وعنه الكثير من الصحابة والتابعين.

شهد فتح مصر وإفريقية ومات سنة ٦٩ على أحد الأقوال، وهو ابن اثنين وسبعين^(١).

سيدنا عبد الله بن الزبير^(٢)

رضى الله عنهما

تقدم ذكر نسبه في فضائل والده، يكنى أبا عبد الله، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق.

ولد عام الهجرة، وحفظ عن النبي ﷺ وهو صغير، وحدث عنه بحملة من الحديث، وعن أبيه، وأبي بكر وعمر، وعثمان، وخالته عائشة وغيرهم، وهو أحد العبادلة، وهو أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة، حنكه النبي ﷺ بتمر مضعها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل في جوفه ريق النبي ﷺ ودعا له وبرك عليه، وهو أحد الأربعة الذين اقتدى بهم عثمان لنسخ المصاحف.

شهد اليرموك مع أبيه والجل مع عائشة ثم اعتزل حروب على، وشهد فتح إفريقية وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ عقب موت يزيد بن معاوية، ولم يختلف عنه أحد إلا بعض أهل الشام، ثم جهز عبد الملك بن مروان جيشاً أميره الحجاج إلى ابن الزبير فقاتله إلى أن قتل في جمادى الأولى سنة ٧٣ في خبر طويل الذيل.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «اثنين وستين» وصوابه لدى ابن عبد البر وابن حجر اللذين ينقل عنهما المصنف.

(٢) انظر في ابن الزبير: الإصابة ٤ / ٨٩.

سيدنا عبد الله بن جعفر^(١)

رضي الله عنهما

مر ذكر نسبه في مناقب والده، يكنى أبا محمد، ولد بالحبشة لما هاجر أبوه إليها. روى عن النبي ﷺ، وعن أبيه، وعمه، وأبي بكر، وعثمان، وعمار بن ياسر. وعنه جماعة، روى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: وأما عبد الله فيشبه خلقي وخلقي، ثم أخذ بيدي فقال: اللهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه، قالها ثلاث مرات، وكان كريمًا، وأخباره في الكرم كثيرة شهيرة، شهد فتح إفريقية والمشهور أنه مات سنة ٨٠.

خلاصة

اعلم أن الفتوحات الإسلامية امتدت واتسعت في الجهات الشرقية والغربية زمن الخلفاء الراشدين لطهارة سيرتهم وصفاء سريرتهم ولعدلهم في بيت المال وغيره، وكان الصحابة رضي الله عنهم هم الواسطة العظمى في انتشار الدين وتبليغه بنقل أقواله وأفعاله وأحواله وأخباره وبث العلم وانتشاره، وبهم أشرقت على العالم أنوار النبوة المحمدية على صاحبها أشرف السلام وأزكى التحية، واعترفت الأمة لله الواحد القهار بالوحدانية، وبلغت في الرقي أعلاه ومن المجد أسنائه، وبسطت الخلافة الإسلامية يدها على مشارق الأرض ومغاربها، كل ذلك بواسطة الصحابة ثم التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

فهم الذين مهدوا لنا المسالك، وفتحوا لنا الأقطار والممالك، وذلوا الأمم وأقاموا منار العدل، ومحو آثار الفساد والبغى والظلم، وقد كانوا أسود نزال، وعلماء حرب وقتال، وكانت لهم الحرية الحقيقية، لا يسكتون على منكر، ولا يقرون على ضيم، وكانوا غير مستبدين في الأعمال لا يرمون أمرًا من أمور الدولة إلا بعد المشاورة فيه مع عظماء الأمة، وكان اختيار الأعمال المنوطة بهم يوكل إليهم والخليفة ينفذ ما استقر

(١) انظر في عبد الله بن جعفر: الإصابة ٤/ ٤٠.

عليه رأيهم لأنهم أرجى في نجاح الأمور، لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، فكانت الأعمال منظمة والرياسة في أهلها، والنجاح متأصل الأطراف، مأمون مما يخاف. واعلم أني أشرت فيما تقدم للفتوحات الشرقية والغربية التي وقعت زمن الخلفاء الراشدين، وهى في الحقيقة تمهيد للفتوحات الغربية وذكر أمراء إفريقية، وحيث كان ذلك هو الغرض الوحيد من تأليف هاته التتمة، وقد آن الأوان فلنشرع في الغرض المقصود، مستعينًا بالواحد المعبود، فنقول:

الفتوحات الغربية على يد الصحابة

أول أمير تأمّر على جيوش إفريقية هو البطل المشهور المجاب الدعوة سيدنا عبد الله ابن سعد بن أبي سرح بعهد من الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتحرير الخبر في ذلك كان استعمل على الحرب في مصر عبد الله بن سعد وأمره بغزو إفريقية سنة ٢٤ أو ٢٥، وقال له: إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم، فأمر عقبة ابن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري الصحابي بالمولد^(١) على جند، وعبد الله بن نافع بن الحارث على آخر، وسرحهما فخرجوا إلى إفريقية في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدرُوا على التوغل فيها لكثرة أهلها، ثم إن عبد الله بن سعد شكّا عمرو بن العاص إلى عثمان لخلاف وقع بينهما فاستقدمه عثمان واستقل عبد الله بن سعد على إمارتي الخراج والحرب في مصر، وكتب عبد الله يستأذن عثمان في قصد إفريقية ثانية ويستمدّه، فجمع عثمان أصحاب رسول الله ﷺ واستشارهم في ذلك فأشاروا عليه بغزوها، فندب الناس إلى ذلك فتسارعوا وخرج المهاجرون الأولون وفيهم جماعة أعيان الصحابة وأبناء الصحابة، منهم العبادلة الأربعة: ابن عباس، وابن الزبير، وابن عمرو بن العاص، وابن جعفر، والحسن، والحسين، ومروان بن الحكم. ولما اجتمع المسلمون على المسير جمع عثمان الناس وخطب خطبة قال فيها بعد حمد الله والثناء عليه: أما بعد، فإن قد عهدت إلى عبد الله بن سعد أن يحسن إلى

(١) لدى ابن عذارى في البيان المغرب ١ / ١٩ موضحًا: «إن عقبة ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسنة واحدة».

محسنكم، ويتجاوز عن مسيفكم، وأن يرفق بكم ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد استعملت عليكم الحارث بن عبد الحكم حتى تقدموا إلى عبد الله، فلما قدموا خرج بمن كان معه وبمن قدم عليه وذلك سنة ٢٧ ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة، ثم ساروا إلى طرابلس فقاتلهم الروم قتالا خفيفاً، وبعث عبد الله السرايا في كل ناحية وساروا إلى إفريقية تونس فقابله عند مدينة يعقوبة — وفي رواية سيطة — حاكم إفريقية الشمالية من قبل إمبراطور القسطنطينية واسمه غريغوار ويسميه العرب جرجيراً بمائة وعشرين ألف مقاتل، واشتبك بينهما القتال، وجاءهم عبد الرحمن بن الزبير مدداً من قبل عثمان — بفتح الزاي وهو غير الزبير بضم الزاي — بن العوام فشهد الحرب، وقد غاب عنهما عبد الله بن سعد فسأل عنه ف قيل له: إنه سمع منادى جرجير يقول: من يقتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي فخاف وتأخر عن حضور القتال، فقال له عبد الله بن الزبير: تنادى أنت بأن من قتل جرجيراً نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده.

وقد كان جرجير لما سمع بوصول المدد سقط ما في يده إلا أنه جالد المسلمين جالداً عظيماً، فلما أبطأ عليهم الفتح أشار عبد الله بن الزبير على عبد الله بن سعد أن يترك جماعة من أبطال المسلمين متأهين للحرب ويقاوم العدو بباقي العسكر إلى أن يضجروا، فيحمل عليهم بالآخرين على غرة ففعل، وركبوا من الغد إلى القتال وألحوا على الأعداء حتى أتعبوه ثم افترقوا وقد أنهكهم التعب.

فركب عبد الله بن الزبير مع الفريق المستريحين وحملوا حملة واحدة حتى غشوا عسكر جرجير في خيامهم فاغزموا، وقتل عبد الله بن الزبير جرجيراً، وأخذت ابنته سبية فنفلها ابن الزبير، وحاصر عبد الله بن سعد سيطة ففتحها، وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألفاً.

وهو فتح عظيم لم يفتح على أحد مثله، ثم إن عبد الله بن سعد بعث سراياه إلى أنحاء البلاد وعليها القواد ومنهم ابن الزبير، فجالوا في أقطار المغرب غرباً وشرقاً وجنوباً، فأغاروا من جهة الجنوب على إقليم بين اسنه المعروف ببلاد النخل أو الجريد، ومن الشمال والغرب على إقليمى نوميديّة وموريتانيا في الجزائر، ثم بلاد فاس ومراكش

المعروفة بموريتانيا الطنجية وهكذا، حتى انقادت لهم البلاد إلى بوغاز جبل طارق، ودفع أهلها لهم الجزية التي كانوا يؤدونها لقيصر الروم كما ذلك في خلاصة تاريخ العرب. أما مؤرخو الإسلام فقد اختصروا أخبار هذا الفتح وذكروا الصلح الذي عرضه عظماء إفريقية على ابن سعد وهو أن يعطوه ثلاثمائة قنطار من الذهب أى مليونين وخمسمائة ألف دينار ونيفاً، فقبل ذلك منهم وأرسل ابن الزبير بالفتح والخمس إلى أمير المؤمنين عثمان فاشتره مروان بخمسمائة ألف دينار.

ولما أصاب ابن سعد من إفريقية ما أصاب ورجع إلى مصر جهز قسطنطين بن هرقل امبراطور القسطنطينية أسطولاً كبيراً مؤلفاً من ستمائة مركب أراد أن يهاجم به الإسكندرية على قول ابن خلدون وابن الأثير لم يذكر الجهة التي كان يريد بها قسطنطين، والظن أنه كان يريد إفريقية بدليل التجاء الامبراطور إلى جزيرة صقلية بعد انكساره في هذه الغزوة وهى قرية من تونس.

ولما بلغ المسلمين خروج هذا الأسطول خرج لملاقاته في البحر أسطولان: أسطول من الإسكندرية مع عبد الله بن سعد، وأسطول من سورية مع معاوية بن أبى سفيان والتقىا معه في عرض البحر فقرنوا السفن إلى بعضها واقتتلوا قتالاً شديداً حتى استحر القتل فاهزم قسطنطين جريحاً إلى صقلية بما بقى معه من الروم. ولما علم أهل صقلية فراره قتلوه، وسمى المسلمون هذه الغزوة غزوة ذات الصواري، والمكان كذلك لكثرة ما كان فيها من الصواري.

ثم إن الامبراطور فونستانس الثانى غضب على أهل إفريقية لما أعطوه من المال لابن سعد لأنه أكثر مما كانوا يعطونه لامبراطورة الروم، واغتتم فرصة اضطراب المسلمين وانقسامهم في التنازع على الخلافة فأرسل من قبله بطريقاً ليأخذ منهم مثله فأبوا فقاتلهم وطردهم بطريق الذى ولوه عليهم من قبل المسلمين بعد جرحه، فالتجأ إلى معاوية بن أبى سفيان وقد كان اجتمع له الأمر فنصره وبعث جيشاً أميره معاوية بن حُذَيْج — بالخاء المهملة مصغراً — الكندى له صحبة ورواية ووفادة وذلك سنة ٤٥ لتدوين البلاد وطرده الروم عنها ثانية، ولما وصل الجيش إفريقية انتشب القتال بينه وبين جيش العدو قرب قصر اجم وكان النصر حليف المسلمين.

وبعد هذا الفوز بعث معاوية بن حُديج عبد الله بن الزبير لسوسة ففتحها وفتح بترت وجلولا ووجه أسطولا مهولا لصقلية وغنم غنائم كثيرة ثم رجع معاوية إلى مصر بعد أن خلد آثاراً حسنة وعزله الخليفة معاوية عن إفريقية وأقره على مصر ثم عزل عن مصر سنة ٥١ وتوفي بها في السنة بعدها.

أخرج ابن عبد الحكم عن سليمان بن سفيان قال: غزونا إفريقية مع ابن حديج ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار.

ثم غزا إفريقية عقبة بن نافع ومعه جماعة من الصحابة، وفي هذه الغزوة استشهد أبو زمعة عبيد بن أرقم^(١) البلوى نسبة لبلى كعلى قبيلة من قضاة وهو صاحب المقام المعروف به خارج القيروان ودفنت معه شعرات من شعر النبي ﷺ فعظم بذلك قدر إفريقية.

واحتط عقبة القيروان وبني بها الجانح الأعظم المشهور، وكان تأسيسه لها سنة ٥٠^(٢) وتم سنة ٥٥ وقاتل البربر وشردهم، ثم عزله معاوية وولى مصر وإفريقية مَسْلَمَ بن مُخَلَّد الأنصارى، فوجه لإفريقية مولاه أبا المهاجر^(٣) ديناراً سنة ٥٦، وغزا جزيرة شريك وغيرها، ولما توفي الخليفة معاوية وبويع لابنه يزيد رجع هذا الخليفة عقبة المذكور إلى عمل إفريقية ووصل إلى القيروان سنة ٦٢^(٤)، غزا كثيراً من الجهات وفتحها وشتت جموع البربر وغيرهم.

قال ولى الدين بن خلدون: وصل عقبة إلى جبال درن وقاتل المصامدة بها وكانت بينه وبينهم حروف وحاصروه بجبال درن، فنهض إليهم جموع زناتة وكانت خالصة للمسلمين منذ إسلام مغراوة فأفرجت المصامدة عن عقبة فأتحن فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام ودوخ بلادهم.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «عبيد الله» وصوابه لدى ابن حجر في الإصابة.

(٢) البيان المغرب ١ / ٢٠.

(٣) البيان المغرب ١ / ٢١.

(٤) البيان المغرب ١ / ٢٣.

ثم دخل السوس لقتال من بها من صنهاجة وهى يومئذ على دين المجوس فأئخن فيهم وهزم جموع البربر وقفل راجعاً، وكان كسيلة الأوربي^(١) فى جيوش عقبة قد استصحبه فى غزواته وكان يستهين به ويمتعضه حتى صار فى نفسه شىء بسبب ذلك على عقبة، وبلغ ذلك أبا المهاجر وهو معتقل عند عقبة فبعث إليه ينهائه ويقول له: كان رسول الله ﷺ يتألف جبابرة العرب، وأنت تعمد إلى رجل جبار فى قومه ويدار عزه وحديث عهد بالشرك فتستفسده، وأشار عليه بأن يتوثق منه وخوفه غائلته فتهاون عقبة بقوله^(٢).

فلما قفل من غزاته هاته وانتهى إلى أرض الزاب، وكُسَيْلَة أثناء هذا كله فى صحبته، صرف العساكر إلى القيروان أفواجاً ثقة بما دوخ من البلاد وأذل من البربر وبقي فى قليل من الجند فلما وصل إلى تهودة وأراد أن ينزل بها الحامية نظر إليه الفرنجة وطمعوا فيه فراسلوا كسيلة ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها وأرسل بنى عمه ومن تبعهم من البربر فاقتفوا أثر عقبة وأصحابه حتى إذا غشوهم بتهودة، ترجل القوم وكسروا أجفان سيوفهم ونزل الصبر واستلحم عقبة وأصحابه فلم يفلت منهم أحد، وكانوا زهاء الثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين، واستشهدوا فى مصرع واحد، فيهم أبو المهاجر دينار^(٣)، وأجداثهم رضى الله عنهم بمكانهم بأرض الزاب لهذا العهد.

واتخذ على المكان مسجد يعرف باسم عقبة هو فى عداد المزارات ومظان البركات، بل هو أشرف مزور من الأحداث فى بقاع الأرض لما توفى فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه، وكان ذلك سنة ٦٣.

بعد الواقعة زحف كُسَيْلَة إلى القيروان وبها يومئذ جمهور العرب ووجوه الإسلام فبلغهم الخبر وعظم عليهم الأمر فقام زهير بن قيس البلوى فيهم خطيباً وقال: يا معشر المسلمين إن أصحابكم قد دخلوا الجنة فاسلكوا سبيلهم، فخالفه قيس بن عبد الله

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الأوربي» وصوابه من فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس.

(٢) البيان المغرب ١ / ٢٩.

(٣) فتوح مصر والمغرب، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

الصنعاني لما علم أنه لا طاقة للمسلمين لما دهمهم من أمر البربر، ورأى أن النجاة بمن معه من المسلمين أولى، ونادى في الناس بالرحيل فاتبعوه إلا قليلاً منهم، وانتقل زهير إلى برقة واجتمع إلى كسيلة جميع أهل المغرب من البربر والفرنجية وعظم أمره وتقدم إلى القيروان واستولى عليها في محرم سنة ٦٤ وفر منها بقية العرب ولحقوا بزهير ومن بقي بها آمنه كسيلة، وثبت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي من العرب خمس سنين^(١).

وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وإذ ذاك أمر الخلافة في الشرق في اضطراب إلى أن استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة وأذهب آثار الفتنة بالمشرق فالتفت إلى المغرب وتلافى أمره على نحو ما سنذكره في الطبقة الآتية.

(١) البيان المغرب ١/ ٣٠، ٣١.

صلة

اعلم أنه دخل إفريقية مئات من الصحابة ووقع التصريح بأسماء بعض من دخلها، غير أنهم قليلون بالنسبة لمن دخلها وقد اقتطفت أسماءهم من الإصابة والاستيعاب والاستقصا والخلاصة النقية وغيرهم وهم نيف وأربعون من الطراز الأول، وعليهم في الأمور المعول، والواجب أن نطرز ما جمعته ونتوج ما أسلفته بذكر أسمائهم اهتماماً بشأنهم رضى الله عنهم:

عبد الله بن عمر بن الخطاب.

عبد الله بن عمرو بن العاص.

عبد الله بن الزبير.

عبد الله بن العباس.

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

عبد الله بن مسعود.

عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وريحاننا رسول الله ﷺ.

المقداد بن الأسود.

مروان بن الحكم.

سعيد بن العباس.

مسلمة بن مخلد.

أبو لبابة.

هؤلاء ترجمت لبعضهم في هاته التتمة وبعضهم في الطبقة الثانية في المقصد، ولنذكر من لم ترجم له فيما سلف من هذا الكتاب.

- عبد الله بن نافع بن الحصين، وجهه عثمان مع ابن أبي سرح لشدة بطشه وإصابة رأيه.

- أبو ذؤيب خالد بن خويلد الهذلي الشاعر المشهور كان فصيحاً متمكناً من الشعر، وعاش في الجاهلية دهرًا وأدرك الإسلام، وأسلم على عهد النبي ﷺ ولم يره.

روى ابن عبد البر أن أبا ذؤيب قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل فاستشعرت حُرُنًا^(١) وبت بأطول ليلة لا ينجاب دَجُورُها^(٢) ولا يطلع نورها، حتى إذا كان قرب السحر أَغْفَيْتُ فهِتَفَ بِي هَاتِفٌ وهو يقول:

خَطْبُ أَجَلٍ أَنَاخَ بِالْإِسْلَامِ بين النخيل ومعقد^(٣) الآطام
قضى النبي محمد فعبوئنا تدرى الدموع عليه بالسَّحَامِ^(٤)
قال: فَوَبَّيْتُ من نومي فرعًا فنظرت إلى السماء، فلم أر إلا سَعْدَ الذابح، فتفألت به ذبحًا يقع في العرب، وعلمت أن النبي ﷺ مات، فركبت ناقتي وسرت^(٥).
وروى أنه لما وصل وجد النبي ﷺ ميتًا وحضر الصلاة عليه ودفنه، وشهد بيعة أبي بكر وسمع خطبته، ورثي النبي ﷺ بقصيدة منها^(٦):

كُسِفَتْ لمصرعه النجوم وبدرها وترعزعت آطام بطن الأبطح^(٧)
كان أصاب الطاعون خمسة من أولاده فماتوا في عام ولهم بأس ونجدة فقال في قصيدته التي أولها:

أَمِنَ المنون ورَّيْهَا تَوَجَّعُ والدهر ليس مُعْتَبٍ من يَجْزَعُ^(٨)
ومنها:

وَتَجَلَّدِي للشامتين أريهم أنى لَرَّيبِ الدهر لا أَتَضَعُضُعُ
وإذا المنية أنشبت أظفارها أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمة لا تنفعُ
والنفس راغبة إذا رَغِبَتْها وإذا تُرِدُّ إلى قليل تَقْنَعُ^(٩)

(١) تحرف في المطبوع إلى: «حربا» وصوابه لدى ابن عبد البر الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) الديجور: الظلام.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «معقل».

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «بانسحام» وصوابه لدى ابن عبد البر.

(٥) ابن عبد البر، ص ١٦٤٩.

(٦) ابن عبد البر، ص ١٦٥٠.

(٧) ابن عبد البر، ص ١٦٥٠.

(٨) ابن عبد البر، ص ١٦٥١.

(٩) ابن عبد البر، ص ١٦٥١، ١٦٥٢.

سئل حسان بن ثابت: مَنْ أشعر الناس؟ قال: رجلاً أو قبيلة؟ قالوا: قبيلة، قال: هذيل^(١).

في طبقات أبي العرب محمد بن عثيم^(٢): من أعيان الصحابة الذين شهدوا إفريقية: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبو ذؤيب الهذلي وتوفي بإفريقية وقام بأمره عبد الله بن الزبير ونزل في لحده^(٣). عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما يكنى أبا محمد وأبا عبد الله، وهو أسن ولد لأبي بكر، وكان صالحاً لم يجرب عليه كذبة قط شجاعاً رامياً شهد بدرًا واليمامة والجمل وإفريقية كما في طبقات أبي العرب، كان من أعلام الصحابة، مات بمكان على عشرة أميال من مكة وبها دفن سنة ٥٤ على أحد الأقوال.

عبد الرحمن بن الزبير — بفتح الزاى وكسر الموحدة — بعثه عثمان مع جيش مدداً لابن أبي سرح بإفريقية.

عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، كان من شجعان قریش وفرسانهم ولما قتل أبو لؤلؤة والده عمر عمد عبيد الله هذا إلى الهرمزان وجماعة من الفرس وقتلهم حيث اتهمهم بالمؤامرة على قتل والده عمر رضي الله عنه في خبر تركنا إirاده خشية التطويل، شهد إفريقية وقتل بصفين مع معاوية سنة ٣٦.

أخوه عاصم دخل إفريقية ومات بالربذة سنة ٦٨ على أحد الأقوال.

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشى استشهد بإفريقية، وفي الإصابة مات سنة ٤٣، وهو أحد الأربعة الذين تولوا نسخ المصاحف زمن عثمان.

معيد بن العباس بن عبد المطلب استشهد بإفريقية.

همزة بن عمرو الأسلمى.

أبو نعيم معاوية بن حديج — بضم الحاء المهملة مصغراً — كان من فضلاء الرجال، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وأمره معاوية على الجيش الذى جهزه

(١) ابن عبد البر، ص ١٦٥١.

(٢) طبقات أبي العرب، ص ١٦ وما بعدها.

(٣) طبقات أبي العرب، ص ١٤.

لمصر والأمير عليها محمد بن أبي بكر الصديق من قبل علي عليه السلام، ولما قتل بايع المصريون معاوية وتولى غزو المغرب مراراً آخرها سنة ٥٠ ومات بمصر سنة ٥٢.

بلال بن الحارث بن عاصم المزني أبو عبد الرحمن من أهل المدينة، أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم العقيق وكان صاحب لواء مُزينة يوم الفتح، مات سنة ٦٠ وله ثمانون سنة.
جرّهد بن خُوَيْلد الأسلمي^(١) يكنى أبا عبد الرحمن من أصحاب الصفة مات في خلافة يزيد.

جبله بن عمرو^(٢) الأنصاري هو أخو أبي مسعود البدرى، غزا إفريقية مع ابن حُدَيْج شهد أحداً وفتح مصر وصفين مع علي وكان فاضلاً من فقهاء الصحابة.
حَبان — بكسر الحاء المهملة وموحدة — بعثه عمر بن الخطاب إلى مصر ليفقه الناس ومات بإفريقية.

خالد بن ثابت العجلاني الفهمي شهد مصر وغزا إفريقية مع مسلمة بن مخلد.
رُوَيْفِع بن ثابت الأنصاري النجاري، ولاء معاوية على طرابلس سنة ٤٦، وغزا إفريقية من قبل مسلمة بن مخلد، ومات ببرقة وهو أمير عليها من قبل مسلمة المذكور.
سَلَمَةُ^(٣) بن الأكوع الأسلمي، كان شجاعاً رامياً سابقاً يسبق الفرس على قدميه، مات بالمدينة سنة ٧٤ وهو ابن ثمانين سنة^(٤).

ربيعة بن عِبَاد — بكسر العين وتخفيف الباء — مات في خلافة الوليد.
أبو أيمن سفيان بن وهب الخولاني ولي إمرة إفريقية زمن عبد العزيز بن مروان ومات سنة ٨٢.

مسعود بن الأسود القرشي العدوي المعروف بابن العجماء.
المسور بن مخزومة بن نوفل الزهري له ولأبيه صحبة مات سنة ٦٤.
المسيب بن حزن القرشي المخزومي والد سعيد بن المسيب له ولأبيه صحبة.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الأسدي» وصوابه لدى ابن عبد البر.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «عُمر» وصوابه لدى ابن عبد البر.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «مسلمة» وصوابه لدى ابن عبد البر.

(٤) الاستيعاب، ص ٦٣٩.

المطلب بن أبي وداعة القرشي السهمي له ولأبيه صحبة.

المنذر الأسلمي دخل إفريقية والأندلس ولم يدخلها أحد من الصحابة سواه.

أبو المبتذر أو المبتذل دخل إفريقية.

أبو زمعة عبيد بن أرقم وقيل عبيد بن آدم البلوي صاحب المقام المشهور خارج القيروان من أصحاب الشجرة وله رواية مر ذكره قريباً.

أبو المهاجر دينار كان من الشجعان وذوى الرأى المصيب، ولما تولى مُسَلِّمة بن مُخَلَّد أمر مصر وإفريقية بعث مولاه أبا المهاجر سنة ٥٦ لإفريقية عوض عقبة بن نافع ودخلها وتولى أمرها وقاتل البربر، وفي سنة ٦٢ رجع يزيد بن معاوية عقبة لإفريقية وبقي أبو المهاجر عنده معقولاً إلى أن استشهد مع عقبة سنة ٦٣ ومر ذكره قريباً، وفي صحبته توقف وهو عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري خاله عمرو بن العاص له صحبة بالمولد، شهد فتح مصر واختلط بها ثم ولاه يزيد بن معاوية إمرة الغرب وغزا البربر وشردهم وهو الذى اختط القيروان وجامعها الأعظم، قدم على عثمان بن عفان بفتح إفريقية بعثه ابن أبي سرح وأوصى أولاده بأن لا يقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة ولا يكتبوا ما يشغلهم عن القرآن، وبالجملة فإن فضائله حمة، قتله البربر هو وأصحابه سنة ٦٣ ومرت الإشارة إلى ذلك قريباً.

أبو شداد زهير بن قيس البلوي يقال: له صحبة، كان من العابدين الصالحين ومن رجال الكمال، شهد فتح مصر، ولما تولى عبد الملك وبلغه ما فعله كسيلة بعقبة وغيره بعث إلى زهير وهو ببرقة بالتوجه إلى إفريقية واستنقاذاها من كسيلة سنة ٦٩ وبعد انتصاره وقتله كسيلة خاف الفتنة بحصول ذلك الملك رجع إلى الشرق، ولما بلغ برقة لقي الروم في عدد قليل فقاتل حتى قتل شهيداً هو ومن معه في خبر يأتي ذكره قريباً.

فقد تم لإفريقية بدخول هؤلاء السادة الفضلاء القادة مزيد الاعتبار والافتخار على كثير من الأمصار والأقطار، وأول مدينة أسسوها القيروان وبها كرسى المملكة وصارت مناخ الأبرار من الصحابة والتابعين، ومقر الأخيار من الأمراء والعلماء العالمين، ومنها وقع تجنيد العساكر الحمديدية ونشر الملة الأحمدية عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية، إلى سائر الجهات الغربية الأندلس والسودان والصحراء وستعلم ذلك.

جغرافية المغرب أى إفريقية الشمالية الغربية

يحدها من الشمال الأوقيانوس الاطلانتىك ومذيق جبل طارق والبحر المتوسط، وشرقاً بلاد مصر والبحر المتوسط أيضاً وجنوباً الصحراء الكبيرة، وغرباً الأوقيانوس وكانت تنقسم فى صدر الإسلام إلى ثلاثة أقسام: كبرى المغرب الأقصى، وقاعدتها فاس ومراكش والمغرب الأوسط وهى المعروفة بالجزائر وقاعدتها تلمسان ومدينة الجزائر على البحر المتوسط والمغرب الأدنى وهى ولاية طرابلس وتونس، وكانت قاعدتها القيروان بالقرب من تونس.

أما المغرب الأقصى فهو الآن تحت حماية دولة فرنسا وينقسم إلى أقسام: فاس، ومراكش، ودرعة وتافيلات، والرباط، وسلا، على شواطئ الأوقيانوس الاطلانتىك والسوس، ومن جبالها درن وغماره ومديونه، ويحده قسم كبير يعرف بالريف تحت حماية دولة إسبانيا، ومن مدنه تطاون، وسبتة، وميلة وطنجة على ساحل البحر المتوسط.

وأما الجزائر وهى المغرب المتوسط فتقسم إلى ثلاثة أقسام: كبرى وهى الجزائر ووهران وقسنطينة وهى تابعة لدولة فرنسا ومن مدنها الشهيرة بجاية وعنابة أو بونه ووهران ومستغانم وهى على البحر المتوسط.

وأما المغرب الأدنى سمي بذلك لقربه من مقر الخلافة بالمشرق وفيها ولايتا طرابلس وتونس وكانت قاعدتها القيروان بالقرب من تونس وأشهر مدنه طرابلس وبرقة وبنغازى وتونس، وهى قرب أطلال قرطاجنة القديمة وتسمى قديماً إفريقية وربما سموها إقليم تونس بهذا الاسم ثم سموها القارة كلها به من باب تسمية الكل باسم الجزء، وهى على البحر المتوسط ومن مدنها الشهيرة بنزرت وسوسة والمنستير والمهدية وسفاقس وقابس، وهى على البحر المتوسط والقيروان أسسها عقبة بن نافع الفهري وجعلها قاعدة البلاد فولاية طرابلس هى الآن تحت حكم إيطاليا وولاية تونس تحت حماية دولة فرنسا.

الكلام على قرطاجنة

فى الحلل السندسية: قرطاجنة — بفتح القاف وسكون الراء وبعدها طاء مهملة وألف وجيم مفتوحة ونون مشددة — وهى وإن تلاشت وخربت فإنها كانت من

أضخم ممالك إفريقية وأكثرها عددًا وأقواها عددًا وأتقنها بناءً وأغربها أقباءً وأوسعها مجالاً وأشدّها قتالاً وأحكمها صناعة وأرفعها بضاعة وأطيها أرضاً وأطولها أعماراً.

وأول من وضع هذه المدينة امرأة تسمى أنسية ديدون^(١) فنيقية وتدعى عليسة من بنات بعض الملوك، وكانت زوجة ملك من كبار ملوك الروم، ومات ولم يكن لها ولد، وكان لها أخ وكان ملكاً أيضاً فأراد الاستيلاء على ملكه وما خلفه من الخزائن والأموال فمأطلته حتى ركب البحر بجميع ذخائرها ودخلت إفريقية وأسست قرطاجنة وعمرتها وأنشأت الدور والجنان والقصور.

وفي الاستقصا: قرطاجنة إحدى مدن الدنيا الشهيرة، هدمها الروم قبل المسيح عليه السلام بمائة وستة وأربعين سنة، ثم أسست ثانية وخرّبها العرب.

وفي الحلل: لما وقعت العداوة بين صاحب قرطاجنة وصاحب رومة الكبرى وقعت بينهم حروب ثلاث: الأولى آلت إلى صلح بينهم وكانت الدائرة فيها على صاحب رومة، ثم إن صاحب رومة جهز عمارة بحرية وقصد قرطاجنة وأول بلدة نزها قليبية، وكانت الدائرة على صاحب قرطاجنة وانفصلت على مال يؤدونه إلى صاحب رومة سنوياً، ثم تجددت الحرب وهي الثالثة آل الأمر فيها باستيلاء صاحب رومة على قرطاجنة، وأعاد لها عمرانها إلى أن فتحها الإسلام.

وقال ولي الدين ابن خلدون: كانت الروم والفرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من البحر الرومي، وكان أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن وكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله، وبمذه الأساطيل دخل الروم لإفريقية والقوط إلى المغرب وملكوها وتغلبوا على البربر وانتزعوا من أيديهم أمرها، وكان لهم بما المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسيطة وجلولا ومرناق وشرشال وطنجة، وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبيع الأساطيل لحربه مشحونة بالعساكر والعدد وكانت هاته عادة لأهل البحر قديماً وحديثاً. اهـ.

(١) في المسالك والممالك للبكري ٢ / ٦٩٩: «يقال: إن الذي بنى قرطاجنة ديدون الملك زمن داود عليه السلام».

وزبدة القول على مقتضى ما حققه بعض المتأخرين: أن قرطاجنة مدينة عظيمة على البحر المتوسط أسسها الفينيقيون سكان سواحل سورية، وكان لها في التاريخ القلم شأن عظيم، ومنها ظهر القائد الشهير هنبال الذى غزا الرومانيين فى عقر ديارهم، وما زالت قرطاجنة التى كانت ضرة رومة شجى فى حلق الرومانيين حتى وإلى عليها الرومانيون الغزوات، وأخرها القائد سيون سنة ١٤٩ قبل المسيح، والظاهر أن الخراب لم يأت عليها كلها بل حفظت شيئاً من رونقها القلم إلى العصر الإسلامى، وتكرر عصيان أهلها وامتناعهم فى حصونها العظيمة ولما اشتدت الفتنة الكبرى فى إفريقية على عهد عبد الملك بن مروان أرسل حسان بن النعمان الغسانى لاستخضاع أهلها فقصد البربر وقاتلهم ثم قصد قرطاجنة وافتتحها ولما عاد منها امتنعت ثانية فرجع إليها وحاصر أهلها حتى ألبأهم إلى التسليم بعد أن فر منهم من طريق البحر من قرّ، ثم أمر بتخريبها فخربت وعفا أثرها، ومن أنقاضها عمرت تونس.

وهذا التخريب وإن عد عند الأثرين سيئة لحسان إلا أنه عند السياسيين ليس بشيء لأن الدول من دأبها أن يعفى اللاحق منها أثر السابق، وإذا خرب المسلمون فى إفريقية هذه المدينة فقد أقاموا مدناً غيرها ربما كانت أعظم منها كتونس والقيروان والقاهرة وغيرهن، وإنما تفضل قرطاجنة على غيرها باعتبار أنها أثر قلم من آثار أمة عظيمة كان لها شأن كبير فى التاريخ، لذا فليس يبدع أن يأتى حسان ما أتاه ويأتيه غيره فى كل دولة من الدول لا سيما وأنما اعتبار البلدان التاريخى الأثرى لم يكن فى تلك العصور بالمنزلة التى انتهى إليها فى هذا العصر.

واعلم أن إفريقية تداولتها دول قبل الفتح الإسلامى المعروف، منها أربع دول ويعبر عنها بالأطوار الأربعة:

الطور الأول: دولة قرطاجنة تأسست سنة ٨٨ قبل المسيح أسستها ديدون المذكورة، وقد بلغت هاته الدولة الغاية فى الحضارة والعمران والقوة، لهم معرفة وحذق بأساليب الملاحة والتجارة، وما وقع الاكتشاف عليه من آثارها يدل على ذلك، واستولت على جزر كثيرة وامتدت شوكتها فى الأرض وبعد صيتها حتى صارت لا ترى غيرها، وزعيمتها إذ ذاك فى الشوكة دولة الرومان برومة، وكانت

على غاية في القوة، فرام صاحب قرطاجنة هنبال القائد الشهير محاربتها فأول ما بدأها به استيلاؤه على صقلية ثم انتشبت الحرب بين الدولتين وتوالت وقصد الرومان قرطاجنة بأسطول مهول ونزلوا بمرسى قلبية.

وأشهر الوقائع في هاته الحرب انتصار القنصل الروماني ريكرلوس على جيوش قرطاجنة قرب رادس، ثم انتصار قرطاجنة قرب تونس ووقوع هذا القنصل أسيراً بيد قرطاجنة، وانتهت هاته الحروب بصلح تغالي قرطاجنة في شروطه، ثم رجعت الحرب بين الدولتين أعظم من الحروب المتقدمة وانتهت باستيلاء الرومان على تونس وصارت تابعة لرومة بعد صلح شروطه مهينة لقرطاجنة، ثم أخذ الرومان في الاستيلاء شيئاً فشيئاً حتى استولى على كامل إفريقية وأفضى الحال إلى اضمحلال قرطاجنة وذهاب مهابة الدولة، ومن أعظم الأسباب على ذهابها انضمام البربر إلى جيوش الروم.

الطور الثاني: دولة الرومان واستيلاؤها النهائي كان سنة ١٤٦ قبل المسيح، وأول شيء فعلته مع القرطاجنيين بعد تلك الوقائع والضغائن المتقدمة إبقاء ما كان على ما كان من حكومة وترتيب وتدين وغير ذلك وساروا معهم سيرة حسنة، وبذلك انقاد القرطاجنيون للرومان وصارت عوائدهم وطبائعهم واحدة وحصل بذلك الأمن والراحة، وفي مدتهم كانت إفريقية لنظر قنصل عام بولاية الامبراطور تحت رئاسة حكام آخرين من الرومان وظيفتهم مراقبة المدن وعروش البربر التي كانت أحكامها بيد عمال البربر، وحماية البلد كانت منوطة بقوة كافية من العساكر بقرطاجنة لتمهيد الراحة لنظر قائد روماني بولاية من الامبراطور أيضاً.

ولما رسخ قدم هاته الدولة أخذت بجهد واجتهاد في السعى بما يوجب عمران إفريقية، فشيّدوا المدن والهيكل الضخمة كقصر اجم ومرسم دقة وآثار قرطاجنة واعتنوا اعتناءً زائداً بالفلح من زراعة وغراسة وجلب المياه وحفر الآبار وأساليب الري واستخراج المعادن وغير ذلك من الوسائل الموصلة إلى العمران والمنافع الكبيرة، حتى صارت إفريقية مصدراً للحبوب والغلال تجلب محصولاتها إلى سائر الجهات الرومانية، وصاروا يسمونها مطمورة الرومان.

وحصل بذلك عمران عظيم في إفريقية قيل: إنها كانت في ذلك الوقت تحتوى على ستة ملايين من السكان، ومن ملوك هاته الدولة فرنسيا الذى نقل كرسى مملكته إلى قسطنطينية ثم اغتصب منه الملك جيوش مع بقاءه تحت الرومان، ثم ظهر أغسطس واستولى على الملك، وعلى عهده ولد المسيح وكان محباً للعلم وأهله عادلاً في رعيته، قيل: إنه يعرض عزل نفسه كل عام على رعيته فلا يرضون بغيره ثم بعده جوفواوا قام في الملك نحو خمسين عاماً.

وفي هاته المدة أخذ دين المسيح في الظهور بإفريقية بعد أخذه في الانتشار بالشرق وأوروبا، واستمرت إفريقية في السعادة ونمو العمران مدة ثلاثة قرون بعد المسيح.

وكانت سيرة ملوكهم سيرة عدل حيث كانت الدولة معتدلة الأحكام سديدة الترتيب، ولما اختل نظام الدولة أوائل القرن الرابع لاستبداد الملوك وتوالى الفتن وامتد هذا الخلل إلى إفريقية، وزاد الطين بلة والمريض علة بما ظهر من المناقشات الدينية بين البربر ومسيح الرومان، حتى آل الأمر إلى الانقسام إلى ملوك كثيرة وفتن وحروب بين البربر وغيرهم، ودام هذا الحال أعواماً كثيرة وآماداً طوالاً، فاضمحلت بسبب ذلك دولة الرومان سنة ٤٣٨ بعد المسيح وانتهى سلطانها على إفريقية وغيرها، وتركت آثاراً خالدة أخذ منه الأوروبيون معارف كثيرة.

الطور الثالث: استيلاء الوندال — وهو اسم قبيلة من القبائل الجرمانية — على إفريقية سنة ٤٣٨، ودامت سلطنته ٩٤ عاماً.

الطور الرابع: استيلاء الروم البيزنطيين على إفريقية إلى أن ظهر الإسلام وفتحها على نحو ما مر شرحه، وكان الوندال والروم أهل ترف وملاذ في المساكن والملبس مع تكلف وتبذير.

فصل

اعلم أن المؤرخين والنسابين اختلفوا في نسب البربر اختلافاً كثيراً، وفي الاستقصا بعد ذكر أقوال في ذلك: وأشبه الأقوال بالصحة أن بني حام تنازعوا مع

بنى سام فانهم بنو حام أمامهم إلى المغرب وتناسلوا به، واتصلت شعوبهم من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى تخوم السودان.

وكان بسواحل المغرب الأفارقة والإفرنج، فكانت ذرية حام في المداشر والخيام والأعاجم الأول في البلدان، وبقي أكثر أولاد حام في بلاد فلسطين من أرض الشام إلى زمن داود عليه السلام، وكان ملكهم يسمى جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء، أمر بإجلائهم عن بلاد كنعان وفلسطين إلى أرض المغرب، فساروا نحو إفريقية وانتشروا هناك حتى ضاقت بهم البلاد وامتألت منهم الجبال والكهوف والرمال وصاروا يتبعون مواقع القطر بالإبل وبيوت الشعر، ولم تقدر الإفرنج على ردهم ودفاعهم فانحازت الأعاجم في المدن وبقي البربر فيما عداها.

وهم مع ذلك على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الأديان، فمنهم: من تمجس، ومنهم من تقود، ومنهم من تنصر، واستمر الحال على ذلك إلى زمن الإسلام، وكان فيهم رؤساء وملوك وكهان، ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم من الأمم.

فالبربر جيل معروف من أعظم الأجيال وأعزها، ولهم الفخر الذي لا يجهل، والذكر الذي لا يهمل، وقد تعددت فيهم الدول، وكثر فيهم الملوك العظام، وكان لهم القدم الراسخ في الإسلام، واليد البيضاء في الجهاد، ومنهم الأئمة والعلماء والأولياء والشعراء والأمراء، وأهل المزايا والفضائل، والبربر شعبان عظيمان بحيث لا يخرج بربري عنهما.

قال ابن خلدون: علماء النسب متفقون على أن البربر يجمعهم جدان عظيمان وهما: برنس ومادغس ويلقب بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس: البرانس.

وبين النساين خلاف هل هما لأب واحد أو لا؟ فعند ابن حزم: هما لأب واحد من نسل كنعان بن حام.

وقال سابق بن سليمان المطماطى وغيره من نساب البربر: إن البرانس فقط من نسل كنعان، وأما البتر فهم من بنى جرس بن قيس بن غيلان بن مضر، وهذا القول مقول فيه، والحق أن الشعبين معًا عريقان فى البربرية وأن الجميع من ولد مازيغ من ولد كنعان بن حام، فأما البرانس فتتقسم إلى سبعة قبائل: أوربة^(١)، وصنهاجة، وكتامة، ومصمودة وعجيسة، وأوريغ وأزداجة^(٢) ويقال وزداجة بالواو بدل الهمزة، وزاد سابق المطماطى وغيره ثلاث قبائل وهم: لمطة وهكسورة وجزولة فتكون عشراً.

فأما أوربة فكان منها كسيلة الأوربى قاتل عقبة رضي الله عنه الذى مر ذكره، ومنهم إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربى القائم بدعوة إدريس بن عبد الله. وأما صنهاجة فهم أكبر قبائل البربر حتى زعم كثير من الناس أنهم مقدار الثلث، فهم: بنو زيرى بن مناد ملوك إفريقية الآتى ذكرهم، والملثمون ملوك مراكش والأندلس.

وأما كتامة فهم القائمون بدعوة العبيدين بإفريقية ومصر. وأما المصامدة فمنهم عمارة وكان منهم بليان النصرانى صاحب سبتة وطنجة أيام دخول عقبة المذكور إلى المغرب الأقصى وهم القائمون برغواطة أهل تامسنا وما اتصل بها، ومنهم أهل جبل درن وهم القائمون بدعوة محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين.

وأما باقى قبائل البربر فلم يكن لهم ملك يذكر والنسابون من العرب يقولون: إن صنهاجة وكتامة من حمير، وأن إفريقيس الحميرى تركهم حامية بإفريقية فتناسلوا بها واستحال لسانهم إلى البربرى، لكن المحققين من نساب البربر كسابق المطماطى وغيره ينكرون ذلك ويجزمون بأنهما قبيلتان عريقتان فى البربرية. وأما البتر وهم بنو مادغس فينقسمون لأربعة قبائل وهم: خريسة ونفوسة وأداسة وبنو لوى وهم لواتة.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أروبة» وصوابه لدى ابن حزم فى الجمهرة ص ٤٩٥.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «وارداجة» بالراء، وصوابه لدى ابن حزم، ص ٤٩٥.

فأما خريسة فمنهم مكناسة، ومن مكناسة بنو مدرار ملوك سجلماسة، وبنو أبي العافية ملوك فاس ومن خريسة ونانة كلها، ومن زناتة جراوة قوم الكاهنة دهايا صاحبة جبل أوراس التي أوقعت بحسان بن النعمان عامل الخليفة عبد الملك ابن مروان.

ومن زناتة أيضاً بنو خزر المغراوى ملوك تلمسان والمغرب الأوسط، ومنهم مغراوة ملوك فاس، وبنو يفرن ملوك سلا وتادلا، ومنهم بنو زيان ملوك تلمسان، وبنو مرين ملوك فاس فهؤلاء كلهم من زناتة.

وزناتة هو زانا بن يحيى بن ضرى بن زجيك بن مادغيس^(١) الأبر. أما نفوسة وأداسة ولواتة فلم يكن لهم ملك يذكر، وهاته القبائل الأربعة عشر تشتمل على عمائر وبطون وأفخاذ وفصائل لا حصر لها.

وقال ابن خلدون: كان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية ما شاء الله من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء وأقيال وأمراء، لا يرامون بذل، ولا تنالهم الروم والفرنج في ضواحيهم تلك بمسحطة ولا إساءة، ثم قال: وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملك الروم، كما كان المقوقس صاحب مصر والإسكندرية وبرقة يؤدى الجباية له، وكما كان صاحب طرابلس ولبدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الأندلس من القوط يؤدون الجباية له حين كان الروم قد غلبوا على هذه الأمم أجمع، وعنهم أخذوا دين النصرانية، اهـ. استقصا.

الطبقة الثالثة

طبقة التابعين رضى الله عنهم

من أعيان فقهاء هاته الطبقة: نافع مولى ابن عمر، ومحمد بن شهاب الزهرى، وأبو عثمان ربيعة الرأى.

اعلم أنه بعد تأسيس هاته الممالك الإسلامية في الجهات الشرقية والغربية وبسط رواق العدل وإظهاره وقطع الظلم وأنصاره وتبليغ القرآن وانتشاره، صار

(١) تحرف في المطبوع إلى: «بن جيك بن مادغيس» وصوابه لدى ابن حزم، ص ٤٩٦.

بذلك المسلمون إخوانًا يتساوون في الحقوق ويتفاخرون بالتقوى وأعمال البر وعالي الأمور ومكارم الأخلاق، وذلك بواسطة الصحابة ثم التابعين، وتقدم ذكر الأمراء الفاتحين من الصحابة، وبقي ذكر الأمراء الذين جاءوا بعدهم وقاموا مقامهم في نشر الدعوة والنصح للمسلمين فنقول: لما تولى الملك عبد الملك بن مروان وبلغه خبر كسيلة، بعث لزهير بن قيس البلوى وهو إذ ذاك بريقة بالتوجه لإفريقية واستنقاذ القيروان من كسيلة وأمدّه بالمال ووجوه العرب وفرسانها سنة ٦٩، وسار زهير ودخل إفريقية بجموعه وخرج له كسيلة من القيروان في عسكره والتحم القتال ودام حتى انتصر المسلمون وقتل كسيلة ومن معه من وجوه البربر، ومهد إفريقية.

وصار زهير بعد ذلك في ملك عظيم وكان من العابدين الصالحاء، ولما خاف الفتنة بحصول هذا الملك استقال ورجع إلى المشرق، فلما وصل برقة وجد الروم على قتالها في جموع عظيمة وبأيديهم أسرى من المسلمين فقصدهم وقتلهم حتى استشهد هو ومن معه، ولما بلغ خبره عبد الملك اشتد أسفه عليه، ووجه حسان ابن النعمان الغساني ويقال له الشيخ الأمين ودخل إفريقية سنة ٧٩ في أربعين ألف مقاتل، وبعد أن أقام بالقيروان قصد قرطاجنة وفتحها، وهذا الفتح من الفتوحات الإسلامية العظيمة ثم قصد دهايا الكاهنة المشهورة وكانت في جموع عظيمة من البربر فالتحم القتال وصبر الجمعان إلى أن هزمته، وفي هذا العهد كانت إفريقية في غاية العمران وإذ ذاك أذنت لها بتخريب مدنها وحصونها فخربتها وعضدت أشجارها ومحت جمالها ولم تبق إلا آثارها.

ثم إن حسانًا نظم جيشًا عظيمًا ورجع لها بعد خمس سنين بما انضم إليه فهزمها وقتلها، واستقام أمره ودخل القيروان ومهد الأحوال ودون الدواوين، وهو الفاتح لتونس، وقيل: زهير بن قيس.

ولما جاء الأمر بعزله من قبل والي مصر عبد العزيز بن مروان رجع إلى المشرق وتولى بعده أبو عبد الرحمن موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد بن لخم من

التابعين بعهد من الوليد بن عبد الملك، روى عن تميم الدارى وكان أحد أفراد الدنيا ومشاهير رجالها وفرسان أبطالها لم يهزم له جيش قط.

قال ابن عذارى: وفي سنة ٩٢^(١) تمّ إسلام أهل المغرب الأقصى، وحولوا المساجد التي كان بناها المشركون إلى القبلة، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات. وقال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد: ارتدت البرابرة بالمغرب اثني عشرة مرة، ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا بعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده، قدم إفريقية وفتح زغوان وغيرها وقتل المخالفين وغنم وسبا، وبعث أسطوله لصقلية فغنم الغنائم العظيمة وغزا بلاد المغرب وطنجة، ولما استقرت له القواعد بالمغرب كتب لمولاه طارق بن زياد، وهو بطنجة بغزو الأندلس فغزاها وفتحها سنة ٩٢، ثم لحق به موسى سنة ٩٣ وكمل فتحها وجمع غنائمها الكثيرة الشهيرة ورجع إلى القيروان أواخر سنة ٩٥^(٢).

ثم توجه إلى المشرق واستخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس، وابنه عبد الملك على طنجة، وابنه عبد الله على إفريقية^(٣).

ولما دخل مصر هادى جميع فقهاءها وأشرافها، وبأثر ذلك امتحن بالعزل وقتل أولاده وغير ذلك على يد سليمان بن عبد الملك وكانت وفاته بالمدينة سنة ٩٨^(٤).

ومن وقته انتهت الفتوحات الإسلامية التي كانت للأسلاف، لأنه كان يخشى اتساع الأقاليم لانتاجه طمع قواد الجيوش في الاستقلال.

ولذا أفتك بالأمر موسى المذكور وأولاده وبالأمر قتيبة بن مسلم الذي ضم إلى المملكة الأموية أقاليم كثيرة، وبالأمر محمد بن قاسم الذي أدخل جاهلية الهنود تحت حكم الأموية بحسن تدبيره وسياسته، وبفقد هؤلاء القواد ذهبت قوة الدولة

(١) البيان المغرب ١ / ٤٣.

(٢) البيان المغرب ١ / ٤٣.

(٣) البيان المغرب ١ / ٤٤.

(٤) البيان المغرب ١ / ٤٦.

وشوكتها وزال حفظ وحدتها، وأخذت أولاد عبد الملك من ذلك الوقت في الانحلال والانحطاط بعد ما كان لأسلافهم من الشوكة والشرف بالممالك الإسلامية وغيرها فوق ما يقال، وبلغوا بانتصاراتهم المتوالية وفتحهم البلاد الشاسعة درجات الكمال والمجد الباذخ والشرف الشامخ.

وسليمان المذكور عهد بولاية إفريقية لمحمد بن يزيد^(١) وقدم القيروان سنة ٩٧ وغزا وسبا، وكان عادلاً حسن السيرة.

ولما توفى سليمان كان الخليفة بعده عمر بن عبد العزيز رحمه الله استعمل هذا الخليفة على إفريقية إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر^(٢) مولى قریش فوصلها سنة ١٠٠ وكان خير وال حريصاً على دعاء البرابرة إلى الإسلام.

ذكر أبو العرب محمد بن تميم أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في الدين، ومن كلامه رحمه الله تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور.

وتوفى في السنة بعدها^(٣) وبويع لي يزيد بن عبد الملك وهو عهد بإفريقية ليزيد ابن أبي مسلم الثقفي مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه وقدمها سنة ١٠٢^(٤)، وكان ظلوماً غشوماً وسار السيرة الحجاجية، فثار عليه حرسه وقتلوه.

ثم عهد يزيد لبشر بن صفوان بن نوفل قدم إفريقية سنة ١٠٣^(٥) وغزا صقلية بنفسه فأصاب سبباً كثيراً ورجع إلى القيروان وبها توفى سنة ١٠٩^(٦).

وتولى بعده عبدة بن عبد الرحمن بعهد من هشام بن عبد الملك قدم إفريقية سنة ١١٠^(٧)، ثم عزله هشام بعد أن أقام بها أربع سنين.

(١) البيان المغرب ١ / ٤٧.

(٢) البيان المغرب ١ / ٤٨.

(٣) البيان المغرب ١ / ٤٨.

(٤) البيان المغرب ١ / ٤٨.

(٥) البيان المغرب ١ / ٤٩.

(٦) البيان المغرب ١ / ٤٩.

(٧) البيان المغرب ١ / ٥٠.

وتولى بعده عبيد الله بن الحبحاب بعهد من هشام المذكور وكان رئيساً نبيلًا وأميرًا جليلًا وخطيبًا مصقعا قدم إفريقية سنة ١١٦^(١)، وهو الذى بنى دار الصناعة بتونس وهى عبارة عن المكان الذى تنشأ به السفن، وهو الذى خرق البحر من مرسى رادس إلى دار الصناعة بتونس فى طول اثنى عشر ميلاً وصارت من يومئذ ميناء عظيمة، وهو الذى بنى جامع الزيتونة، وقيل: أول مختط له حسان بن النعمان وأتمه عبيد الله المذكور.

وقد ظهرت فى آخر أيامه فرق من الخوارج منهم الإباضية والصفرية وجاءت من قبلهم مصائب وكوارث ونوائب، وكانت هاته الفتن إحدى البواعث والأسباب فى خرق ستار الهيبة على الخلفاء ورفع الحجاب وكانت أقوى سبب فى انتفاض البربر على العرب ومزاحمتهم فى سلطاتهم فاحتلت على ابن الحبحاب، وآل الأمر إلى اتفاق الكلمة على عزله وكان ذلك سنة ١٢٣.

ثم إن هشامًا لما بلغه ذلك وجه عوضه كلثوم بن عياض^(٢) وقدم فى السنة فى جموع كثيرة وجنود عظيمة، وانتشب القتال بينه وبين زناته وغيرها من القبائل وكانت الدائرة عليه بعد قتله ووجوه أصحابه، ورجعت الصفرية إلى القيروان فى أخبار طوال وحروب وأهوال.

وجه هشام حنظلة بن صفوان^(٣) وقدم القيروان، ووقع القتال بينه وبين الثائرين، وكان النصر حليف حنظلة ومات فى هاته الواقعة مائة وثمانون ألفاً، ولم يزل واليًا عليها على أحسن حال إلى أن تغلب على المغرب عبد الرحمن بن حبيب ابن عبيدة بن عقبة الفهري^(٤) واستولى عليه سنة ١٢٩، وفيها رجع حنظلة للمشرق وإذ ذاك بنو أمية فى تراجع ونقصان مع دعاة بنى العباس إلى أن آل أمر الخلافة إلى السفاح.

(١) فى المطبوع: «سنة ١١٤» والمثبت لدى ابن عذارى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) البيان المغرب ١/ ٥٤.

(٣) البيان المغرب ١/ ٥٨.

(٤) البيان المغرب ١/ ٦٠.

في البيان المغرب في أخبار المغرب^(١) لابن عذارى، وفي سنة ١٣٢ انقطعت الدولة الأموية ومدتها واحد وتسعون سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام، وهم أربعة عشر رجلاً منها أيام ابن الزبير تسع سنين واثنان وعشرون يوماً، وتفرقت بنو أمية في البلاد هرباً بأنفسهم، وهرب عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس فبايعه أهلها وجددت لهم دولة استمرت إلى ما بعد الأربعمئة وأربع وعشرين وكان دخوله الأندلس سنة ١٣٧.

قال ابن حزم: وانقطعت دولة بني أمية وكانت على علاقتها دولة عربية لم يتخذوا قاعدة ولا قصبة: إنما كان سكنى كل أمير منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل خلافته، ولا كلفوا المسلمين أن يخاطبوهم بالعبودية، ولا تقبيل أرض ولا رجل ولا يد إنما كان غرضهم التولية والعزل من أقاصى البلاد منهم في الأندلس والصين والسند وخراسان وأرمينية واليمن والشام والعراق والمغرب وغيرها من بلاد الدنيا، وانتقل الأمر إلى بني العباس فكانت دولتهم أعجمية سقطت فيها دواوين العرب وغلب عجم خراسان على الأمور وعاد الأمر ملكاً عضوضاً كسراوياً، إلا أنهم لم يعلنوا بسبب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، وافتרכת في دولة بني العباس كلة المسلمين فتغلب على البلاد طوائف من الخوارج وغيرها^(٢). اهـ.

واعلم أن البلاد الإسلامية كانت تدار بمعرفة أمراء يختارهم خلفاؤهم وهم نواب عنه، وكانت منقسمة إلى إمارات كبرى، منها: مصر وإفريقية والأندلس، وهاته تارة تضم إلى إفريقية، وكان الأمير يقوم مقام الخليفة أحياناً يقيم الصلاة بنفسه ويقود الجنود ويختار من رجاله قائداً للجيش ويعين جانياً للخراج يصرف منه حاجات الإمارة وأعطيات الجنود، ويرسل ما بقى للخليفة ويعين من شاء للقضاء بين الناس، وتارة يقصرون الولاية على الصلاة والحرب والقضاء ويعين الخليفة عاملاً على الخراج يرجع إليه رأساً، والأمراء الذين كانت لهم النيابة العامة

(١) البيان المغرب ١/ ٦٣.

(٢) نقله ابن عذارى في البيان المغرب ١/ ٦٣، ٦٤.

كانوا متمتعين بما يسمى في هذا الوقت بالاستقلال الإداري، والذي دعا إلى تمتع هؤلاء الأمراء بهذا الاستقلال هو صعوبة المواصلات بين حاضرة الخلافة وبين حواضر الولايات، فلو ألزم الأمير أن يستشير في كل ما يقع في دائرته لطال عليهم وبقيت المشاكل في غير حل زمناً طويلاً وهذا يدعو إلى الاضطراب الكثير.

خلاصة فيما حصل مدة الدولة الأموية

اعلم أن عصرها كله زمن فتوحات ممتدة، فاتسعت حدود المملكة شرقاً وشمالاً وغرباً، وكان عصرها مع هذا زمن حروب داخلية مستمرة إلا في مدة الوليد بن عبد الملك مؤسس الجامع الأموي بدمشق، فإنها كانت غرة في جبين الدولة، وكانت همة الدولة تقوية الجيوش البرية والبحرية، فقد كان لهم أسطول قوى في البحر المتوسط يحمي البلد الإسلامية من غارات الروم المتواصلة ويغير على بلادهم، ولم تكن أمراء البحر في الدولة تقل مهارة وإقداماً على أمراء البحر الروميين، فهي دولة حربية ظهرت بمظهر القوة القاهرة أمام الدول التي تجاورها من الشرق والشمال والغرب في جميع أدوارها، وكانت السيادة في الجنود للعنصر العربي لأن الدولة كانت عربية محضة لم ينازعها دخيل، وامتاز أفراد كثيرون بقيادة الجيوش إلى حومة الوغى، واشتهرت بالثبات ومضاء العزيمة وحسن التدبير في الحرب.

من أولئك الأمراء العظام: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعقبة بن نافع، والمهلب بن أبي صفرة الأزدي، وابنه يزيد، وقتيبة بن مسلم الباهلي، وأسد بن عبد الله القسري، ومحمد بن قاسم الثقفي، وموسى بن نصير، فظهرت بذلك في مظهر الملك وعظمته وسطوته ولحقها الترف في آخر مدتها.

في العقد الفريد: سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرتهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين، وكانوا مع عظم شأن الملك وجلالته همهم الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلاً منهم باستدراج الله وأمناً لمكره، فسلبهم العز ونقل عنهم النعمة.

الطبقة الرابعة

قد علمت أن المغرب استولى عليه عبد الرحمن بن حبيب، وأن دولة بني أمية انقرضت وأن عبد الرحمن بن معاوية دخل الأندلس في أواخر ذي الحجة سنة ١٣٧ وتغلب عليه فملكه واستقل به وصار ورثة في بنيته، وأن أمر الخلافة آل إلى بني العباس وأولهم عبد الله السفاح ثم أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور. ومن أخباره أنه لما بلغه ما حل بإفريقية من الثوار أمر إلى مصر محمد بن الأشعث الخزاعي بإنقاذها فوجه أبا الأخوص العجلي^(١) سنة ١٤٢ ولما بلغ القيروان هزمه الثوار ورجع مفلولاً، فكتب المنصور لابن الأشعث بأن يسير بنفسه، فسار في أربعين ألف مقاتل وقتل كثيراً من الثوار والبربر ورؤسائهم، ودخل القيروان سنة ١٤٦^(٢)، وضبط إفريقية أحسن ضبط ثم لما قام عليه بعض الثائرين خرج منها سنة ١٤٨^(٣).

ولما بلغ المنصور ذلك عهد بولاية إفريقية إلى الأغلب بن سالم بن عقال التميمي^(٤)، وكان ذا رأى وشدة فقدم القيروان واستقام أمره.

ثم لما قتل في حرب مع الثائرين عهد المنصور لعمر^(٥) بن حفص بن قبيصة^(٦) بن أبي صفرة المهلبى وكان بطلاً سمحاً قدم القيروان سنة ١٥١^(٧) فاستقام أمره. ولما قتل في حرب كالذى قبله وجه المنصور أبا خالد يزيد بن حاتم المهلبى^(٨) وهو واسطة عقد هذا البيت، وأخباره في السخاء والنجدة والشهامة معروفة،

(١) البيان المغرب ١ / ٧١.

(٢) البيان المغرب ١ / ٧٣.

(٣) البيان المغرب ١ / ٧٣.

(٤) البيان المغرب ١ / ٧٤.

(٥) تحرف في المطبوع إلى: «لعمري» وصوابه لدى ابن عذارى.

(٦) تحرف في المطبوع إلى: «قبيسة» وصوابه لدى ابن عذارى.

(٧) ابن عذارى ١ / ٧٥.

(٨) ابن عذارى ١ / ٧٨.

وكان من خواص المنصور ووجوه ولاته، قدم القيروان^(١) في ستين ألف مقاتل سنة ١٥٥، فمهد الأمور ورتب أسواق القيروان، وأفرد لكل صناعة مكاناً، وجدد بناء جامعها، وأوقع بالمخالفين.

وله مع البربر وقائع شهيرة وضبط الأحوال أحسن ضبط، واستمر ناسجاً على ذلك المنوال إلى أن توفي سنة ١٧١^(٢)، ولما مرض استخلف ابنه داود وباشر الولاية بعد والده^(٣)، وكانت له وقائع مع البربر إلى أن قدم عمه روح بن حاتم بعهد من الرشيد وكان حاجبه وصدراً من صدور ولاته وهو أسن من أخيه يزيد فدخلها أواخر عمره، وأفاض فيها سجال عدله وكرمه، وفي أيامه انكسرت شوكة البربر واستكانوا للتغلب وأطاعوا الدين ف ضرب الإسلام بجرانه وتوفي روح سنة ١٧٤^(٤).

وتولى بعده نصر بن حبيب المهلب^(٥) بعهد من الرشيد، وكان حسن السيرة يؤثر العدل، ثم جاء كتاب الرشيد بعزله وولاية الفضل بن روح^(٦) ولم يستقم له أمر وقتل سنة ١٧٨^(٧).

وانقرضت بانقراضه دولة المهالبة.

وفي سنة ١٧٩ عهد الرشيد لهرثمة بن أعين^(٨) وقدم إفريقية في السنة بعدها واستقام أمره، وبنى القصر الكبير بالمنستير، ثم استقال الرشيد فأقاله ورجع إلى المشرق لستين ونصف من ولايته، وكان قائداً محنكاً وله مع المأمون يد في تخميد

(١) ابن عذارى ١ / ٧٩.

(٢) ابن عذارى ١ / ٨١.

(٣) ابن عذارى ١ / ٨٢.

(٤) ابن عذارى ١ / ٨٥.

(٥) ابن عذارى ١ / ٨٥.

(٦) ابن عذارى ١ / ٨٦.

(٧) ابن عذارى ١ / ٨٨.

(٨) ابن عذارى ١ / ٨٩.

الثوار وتسكين المهرج والفضل له في ذلك، وله مقامات يحمد عليها ويشكر وقتل في حدود سنة ٢٠٠.

وبعث الرشيد لإفريقية عوضه محمد بن مقاتل العكي وهو أخوه من الرضاة، وكان اتهم البهلول بن راشد بالقيام عليه وبسبب ذلك أراد إضراره فمنعه الأهالي من ذلك وتوعده الثورة إن فعل في خبر تركناه اختصاراً.

في خلاصة تاريخ العرب: كان بالولايات الشمالية من إفريقية مسلمون مسمون بالبربر مختصون بالحرية السياسية لعدم حاكم عليهم، حتى ذهب إليهم من آسيا عرب أجروا عليهم حكم الخلفاء العباسيين، ثم أخذ عبد الرحمن بن حبيب يستميل العرب والبربر حتى اتخذ منها أحزاباً زمن محاربة الأموية والعباسية من سنة ٧٤٦ إلى سنة ٧٥٢ ميلادية، واستقل بالحل والعقد لاشتغال العباسية ثم انتصروا فانقاد لهم سنة ٧٥٣ حتى كلفه الخليفة المنصور بمطالب أفضت به إلى الإعلان بالاستقلال والخطبة باسمه في جامع القيروان، ثم طمع أخوه إلياس وأوقع بين العرب والبربر فتنة سفك فيها كثير من الدماء حتى انتهت سنة ٧٧١ بنصر العرب، فاجتهد الأمير أغلب وجبر الجميع على الانقياد للمنصور، ثم عصت البربر المهدي والرشيد مرات خسرت فيها العباسية خسارات عظيمة آلت إلى استقلال الأغلبية بإفريقية وخلطوا دم البربر بدم العرب بالتصاهر وزال ما بينهما من التباغض والشقاق، وانقاد الحكم لإبراهيم بن الأغلب وفيه لم تهتم العباسية بممالكها الغربية وتركوا من بشمال إفريقية يديرون أحوالهم كما شاءوا وأطلقوا للعائلة الأغلبية التصرف في إفريقية مكتفين بذكر أسمائهم وقبل ذلك إبراهيم بن الأغلب من الرشيد. اهـ.

فصل

اعلم أن العباسية تولت الخلافة سنة ١٣٢، وأولهم أبو العباس عبد الله السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما واستمرت فيهم الخلافة إلى سنة ٦٥٦، استخلف فيها منهم سبع وثلاثون خليفة ومكثت هاته الدولة مائة سنة لخلفائها الكلمة العليا والسيادة التامة على جميع العالم الإسلامي ما عدا بلاد

الأندلس، يقولون فيسمع لهم ولا يجسر أحد على مخالفتهم والوقوف في وجه جنودهم، وقام في هذا العصر الزاهر الباهر من العباسية ثمانية خلفاء أولهم السفاح وتوفى سنة ١٣٦، وقام بالأمر بعده أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور وكانت وفاته سنة ١٥٨، وقام بالأمر بعده ابنه محمد المهدي وتوفى سنة ١٦٩، وقام بالأمر بعده ابنه موسى الهادي وتوفى سنة ١٧٠، وقام بالأمر بعده أخوه هارون الرشيد وكان ديناً محافظاً على التكاليف الشرعية. يغزو سنة ويحج سنة، وهو واسطة عقد المدة العباسية وصلت فيها الخلافة إلى أفخم درجتها سلطانياً وسطوة وثروة وعلماً وأدباً وكانت وفاته سنة ١٩٣، وقام بالأمر بعده ابنه محمد الأمين إلى أن قتل في محرم سنة ١٩٨، وقام بالأمر بعده أخوه عبد الله المأمون إلى أن توفى سنة ٢١٨، وقام بالأمر بعده أخوه المعتصم إلى أن توفى سنة ٢٢٧.

قد عليم مما مضى أن نظر الخلفاء منسحب على المغرب وظلهم ممتد إليه وهم قادة الأمم الإسلامية في كل شيء من أمور الدنيا والآخرة وذلك حينما كان أمر الخلافة ممتداً وحكمها مجتمعاً وكلمتها نافذة في جميع ممالك الإسلام شرقاً وغرباً بحيث لا يخرج قطر من الأقطار ولا مصر من الأمصار فيما بُعد أو دنا من الأرض عن نظر الخليفة الأعظم، وقد كان ذلك ديناً متبعاً وحكماً مجتمعاً، ولا تصح لأحد إمارة ولا ولاية إلا بإسناد إليه، حتى إذا طال العهد وضعف أمر الخلافة وتقلص ذكرها من القاصية، وتفرقت ممالك الإسلام البعيدة عن دارها وتوزعها الثوار واستبدلوا بها كل بما غلب عليه، وصار أمر الوحدة إلى الكثرة وحكم الاجتماع إلى التفرقة وسيتضح لك ما قررناه مما سيأتى في محله إن شاء الله.

صلة

قال ولي الدين ابن خلدون: هؤلاء الملوك الذين أتوا بعد الخلفاء الراشدين لم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغى إنما كانوا متحررين مقاصد الحق جهدهم إلا في ضرورة تحملهم على بعضها، مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد، يشهد لك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم السلف من أحوالهم، فقد احتج مالك في الموطأ بفعل عبد الملك بن مروان وكان

من الطبقة الأولى من التابعين وعدائهم معروفة، ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذى كانوا عليه، وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فنزح إلى طريق الخلفاء الأربع والصحابة بعدهم، ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنياوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحرى القصد فيها واعتماد الحق في مذهبها، فكان ذلك مما دعا الناس إلى أن نعموا عليهم بأفعالهم وأدلتوا بالدعوة العباسية وتولى رجالها الأمر فكانوا من العدالة بمكان، وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا، حتى جاء بنو الرشيد بعدهم فكان منهم الصالح والطالح، ثم أفضى الأمر إلى بنينهم فأعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهرياً، فتأذن الله بجرهم وانتزاع الأمر من أيدي العرب جملة والله لا يظلم مثقال ذرة. اهـ.

في سراج الملوك: إن أدعى خصال السلطان صلاح الرعية، وأقواها تمسكهم بأديانهم وحفظهم لمروءتهم وإصلاح السلطان نفسه وتنزيهه عن سفاسف الأخلاق وبعده عن مواضع الريب وترفع نفسه عن استصحاب أهل البطالة والجحون واللهو والإعلان بالفسوق:

إذا ما غدا ملك باللهو مشتغلاً فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان طالعة لما غدا وهو برج اللهو والطرب

وقد كانت صحبة محمد الأمين لأبي نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه أوهى بها سلطانه، ووضع عند العامة والخاصة قدره وأطلق لسان الخلق بالشتم والثناء القبيح عليه فخلفه بذلك أخوه المأمون على الولاية وأبو نواس هذا هو القائل:

ألا فاسقنى خمرًا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرًا إذا أمكن الجهر
وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر

فريدة أذكر فيها نبذة من حضارة بغداد

فى عهد المنصور والرشيد وابنه المأمون

اعلم أن بغداد وصلت فى عهد هؤلاء الأمراء إلى قمة مجدها ومنتهى فخارها.

أما من حيث العمارة فقد فاقت كل حاضرة عرفت لعهداها: بنيت فيها القصور الفخمة التي أنفق على بناء بعضها مئات الألوف من الدنانير، وتأنق مهندسوها في إحكام قواعدها وتنظيم أمكنتها وتشيد بناياتها، وصارت قصور الجانب الشرقي بالرصافة تناطح قصور الجانب الغربي، كان في الشرق قصور البرامكة وما أنشأوه هناك من الأسواق والجوامع والحمامات، وبالجانب الغربي كانت قصور الخلافة التي كانت تبهر الناظرين اتساعاً وجمالاً، وامتدت الأبنية امتداداً عظيماً حتى صارت بغداد كأنها مدن متلاصقة تبلغ الأربعين على جانبي دجلة، واستبحر العمران فيها لما جاءها من الشاء وصار سكانها نحو ألفى ألف نسمة حتى ازدحمت بساكنيها، وكانت متاجر البلدان القاصية تصلها براً وبحراً، بجيئها من خراسان وما وراءها والهند والصين والشام والجزيرة، والطرق إذ ذاك آمنة والسبل مطمئنة.

وأما من حيث ثروة الدولة فقد كان يرد على الخليفة ببغداد ما يبقى من خراج الأقاليم الإسلامية ويدخل بيت مال الخليفة يصرف منه مرتبات الوزراء والمساعدين له والباقي يتصرف فيه حسبما يرى وهو شيء جسيم، وكان الرشيد أسمح خلفاء بني العباس بالمال يعطى عطاء من لا يخشى فقراً للقصاد والشعراء والفقهاء والمنحمين والكتاب، وجرى على سننه كبار وزرائه وشيوخ دولته ورؤساء قواده حتى امتلأت الأسفار بذكر عطاياهم التي يتردد الإنسان في صحتها وراحت التجارة واشتد الترف وتغالى الناس في حاجاتهم وتأنقوا في معاشهم وانغمسوا في الملاذ واللهو والخلاعة وذلك شأن كل أمة سالت عليها سيول الثروة.

وأما العلم فإن بغداد صارت قبلة لطلاب العلم من جميع الأمصار الإسلامية، يرحلون إليها ليتمموا ما بدءوا فيه من العلوم والفنون، فهي المدرسة العليا لطلاب العلوم الدينية والعربية على اختلافها، فقد كان فيها كبار المحدثين والفقهاء، وحفاظ اللغة وآداب العرب والنحويين وكلهم قائمون بالدروس والإفادة لتلاميذهم في المساجد الجامعة التي كانت تعتبر مدارس عليا لتلقى هذه العلوم،

وقلما كان يتم لإنسان وصف عالم أو فقيه أو محدث أو كاتب إلا إذا رحل إلى بغداد وأخذ عن علمائها، وجميع هؤلاء العلماء كانوا يعيشون عيشًا رغدًا مما كان يقيضه عليهم الرشيد والبرامكة ومن دونهم من الخير الواسع والبر العميم، ولم تكن بغداد بالمقصرة في علوم الدنيا كالطب والحكمة وغيرها من سائر الصناعات، فقد حشد إليها الأطباء والمهندسون وسائر الصناع من الأقاليم المختلفة وحصل بذلك نعيم عظيم ونهضة علمية بقي أثرها خالداً.

أما الدولة الأموية فلم يكن في عهدها لترجمة الكتب كبير حظ ولا عظيم أثر، لأنها أقرب إلى من قبلها في السداجة الصناعية، فلما جاءت الدولة العباسية وكان لها اختلاط كبير بالفرس، وهذا الاختلاط قد جعل نفوس العباسيين تصبو إلى الاطلاع على شيء مما عند الفرس واليونان من آثار مقدميهم من العلماء والحكماء والفلاسفة، وأول من عنى بترجمة تلك الكتب أبو جعفر المنصور، ثم الرشيد.

أما أوروبا في ذلك الوقت فكانت مهد جهالة، لأنه بانقراض الرومانيين وغفلة الأمم المتبربرة على أوروبا انطفأ مصباح العلم، وأما الحال في البلاد الإسلامية فكانت على العكس من ذلك علماً وعملاً ببغداد وقرطبة، فسعى شارلمان في إصلاح قوانين دولته مقلداً الرشيد وبعث وفداً إليه مصحوباً بهدايا ثم رجع الوفد ومعه هدايا منها ساعة وفيل وشطرنج وبعض أقمشة نفيسة فلما نظرها رجال شارلمان ظنوها من الأمور السحرية وأوقعهم في حيرة حتى هموا بكسر الساعة.

كانت العلوم في عهد المأمون أرقى عهود العلم في العصر العباسي وظهر في وقته جمهور من فطاحل العلماء توغلوا في البحث عن أصول الدين والعقائد، وكان المأمون محباً للعلم ولزيادة نشره ومغرى بعلوم الأوائل وتحقيقها وله جولة في العلوم الدينية كما كانت له جولة في العلوم الصناعية، وكان أثره في هذا أظهر من أثره في تلك، وكانت له حركة قوية ونشاط عظيم بترجمة الكتب اليونانية وغيرها إلى اللسان العربي، وكان لعهد جماعة ذوو يسار اعتنوا بنقلها إلى اللسان العربي

وبذلوا الرغائب وأنفذوا جماعية إلى بلاد الروم فجاءوهم بطريف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب والنجوم، فكثرت الكتب المترجمة في جميع العلوم الصناعية، ولما نقلت إلى العربية اشتغل بها ناس كثيرون عِلماً وعميلاً ووجد منهم فيلسفة عظام ألفوا كتباً عظيمة في هاته العلوم، وكانت الأمة في استعداد تام لتلقى هاته العلوم والتصرف فيها والبناء عليها والزيادة فنفت بسبب ذلك هذه العلوم وكان المأمون المساعد الأكبر في نفاقها والفضل له في ذلك مع حفظ الفضل لمن سبقه كأبيه الرشيد وجده المنصور فإنهما وضعوا الأساس. اهـ. من محاضرات الخضرى...

وفي خلاصة تاريخ العرب أن الصدر الأول من خلفاء بني العباس استعملوا شوكتهم في تزكية العقول وتنمية المعاش فأحدثوا كثيراً من المكاتب والمدارس التعليمية والمحال الإجسانية وحضوا على إكتساب التجارة وسائر الفنون، واختص المنصور منهم بأنه أول من حث على الاشتغال بالعلوم واقتدى به من بعده في نشرها وتوسعتها بجلبهم من الأقاليم التي فتحوها علماء لترجمة أعظم كتب اليونان وإنشائهم كتيبانات ومدارس يتعلم فيها الخاص والعام العلوم الفلكية والرياضية والطبية والفلسفية مع تعلم القرآن العظيم وتدريس تفسيره.

وخصصوا مدرسة رتبوا لها خمسة عشر ألف دينار يتعلم بها مجاناً ستة آلاف تلميذ من الفقراء والأغنياء، وانتشرت اللغة العربية في كثير من الجهات واعتاد المأمون ومن اقتدى به حضور الدروس العامة التي يلقيها المدرسون ويمتحن من أراد أن يوظف عدة امتحانات، وصرف مبالغ من النقود على ذلك وعلى جميع العلماء لحل مشكلات المسائل، ومهر في زمنه كثير من العلماء في العلوم والفنون على اختلاف أنواعها وأطلعوا شغوس العلوم الرياضية وبنوا الأرصاد التي بها آلات عجبية للاستكشاف الفلكي، ومستشفيات ومعامل كيماوية لاستكشاف النباتات، ومكثت تلك المدرسة على رونقها الباهر نحو مائتي سنة، فكان للعباسيين في ذلك أسعد حظ، واستخرجوا معادن الحديد ونسجوا الأقمشة في كثير من المدن، واستخرجوا الغاز والنفط وطينة الألوان الصينية والملح الأندرائ والكيريت،

وتقدموا في فنون النقش والعمارة والجبر والموسيقى والمنطق، وظهر بين أولئك العلماء مؤلفات كثيرة بارعة في فنون شتى، وأظهر دور الفنون الميكانيكية تقدمات يشهد بها ما بعثه الرشيد إلى شيرلمانيه ملك الفرنسيين من الساعة الكبيرة الدقاقة التي تعجب منها أهل ديوانه، ولم يمكنهم معرفة كيفية تركيبها.

ومع ذلك لم يكن في عصر العباسية أهم من صناعة الفلاحة، ولما حصلت التوسعة في الممالك مع غزاة المحصول وتنوع الأقطار توجه النظر إلى رواج التجارة تميمًا للتمدن وامتنالاً لأمر الشارع بالتكسب فاجتهدوا في أمن الطرق وحفر الآبار والصهاريج في محطات القوافل، فانتشرت التجارة فكانت غلات الأندلس والبربر ومصر والحبشة والفرس والروس والهند والصين وغير ذلك من الممالك تأتي إلى مكة والمدينة والشام والعراق، ويستبدلون البضائع الموجودة في جهة بالبضائع المفقودة بها، وكان بينهم بسبب ذلك علائق تعارف، وكذلك اتسعت بالسواحل الشمالية من إفريقية دائرة التجارة، وكان بها معامل كثيرة وكانت القوافل التجارية تسافر من طرابلس إلى الأقيانوس الإطلنطيقي غير خاشية من سيرها في وسط الصحراء الكبرى. اهـ.

وفيه قد حفظ العرب مؤلفات اليونان واستعدوا لتجديد المعارف في أوروبا فكانوا رابطة بين هذين الزمنين، وبذا ثبت فضل العرب على الفرنج الذين حاول بعضهم خفض فضائل العرب الواضحة كالشمس في رابعة النهار، ويعلم أن لا موقع لافتخار المتأخرين من أهل أوروبا بتصورات أكثرها للعرب، وسبق لك ما كان لعلماء المدرسة البغدادية من التحكم النافذ بالمشرق والمغرب. اهـ.

وزبدة القول أن الحضارة اتسعت في عصر هؤلاء الخلفاء ونمت العلوم الدينية والصناعية والاقتصادية نمواً باهراً فهو عصر النهضة العلمية وتذكية العقول، فقد أسس أبو جعفر المنصور مدينة بغداد وتعاون على بنائها العقل العربي والفارسي والرومي، وتأنق في ذلك بوجه جعلتها تفوق جميع مدن العالم في ذلك العصر، وحشد لها العلماء من جميع الأمصار والتجارة والصناع، وإذا أطللت على منتهى المملكة الإسلامية من جهة الغرب وجدت مدينة قرطبة تستعد إلى مساماة بغداد،

وتجد في إفريقية مدينة القيروان التي ورثت عظمة المدن الإفريقية الرومانية وانتقل إليها جمالها، وتجد مدينة القسطنطينية حاضرة مصر، وقد جمع مسجدها الأعظم حلقات العلماء الذين أبقوا أكبر الآثار في الاجتهاد والاستنباط والذين أظهروا للناس كافة فقه الأئمة المجتهدين على اختلاف مذاهبهم من أصحاب مالك والشافعي، وظهرت حركة علمية ونمت نمواً عظيماً بما كان من وصول المدينيات القديمة التي ترجمت كتبها إلى رءوس المفكرين من العرب.

وأول من اهتم بذلك أبو جعفر المنصور، ثم جاء دور ثان على عهد المأمون فبلغ العلم إلى أرقى درجاته وكان مغرمًا جدًا بالآداب اليونانية، فانتشرت تلك الكتب انتشاراً عظيماً وصار ما فيها عاملاً مهماً في تكوين معلومات كثيرة صناعية، وفي هذا الدور ازداد حفظ القرآن واشتهرُوا في جميع الأقطار، إلا أن المسلمين في كل قطر اعترفوا بالتبريز للقراء السبعة المترجم لهم في المقدمة، وهذا الدور كان عصرًا مجيدًا للسنة فقد تنبه روائها إلى وجوب تصنيفها وتدوينها، وقد وجدت هذه الفكرة في جميع الأمصار الإسلامية في أوقات متقاربة فكان من مدونيتها في الدور الأول مالك بن أنس.

تنبيه: من أعيان علماء الدين وأئمة المسلمين في عصر هؤلاء الخلفاء إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمته الله.

الطبقة الخامسة

اعلم أن هارون الرشيد عهد بولاية إفريقية لإبراهيم بن الأغلب، فباشر أمرها واشتغل بها، وصارت وراثته في عقبه، وكان فقيهاً أديباً شجاعاً أريباً حافظاً للقرآن عارفاً به، سمع الليث بن سعد فمهد الأمور وطوع البربر وكانت له معهم وقائع مشهورة ووقائع بالمغرب الأقصى مع أهل الدعوة لإدريس العلوي مؤسس فاس، وتوفي هذا الأمير سنة ١٩٦ ويبيع لابنه أبي العباس عبد الله^(١)، وكان سيئ

السيرة، وتوفي سنة ٢٠١ وبويع لأخيه زيادة الله بن إبراهيم^(١) وكان ملكاً جليلاً فصيحاً أديباً، وهو الذى شيد جامع القيروان وبني سور سوسة ووجه له المأمون بعهد الولاية سنة ٢٠٣ وتوفى سنة ٢٢٣^(٢).

وبويع لأخيه أبى عقال الأغلب بن إبراهيم وكانت سيرته حسنة، وله فتوحات بصقلية وتوفى سنة ٢٢٦^(٣).

صلة: لما توفى القاضى أبو محمد عبد الله بن غانم سنة ١٩١ أشخص إبراهيم ابن الأغلب أبا محرز محمد بن عبد الله الكنانى وقال له: إني عزمت على توليتك القضاء، فقال له أبو محرز: لست أصلح لهذا ولا أطيقه، فقال له إبراهيم: لو كان الأغلب بن سالم ويزيد بن حاتم باقين لم أكن أميراً، ولو كان عبد الله بن غانم وابن فروخ باقين لم تكن أنت قاضياً، ولكل زمان رجال، وعلى الأمير الاختيار، فامتثل أبو مُحَرَّز وكان فاضلاً ورعاً فصيح اللسان بصيراً باللغة والشعر، أخذ عن مالك وكان يميل لمذهب أبى حنيفة ثم وقع تشريك أسد بن الفرات معه فى القضاء ولم يعهد مثل ذلك فى مصر واحد، وتوفى أبو مُحَرَّز سنة ٢١٤^(٤)، وكان هذا الأمير يقول: ما أبالى إن قدمت عليه يوم القيامة وفى صحيفتى أربع حسنات: تجديد جامع القيروان وبناء قنطرة أبى الربيع وحصن مدينة سوسة وولاية أبى محرز قضاء إفريقية.

وكانت ولاية أسد بن الفرات القضاء سنة ٢٠٣^(٥) بعهد من زيادة الله، وأسد هذا مولده سنة ١٤٢ بحران من ديار بكر، رحل به والده وعمره عامان مع الجند العربى لقيادة ابن الأشعث ودخل معه القيروان سنة ١٤٦، ثم دخل تونس وانقطع لقراءة القرآن وعلومه وروى الموطأ عن ابن زياد، وفى الثامن عشر من عمره رحل إلى المشرق وأقام بالمدينة مدة وأعاد رواية الموطأ على مالك، ثم رحل إلى العراق

(١) ابن عذارى ١ / ٩٦.

(٢) ابن عذارى ١ / ١٠٦.

(٣) ابن عذارى ١ / ١٠٧.

(٤) ابن عذارى ١ / ١٠٤.

(٥) تحرف فى المطبوع إلى: «٢٠٤» وصوابه لدى ابن عذارى الذى ينقل عنه المصنف.

ولقى أعلامًا من أصحاب أبي حنيفة، منهم: الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن وأخذ عنهما علمًا غزيرًا، ثم رحل إلى مصر ولقى جماعة من أعيان العلماء، منهم: الإمام عبد الرحمن بن القاسم فلزمه مدة، وهناك ألف الأسدية، ثم قفل راجعًا إلى القيروان وبها انتشر ذكره وظهر علمه وارتفع قدره.

وفي سنة ٢١٢ جمع زيادة الله جيوشه وأسطوله لغزو صقلية^(١) وكان أمير هذا الجيش وقاضيه أسد المذكور، فخرج في حفل عظيم وجمع فخيم من أهل العلم ووجوه الناس لمشايعته، ولما رأى أسد الناس خاصتهم وعامتهم بين يديه وخلفه قال بعد حمد الله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يا معشر الناس، والله ما ولي لي أب ولا جد ولا ولاية قط ولا أحد من سلفي رأى هذا قط، وما رأيت ما ترون إلا بالأقلام فاجهدوا أنفسكم واتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه واصبروا على شدته فإنكم تنالون به خيري الدنيا والآخرة.

وهذا الاحتفال انتهى بمرسی سوسة ومنها أقلع الأسطول قاصدًا صقلية ودخلها بعد مكابدة مشاق وحصل له فتح عظيم بها، ومات إثر جراحات في حصار سرقوسة ودفن بذلك الموضع سنة ٢١٣.

في كتاب الاعتصام: نص كتاب بعثه أسد بن موسى إلى أسد بن الفرات يشكره على اتباعه للسنّة والذب عنها وطعنه في المبتدعة، وقال في خاتمته: ادع إلى السنّة حتى يكون لك في ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حادث فيكونون أئمة بعدك، فيكون لك ثواب في ذلك إلى يوم القيامة — كما جاء في الأثر — فاعمل على بصيرة ونية حسنة فيرد الله بك المبتدع والمفتون الزائغ الجائر، فتكون خلفًا عن نبيك ﷺ فأحیی كتاب الله وسنة نبيه فإنك لن تلقى الله بعمل يشبهه.

تنبیه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء ابن فروخ، وابن غانم، وأبو محرز: والبهلول بن راشد، وأبو الحسن بن زياد، وأسد بن الفرات.

(١) ابن عذارى ١/ ١٠٢.

الطبقة السادسة

لما توفي أبو عقال المتقدم الذكر - بويج لأخيه أبي العباس محمد وكان مظفراً في حروبه، وله وقائع مع بعض آل بيته، ومن فضائله ولاية سُحُنُون القضاء، راوده حولاً كاملاً على أن يولييه القضاء فأبى، ثم عزم بالأيمان التي لا يخرج منها، فلما رأى ذلك سحنون اشترط عليه شروطاً منها: أنه قال له: إني أبدأ بآل بيتك وأعوانك فإن قبلهم حقوقاً للناس منذ زمان طويل.

ومنها: أن آل الأغلب إذا طلبهم أحد يحضرون بأنفسهم في مجلس الحكم ولا يוכלون غيرهم لما يرون في ذلك من الردع لهم لأن الأنفة تمنعهم ذلك فلا يقع منهم التعدي ولا حجر الحقوق، ويأشر بنفسه خطة الحسبة مع القضاء. رحل إلى مصر سنة ١٨٨ وقرأ الأسدية على ابن القاسم.

وفي الديباج^(١): لما ولى القضاء دخل على ابنته خديجة — وكانت من خيار النساء — وقال لها: اليوم ذبح أبوك من غير سكين، فبذلك علم الناس أنه قبل القضاء. انتهى.

وناهيك من قوم قاضيههم مثل الإمام الذي لم يقبل القضاء إلا بشروط، وناهيك بذلك الأمير الذي وفي له بتلك الشروط وتوفي هذا الأمير سنة ٢٤٢^(٢)، وبويج لابن أخيه أبي إبراهيم أحمد بن محمد، وكان فاضلاً عادلاً حسن السيرة كثير الصدقات رقيقاً بالريعية، وكانت في أيامه وقائع بصقلية أكثرها للمسلمين، وله مآثر خالدة منها التوسعة في جامعي القيروان وتونس وتوفي سنة ٢٤٩^(٣) وهو ابن ثمان وعشرين سنة.

وبويج لزيادة الله بن محمد^(٤)، وكان فاضلاً عاقلاً حسن السيرة شجاعاً جميل الأفعال، كان سليمان بن عمران القاضي يقول: ما ولى من بني الأغلب أعقل من زيادة الله هذا، وتوفي سنة ٢٥٠^(٥).

(١) الديباج المذهب ٢/ ٢٣.

(٢) ابن عذارى ١/ ١١٢.

(٣) تحريف في المطبوع إلى: «سنة ٢٤٥» وصوابه لدى ابن عذارى الذي ينقل عنه المصنف.

(٤) ابن عذارى ١/ ١١٣.

(٥) ابن عذارى ١/ ١١٤.

وبويع لأخيه محمد بن أحمد المعروف بأبي العَرَانِيق لشغفه بصيدها، وكان يغلب عليه اللهو وكانت في أيامه حروب عظيمة، وكان فتح جزيرة مالطة على يده سنة ٢٥٥ وأسر ملكها وتوفي سنة ٢٦١^(١).

وبويع لأخيه إبراهيم بن أحمد^(٢)، وكان عادلاً حميد السيرة وفي أيامه كان فتح سرقوسة، ثم ساءت سيرته وأفتك بكثير من إخوته وبناته وآل بيته وجواريه وخدمه في أخبار تذبذب منها الأكباد وتقشعر منها الجلود، وكانت أفعاله السيئة أحد الأسباب في ضعف هاته الدولة المؤذن بزوالها ثم أظهر التوبة وأقلع عما كان عليه واستنفر الناس للجهاد، ووسع على المقاتلة وفرق الأموال، وخرج من سوسة إلى صقلية وهو أمير الجيش سنة ٢٨٤ فسبى وغنم ودخل بليرمو وبها توفي سنة ٢٨٩ في ذى القعدة بعلّة أصابته ودفن هناك، وقيل: نقل للقيروان.

وبويع لابنه أبي العباس عبد الله^(٣) وكان شجاعاً ثبّتاً ذا بصر بالحروب أديباً عاقلاً حسن السيرة، وله وقائع في صقلية مشهورة، وقَتَلَهُ غلامان من غلمان غدرًا وكان يثق بهما بإغراء من ابنه أبي منصور زيادة الله في شعبان سنة ٢٩٠.

وبويع لابنه أبي منصور المذكور وإذ ذاك نار دواعي الشيعة تأكل أطراف مملكته حتى استولى عليها شيئاً فشيئاً بعد حرب كانت الهزيمة فيها عليه سنة ٢٩٦، ورحل عقب الهزيمة إلى المشرق بما خف من الأموال ونفيس الجواهر وتوفي بتلك الجهة سنة ٣٠٣، وجرى له ما جرى فكانت عاقبته كما ترى لعقوقه والده وقتله إياه.

وانقرضت بانقراضه دولة بني الأغلب ومدتها مائة سنة وأحد عشر سنة وثلاثة أشهر، وفي مدتهم استقل المغرب الأقصى وصار في تملك الأدارسة في أخبار طوال، وأولهم إدريس بن عبد الله واستفحل أمره في تلك البلاد وأسس مدينة فاس وأخبار المغرب الأقصى من عهده إلى هذا العهد مبسوط في الاستقصا وغيره.

(١) ابن عذارى ١/ ١١٦.

(٢) ابن عذارى ١/ ١١٦.

(٣) ابن عذارى ١/ ١٣٤.

واعلم أن ولاية إفريقية من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كانوا على السذاجة، همهم الجهاد ودخول الناس في الدين الإسلامي وحفظ ما فتحوه، ولما آل الأمر إلى بني الأغلب اشتغلوا أيضًا بالحروب والفتوحات وجمع العساكر النافعة مع ما فيهم من السذاجة العربية والبعد عن عزة الملك وأخلاق الحضارة، فكانت قضائهم يحكمون عليهم وينصفون الناس منهم ومن غيرهم، وأخبار قضاة العدل مذكورة مضافة ومستقلة مع تقدم في إحياء العلوم والصنائع والتجارة والفلاحة.

في خلاصة تاريخ العرب: أدخل الأغالبة في الأقاليم الإفريقية جميع مبادئ التمدن الإسلامي التي كانت بالشام والعراق، وأخذوا يقيمون في تونس والقيروان وطرابلس، فامتألت تلك المدن مباني أبدت للناظرين الأقواس الحادة والدعامة المزخرفة على حسب فن العمارة الروماني، وبنوا قناطر على بحارى سيول سريعة التيار، واجتهدوا في إحياء العلوم والصنائع والتجارة والفلاحة، وأنشئوا مراكز تجارية سهلت مخالطة سكان الصحراء بسكان السواحل، وجددوا طرقًا أبدوا فيها الأمن، وجعلوا نظارة محل البريد في أيدي أعيان البلاد، ورتبوا بتلك المحال إبقاء التواصل التام بواسطة السعاة والبريد الخيلي من ابتداء حدود المغرب إلى حدود مملكة مصر، وعمروا سفنًا بحرية حكموا بها على البحر الأبيض المتوسط، وغزوا سواحل مملكتي إيطاليا وفرنسا وجزائر قرسقة وسردانيا وسيسليا.

وبالغ مؤرخو الفرنج في الحكايات المتعلقة بتلك الغارات واستولوا على مقاطعات كثيرة ومدن شهيرة ثم ذكرها مدينة مدينة تركنا إيرادها هنا اختصارًا. ثم قال: وبالجملية أجداد العرب في ترتيب وتقسيم تلك البلاد وقدموا فيها الفلاحة والصنائع، ونقلوا إليها شجر القطن من الشام وقصب السكر من طرابلس الغرب، ولسان عصفور الفستق، واستخرجوا ما فيها من معادن الفضة والحديد والنحاس والكبريت والملح الأندرائي، والمباني الموجودة منها في ضواحي بالرمة تؤذن بمهارتهم في العمارة، وفشا نسج الحرير بسيسليا ومنها انتشر في أوروبا. انتهى باختصار.

وفي الفتوحات الإسلامية: كانت ولاية إبراهيم بن الأغلب إفريقية سنة ١٨٤ بعهد من هارون الرشيد وتوارث الملك بعده بنوه عمالاً لخلفاء بني العباس واستمر فيهم إلى سنة ٢٩٦، فزالت دولتهم وصارت للعبيدين واتسع ملكهم بإفريقية، وصارت لهم أموال كثيرة وخيل وجنود وافرة، وملك ضخم ومراكب في البحر، ولهم كثير من المآثر المحمودة والمواقف المشهودة والغزوات الكثيرة والفتوحات الشهيرة، وأكثر فتوحات إفريقية كان على أيديهم بصقيلة — بكسرات ومشددة اللام — جزيرة عظيمة كثيرة البلدان والقرى والمواشي وكان أول الغزو إليها زمن معاوية بن حديج في خلافة معاوية رضي الله عنه ولم يفتحها، وتتابع الغزو إليها زمن ولاية بني الأغلب من أول دولتهم إلى آخرها، وتملكوا أكثر الجزيرة ولم يزل الفتح فيها والغزو إلى أن انقضت دولتهم وتفصيل ذلك مبسوط في التواريخ. انتهى.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء الإمام سحنون، وابنه محمد، وابن عبدوس، وحمديس، وعيسى بن مسكين، ويحيى بن عمر.

الطبقة السابعة

لما انقرضت دولة بني الأغلب وآلت إلى بني عبيد في أخبار طوال بواسطة أبي عبد الله الصنعاني من صنعاء اليمن، وكان صاحب جدل ودهاء وحذق وسياسة، كان أول ملوك هاته الدولة أبو محمد عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب، ينتهي نسبه إلى سيدنا علي رضي الله عنه وأثبت نسبهم الكريم ولي الدين بن خلدون.

وقال ابن خلكان: في نسبهم خلاف كثير وهاته الدولة تعرف بدولة الشيعة، والشيعة لغة: الصاحب والاتباع، وفي عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف: تطلق على أتباع علي رضي الله عنه وبنيه رضي الله عنهم، وهم طوائف، فمنهم: الضال ومنهم العاصي، وكان عبيد الله هذا رجل الدنيا دهاء وعقلاً مهيباً ولما استقل بالإمارة سنة ٢٩٧ واستقام له الحال بعد تمهيد الأمور وتفقّد العمال، غزا صقلية وإسكندرية ومصر وساعده المقدور، وأسس مدينة المهدية في جزيرة حجة وحصنها وانتقل إليها سنة ٣٠٨.

وثار عليه مغلد بن كيداد الإباضى واستولى على غالب إفريقية وتوفى فى ريعان الثورة سنة ٣٢٣.

وبويع لابنه أبى القاسم محمد وكان ذا نجدة وبأس وبعث مولاه كاتبه جوهرًا بأسطول عظيم فى جيوش كثيرة لأرض الروم وفتح مدناً وحصوناً، منها جنوة ومهد النواجى وقمع الثوار، ومنهم مغلد المذكور، وكان داعياً إلى الحق آخذاً بالحسبة منكرًا مذهب الشيعة مظهرًا إقامة السنة، وبذلك استمال الخاص والجمهور. وقاد الأمور بتجنيد الجنود لقتال الشيعة، ووالى الهزائم على أبى القاسم المذكور حتى استعان بوزيرى ملك صنهاجة ومات أبو القاسم على حصار سوسة سنة ٣٣٤.

وبويع لابنه المنصور أبى الطاهر إسماعيل بعهد من أبيه كان فصيح اللسان بليغاً وتوالت الحروب بينه وبين مغلد المذكور إلى أن ظفر به سنة ٣٣٦ وصلب جلده محشواً قطناً على باب المهديّة، وبعث بأسطوله لغزو الفرنج فأتى له فتح لا كفاء له وذلك سنة ٣٤٠ وتوفى فى السنة بعدها، وهو أول من استعمل بنى أبى الحسن على مملكة صقلية، واتصلت بها أيامهم.

وفى المدارك: اتفق شيوخ القيروان على الخروج على ملوك الشيعة بنى عبيد وقتلهم منهم السبائى والخرائط وأبو العرب والميسى والقطان ومروان العابد، وبعد الاتفاق وإلقاء الخطب المحرّضة على ذلك قصدوا المهديّة فى جند عظيم وبعد قتال شديد كانت الهزيمة عليهم واستشهد الكثير منهم، فمن العلماء خمس وثمانون، منهم: ربيع القطان والميسى. انتهى.

وحاصل القول أن هذا الخارجى مغلد المذكور أوهم الناس أنه منتصر للسنة وتبين بعد حروب ومصائب أنه سعى السيرة خبيث السيرة.

ولما توفى المنصور بويع لابنه معد أبى تميم المعز وهو مجل بيتهم وواسطة عقدهم فأحسن السيرة ودوخ البلاد وآمن المخالفين، ورسخت قدمه وعظم سلطانه ووجه وزيره جوهرًا للغرب الأقصى فمهد أحواله فى أخبار شهيرة وكان له نصر وفتح فى صقلية سنة ٣٤٥، ثم وجه وزيره جوهرًا المذكور إلى مصر فى

عساكر تفوق الحصر سنة ٣٥٧، وخرج لتوديعه بنفسه ودخل جوهر مصر في شعبان من السنة، وشرع في بناء القاهرة وأسس الأزهر.

ثم وجه عسكرًا استولى على الشام والحجاز واستحث جوهر سيده المعز على القدوم فأجابه لذلك، ورحل في ربيع الأنور سنة ٣٦٢ بأمواله وأهله وذخائره وجنوده في احتفال لم يسمع بمثله، وصاحبه في رحلته الشاعر المشهور أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي، ومات في الطريق واستخلف على المملكة أبا الفتوح بلكين وسماه يوسف بن زيري الصنهاجي، ولما دخل المعز الإسكندرية تلقاه فقهاؤها وأعيانها بالإجلال، ثم دخل إلى مصر في شعبان من السنة واستقر بها قراره، وصار له ملك الشرق والمغرب من سوس الأقصى ومضيق سبتة إلى مكة المشرفة، ولم يزل على الكعب آمن السرب إلى أن توفي سنة ٣٦٥ ومدة ملك الشيعة بالمغرب اثنان وستون سنة.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء فضل بن سلمة^(١)، وسعدون الخولاني، وربيعة القطان، وأبو العرب تميم، والأبياني، وابن اللباد، والكانيشي، والمميسي.

الطبقة الثامنة

لما رحل المعز استخلف على المغرب بلكين يقال له يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي، ويوسف هذا أسس مدائن بالمغرب الأوسط منها: مليانة والجزائر وقام بأمر النيابة أحسن قيام ورتب العمال وكان حسن السيرة جميل الخصال مع صيت طائر وكفاءة معروفة، وقصد المغرب بجيوش جرارة واستولى على فاس وسجلماسة وغيرها، وشتت جموع زناتة واتسع نطاق ملكه ولم يزل على طاعة مستخلفه إلى أن توفي سنة ٣٧٢^(٢).

(١) تحرف في المطبوع إلى: «فضل بن مسلمة» وصوابه من ترجمته في الديباج المذهب ٢/ ١٢٥.

(٢) ابن عذاري ١/ ٢٣٩.

وبويح لابنه أبي الفتح^(١) منصور بن يوسف، وكان جوادًا كريمًا شجاعًا صارمًا وكانت أيامه حسنة والظفر حليفه، وكانت بينه وبين أعمامه حروب وتوفي سنة ٣٨٦هـ^(٢).

وبويح لابنه أبي مناد باديس بن منصور^(٣) وكانت له حروب مع عمه حماد وغيره، كان النصر فيها لباديس وعقب انتصاره مات باديس فجأة في ذى القعدة سنة ٤٠٦هـ^(٤).

وأسس حماد المذكور دولة في المغرب الأوسط قاعدتها قلعة حماد، وصارت لبنيه، ومن يومئذ انقسمت الدولة وطرقها الخلل، وهؤلاء الأمراء الذين هم في الحقيقة عمال لبني عبيد بلغوا درجة الملوك في الضخامة وبعد الصيت والسلطان. ولأبي إسحاق إبراهيم بن قاسم المعروف الرقيق القيرواني تأليف في أخبار باديس وأبيه وجده، وكان بين باديس وأبي محفوظ محرز بن خلف تراسل، وكذلك بينه وبين ابنه المعز الآتي ذكر بعضها في خاتمة الخاتمة الآتي ذكرها.

تنبيه: قد علمت مما تقدم ما كان عليه ملوك بني الأغلب ومن قبلهم من المحافظة على الدين وعلى ما وقع فتحه والاشتغال بجمع العساكر والفتوحات وتمهيد الراحة، وجاء بعدهم الفاطميون بنو عبيد وكان اشتغالهم بالحروب وبث الدعوة في الأفكار والزيادة في المملكة، وعما لهم ملوك صنهاجة مثلهم.

وقانون الملك الإسلامي هو القرآن العظيم، وأقوال رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وكان لهم وللمعز الآتي ذكره إلى آخر دولته التفات واهتمام بأهل العلم والأدباء بالصلاات المتوالية ومجالستهم مع التعظيم والإجلال والتكريم ومكاتبتهم، فقد كان باديس يكتتب أبا محفوظ محرز، وكذلك ابنه المعز وكان

(١) تحرف في المطبوع إلى: «أبي الفتوح» وصوابه لدى ابن عذارى الذي ينقل عنه المصنف ١/ ٢٣٩.

(٢) ابن عذارى ١/ ٢٤٧.

(٣) ابن عذارى ١/ ٢٤٧.

(٤) ابن عذارى ١/ ٢٢٦.

يبحث المال والكتب للعلماء وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة أبي بكر عتيق السوسى.

وفى مدتهم كان سوق العلم نافقاً بالغاً الغاية والعلماء الفحول والأدباء والحكماء والمهندسون كثيرون جداً، كان أبو الطيب ابن بنت خلدون من علماء الحساب والهندسة دبر سوق خليج من ساحل البحر إلى القيروان، والحكاية مشروحة فى المقصد عند التعرض لترجمته، وكان للعلماء يد وإعانة فى سياسة الملك، من ذلك: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر على نحو ما جاء به الشرع العزيز، ولذا كان الملوك يلاقون من شدة العلماء عليهم ما يتجرعون مرارته كسحنون وسعدون الخولاني وربيع القطان وأبى محفوظ محرز بن خلف، وسترى قريباً الخير عن القيروان بما فيه عيرة لذوى الفضل والشأن.

فصل

قد علمت نما تقدم أن الأندلس استولى عليه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان ويقال له عبد الرحمن الداخل، وصار وراثته فى بنيه، وبقي الكلام على ما آل إليه أمرهم فنقول: إن فى أيامهم استفحلت الأندلس واستبحرت بالعلوم والمعارف والصنائع مع عمران باهر وحضارة وتمدن زاهر. فى خلاصة تاريخ العرب: نصح عبد الرحمن المذكور ولده الحكم قبل وفاته بقوله: يا بنى، إن الممالك ملك الله وهو يؤتيها من يشاء ويتزعمها من يشاء كما يختار، وحيث إنه قد أجلسنا على سرير سلطنة إسبانيا فلنشكره جزيل الشكر الأبدى، ولنصنع الخير بخلقنا لنكون عاملين طبق أوامره المقدسة، فإن الله تعالى لم يجعل فىنا الشوكة العظمى إلا لنفعل الخير بعباده، فلتجعل عدلك مستقيماً بين الغنى والفقير، وعامل جنودك برفق وبر وأمرهم بالحماية على البلاد، وأنهم عن الظلم والجور بين العباد، وحام عن الفلاحين الذين نقتات من نتائج أشغالهم، واستلفت نظرك نحو مزارعهم ومحصولاتهم، حتى تكون الرعية سعيدة الحال فى ظل سلطانك، ولتتمتع الرعية فى الأمن بخيرات الحياة ونعيمها. انتهى.

ثم قال ما ملخصه: من ملوك الأموية عبد الرحمن الثالث أدخل في السياسة علوم بغداد واجتهد في تقديم العلوم والفنون، وجَمَل قرطبة ومدائن الأندلس بالمباني الفاخرة، وبنى قرب قرطبة لجاريته زهرة قصرًا وصفته التواريخ العربية بما لا يتصوره الدهن، وكان عصره أزهر عصر خلفاء الأموية، وبالجملة كان حائزًا للنصر الحربي والعلم الفائق والمال الوافر والزينة وجميع أسباب الاشتهار الدنيوي.

ولما مات وجد في بعض أوراقه ما نصه: إنه قد مضت مدة خمسين سنة منذ توليت الخلافة، وتمتعت بعلو الشأن وكثير من خزائن الأموال والملاذ والحظوظ حتى أنفدت كل ما ظفرت به منها، وإن الملوك المقارنين لي في عصرى يعتبروننى ويخشوننى ويغبطوننى وجميع ما تشتهيهِ الرجال قد أنعم الله به على من فضله، وقد أحصيت مدة خلافتى التى ظننتنى فيها سعيدًا فرأيتها أربعة عشر يومًا، فيا أيها الناس، قدروا بعقولكم ما قيمة عظمة الملك عند الملوك والدنيا والحياة. انتهى.

قلت: عبد الرحمن هذا هو عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن الأوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، ولى الملك سنة ٣٠٠ وتوفى سنة ٣٥٦، واتسع الملك بالأندلس في مدته، ومن اتساعه أنه بنى تجاه قرطبة مدينة سماها الزهراء لسكنائه، هى من عجائب الدنيا دالة على قدر بانيها، وأنفق فيها من الأموال خمسة وسبعين مائة ألف دينار، وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمئة وخمسين فتى، لهم من اللحم كل يوم ثلاثة عشر ألف رطل غير أنواع الطير والحوت، وعدد النساء بالقصر ستة آلاف وسبعمئة وثمانون، والمرتب على الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة.

وأما أوصاف هاته المدينة فإنها طويلة، ومن أغرب ما يحكى عن الناصر أنه أراد الفصد يومًا فقعده فى البهو الكبير واستدعى الطبيب لذلك فأخذ الطبيب الآلة وجس يد الناصر فينما هو كذلك إذ أطل زرزور فصعد على إناء من ذهب وأنشد ذلك الزرزور:

أيها الفاصد رفقا بأمر المؤمنين إنما تفصد عرقاً فيه يحيا العالمين

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف الناصر ذلك وسريه غاية السرور ووهب لمعلم الزرزور ثلاثين ألف دينار، ولما أتم بناء الزهراء وبها قبة لجلوسه مزخرفة صنع طعاماً دعا إليه العلماء وجلس في تلك القبة فلما حضر العلماء ومعهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي فلما رأى تلك القبة أنكر عليه ذلك الصنيع فأثر عليه إنكاره، فقال له: جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيراً وعن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر في الناس أمثالك، وأمر بنقض سقف القبة الذي طوله بالذهب وأعادها على صفة ليس بها ما ينكر عليه فيه.

ومن أخباره أنه أغضب جاريته طروب^(١) فهجرته وكان يحبها، فأرسل إليها يترضاها فأبت وأغلقت باب مجلسها، فأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ففعلوا وبنوا عليها بالبدر^(٢)، فأقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضياً راعباً في المراجعة على أن لها جميع ما سد به الباب من البدر فأجابت وفتحت الباب فانمالت البدر بيبتها فأكبت على رجله تقبلها وحازت المال، وكانت تبرم الأمور فلا يرد شيئاً تبرمه.

وكانت له غزوات كثيرة شهيرة.

وقد ذكر أبو العباس أحمد بن عبد ربه في العقد الفريد اثنين وعشرين غزوة من غزواته ونظم كل غزوة منها في منظومة من الرجز، وكان معاصراً له. وبذلك طار صيته، وانتشر ذكره، وأطاعته بنو إدريس أمراء العدو وملوك زنادة والبربر حتى صار ملكه غاية في الضخامة وعلو الشأن.

ولما توفي ببيع لابنه الحكم المستنصر بالله فقام بأعباء الملك خير قيام، وكان عالماً نبيلاً أقام للعلم والعلماء سوقاً نافقاً، واجتمع عنده من خزائن الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله.

في غرائب الغرب لأبي عبد الله محمد كرد علي: كان للأندلسيين غرام بتسجيل الكتب على المطالعة، ولهم خزائن كتب عامة وخاصة، وكانت قرطبة أكثر بلاد

(١) تحرف في المطبوع إلى: «طروف» بالفاء في آخره، وصوابه في نفع الطيب ٦١٣/٣.

(٢) البدر: جمع بدرة وهي الكمية العظيمة من المال.

الأندلس كتباً وأهلها أشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة، فلا يكاد يخلو دار من خزانة فيها كتب قيمة.

وقد أنشأ الحكم الثانى عدة مكاتب للمطالعين، فكان يرسل وكلاءه إلى المشرق يستنسخون الأسفار، فما هو إلا أن يؤلف المؤلف تصنيفه حتى تستنسخ منه نسخ أو نسخة لتحمل إلى خليفة الأندلس، ولا يفوت بلاده شىء من حركة العقول.

وكانت دار كتبه تحتوى على أربعمائة ألف مجلد جاء فهرسها فى أربعة وأربعين مجلداً، ولطالما أجزل ملوك الأندلس الصلوات لبعض مؤلفى الشرق والأندلس حتى يذكروا فى مقدمتها أنهم ألفوها برسم خزانهم.

ومن المؤلفين من كانوا يرضون بذلك ومنهم من لا يرضون به يقصدون أن يكون لمن يستفيد منه.

وكان للعلماء والمؤرخين والشعراء والأدباء فى الأندلس مجامع علمية وأدبية أشبه بالمجامع أو الأكاديميات فى هذا العصر، وذلك لنشر العلم والمعارف ومفاوضة الحكمة بينهم، فنتج من اجتماعهم فوائد مهمة للعلم والمدنية.

وكان المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس من أعلم الملوك بالأدب وله التصنيف المترجم بالتذكرة والمشتهر بالكتاب المظفرى فى خمسين مجلداً فى الفنون والعلوم، واستأدب لبنه أبا عبد الله بن يونس وكان يحضره، وأبا الحزم بن عليم وأمثالهما للمذاكرة والمباحثة فيفيد ويستفيد.

وكان لأبى عامر أمير الأندلس فى دولة هشام المؤيد مجلس معروف فى الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيها بحضرته وقد أنشأ الحكم مجمعاً وقلده غيره من أمراء الأندلس فأنشئوا مجامع لهم.

وأنشأ أحمد بن سعيد النصرى مجمعاً فى طليطلة فكان يجتمع عنده أربعون عالماً من طليطلة وما جاورها ثلاثة أشهر فى السنة، يعقدون اجتماعاتهم فى ردهة فرشت أحسن فرش يبدءون عملهم بقراءة آيات من الكتاب العزيز، ثم يتذاكرون

في تفسير ما قرءوا ويأخذ بهم الاستطراد إلى البحث في فنون شتى في العلم والحكمة. اهـ.

وقال ابن حزم: عدد الفهرسات التي فيها أسماء بعض الكتب أربع وأربعون فهرسة، كل فهرسة ست وعشرون ورقة ليس فيها إلا أسماء الدواوين، وأما غير الدواوين من سائر فنون العلوم فشيء كثير، قيل: إن كتبه كانت أربعمئة ألف مجلد قلما يوجد كتاب منها إلا وله فيه قراءة ونظم ومكتوب على هوامشه خطه. ولما ألف أبو الفرج الأصبهاني كتابه الأغاني بعث للحكم نسخة فأجازه بألف دينار، وقد تقدم في ترجمة المعيطي وابن المكوي أن الحكم هذا كلفهما بتأليف الاستيعاب فألفاه وأجازهما على ذلك جائزة سنية، وكانت مدة ولايته ستة عشر سنة.

وبويع لابنه هشام المؤيد وعمره تسع سنين، واستوزر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور المعافري — ومعاقر بطن من حمير — وياشر هذا الوزير تدبير الملك بنفسه وكان ذا عقل ورأى وشجاعة وكرم وبصيرة بالخزوب ودين متين، وكان عالماً متفتناً وله غير ذلك من الصفات الحميدة وسيرته مشهورة في التواريخ ومفردة بالتأليف واستمر على سيرته سبعاً وعشرين سنة.

وذكر في نفح الطيب كثيراً من غزواته، وأخباره في الكرم والعفو والحلم وحسن الخلق، ثم قال: وأخبار المنصور تشمل مجلدات، وتوفي في صفر سنة ٣٩٢، فقام بأمر الوزارة بعده ابنه، فأولا عبد الملك فجرى على سنن أبيه في السياسة والغزو وكانت أيامه أعياداً دامت سبع سنين، ثم قام بالأمر بعده الابن الآخر عبد الرحمن وجرى على سنن أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه، ثم طلب من هشام أن يجعله ولي عهده فأجابته لذلك لتغلبه عليه، وأحضر لذلك أرباب الشورى وأهل الحل والعقد وكتب عهده بذلك ثم سعى كثير من الأمويين وغيرهم في نقضه وأثاروا لذلك فتنة إلى أن قتلوا عبد الرحمن المذكور سنة ٣٩٩، ثم خلعوا الخليفة هشاماً وبايعوا غيره ثم أعيد هشام، ثم فقد سنة ٤٠٣، وثارَت بسبب ذلك فتن كثيرة يطول ذكرها آل الأمر فيها إلى زوال ملكهم وافتراق

كلمتهم وكل يوم يخلعون خليفة ويبايعون آخر إلى أن انقضت الدولة الأموية من الأرض سنة ٤٢٨ وانثر سلك الخلافة بالمغرب وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف متغلبين في كل ناحية ملك مستقل، وتغلب بعضهم على بعض ولا حاجة بنا إلى ذكر أسمائهم، ومن أشهرهم: بنو عباد ملوك إشبيلية الذين منهم المعتمد بن عباد، وعند ذلك استفحل أمر النصارى بالأندلس وجرت بعد ذلك أمور ستقف على بعضها إن شاء الله وهى مبسطة في نفح الطيب وغيره.

قال ولي الدين بن خلدون: إن دولة بنى أمية بالأندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على أمورها واقتسموا خططها وتنافسوا، وتوزعوا ممالك الدولة كل واحد منهم على مكان في ولايته، وشمخ بأنفه وبلغهم شأن ملك العجم من الدولة العباسية فتلقبوا بألقاب الملك ولبسوا شارته لاستيلاء الترف عليهم، ولذلك يشير ابن رشيق في قوله:

مما يزهدي في أرض أندلس أسماء معتمصم فيها ومعتضد
ألقاب سلطنة في غير مملكة كاهر يحكى انتفاخاً صورة الأسد
تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء ابن أبى زيد، والقابسى،
والخشنى، وابن التبان وابن مسرور، ومسرة، والجينياني، ومحرز بن خلف.

الطبقة التاسعة

لما توفى باديس بويق لابنه المعز بالمهدية وعمره ثمانى حجج وذلك في ذى الحجة سنة ٤٠٦^(١)، وباشرت جدته أمور الدولة إلى أن توفيت، وسنذكر خبرها في الخاتمة.

والمعز هذا هو واسطة عقد ملوك بنى زيرى توفرت في أيامه أسباب العز والثروة والعمران وكان حسن السيرة محمود الآثار أديباً مجتنباً سفك الدماء إلا في حق، حديد الذهن، له معرفة بكثير من الصنائع وله شعر جيد محباً للعلماء معظماً

(١) ابن عذارى ١/ ٢٦٧.

لأرباب الفضائل، حتى قصده الشعراء من الآفاق على بعد الدار، يجيز الجوائز السنية ويعطى العطاء الجزيل.

ومن شعراء دولته ابن شرف، وابن رشيق، هاداه ملوك السودان والروم واستقامت أموره، وكانت بإفريقية مذاهب الشيعة والصفورية والإباضية والنكارية والمعتزلة.

وكانت بها من مذاهب أهل السنة: مذهب أبي حنيفة النعمان، ومذهب مالك فظهر له حمل الناس على التمسك بمذهب مالك وقطع ما عداه حسماً لمادة الخلاف بالمذاهب، واستمر بذلك الحال إلى احتلال العساكر العثمانية إفريقية وسنذكره في محله إن شاء الله.

وفي أيامه اشتدت شوكة زناتة وكانت له معهم حروب، ثم إن المعز قطع العلائق مع دولة بني عبيد بمصر ودعا وخطب باسم دولة بني العباس، ولذلك أضمر بنو عبيد الشر والانتقام منه فوجهوا في سنة ٤٤١ قبائل من عرب الصعيد كبني هلال وبني سليم وغيرهم معروفين بالطيش وشدة البطش للتشفى من المعز وإفريقية، وانتشروا كالجراد ودخلوا إفريقية وعثوا فيها بالبغي والفساد وأذاقوا أهلها لباس الجوع والخوف بما لم يعهد.

قال ابن خلدون: وصارت خراباً كلها بعد أن كانت ما بين السودان والبحر الرومي كلها عمراناً، تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدائن.

وقال البكري: كان بالقيروان ثمانية وأربعون حماماً، وأحصى ما ذبح بالقيروان في بعض أيام عاشوراء خاصة فانتهى تسعمائة وخمسين رأساً من البقر، وجباية سواحل القيروان سوسة والمهدية وسفاقس وتونس لبيت المال خاصة غير الدخل والخرج الذي لغير بيت المال ثمانون ألف مثقال من الذهب وفي سنة ٤٥٢ سبيت القيروان وأخليت ولم يبق فيها إلا ضعفاء أهلها^(١). انتهى.

(١) المسالك والممالك للبكري ٢/ ٦٧٨.

وقال ابن عذارى: كانت القيروان من أعظم مدن المغرب طرا وأكثرها بشرا وأيسرها أموالاً وأوسعها أحوالاً، وكان الغالب على أهلها التمسك بالخير والتخلي عن الشبهات واجتناب المحرمات، إلى أن تواتت الجوائح عليها بدخول العرب لها على ما يأتي ذكره، فلم يبق فيها إلا أطلال دارسة وآثار طامسة.

وقال: تولى المعز وهو ابن سبع أو ثمان سنين وترى في حجر وزيره أبي الحسن ابن أبي الرجال، وكان عالماً ورعاً زاهداً، وكانت إفريقية أكثرها على مذهب الشيعة وخلاف السنة والجماعة، فحرض ابن أبي الرجال المعز وأدبه وأدله على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة، والشيعة لا يعلمون ذلك ولا أهل القيروان، فخرج المعز في بعض الأعياد إلى المصلى وهو في زينته وحشوده وهو غلام فكبا به فرسه فقال عند ذلك أبو بكر وعمر فسمعتة الشيعة التي كانت بعسكره فبادروا إليه ليقتلوه، فجاءه عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان ووضعوا السيف في الشيعة^(١).

قال أبو الصلت: فصاح بهم في ذلك الوقت صائح الموت فقتلوا في سائر بلاد إفريقية^(٢).

ولم يزل المعز يُعْمَلُ فِكْرَهُ في قطع دعوتهم وفي سنة ٤٤٠ قطع المعز الخطبة لصاحب مصر^(٣).

قال ابن شرف: أمر المعز بأن يُدْعَى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب، وتُقَطَّع دعوة العُبَيْدِيِّين، وأمر بلعنهم في الخطب وسبهم بأشنع السب^(٤).

وأمر بتبديل السكة على أسماء بني عبيد فنقش على الوجه الواحد: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ وفي الوجه الآخر: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأمر بسبك ما كان عنده من الدنانير

(١) ابن عذارى ١ / ٢٧٣.

(٢) ابن عذارى ١ / ٢٧٤.

(٣) ابن عذارى ١ / ٢٧٤.

(٤) ابن عذارى ١ / ٢٧٧.

التي عليها أسماء بنى عبيد وكانت أموالاً عظيمة ثم بعث في الناس من قطع سكتهم وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدرهم وغيرها وتم الأمر بذلك سنة ٤٤١هـ^(١).

ولما آل الأمر إلى التصريح بلعنة بنى عبيد على المنابر، وأمر المعز بقتل أشياعهم، أباح بنو عبيد للعرب مَحَازَ النيل، وكان قبل ذلك ممنوعاً، لا يجوز له أحد من العرب، ثم أمر لكل جائر منهم بدينار، فجاز منهم خلق عظيم، من غير أن يأمرهم بشيء لعلمه أنهم لا يحتاجون لوصية، فجازوا ووصلوا إفريقية وكان وصولهم الداهية العظمى والمصيبة الكبرى، وبعد حروب وأهوال في أخبار طوال فَرَّ المعز بما خف إلى المهدي^(٢)، انتهى ابن عذارى.

وقال ابن خلدون: إن ملوك صنهاجة فسدت طباعهم أواسط المائة الخامسة واستمرت لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية حتى تأذن الله بانقراضهم وجاء الموحدون بقوة قوية من المصامدة فمحو آثارهم. انتهى.

وفي المعجب: كانت القيروان دار ملك المسلمين بإفريقية منذ الفتح لم يزل الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس يولون عليهم الأمراء من قبلهم إلى أن اضطرب أمر بنى العباس، واستبد الأغالبة بملك إفريقية بعض الاستبداد، فاتخذوا القيروان دار ملكهم فلم يزلوا بها إلى أن أخرجهم عنها بنو عبيد وملوكها، ثم ولوا عليها حين ارتحلوا زيري بن مناد الصنهاجي فلم يزل زيري وبنوه ملوكاً عليها إلى أن كان آخرهم تميم بن المعز فانتهبتها الأعراب وخربتها، وكانت منذ الفتح إلى أن خربت دار العلم بالمغرب إليها ينسب أكابر علمائه، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم، وقد ألف الناس في أخبار القيروان ومناقبه، وذكر علمائه ومن كان به من الزهاد والصالحين والفضلاء المتبتلين كتباً مشهورة، ككتاب أبي محمد بن عبيد وكتاب ابن زيادة الله الطنجي، فلما استولى عليها الخراب تفرق أهلها في كل ناحية كمصر وصقلية والأندلس، ومنهم طائفة عظيمة قصدت المغرب ونزلوا مدينة فاس. اهـ باختصار.

(١) ابن عذارى ١/ ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) ابن عذارى ١/ ٢٨٨ وما بعدها.

وفيه كانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان تمشى فيها القوافل ليلاً ونهاراً، وكان فيما بين الإسكندرية وطرابلس الغرب حصون متقاربة جداً فإذا ظهر في البحر عدو نور كل حصن للحصن الذى يليه واتصل التنوير فينتهى خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية والعكس في ثلاث ساعات أو أربع من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم، ولم يزل هذا معروفاً إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون ونفت عنها أهلها أيام خلّى بنو عبيد بينهم وبين الطريق للمغرب، وذلك في حدود سنة ٤٤٠ حين تغير ما بينهم وبين المعز الصنهاجى وقطع الدعاء لهم على المنابر ودعا لبنى العباس. اهـ. معجب.

والحاصل أن مقدار ما وصلت إليه القيروان في أوائل ملوك بنى زيرى ومن قبلهم فوق ما يذكر من الحضارة والتمدن والبهجة وال عمران والاستبحار في العلوم والصنائع والتجارة والفلاحة وكثرة الأدباء والشعراء والأطباء والمهندسين، فما بالك بغيرهم من الفقهاء والمحدثين من علماء الدين، ثم كانت على القيروان الطامة الكبرى التى صيرتها خراباً بمؤلا الأعراب، وانحدرت في تيار الانحطاط السريع وانتقل كرسى ملكها البديع إلى المهديّة وتقلص ظل الدولة الصنهاجية المؤذن بالفناء، والملك لله الواحد القهار الذى لا يزول ملكه ولا يفنى، وصارت مسرح الفتن ومسرح الإحن خالية عن السكان فضلاً عن العلماء وآخر علمائها على هذا العهد السيورى والتونسى.

ولهاته الأسباب خرج غالب من في البلد ومنهم المعز ونجا بنفسه للمهديّة بعد مشاق وعاملها يومئذ ابنه تميم فتلّقه بالميرة والتكريم وبقي بها إلى أن توفي سنة ٤٥٤^(١) ودفن برباط المنستير.

وفى معالم الإيمان لم يبق بالقيروان بعد المائة الخامسة من له اعتناء بالتاريخ وغيره لتخريبها على يد المفسدين الأعراب، وبقيت على ذلك إلى ظهور دولة الموحدين. انتهى.

قلت: ورغماً عما حل بها من النوائب فلم يزل بها من المشاهد والمعالم الإسلامية الخالدة إلى هذا العهد مما لا يوجد غيرها من بقية مدن إفريقية، كجامع سيدنا عقبة العتيق، ومنيره البديع الشكل والصنع الوثيق، وهذه المعاهد أكسبت شهرة مطبقة بالعالم الأروباوى وبعد الصيت وجميل الذكر فى العالم الإسلامى ولم تجد شيئاً يبقى خالداً إلا الذكر حسناً كان أو قبيحاً.

فلا شيء يدوم فكن حديثاً جميل الذكر فالدنيا حديث
فى روح المعاني عند قوله جل ذكره: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ الآية تدل على أن الإنسان يرغب فى الثناء الحسن والذكر الجميل، إذ لو لم يكن مرغوباً فيه ما امتن الله به على رسوله ﷺ، والذكر قام مقام الحياة ولذا قيل ذكر الفتى عمره الثانى، قال ابن دريد:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى
ويحكى أن الطاغية هلاكو سأل أصحابه: من الملك؟ فقالوا له: أنت الذى دوّخت البلاد وملكت الأرض وأطاعتك الملوك، وكان المودن إذ ذاك يؤذن، فقال الملك: هو الذى له أزيد من ستمائة سنة قد مات وهو يذكر على المآذن فى كل يوم وليلة خمس مرات، يريد محمداً ﷺ.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: البرادعى، وابن الضابط، والليبدى، وأبو عمران الفاسى، وأبو بكر بن عبد الرحمن، والتونسى، وابن يونس وابن العطار.

الطبقة العاشرة

لما توفى المعز بويج لابنه أبى يحيى تميم واشتغل بما بقى من المملكة وضبطه أحسن ضبط، وكان شاعراً وشعره رائق مدون، وأبو على بن رشيق كان من ندمائه، وله فيه قصائد ظنانه، وكان أعلم بنى مناد وأعفاهم عن الأمور العظام، وكان حسن السيرة محمود الآثار محباً للعلماء معظماً لأرباب الفضائل، حتى قصدته الشعراء من الآفاق على بعد الدار كابن السراج السيورى ونظرائه يميز الجوائز ويعطى العطاء الوافر فضائله كثيرة وله أخبار ووقائع عجيبة مع الثائرين.

وفي أيامه توالى على سوسة أمراء من العرب وملوكها حين استولوا على البلاد وانتزعوها من يد صنهاجة واستقرت أخيراً تحت ملك جبارة بن كامل بن سرحان بن أبي العيس البعيد الصيت المشتهر بالجود، ومن يده أخذها النصارى حين أخذوا المهديّة من يد الحسن الآتى ذكره، واستولوا على بلاد الساحل ولما وصل عبد المؤمن استنقذها من يد النصارى وسنأتى على شرح ذلك قريباً، وللشعراء فى مدح جبارة قصائد طنانة منها قصيدة التراب السوسى فى رحلة التيجانى قد أولع أعراب زماننا بإنشادها وكثرة تردادها ولأجل ذلك ذكرناها بكماها وإن كان فيها بعض طول لأن الحسن غير مملول وهى نحو المائة والعشرين بيتاً، أولها:

سلم على ذى سلم	مضى الهوى المستغنى
وقف بها مسائلاً	عن ساكن والخيم
واستمطر العين بها	صوب دموع ودم

وفى أيام تميم هذا استولى العدو على صقلية سنة ٤٨٤ ثم استولى على المهديّة ثم خرج منها بعد عقد صلح وبقي على ذلك الحال وأموره معتلة إلى أن توفى سنة ٥٠١ بالمهديّة ونقل لرباط المنستير.

واعلم: أنه قد علم مما تقدم فى مواضع على وجه الاستطراد فتح صقلية وذكر بعض المآثر الحسنة التى خلدها الإسلام بها وزيادة على ما تقدم ذكره نذكر لك هنا بعض أخبارها على نسق باختصار كثير مما هو مبسوط فى التواريخ، فنقول: إن أول من غزا صقلية معاوية بن حُذَيْج ولم تزل تغزى إلى أيام زيادة الله إبراهيم ابن الأغلب، وفيها حصل الاستيلاء على جانب عظيم منها وصارت مملكة تابعة للوك إفريقية وتتابع الغزو إليها وإلى غيرها بعد ذلك حتى اتسع نطاق المملكة، وأمراؤها عمال للوك إفريقية يتولون الإمارة بعهد منهم، واستمرت على ذلك المنوال أميراً بعد أمير ولا حاجة لذكر أسمائهم لأنه يؤدى إلى التطويل، وفى سنة ٣٣٦ صار الوالى عليها الحسن بن على بن أبى الحسين ثم صارت ميراثاً فى عقبه إلى أن تفرقت صقلية إلى ممالك وصارت كل مملكة بيد ملك متغلب عليها مستبد

لا يسأل عن غيره، فصار الفرنج ينتزعون تلك الممالك منهم مملكة بعد مملكة حتى كان استخلاص العدو لها تمامًا سنة ٤٨٤ بعد أن بقيت بيد المسلمين مائتين ونيّفًا وسبعين سنة.

والذى تغلب عليه الملك رجار وكان عديم النظر في أبناء جنسه صاحب حزم ودهاء وسياسة ولما تم تملك صقلية تابعت غارتهم على إفريقية فملكوا الجزائر ومالطة وجربه وطرابلس وقابس وسوسة وصفاقس والمهدية وكانت هاته الوقائع متتابعة في سنين وكان انتهاءها سنة ٥٤٣ كما ستعلم مما يأتى ذكره. وصقلية في أيام الإسلام رحل إليها الكثير من وجوه الناس قضاة وفقهاء ومحدثين وغيرهم من الخاصة فضلًا عن العامة لرخاء أسعارها، وأمن سبلها، وعدل سلطانها وظهر منها الكثير من فحول العلماء والفقهاء والمحدثين والشعراء ترجمنا لبعضهم في المقصد.

والحاصل أنهما في مدقم بلغت غاية في الحضارة وعلو الشأن وتبحر العمران وبها كثير من المساجد، وقد وصف ابن جببر في رحلته بعض مدتها وما شاهده من حالها وحال المسلمين بها بعد احتلال العدو لها حالة تبكى العيون دمًا وتذيب القلوب ألمًا.

قلت: وفي هذا العهد لم يبق بها أثر الإسلام وعادات مساجدها كنائس وصوامعها مضارب للنواقيس.

تنبيه: ومن أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: السيورى، وعبد الحق الصقلى، والشقراطسى، واللخمى، وعبد الحميد الصائغ.

الطبقة الحادية عشرة

ولما توفى تميم بن المعز بوبع لابنه يحيى، وكان ذا رياسة وسياسة، قمع الثوار ومهد النواحي وغزا بأسطوله الروم حتى وقع صلح على شروطه، وكان رحيماً بالضعفاء مطالعاً لكتب السير وأخبار الزمان، عارفًا بالنجوم والطب وبنظم الشعر الجيد ويميز عليه، ومن شعرائه وجلسائه العلامة الأديب المؤرخ الأريب أبو

الصلت أمية بن عبد العزيز الآتي ذكره في الخاتمة، وكان له شعر رائق ونثر فائق ويأتي خبره وخبر بعض ملوك صنهاجة في الخاتمة.

وفي أيام هذا الأمير دخل محمد بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية المهدية وأظهر تغيير المنكر ودرس علم التوحيد وكان أوحد عصره فيه، ثم رحل للمنستير ثم بجاية ومذهبه تغيير المنكر.

قال ابن خلكان: وقيل: كان دخوله المهدية في أيام تميم.

وفي المؤنس: كان دخوله المهدية في أيام أبي الحسن على وتقدم بعض خبره بما يفيد أنه دخل المهدية مرتين: حين ذهب إلى المشرق وحين رجع منه.

انظر ترجمة أبي بكر بن العربي في الطبقة الحادية عشر من المقصد وتوفي الأمير يحيى في ذى الحجة سنة ٥٠٩ وخلف من البنين ثلاثين ومن البنات عشرين ودفن بقصره على ما جرت به العادة ثم نقل للمنستير.

ولاية ابنه أبي الحسن على بن يحيى، تم له الأمر بعد أبيه باتفاق من جنده، واستقام أمره، وكان جواداً مفضلاً لا يميل للراحة، وكان من الأذكياء محباً للعلم والعلماء، وللقاضي أبي بكر اليابرى مصنفان في الأصول والفقه على مذهب مالك، رد فيها على ابن حزم أحدهما المدخل والآخر سيف الإسلام في مذهب مالك الإمام، ألفه باسم الأمير أبي الحسن المذكور في المهدية سنة ٥١٣ ورحل إلى مكة وبها توفي.

رحل إليه الزمخشري من خوارزم للأخذ عنه وقدم إلى مكة وأخذ عنه، وترجمة هذا العالم تقدمت في الطبقة الحادية عشر من المقصد، ولأبي الصلت المذكور منزلة جليلة عند هذا الأمير، وتوالت بين هذا الأمير والأعراب فتن وحاله معهم مثل حال أبيه وجده وكبرت بينه وبين صاحب صقلية الوحشة وتوفي سنة ٥١٥ بالمهدية ونقل للمنستير.

ولاية ابنه الحسن: تم له الأمر يوم وفاة والده وعمره اثنا عشر عاماً وهو آخر ملوك هاته الدولة، وكانوا كلهم أهل نجدة وشجاعة وإحسان ومعروف، وكان

فصيحاً عاقلاً حازماً لا يترجح لعظائم الأمور ولا يتضعض لنوائب الدهور، شجاع القلب كريم النفس، ينظم الشعر.

وفي سنة ٥١٧ قصد صاحب صقلية المهديّة في أسطول عظيم وجنود جرارة ولما وصل إلى المهديّة هاج البحر على هذا الأسطول فدمر أكثره وألحق الضرر بالباقي، فقتل المسلمون الكثير من رجاله وغنموا غنائم كثيرة، وانعقد عقب ذلك صلح واستولى الطاغية على جربة وصفاقس وقرقنه وطرابلس.

وفي سنة ٥٤٣ خرج بأسطول عظيم ودهم به المهديّة على حين غفلة من أهلها فخرج الحسن منها بما خف وفجأ الناس من بلاء هذا الطاغية ما لم يكن له حساب، ولما دخل المهديّة وجدها نخالية فاستولى عليها من غير تعب وقتال، واستولى على ذخائر الحسن، وأمن الناس وعمرها أحسن عمران ثم استولى على سوسة وصفاقس ودانت له البلاد.

وأما الحسن فإنه بعد خير طويل وصل للخليفة عبد المؤمن بن علي مستجيراً به فأكرمه وأحسن منزله، وأجاب مطالبه واستعد لذلك ثلاث سنين وتوجه لها بنفسه في صفر سنة ٥٥٤، وبين يديه الحسن المذكور بعسكره الجرار وجيشه العرمم، يقال: إنه لما وصل باجة عرض العساكر فكانت الفرسان أزيد من مائة ألف والرجال لا تحصى وهي تمر بالطريق الضيقة في المزارع فلا يضرها شيء، وهذه المحلة تمتد أميالاً وكلهم يصلون الصلوات الخمس بإمام واحد وتكبيرة واحدة ولا يتخلف أحد منهم عن الصلاة لأنه كان يقتل من يتأخر منهم وكانت مقدمة هذا الجيش اثني عشر ألف مقاتل قد كلفوا بحفر الآبار واستخراج المياه وتمهيد الطريق وتهئية ذلك للجيش.

ولولا هذا التدبير لم يقدر على هاته الأسفار البعيدة بهاته الجيوش العظيمة، فنازل تونس وأخذها صلحاً وكانت بيد أحمد بن خراسان^(١) واستخلف على تونس أبا محمد عبد السلام الكومي ورتب معه أشيائاً من الموحدين ثم رحل

(١) تحرف في المطبوع إلى: «خرسان» وصوابه لدى ابن عذاري ١/ ٣١٤.

للمهدية والأسطول يحاذيه في البحر فوصل إليها منتصف رجب، وكان بالمهدية ملوك الفرنج وأبطال الفرسان فحاصرها بما انضاف إليه من أهل البلاد بما يخرج عن الإحصاء، وفي مدة الحصار فتح طرابلس ونفوسة وقابس وثغور إفريقية وما والاها وأقام في حصارها ستة أشهر إلى أن فتحها بكرة عاشوراء سنة ٥٥٥، ولذا يقال لها سنة الأخماس ودانت له البلاد بالطاعة واستخلف عليها أبا عبد الله محمد الكومي وجعل معه الحسن وأمره أن يقتدى برأيه وأقطع الحسن جانباً منها، وارتحل ولبثت إفريقية في أمن ودعة واطمئنان بقية أيامه وصدرًا من أيام بنيه ومدحه الشعراء على هذا الفتح منهم أبو محمد عبد الله بن أبي العباس التيفاشي بقصيدة أولها:

ما هزَّ عطفيه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي
ولما أنشدها بين يديه أشار إليه أن يقتصر على هذا البيت ولا يتم قراءة القصيدة، وأمر له بألف دينار، وقيل: لم لم تسمع تمام القصيدة؟ فقال: وما عساه أن يقول بعد هذا البيت؟ أى لا يأتي بأمدح منها، وأخذ يجيزه كل يوم ألف دينار على قراءة هذا البيت إلى أن بلغت أربعين ألفاً، وكان عبد المؤمن هذا عاقلاً حازماً شديد الرأي حسن السياسة كثير البذل للأموال، إلا أنه كان سفاكاً للدماء على الذنب الصغير، وكان يعظم أمر الدين ويلزم الناس في كل بلاده بالصلاة، وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين، وكانت له معرفة بالشعر والأدب، يحكى عنه أنه مر ببعض طرق مراکش ومعه وزيره أبو جعفر بن عطية فأطلت من شباك جارية بارعة الجمال.

فقال عبد المؤمن: قدت فؤادى من الشباك إذ نظرت

فقال ابن عطية: حواء ترنو إلى العشاق بالمقل

فقال عبد المؤمن: كأنما لحظتها في قلب عاشقها

فقال ابن عطية: سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي

وتوفي عبد المؤمن سنة ٥٥٨^(١) وعمره ثمان وستون سنة، ومدة ملكه ثلاث وثلاثون سنة، وهو أول ملوك هاته الدولة، ومدتها مع مهديهم مائة وأثنا وخمسون سنة، وكانت من أعظم الدول الإسلامية وكانوا يدعون على المنابر إلى مهديهم محمد بن تومرت ويضربون اسمه على السكة، ومن أصحاب ابن تومرت عمر بن يحيى الهنتاتي صار بعد المهدي من وزراء عبد المؤمن، وأعطى بنو عبد المؤمن أولاد عمر المذكور ولاية تونس فكانوا يسمون بالحفصيين، وسنقص عليك خبرهم، وابن تومرت هذا مضى لنا ذكره في ترجمة أبي بكر بن العربي.

قال بعض العلماء: إنه أراد بقيامه إظهار الحق فاجتهد وأخطأ، وقال بعضهم: إنه كان على الأمة شرًّا من الجحاج ويزيد، وأخباره طويلة الذيل مذكورة في التواريخ.

أما الأمير حسن الصنهاجي المذكور فإنه أقام بالمهدية إلى أن توفي عبد المؤمن، وتولى بعده ابنه يوسف المتوفى سنة ٥٨٠، فاستقدم الحسن إلى المغرب ومات بالطريق وهو آخر ملوك صنهاجة، وبه انقطعت كواكب سعادتهم وأجلت عن منازلهم الشمس والأقمار، والملك لله الواحد القهار، وهذه الدنيا لا يدوم نعيمها ولا يئأس سقيمها، وبهذا جرت عادة الله في خلفه إنما الدهر دول بعد دول، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، كما جرت عادته في بيوت أهل الفضل والتفرف والملوك وغيرهم إذا تطاول عليها الزمان واعتمد الأبناء على ما بنته الآباء، ولم يحصلوا على شرف من قبلهم، فلا يلبث فيهم الاشتغال بالتفرف ونضارة العيش أن يهدم معالمهم التي بناها آباؤهم وغفلوا عن تجديدها والذود عنها.

واعلم أن صنهاجة قبيلة من قبائل البربر، والمصامدة قبيلة من قبائل البربر أيضاً ومنها عبد المؤمن بن علي، واختلف النسابون والمؤرخون في نسب البربر اختلافاً كثيراً وتقدم الكلام على ذلك.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «سنة ٨٥٨» وصوابه لدى ابن خلكان ٢٣٩/٣.

تنبيه: قد علمت أن العلم انقطع من القيروان بانقطاع العلماء منها وانتقال كرسى المملكة منها إلى المهديّة، وظهر بها فحول من العلماء والأدباء منهم: ابن النحوى، والإمام المازرى، وأبو الصلت أمية بن عبد العزيز، وابن البشير، وأبو محمد التيفاشى.

الطبقة الثانية عشرة

قد علمت أن إفريقية آل أمرها إلى الخليفة عبد المؤمن بن على بنى دولة الموحدين على يد المهدي محمد بن تومرت، ومن القائمين بدعوة هذا المهدي: أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى، يرجع نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله القدم الراسخة فى دولة عبد المؤمن والمواقف الشهيرة والمقامات الحميدة وتوفى سنة ٥٧٥.

ولما آلت الخلافة إلى يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن المتوفى سنة ٥٩٥، استوزر أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص المذكور وابنه الآخر أبو سعيد ولاء إفريقية فدخلها واشتغل بتونس واستعمل أخاه أبا على على المهديّة ولم يتم له أمر، وفى خلال تلك المدة وصل أبو زيد بن أبى حفص بن عبد المؤمن إفريقية والياً عليها بدل أبى سعيد وخرجت فى تلك المدة المهديّة وسائر الجهات القبليّة عن أبى زيد المذكور واستولى عليها يحيى بن إسحاق الميورقى من بنى غانية، ثم استولى على تونس وقبض على أبى زيد المذكور فى ربيع الأول من أول عام من المائة السابعة، ولما آل أمر الخلافة للناصر بن المنصور المذكور بوفاة والده وبلغه ما حل بإفريقية توجه لها فى عسكره واستصحب وزيره أبا محمد المذكور ودخل تونس ووجه وزيره المذكور للمهديّة فافتكها وغيرها من ابن غانية سنة ٦٠٢ فى أخبار طوال ودانت له البلاد ثم رجع الناصر لمحل خلافته واستخلف على إفريقية وزيره المذكور وكانت وفاة الناصر سنة ٦١٠ وتولى بعده ابنه المنتصر يوسف المتوفى سنة ٦٢٠.

تنبيه: من أعيان المعاصرين لهؤلاء الأمراء: ابن الحداد، وأبو الحسن السوسى، وابن عوانة.

الطبقة الثالثة عشرة

تقدم أن الناصر استخلف على إفريقية وزيره أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص الهنتاتي، وهنتاتة من قبائل المصامدة، وهم القائمون بدعوة المهدي والسابقون لها، وكان قبوله الاستخلاف بعد تمتع وشروط شرطها عليه وفي له بها الناصر وذلك في شوال سنة ٦٠٣، وكان عالمًا ذكيًا شجاعًا ومما يدل على ذكائه هو أنه دخل عليه يومًا أبو محمد عبد السلام البرجيني وكان تحت جفوة منه فقال له: كيف حالك يا فقيه؟ فقال: في عبادة، فقال له الأمير عبد الواحد: تعوضها إن شاء الله بالشكر، وأراد البرجيني بقوله: في عبادة، قول رسول الله ﷺ: «انتظار الفرج بالصبر عبادة».

وله حروب طالت لم تحزم فيها له راية، ولم يزل على ولايته في جلالة إلى أن توفي في تونس فاتحة سنة ٦١٨، وتقدم للولاية ولده أبو زيد عبد الرحمن، ثم قدم المنتصر عمه إدريس واليًا على إفريقية ومعه ابنه أبو زيد عبد الرحمن وله مع ابن غانية حروب وتوفي سنة ٦٢٠.

وقام مقامه أبو زيد المذكور ولم يحسن السيرة، ولما تولى الخلافة عبد الله العادل ابن المنصور عزله وولى أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن الحفصي على إفريقية فدخلها في شعبان من السنة ومعه أخواه أبو زكرياء وأبو إبراهيم، ولم يزل حميد الحال إلى أن ثار عليه أخوه أبو زكرياء المذكور ووقعت بينهما حروب آلت باستيلاء أبي زكرياء على إفريقية واستقلاله بها وذلك سنة ٦٢٥، ومهد دولة فخيمة لآل أبي حفص ورفع رايته كما ستعلم، واستقام له الأمر بعد موت ابن غانية واستولى على الجزائر وتلمسان وغيرها وخلع دولة بني عبد المؤمن لأسباب ذكروها، واتسع نطاق سلطانه ووافته بيعة ملوك شرقي الأندلس وغيرها، وأطاعته سحلماسة وسبته وطنجة ومكناسة وخطب له بنو مرين، وكان من العلماء العاملين والأمراء العادلين ختم على الشيخ الرعيني السوسي المستصفي وغيره من الكتب العالية، وناظر في النحو ابن عصفور وكان معدودًا من الأدباء الشعراء، وله مآثر جيدة وهو الذي بنى جامع القصبة والمدرسة الشماعية وجمع في

خزائنه من الكتب ستة وثلاثين ألف مجلد، وفي سنة ٦٤٤ تحرك للمغرب ومات في طريقه ودفن ببونه ثم نقل إلى قسنطينة، وترك من الأولاد أربعة: محمد المنتصر وأبا إسحاق وأبا بكر وأبا حفص.

وفي هاته السنة توفي السلطان الشهير الذكر الجليل القدر صلاح الدين الأيوبي.

واعلم: أنه لما تأسست الدولة الحفصية انتقل سرير الملك لتونس بعد أن كان بالمهدية، واستقام أمرها وشاع ذكرها، وتراجع العمران بإفريقية وتتابع، وبلغت أوج العلاء وبسطة الملك وصارت دار علم تلقاه فحول عن فحول، وصارت تونس منبت عز تشد إليها الرحال من سائر الأقطار والأمصار، والفضل في ذلك لأبي زكرياء المذكور.

نوه بذكره ولي الدين بن خلدون وغيره، وقال: سند تعليم العلم قد كاد أن ينقطع من المغرب بإخلال عمرانه وتناقص الدولة فيه وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع أو فقدانها، وذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس واستبحر عمرانهما وكان فيهما من العلوم والصنائع أسواق نافقة وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما، فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب إلا قليلاً ثم تراجع.

وفي كتاب اللقطة من شرح الأبي على صحيح مسلم: لم يزل الشيوخ يحكون عن كثرة ما كان بتونس من الخير.

حكى أنه بقى دينار ملقى بطريق العطارين مدة لم يرفعه أحد ثم بعد ذلك لم يوجد، فقال الناس: اليوم دخل لبلدنا غريب، وحين كانت قاعدة الموحدين مراکش وكانت القضاة يأتون لتونس منها فاتفق أن قدم إليها قاض من مراکش فجلس للحكم فبقى أياماً لا يأتيه أحد من الخصوم فظن أن الناس لم يرضوا به، ثم قدم إليه يوماً خصمان من سوق الجبة فقال أحدهما للآخر: أصلحك الله إن هذا شريكى وقد باع جبة من العرب وأنا لا أستحل دراهم العرب، فحينئذ علم القاضى أن عدم إتيان الخصوم إليه إنما هو لتناصفهم واتباعهم الحق. اهـ.

وفي أيامه تقدم للقضاء أبو زيد عبد الرحمن بن نفيس ثم استعفى، فتقدم عوضه أبو زيد عبد الرحمن التوزري المعروف بابن الصايغ، وفي أيامه سنة ٦٣٨ توفي الولي العالم أبو سعيد الباجي بن بخلف يدعى التميمي.

فصل

قد علمت مما تقدم أن الدولة الأموية انقرضت سنة ٤٢٨، وتفرقت الأندلس إلى ممالك ملوكها تعرف بملوك الطوائف، وبذلك رجع أمر الأندلس للقهقري، ثم جدد الموحدون الرنق الذي كان لها زمن الأموية فقد جدد كل من عبد المؤمن ويوسف ويعقوب مجدها وحاموا عن العلوم والصناعات، وعملوا بالشريعة الإسلامية، وأسسوا مدارس عامة وأخرى للشبان وغمروا بعطايهم علماء الإسلام، واشتهر في زمنهم بالطب والفلسفة وقرض الشعر ابن رشد الحفيد وابن زهر.

وأنشأ الأمير يوسف بإشبيلية عمارات فاخرة، وأوصل لها مياهًا غزيرة، وبنى جامعًا صرف عليه مصاريف طائلة، وأنشأ في جميع جهات المملكة مستشفيات وتكايا وحفر آبارًا بالصحارى، وخانات في الطرق للمسافرين، وزاد في مرتبات القضاة والفقهاء للاستعانة وملوك الأندلس صارت عمالاً له.

ثم لما حصل ضعف لهاته الدولة اغتتم العدو الفرصة وصار يقطع كثيرًا من المدائن والمعاقل والحصون ويستولى عليها حيث لم يوجد بالأندلس من الجيوش والرجال من يدافع العدو ويقاتله، ثم في سنة ٦٢٦ استولى على كورة ماردة وفي سنة ٦٢٧ على ميورقة وفي سنة ٦٢٩ على جزيرة شقرة وفي سنة ٦٣٦ على قرطبة وعلى شرقى الأندلس شاطبة وغيرها سنة ٦٤٥، وفي السنة قبلها على طرطوشة وما يتبعها من القلاع والحصون وفي السنة بعدها على إشبيلية.

وبيان الوقائع في أخذها يطول الكلام بذكره وذلك مشتمل على ما تتفرح له الأكباد وتنسجم له العيون، ولما أخذت هذه المدائن انحاز المسلمون إلى قطعة من شرقى الأندلس وأول من قام بالأمر في هاته الجهة من بني الأحمر محمد بن نصر وكان أبوه نصر في دولة عبد المؤمن من أمراء الأجناد ومحمد بن نصر هذا يقال له

محمد الشيخ وبويع له سنة ٦٢٩ وخطب لأبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد الحفصي صاحب تونس ودخل مع ابن الأحمر في تلك البيعة أهل فيان وشريش، والطاغية في ذلك الوقت محاصر بلنسية وذلك سنة ٦٣٦، ثم أرسل ابن الأحمر جماعة من أعيان أهل الأندلس، منهم: ابن عصفور، وحبر قضاة ابن الأبار مستصرخين به يريدون منه النجدة في قتال العدو، وعقد أبو زكرياء لتلك البيعة يوماً مشهوداً.

وأنشد حبر قضاة المذكور القصيدة المشهورة التي أولها:

أَذْرِكْ بِحَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَتَدُلُّنَا إِنْ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاةِهَا دَرَسَا
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسْتَ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عَزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا
وهي طويلة بليغة مذكورة في نفح الطيب^(١).

فأجاب أبو زكرياء بيعتهم، ولبي دعوتهم وجهاز لهم أساطيل فيها المال والرجال، فلما وصلوا الأندلس وجدوا العدو ملك بلنسية ثم مرسية، وهاته الطامة الكبرى والمصيبة العظمى على الأندلس كانت عقب واقعة العقاب الواقعة سنة ٦٠٩، ثم واقعة انجية التي استشهد فيها شيخ الجماعة وخاتمة المحدثين مؤلف السيرة أبو الربيع الكلاعي، وصارت بعد هذه الهزائم والنواب إلى الانقسام والتنافس مع كثرة الفتن والاضطراب، وانحاز المسلمون لغرناطة وجنوب الجزيرة وهاجر الكثير من الفضلاء والعلماء إلى فاس ومراكش وتونس وتلمسان.

في خلاصة تاريخ العرب ما ملخصه: فاق مسلمو الأندلس الفرنج في العلوم والصنائع والأخلاق كبذل النفيس والكرم، مع ما امتازوا به من معرفة قدرها وعزتها، حتى ذهب الكثير منهم إلى قرطبة يستشيرون حكماءها المشتهرين بالطب، وكان المسلمون في سائر الجهات منقادين لأبي العائلة مجلين للشيوخ ذوى غيرة شديدة على مراعاة العدل أصغرهم كأكبرهم بالاعتناء بحفظ العائلة من العار، لا يمنع حمول أصل أحدهم من الوصول إلى أرقى المناصب، غير معولين في اعتبار

الشخص على شرف حسبه ونسبه فقط، بل على اعتبار فضائله وأخلاقه، وكانوا متفنين في الفهم والعمل بالقرآن الدال على أهمية اكتساب الفضائل والأعمال الصالحة، ولذا كان الخلفاء يشوقون الناس إلى الشغل ووقاية الأملاك من العدوان، والذي ساعدهم على بلوغ شأو العظمة اتساع العلوم والفنون والفلاحة والصنائع.

ذاق جميعهم لذة المعارف وتنافسوا في ابتكار ما يمتازون به، وكان اقتراحهم للشعر يرفع قدر نفوسهم، ولا بد لقضائهم من حوز معلومات عويصة حتى يعتبرهم الناس زمن قيامهم بوظائفهم، وكانوا يكتبون على جميع المباني الجليلة اسم المهندس والأمر بالتشييد ويجزلون الثناء على كل ماهر في فن وقد بلغوا الدرجة العليا في فنون العمارة والموسيقى والقريض، ولذا اقتفى الفرنج أثرهم في أساليب أبنيتهم وزخارفها، وأتقنوا أجناس الأصوات وما في الصوت البشري من الدلائل والطرق النغمية، ومارسوا ضروب الشعر خصوصاً نظم الحكايات المشتمة على نكت مشوقة، فبرع فيها الكثير وتعلموا في المدارس علم الفلك والجغرافيا والمنطق والطب والنحو والهندسة والجبر ومبادئ علم الطبيعة والكيمياء الطبيعية والتاريخ الطبيعي وهو علم المواليذ الأرضية الثلاث، ملئت كتبهم نسخاً منقولة عن كتب علماء اليونانيين من كتب فلاسفة الإسكندرية، واستخرجوا المعادن من الأرض واللؤلؤ والمرجان من البحر، وأتقنوا صناعة الدباغة ونسج القطن والأقمشة الحريرية والصوفية ونصال السلاح والسروج والجلود وغير ذلك، رغب جميع أهل أوروبا كل الرغبة في ذلك وابتجروا في الزيت والعنبر الخام وبلور الصخور والكبريت وغير ذلك واستعملوا طريقة تماثل أوراق الحوالة وكانوا يرسلون البضائع إلى الممالك الشرقية فيرسلون إليها بدلها مما هو مفقود عندهم، وبذلوا غاية عنايتهم بالفلاحة.

وكان عمدائن إشبيلية وقرطبة وغرناطة ومرسية وطليطلة وغيرها كتبانات ومدارس جليلة تدرس فيها العلوم الرياضية.

وبالجملة فإن المسلمين بذلوا صادق الهمة والعزيمة في تعلم وتعليم العلوم على اختلاف أنواعها، رغمًا عما طرأ من الحوادث والتقلبات وحوادث الحروب الصليبية، وتقدموا تقدمًا محسوسًا باعتناء العلماء وبعض الملوك والعلوم المشار لها رياضية وهندسية وهى الفلك والأرصاد والهيئة والأسطرلاب والزيج والحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيك والجغرافية رياضية وتخطيطية وتعرف بعلم تقويم البلدان، وتحديد المسافات والخرائط على مقتضى الأطوال، والعروض، والعلوم الرياضية هى المتعلقة فى الغالب بالأجسام العضوية وهى الحيوان والنبات، وارتفعت فى زمنهم إلى درجة البحث عن القوى الطبيعية والجواهر الأولية التى تحلل لإدخالها فى مركبات أخرى ويعرف بعلم قواعد تحضير الأدوية، وحصلت لهم براعة فى ذلك وأنشئوا الاجزخانات الكيماوية وأدى إنشاؤها والمادة الطبيعية للذان هما أول ما يلزم لفن الطب الاشتغال بعلم الكيمياء وهو عبارة عن مجرد التحليل والتركيب وبما حصل لهم من المعارف فى ذلك أدخلوا فى الأدوية نباتات كثيرة ومادات ترابية.

واعتنوا بغرس كثير من النباتات وتركيب طبقات الأرض، وبعبارة أخرى إنها بلغت معارفهم فى الزراعة والاقتصاد الزراعى وقواعد الطب وعملياته والتشريح والأدوية المفردة والنباتات والأحجار والمعادن والحيوانات ذوات الخواص الطبيعية أقصى درجات الكمال، ونبغ فى ذلك كثير من العلماء الجهابذة وألفوا التأليف البارعة، حفظ التاريخ أسماء كثير منهم كما حفظ أسماء كثير من الملوك الذين يدعون العلماء والحكماء إلى دواوينهم ويمدوهم بالأموال الجزيلة للغرض المذكور، وشوهدت مؤلفات كثيرة من تلك الفنون فشئت بها اللغة العربية لدى الممالك الإسلامية والأروباوية وترجم بعضها إلى اللغات الأجنبية واتخذت أصلًا من أصول التعليم فى المدارس.

وتكون من معظم تلك التأليف الموجودة الآن علم أدبى من أوسع العلوم الأدبية المعروفة فى الدنيا، ولهم اختراعات واكتشافات من ذلك بيت الإبرة وصناعة الورق وبارود المدافع والأسلحة النارية وانتشارها فى الدنيا.

ثم قال بعد شرح ما ذكر: وبما أسلفناه يظهر لك كيفية تحكم الإسلام على جميع فروع تمدن أوربا الحديث، وكان عندهم أوسع ما سمح به الدهر من الأدبيات ونتائج أفكارهم الغزيرة واختراعاتهم النفيسة، وأنهم أساتذة في جميع الأشياء كالمواد المختصة بتاريخ القرون المتوسطة وأخبار السياحات والأسفار وقواميس سيرة الرجال المشهورين والصنائع العديمة المثال، والأبنية الدالة على عظمة أفكارهم واستكشافاتهم المهمة.

ولذا كله وجب الاعتراف برفعة شأن هذه الأمة المحمدية التي تحقرها الفرنج منذ أزمان مديدة وظهر بذلك تحكم التمدن العربي المتسع، ونشأ عن ذلك العمران الزاهر، فكان بالأندلس ست نخوت، وثمانون مدينة كبيرة، وثلاثمائة مدينة أقل منها، وما لا يحصى من الضياع والقرى، وفي قرطبة وحدها مائتا ألف بيت وستمائة مسجد، وخمسون مستشفى للمرضى وثمانون مدرسة كبرى عامة، وتسعمائة حمام وعدد ساكنيها مليون وليقس ما لم يقل، وجامعها المشهور زخرفة وضخامة الباقي إلى الآن، يضاهي في الفخامة الجامع الأموي بدمشق، انتهى باختصار كثير مع تقلص وتأخير من خلاصة تاريخ العرب.

وقد أتى على أخبار الأندلس الشهاب المقرئ في نفح الطيب وأزهار الرياض وأشبع الكلام عليها بما فيه تذكرة وعبرة لذوى الألباب.

واعلم أن الأندلس اشتمل على فحول العلماء الميرزين في كثير من الفنون، ترجمنا الكثير منهم في المقصد واشتمل على كثير من العجائب والمعادن وغير ذلك.

في نفح الطيب: خص الله بلاد الأندلس من الريع وغدق السقيا ولذاذة الأقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه، وتبحر العمران، وجودة اللباس، وشرف الآنية، وكثرة السلاح، وصحة الهواء وبيضاض ألوان الأسنان، ونبل الأفهام، وفنون الصنائع، وشهامة الطباع، ونفوذ الإدراك وإحكام التمدن بما حرمة الكثير من الأقطار مما سواها.

وقال أيضاً: إن الأندلس بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصب الجنان، منبجس الأنهار الغزار، والعيون العذاب، قليل الهوام وذوات السموم، معتدل الهواء والجو والنسيم، ربيعته وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال متوسط الحال، تتصل فواكهه أكثر الأزمنة وتدوم ملاحقه غير مفقودة.

وقال أيضاً: في الأندلس من أنواع المعادن ما لا يحصى، وفيه المدن الحصينة، والمعقل المنيع، والقلاع الحريزة، والمصانع الجليلة، وطول الأندلس ثلاثون يوماً، وعرضه سبعة أيام ويشققها أربعون نهراً كباراً، وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وأزيد من ثلاثمائة من المتوسط وفيها من الحصون والقرى ما لا يحصى.

قيل: إن عدد القرى التي على نهر إشبيلية اثنا عشر ألفاً.

وكانت دور قرطبة أربعة عشر ميلاً وعرضها ميلان، وكانت قرطبة قبة الإسلام وبها استقر سرير الخلافة الأموية، وهي معدن العلماء وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، ومسجدها ليس له نظير في الدنيا طوله ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وعرضه مائتان وخمسون ذراعاً وسواريه ألف وأربعمائة، وهو مزخرف بالرخام والمرمر وماء الذهب واللازوردى.

وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منها منبر وفقه مقلص تكون الفتيا في الأحكام إليه، وكانوا لا يكون فيهم مقلص إلا من حفظ الموطأ وقيل: إلا من حفظ عشرة آلاف حديث وحفظ المدونة، وكان هؤلاء المقلصون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويخبرونه بأحوال بلدهم ويجعلون في مساجدهم نواباً يصلون بالناس الجمعة.

وقال^(١): الأندلس ينقسم إلى مشرق ومغرب ومتوسطة وكل واحد من الأقسام الثلاثة مشتمل على مدائن عظيمة، كل مدينة منها مملكة مستقلة مشتملة على أعمال وقرى ومزارع وبساتين وأقطار واسعة وخلائق لا يحصون في غاية التنعيم والرفاهية.

(١) نفع الطيب ١ / ١٦٥ وما بعدها.

فمن المتوسطة قرطبة وطليلة وجيان وقسطلة وغرناطة وألمرية ومالقة وغير ذلك مما يطول ذكره.

ومن شرق الأندلس مرسية وبلنسية وشاطبة ودانية والسهلة والثغر الأعلى وسرقسطة وغير ذلك مما يطول ذكره.

ومن غرب الأندلس إشبيلية وماردة وأشبونة وشلب وشريش ولبله والخضراء وبطلوس وغير ذلك مما يطول ذكره.

ولما ضعف أمر الخلافة وافترق أمر الأندلس وكثر الخلاف بينهم وانتشرت الفتن صارت الممالك بيد ملوك كثيرة — يسمون ملوك الطوائف — لكل مملكة ملك مستقل ينفذ أمره ونهيه فيما كان تحت يده وهم مختلفون في اتساع ممالكهم وعدم اتساعها وكان ابتداء تفرق الممالك من سنة ٤٠٧، وصار يقاتل بعضهم بعضاً فيغلب بعضهم على بعض، وكان عدد أولئك الملوك خمسة عشر لا حاجة لذكر أسمائهم.

وأعظم تلك الممالك قرطبة بيد المعتضد بن عباد المتوفى سنة ٤٦١ وصارت وراثته في بنيه. انتهى محل الحاجة باختصار.

وغرناطة التي انحاز المسلمون لها بعد تغلب العدو على غالب الأندلس صارت كرسى المملكة مأوى المسلمين المتشتتين لكثرة خيراتها الجاذبة وكثرة المهاجرين لها حين أخذ الملك جاك يطرد المسلمين مما استولى عليه.

وقد أحسن ملوك غرناطة الترتيب السياسى فرتبوا في كل بلدة خفراء منها، وأعطوا جميع سكانها سلاحاً يستعملونه حالة هجوم العدو عليهم فرفعوه مرات على ملوكهم المتنعين من أداء واجباتهم الملوكية أو الذين لا يعثون بمشاورة الأمة، وجعلوا للعساكر المحافظين بالثغور إقطاعات من الأرض تكفيهم وعائلتهم لتبعثهم على الوقاية من الأعداء، ورتبوا في غرناطة التي دائرتها أكثر من ثلاثة فراسخ ضبطية في كل ثمن منها ضابطاً، ورتبوا عساكر تدور ليلاً، وعملوا قوانين لئلا يغلق المحال العامة كالأسواق، وخصصوا كل حرفة بطائفة، ومنعوا شرب الخمر والربا، وابتكروا في كتابة الحجج والصكوك طرائق واضحة تمنع المنازعة،

وشغلوا العلماء بتأليف رسائل في الصنائع العملية، وانقاد الأئمة والفقهاء لقوانينهم النظامية، وأحدثوا لتأدية العبادة قوانين تنبئ عن كمال إيمانهم وعلو أفكارهم وشرف التأديب والتهديب الديني، منها انعزال النساء عن الرجال في المساجد، وإكثار الطاعة في رمضان، وتوزيع الزكاة والصدقات على الفقراء، أو إبقاؤها لتنفق في عمارات عامة وغير ذلك.

وبما سلف يعلم أن مملكة غرناطة نظرًا لما كانت عليه من الأمور الجليلة تستحق أن تعتبر في التاريخ من الممالك الشريفة، لكن ساء حظها حيث لم يكن توارث سلطنتها مقررًا على قواعد متينة، فتولاها بعد الملوك الجديريين الذين يتعجب الأجيال المتغلبة من عدلهم وحسن سياستهم، ملوك جبابرة ليسوا بكفء للسلطنة التي عجلوا زوالها من الأندلس ولا حاجة لذكر سلسلة هؤلاء الملوك، وسيأتي ذكر هذا الزوال والملك لله ذي العزة والجلال.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: ابن التين، والبرجيني، وابن شقر، والبرقي، والمسراتي، والرعيبي السوسى.

الطبقة الرابعة عشرة

لما هلك أبو زكرياء بايع الملاء ابنه محمدًا ولقبوه بالمستنصر ودعوه بالأمر، واشتهر بالفضل والاعتدال وحسن السيرة والعلم وحميد الخصال وطار صيته في الآفاق، وكان العلم في أيامه بحرًا زاهرًا وقمرًا باهرًا، وعلت دولته ومدت إليه ثغور القاصية يد الاعتصام، واجتمع بحضرته من أفاضل أعلام العلماء الوافدين عليه وعلى أبيه وخصوصًا الأندلس من شاعر مفلق وكاتب بليغ وعالم نحرير وملك أروع متفيئين ظل مملكته لائذين به، منهم: حازم ومدحه بمقصورته المشهورة، وأبو الحسن بن سعيد، وابن الأبار وأضرابهم وأبو محمد عبد الحق بن برطلة وفد عليه ببيعة أهل مكة شرفها الله، وتلا قصيدة من إنشاء أبي محمد عبد الحق بن سبعين الصوفي المشهور، ووقف القاضي أبو القاسم بن البراء المذكور على منبر جامع الزيتونة يوم قراءتها موقفًا مشهورًا وذلك سنة ٦٥٩ واتسع ملكه وقوى سلطانه وأباد مخالفه.

وقيل في هاته البيعة:

اهناً أمير المؤمنين بيعة . وافتك بالإقبال والإسعاد
فلقد حباك بملكه رب الورى فأتى يبشر بافتتاح بلاد
وإذا أتت أم القرى منقادة فمن المبرة طاعة الأولاد

وفي السنة قبلها قبض على ابن الأبار المذكور، وكان كاتباً له ولأبيه من قبله، وأمر بقتله وحرق جثته وتآليفه وكتبه.

وفي سنة ٦٥٩ قبض أيضاً على وزيره الفقيه العالم أحمد ابن الليثي شارح المدونة ومات تحت العذاب وأحرق جثته، والكمال متعذر إلا فيمن عصمه الله، وغزاه صاحب فرنسا سان لويز الغزوة الشهيرة آخر سنة ٦٦٨، ونزل قرطاجنة واستوسع فيها بجنوده وذخائرها وعظم الخطب على أهل تونس، واتصل القتال نحو الأربعة أشهر، وضاق الخناق ثم تدارك الله سبحانه وتعالى أهالي المملكة بهلاك هذا الملك بالطاعون.

وعرضوا على أبي عبد الله المنتصر الصلح فصالحهم بما غرموه في حركتهم وكان مبلغاً جسيماً على يد القاضي ابن زيتون المذكور وانعقد بإنشائه وخرج الفرنسي من قرطاجنة لبلاده، وهنى هذا الأمير بهذا النصر الذي لم يكن في الحساب.

قلت: وفي هذا العهد بقرطاجنة كنيسة ضخمة تعرف بسان لويس بها جماعة من الرهبان، وبها دير مملوء بالآثار العتيقة العجيبة والتحف المستظرفة الغريبة التي هي في الحقيقة كثر من الكنوز المدخرة.

ولم يزل هذا الأمير على حاله من علو الكعب وبعد الصيت واتساع السلطان واتخاذ المصانع الباقية آثارها إلى هذا العهد وتوفى على الكعب آمن السرب سنة ٦٧٥، كان يقول: ما يسألني الله عن أمور الأمة بعد أن قدمت عليهم للقضاء أبا عبد الله محمد الخباز.

وقد أفرد ولي الدين بن خلدون فصلاً في أخباره يكتب بماء العيون ولا يتعلق بأذياله الطامعون.

وبويع لابنه يحيى ولقب بالوائق، فرفع المظالم وأفاض العطايا ثم فسدت بطانته من استبداد وزيره ابن الغافقى وسوء سيرته، وبلغ ذلك عمه أبا إسحاق فسار من الأندلس وأخذ بجاية وبايعه الموحدون، ووقع خلع الوائق ثم قتل سنة ٦٧٩ وكان دخول أبي إسحاق لتونس في ربيع الثاني سنة ٦٧٨ وتمت له البيعة، ثم قام عليه أحمد بن مرزوق المسيلي البجائي، وزعم أنه المهدي، واستولى على طرابلس وغالب بلاد إفريقية، وأخيراً استولى على تونس، ثم قصد بجاية وغيرها وظفر في وجهته هاته بأبي إسحاق، وقتله في أخبار طوال وذلك سنة ٦٨٢.

ولما ساءت سيرة هذا الدعي بايع العرب أخاه أبا حفص عمر، وهو إذ ذاك بقلعة سنان، ولما بلغ ذلك الدعي، خرج لقتاله واتصلت بينهما الحرب، ثم لما انحلت عصبيته اختفى، وكان كذاباً سفاكاً للدماء ظلوماً، لم يأت بحسنة إلا إحداث جامع الخطبة خارج باب بحر من تونس.

ولما اختفى دخل أبو حفص تونس وطهر سرير ملكه من هذا الدعي الخبيث ثم وقع العثور عليه ومثل به وطيف بشلوه سنة ٦٨٣، وحصل الاطمئنان واستقام أمر السلطان، وبادر الناس بطاعته من طرابلس إلى تلمسان ولقب بالمنتصر بالله.

ثم خرج عليه أبو زكرياء بن أبي إسحاق المذكور وانضمت إليه الأعراب وأطاعته بجاية والجزائر وبسكرة والثغور الغربية واتقسمت الدولة لدولتين، وفي أيامه استولى صاحب صقلية على جربة، وعهد بالولاية لأبي عصيدة محمد بن الوائق بإشارة من معتقده الولي الصالح أبي محمد المرحاني وتوفي في ذى الحجة سنة ٦٩٤، وكان ملكاً عاقلاً كريماً فاضلاً لم تحدث منه عقوبة لأحد يعظم العلماء والصلحاء ويبرهم، وكانت أيامه أيام عدل وهناء وأمن وسرور.

تنبيه: قال ولي الدين بن خلدون: لا وثوق في الحرب بالظفر وإن حصلت أسبابه من العدة والعديد، وإنما الظفر فيها من قبيل البخت والاتفاق. انتهى.

قلت: يؤيده حرب ابن مرزوق المذكور وأشباهاها، والله يؤيد بنصره من

يشاء.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء ابن عريبة، وابن بزيمة، وابن البراء، وابن الخباز، وابن زيتون، وابن الأبار، وابن سعيد، وابن الغماز.

الطبقة الخامسة عشرة

تقدم أن أبا حفص عهد بإفريقية لأبي عصيدة المستنصر محمد بن الواثق وتمت له البيعة لما توفي أبو حفص، وانشرح الناس لها وكانت أيامه مواسم وتوفى سنة ٧٠٩.

وبويع لأبي بكر الشهيد عبد الرحمن بن أبي بكر بن يحيى بن المنتصر بالله بن أبي زكرياء، ولما بلغت هاته البيعة خالد بن أبي زكرياء بن أبي إسحاق إبراهيم وهو إذ ذاك أمير قسنطينة وغيرها خرج لتونس وخرج له أبو بكر في جنده غير أن غالب الجند مال لخالد، فانهزم ثم وقع القبض عليه وقتل ولذا سمي الشهيد وكانت ولايته سبعة عشر يومًا.

ودخل خالد الحاضرة وتمت له البيعة، ولما استوثق أمر خالد لقب الناصر لدين الله وأفتك برجال الدولة، وثار عليه أخوه أبو بكر وكان خلفه واليًا بقسنطينة واضطرب الحال بإفريقية.

ولما بلغ هذا الاضطراب لأبي يحيى زكرياء بن أحمد بن محمد اللحياني وهو بطرابلس عزم على تملكها وبايعه أهل طرابلس وراسله الثائر أبو بكر المذكور مظاهرا له على أمره فاشتد به عضده، وقصد الحاضرة فصباحها وانحلت عرى خالد وأشهد على نفسه بالخلع وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر.

وبويع لأبي يحيى المذكور في رجب سنة ٧١١، وهادن الأمير أبا بكر ثم استعجل أمر أبي بكر وانضمت في طاعته زناتة وقصد إفريقية سنة ٧١٦ فهابه أبو يحيى، وكان قد أسن فأشرك رؤساء الأعراب في سلطانه، ولما لم يتم له معهم أمر قبض يده عن الخلافة وشرع في بيع ذخائره وجمع القناطير من الذهب والكثير من نفائس الدر والياقوت وخرج إلى قابس مواريا يتفقد جهاتها سنة ٧١٧، ثم ارتحل إلى طرابلس وأخرج رجال دولته ابنه المعتقل من السجن أبا ضربة محمداً وبايعوه والأعراب في اضطراب، وقصده الأمير أبو بكر المذكور سنة ٧١٨، فالتفت

القيروان على أبي بكر وخلعوا أبا ضربة ودخلوا تونس فملكوها، وكانت ولايته تسعة أشهر، وتم الأمر لأبي بكر، وهو أبو بكر ابن الأمير أبي زكرياء ابن الأمير أبي إسحاق وله مع أبي ضربة وغيره حروب يطول جليها، وكان الظفر له فيها، وعز سلطانه وعلا كعبه ورسخت قدمه وطالت مدته وابتهجت به حضرته وعهد بالولاية لابنه أبي العباس وفاجأه المحتوم في رجب سنة ٧٤٧.

ولما توفي تمت البيعة لابنه أبي حفص وعدل عن ولاية ابنه أبي العباس، ثم ثار أبو العباس هذا عليه وقدم الحاضرة فملكها سنة ٧٤٧، ثم ظفر به أخوه أبو حفص وقتله، وأبو حفص قتله السلطان المريني الآتي ذكره سنة ٧٤٨، وكان قتله بقابس وولايته عشرة أشهر.

وكان قدوم السلطان أبي الحسن المريني من المغرب إلى الحاضرة في السنة في جند عظيم وصحبته الكثير من علماء المغرب وأدبائه منهم السطى والأبلى، وابن الإمام، وابن عبد المهيمن، وابن الصباغ، ودخل تونس في أعظم أبهة وأحسن احتفال، وله في إقامته بإفريقية أخبار طوال، وأصلح الفساد، ومحا دولة بني أبي حفص واستقام له الحال، ثم دارت عليه الدوائر من الأعراب وحلت به نوائب وأهوال وآل أمره للرجوع إلى المغرب في أساطيله سنة ٧٥٠، وقاسى في طريقه الشدائد والمصائب وأحاطت به النوائب وغرق أسطوله، وبه الكثير من أفاضل العلماء منهم السطى.

وفي مدة إقامته بإفريقية كان الوباء الجارف ضاربا خيامه بها، وبأثر خروج هذا السلطان من الحاضرة دخلها والى بونة أبو العباس الفضل بن أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى واستقل بالأمر وجدد الرسوم الحفصية، ثم قتل في جمادى الأولى سنة ٧٥١.

تنبيه: من مآثر أبي زكرياء اللحياني المذكور تجديد أبواب جامع الزيتونة الجوفية من عود الساج سنة ٧١٧، ولا زالت على حالها إلى هذا العهد، ورحلة التجاني المشهورة كانت صحبته، وكان عالما معظمًا للشريعة فاضلا أميرًا عادلا، ومن عدله أنه مكن القاضي ابن عبد الرافع من ابنه أبي ضربة للقصاص في نفس

قتلها وأقر بالقتل، وحكم القاضى بالقصاص، ولما عفا الأولياء بقى فى حبس القاضى على مقتضى المذهب المالكى: سجن القاتل عاما ثم ضربه مائة إن لم يقع القصاص كفارة للقتال، إذا كان القتل بإقراره.

ولبت فى السجن حتى أخرجته أهل الحل والعقد منه، وباعوه لما نفى أبوه يده من السلطنة، وهو من الذين خرجوا على القانون الشرعى، فإنه لما أخذ البيعة وثب على القاضى الذى سجنه ونفاه إلى المهديّة، واعتقله بها فى ما جل بقى فيه ما ينيف عن العامين.

فانظر إلى الأب كيف سلم ولده للأحكام الشرعية وآدابها، وإلى الابن لما قدر كيف عاقب القاضى على فعل يجب عليه فعله، وكان قاضيا إلى أربعة من أسلافه، وأسلافه لهم أخبار دالة على توطين نفوسهم على الأحكام الشرعية وآدابها، مع ملازمة الجماعة فى الصلوات فى المساجد، وفى قصورهم وبساتينهم وقراءة الحديث، والميل إلى سماع المواعظ والعمل بها، والأخبار الدالة على أن بعضهم ومنهم أبو ضربة المذكور وآخر ملوك دولتهم بعكس ذلك كالجراءة على القتل والعقاب بالسجن لمن فعل ما وجب عليه فعله شرعا.

وقد عقد ولى الدين بن خلدون فصلا فى مقدمته^(١) قال فى آخره: «إذا أذن الله سبحانه بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طريقتها، فتفقد منهم الفضائل، ولا تزال فى انتقاض إلى أن يخرج الملك من أيديهم، وتبدل بسواهم ليكون نعيًا عليهم فى سلب ما قد أتاهم من الملك **« وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا »** الآية، ومن استقرأ ذلك وتبعه فى الأمم السابقة يعلم علم يقين ما ذكرناه والأمر كله لله».

تنبيه: من أعيان المعاصرين لهؤلاء الأمراء: ابن جماعة، والتجاني، وابن عبد الرقيق، وابن راشد، والسفاقسى، وابن هارون، وابن عبد السلام، وابن جابر.

(١) مقدمة ابن خلدون ٢/ ٨١٩.

الطبقة السادسة عشرة

لما قتل أبو العباس الفضل ببيع لأخيه أبي إسحاق بن أبي بكر عقد له البيعة أبو محمد بن تافرجين وهو غلام مناهز، واستبد عليه وأسخط الأعراب وجرت بينه وبين سلطان المغرب أبي عنان المريني حروب باشر أكثرها بنفسه، ثم وجه أسطوله للحاضرة فأخرج منها ابن تافرجين واستولى عليها في رمضان سنة ٧٥٨، وأبو عنان إذ ذاك في قسنطينة وظهر له الدخول للحاضرة، ثم أعرض عن ذلك وثنى عنانه إلى غربه ورجع السلطان وحاميه ابن تافرجين للحاضرة. وفي سنة ٧٦٦ توفي الحاجب المذكور ودُفن بمدرسة قرب حوانيت عاشور، وأقام هذا السلطان بعد ذلك بالحاضرة بين فتنة وهذنة مع أعراهما حتى توفي بغتة في رجب سنة ٧٧٠.

وفي أيامه استولى طاغية جنوة على طرابلس حتى افتداها منهم ابن مكى صاحب قابس، وبويع لابنه أبي البقاء خالد وهو صبي ولم يستقم أمره حتى مال الأعراب من بني كعب إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصى، صاحب قسنطينة، لما علموا من كفاءته وعدله، فتوجهوا إليه وقدموا به بعد ترادف الوفود عليه لنصرته ودخل الحاضرة وتمت له البيعة، واعتقل أبا البقاء، وكانت ولايته سنة وتسعة أشهر.

ثم التفت لاسترجاع ما تغلب عليه الثائرون، فاسترجع الجريد وقابس وجربة، ودخلت طرابلس والزاب في طاعته وعلت يده وعز سلطانه، وكانت له أساطيل في غاية المنعة لنكاية العدو، وتوفي في شعبان سنة ٧٩٦.

وهو من مفاخر ملوك هاته الدولة، وممن يوصف بالعدل والإنصاف، وأسلم على يده عبد الله الترجمان، وكان قسيساً، وهو مؤلف تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، وأثنى فيها على هذا السلطان، وعلى عهده تقدم ابن عرفة للفتيا والخطابة بالجامع الأعظم، وفي أوائل دولة أبي فارس — الآتى ذكره — أنهى ولى الدين الدين ابن خلدون خبر بني أبي حفص.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: ابن علوان، وأحمد الغبريني، والبطرني، وابن عرفة، وابن خلدون.

الطبقة السابعة عشرة

لما توفي أبو العباس بويج لابنه أبي فارس، وقام بالملك أتم قيام، وانتظم أمره أى انتظام، ورتب الأحوال، وأعطى الأموال، وأصلح البلاد، وقمع أهل الفساد، وكان شجاعاً حازماً فطناً ذكياً، تقياً عالماً موقراً للعلماء، محباً للصالحين، كثير الصدقات محباً للخير.

ومن حسناته: خزائن الكتب المشتملة على أمهات الدواوين، وجعل لها مقصورة. معجبة الهلال من جامع الزيتونة، وأوقفها على طلبة العلم ينتفعون بالنظر والكتب بشرط أن لا يخرج منها شيء عن محله، وجعل لها قيمين يقومون بها في نفضاها ومناولتها للطلبة وردها لمكانها، ووقت وقتاً من كل يوم، وكان ملازماً لقراء العلم بين يديه سفراً وحضراً، وأقام العدل في جميع رعاياه بالكتاب والسنة، وإنصاف المظلوم من الظلم.

وفي أيامه عظم شأن المولد الشريف، وكان قاضى عساكره ابن الشماع المتوفى سنة ٨٣٣، وكانت له وقائع شديدة مع إخوته وغيرهم، ودوخ النواحي وقمع الثوار، وجاءته الوفود من الشرق والغرب ووافته بيعة فاس، وانضم له ملك المغرب.

وبالجملة فهو درة سلكهم ومجد ملكهم، وتوفى قرب جبل ونشريس من عمل تلمسان فجأة، يوم الأضحى سنة ٨٣٧، فكنم حفيده وولى عهده موته حتى تمت بيعته، ودفن بتربة أسلافه الغربية من مقام أبي محفوظ محرز بن خلف.

والحفيد المذكور هو محمد المنتصر بن أبي فارس، ودخل تونس في أجرة عظيمة يوم عاشوراء من سنة ٨٣٨، وجددت له البيعة، وأفاض العطاء وعم إحسانه، وله حروب مع الثائرين ومآثر، منها: ابتداء المدرسة المنتصرية، وأتمها أخوه بعده، وتوفى في صفر سنة ٨٣٩، وعلى عهد السلطان أبي فارس انتهى تأريخ ابن الشماع المذكور، وله مع الإمام البرزلى المذكور نزاع في شأن العقوبة بالمال، فابن الشماع يقول بالمنع، وخصمه يقول بالجواز، وألف كل منهما رسالة في الرد على صاحبه وتأييد مقالته.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: عيسى الغبريني، والوانوغى، والأبى، والزعبى، وابن الشماع، والقلشانيان محمد وعمر، والبرزلى، وابن ناجى، وابن عقاب.

الطبقة الثامنة عشرة

لما توفى محمد المنتصر ببيع لأخيه أبى عمرو عثمان، ولما استقام أمره خالفه الأعراب وحاصروا الحاضرة، وله حروب مع الثائرين، وأخيراً كان الظفر حليفه واستقام أمره وهو آخر رجال دولة بنى أبى حفص وتمة أنجادهم وفرسان جداهم، وصاحب المآثر الباذخة، مثل: ميضأته المعروفة إلى الآن بميضأة السلطان، جوفى جامع الزيتونة، وإتمام مدرسة أخيه المنتصر، ومدرسة جوار مقام الشيخ محرز، وخزائن الكتب بالمقصورة الشرقية من جامع الزيتونة وغير ذلك مما عفت رسومه.

وبالجملة فهو ختام الدولة الحفصية، ونظام المحاسن الفاخرة فى بلاد إفريقية، وتوفى أواخر رمضان سنة ٨٩٣، وعلى عهده سنة ٨٧٢ كان وباء جارف بلغ من مات به فى اليوم أربعة عشر ألفاً، وعلى عهده كانت وفاة الشيخ فتح الله العجمى فى شوال سنة ٨٤٧، وكان انتهاء تاريخ الزركشى^(١) سنة ٨٨٢.

فصل

تقدم أن الطاغية الأسبانى استولى على معظم الأندلس أواسط المائة السابعة وانحاز المسلمون إلى غرناطة وجنوب الجزيرة، وبعد ذلك صارت هاته الجهة محل مطامع هذا العدو، والأمراء المسلمون هناك إلى الانقسام والتنافر وتعارض الأغراض والشهوات من الأمراء والثوار بتلك الجهات الذين لم يعتبروا ما فى الانقسام من المضار، وفعلاً وقع، فإن الطاغية اغتتم الفرصة وأخذ فى محاصرة جهات غرناطة، ولله در خاتمة أدباء الأندلس أبى الطيب الشريف الرندى، إذ قال

(١) الزركشى: محمد بن إبراهيم بن لؤلؤ، مؤرخ من أهل تونس، له: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، توفى سنة ٩٣٢هـ.

يندب بلاد الأندلس، ويحرك العزائم من أهل الإسلام لنصرة الدين، القصيدة المشهورة التي أولها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

وقد ألف في الغرض العالم التحرير الوزير الشهير أبو يحيى بن عاصم كتاباً سماه: «جنة الرضى في التسليم بما قدر وقضى» وهو كتاب مفيد عجيب، ومضى الكلام على هذا في المقصد في ترجمة هذين الشيخين، وجرت أمور وحروب بين المسلمين والطاغية حتى استولى على ما بقى بالأندلس شيئاً فشيئاً فكان الاستيلاء على مالقة سنة ٨٩٣، وعلى غرناطة والحمراء سنة ٨٩٧ بعد حصار أصاب المسلمين فيه شدة الجوع وتكاثر الكروب وتفاقم الخطوب، فكاتبوا الطاغية في الصلح واشترطوا شروطاً، وهى سبعة وستون شرطاً، منها: التأمين على النفس والمال والأهل، ومنها إقامة شريعتهم على ما كانت، ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم، ومنها أن تبقى المساجد كما كانت، والأوقاف كذلك... إلى غير ذلك من بقية الشروط.

ثم إنهم نقضوا تلك الشرط شيئاً فشيئاً ونكثوها عروة عروة، إلى أن آل الأمراء إلى تمكين الكردينال كيميئيسى من إعدام جميع آثار المسلمين، وأمر بإحراق ثمانين ألف كتاب بخط اليد في ميادين الرحبات العامة بغرناطة، ولما حل بالمسلمين ما حل خرجوا إلى فاس ومليلة والريف وغيرها، منهم: ابن الأزرق وبنو داود المذكورين في فهرسة ابن غازى، وأبو عبد الله الوادى آشى، ثم وقع إكراه الباقي على التنصر أو الخروج، فخرج الكثير منهم ووصلوا لإفريقية الشمالية سنة ١٠١٧ والتي بعدها، وكانوا خلقاً كثيراً وانتشروا في المغرب الأقصى والأوسط وإفريقية.

وسياتى — إن شاء الله — مزيد كلام عليهم في الطبقة الحادية والعشرين، ولم يبق بالأندلس، بعد إكراههم على ما ذكر، من يجهر بكلمة التوحيد والأذان، وجعلت في المساجد والمآذن النواقيس والصلبان، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فلا راد لما قضاه الملك الديان.

في خلاصة تاريخ العرب: المطرودون من إسبانيا منذ فتح النصارى غرناطة إلى سنة ١٦٠٩ ثلاثة ملايين، كانوا نخبة المسلمين وأعظمهم صناعة، فدرست معالم عز إسبانيا.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: أحمد القلشاني، وأحمد حلولو، والرصاص، ومحمد الزنديوي.

الطبقة التاسعة عشرة

لما توفي السلطان أبو عمرو في التاريخ المذكور ببيع لحفيده أبي زكرياء يحيى ابن محمد المسعود بن أبي عمرو، فقام بالأمر وخرج لتمهيد النواحي، وفي أثناء اشتغاله بما ذكر اشتغل بأمر تونس عمه عبد المؤمن حين وقع الافتراء بموته وشاع حتى تواتر في رجب سنة ٨٩٤، ثم تبين خلافه، وقدم من مغيبه ودخل الحاضرة وجددت بيعته وفر عنه عبد الموفق ثم وقع الظفر به وقتل في خبر طويل.

ووافته بيعة أهل الأطراف، واستقام أمره إلى أن هلك في طاعون سنة ٨٩٩. وببيع لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود، وكان فطناً ذكياً، محباً للخير وأهله، إلا أن دولتهم بلغت سن الهرم وأذنت بالانقراض لخروج الأكثر عن طاعته، فملك عروج باشا أخو خير الدين الآتي ذكره الجزائر، وملك النصارى طرابلس سنة ٩١٤، وبقيت تحتهم حتى فتحها درغوث باشا، كما ملكوا بجاية سنة ٩١٠ وبقيت لهم أيضاً حتى افتكها صالح باشا، واضطربت أحوال الدولة من يومئذ.

ومن آثار هذا السلطان: المقصورة الشرقية بالجامع الأعظم وأوقف بها كتباً جمّة، وهي المعروفة الآن بالعبدية، نسبة له، وتوفى وإفريقية في اضطراب سنة ٩٣٢ وببيع لابنه الحسن، وسار سيرة حسنة، ثم انقلب لأسوأ سيرة فازداد الارتباك والاضطراب في البلاد، وخرج عن طاعته سوسة والقيروان، وملك صاحب الجزائر قسنطينة، وتغلب العرب على البلاد وقويت شوكتهم.

وكان خير الدين وأخوه عروج قدما من جزيرة مدلى للحاضرة على السلطان المذكور فقبلهما بالجميل، ولهما وقائع وغزوات برية وبحرية شهيرة، وبعد فتح

الجزائر وغيرها أقام خير الدين واليا عليها، ووقع توجيه البيعة للسلطان سليم العثمان وانتشر ذكره وبعد صيته بالمشرق والمغرب، ثم قصد تونس واستولى على بنزرت، وخطب بها للسلطان العثماني، ولما بلغ ذلك الحسن الحفصى أيقن بالغلبة وفر بما خف، ودخل خير الدين الحاضرة بلا قتال سنة ٩٣٥.

ثم لما ثار عليه بعض أهل تونس خرج منها بعد أن سكن الثائرة وأمن الناس، وبأثر ذلك رجع الحسن لتونس ووقعت حروب بينه وبين خير الدين، وأخيراً انتصر عليه خير الدين ووقع الإعلان بطاعة السلطان سليمان، وساس خير الدين الرعية، ولما أيس الحسن من نصرته على خير الدين ذهب لإسبانيا مستصرخاً بطاغيتهما وأجابه لذلك وأمدّه بأسطول، وقدم الحاضرة وقامت الحرب على ساق حتى انهزم خير الدين لأن غالب الناس مالوا لسلطانهم سليل ملوكهم.

ودخل الحسن الحاضرة والنصارى وأمنوا الناس، فلم يرعهم وهم في أمان إلا هجوم النصارى عليهم، على حين غفلة، فاستباحوهم قتلاً وأسراً ونهباً، يقال: قتل في هاته الواقعة ثلث أهل تونس وأسر الثلث ونجا الثلث، وكل ثلث ستون ألفاً، وهاته الواقعة تسمى بوقعة الأربعاء، وأشار إليها العالم ابن سلامة في قصيدته التي يتشوق فيها إلى تونس ويندب أطلالها ويذكر أيامها الرافلة في حلل الدعة وكيف تغيرت وتبدلت أحوالها، وبقي الحسن مع النصارى تحت الذل والهوان وشاركوه في البلد، وملكوا حلق الوادى وشيدوا به حصناً أقاموا في بنائه نحواً من أربعين سنة ثم خرج الحسن لاسترجاع القيروان من الثائرين عليه، ولما هزموه شر هزيمة ذهب لأسبانيا طالبا من الطاغية الإعانة على استرجاع القيروان كإعانتته على أهل تونس قبل فخييب الله سعيه، وستأتى بقية أخباره.

تنبيه: اعلم أنه بانتهاء المائة التاسعة أخذ العلم بتونس في القهقرى والرجوع إلى الوراء بعد أن كان سوقه نافقة في دولة أبي عمرو المذكور، وتداول في مدته ومدة أخيه محمد خطط العلم جماعة وافرة، منهم: أبو عبد الله بن قليل الحم، وأبو عبد الله محمد الزواغى، وأبو البركات ابن عصفور، وأبو عبد الله البنوتى.

وتداول خطط القضاء والفتيا جماعة، منهم: أبو عبد الله الرصاع، وأبو عبد الله القلشاني، وأبو عبد الله الزنديوي، وابنه أبو الحسن وغيرهم من فرائد تاج تونس وزينة جمالها المونس.

ثم في أوائل المائة العاشرة كانت دولة السلطان أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي، وهو الذي بنى المقصورة المعروفة بالعبدية، وملأها بالخزائن وملأ الخزائن كتباً وجعل عليها نظاراً وجعل النظر في ذلك لإمام الجامع، وهو يومئذ أبو البركات بن عصفور.

وتوفي هذا السلطان وتولى بعده ابنه الحسن، وفي أيامه دخل خير الدين تونس ثم خرج منها في خبر طويل الذيل، وكان من رجال الدنيا والآخرة، وفي أخباره تأليف مستقل، ثم انقطع الخبر وعمى الأثر وطوى بساط أخبار العلماء والفضلاء لما دهم إفريقية عموماً والحاضرة خصوصاً وأواسط المائة العاشرة من الفتن والإحـن، فتقلص ظل الدولة الحفصية عنها وبلوغها غاية الهرم تجاسر عليها الثوار من كل جانب، وامتدت يد الطاغية الأسباني، ولا زالت في ارتباك الأحوال ومكابدة المصائب والأهوال.

وخرج منها في ذلك الكثير من العلماء والفضلاء إلى المشرق والمغرب، منهم: أبو عبد الله ماغوش المذكور بهاته الطبقة، هاجر إلى المشرق، وأبو الفضل خروف الآتي اسمه في الطبقة الآتية، هاجر إلى فاس.

وفي نزهة الحادي نقلاً عن المنجور في فهرسته: أن أبا الطيب الظريف التونسي كان واعظاً بجامع الزيتونة، رحل إلى فاس بعد أخذ تونس، فخاطبه قاضي الجماعة بفاس أبو الحسن علي بن هارون بمنظومة منها:

جادك الغيث إذا الغيث انهمر	حضرة الأنس البديع المؤنس
لم يكن إلا كلمح بالبصر	أو بريق لاح لي من تونس
فأجابه أبو الطيب بأبيات منها:	
أيها الشيخ الفقيه المعبر	سيد القطر وصدر المجلس
قد تفضلتم بنظم كالدرر	حل من قلبي محل النفس

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: أبو الحسن الزنديوي، وأبو عبد الله ماغوش.

الطبقة العشرون

قد ذكرنا فيما تقدم البعض من أخبار الحسن الحفصى، ولنرجع لذكر بقيتها والاستيلاء العثماني باختصار فنقول:

إن الحسن لما ذهب إلى أسبانيا مستعينا بطاغيته على فتح القيروان وخاب سعيه اغتتم ابنه أبو العباس فرصة مغيب والده وقدم من بونة، وهو يومئذ عامل عليها، إلى تونس، ودخل قصبته على حين غفلة، ولما اتصل الناس بخبره بايعوه وسار سيرة حسنة، ولما بلغ والده خبره عظم عليه ذلك وبذل مالا جسيما للطاغية فوجه معه أسطولا لنصره، ونزل بحلق الوادى ووقع القتال بين المسلمين والنصارى وكانت الدائرة على عسكر الطاغية.

وأما الحسن فمر بجزيرة شكلى فأدركه أبو الهول، أحد رؤساء الأعراب، وأخذه وأتى به إلى ابنه فاعتقله ثم أذهب بصره، ثم فرّ وهو على تلك الحالة إلى القيروان ومات هناك.

واستقل ابنه أبو العباس وظهرت كفايته، لولا هرم الدولة، ثم قدم للحاضرة على باشا صاحب الجزائر واستولى عليها وأخذ البيعة للسلطان سليم ورتب حراستها، وأما أبو العباس فإنه فرّ بما خفّ من أهله وذخائرها إلى حلق الوادى وذلك سنة ٩٧٧، ولبثوا على ذلك ثلاث حجج، فالعرب مالكة للضاحية، والنصارى للثغور.

ثم جاء أسطول عظيم من قبل الطاغية بسعى من أبى العباس المذكور، ولما وصل أطلعه قائده على كتاب من موجهه ومضمونه يعينه على طلبه بشرط المقاسمة فى الحكم والجباية فأنكر ذلك وأنف منه، وانتقل إلى بلرمو من صقلية، وبها توفى، ثم حُمل إلى مدفنه بزاوية الشيخ الجليزى بالحاضرة.

والشرط المذكور قبله أخوه محمد، وآل الأمر بعد ذلك إلى دخوله الحاضرة مع العدو، وقاسمة الملك مقاسمة الغالب مع المغلوب، واشتد الخطب بما آل

بالمصائب العظيمة والنوائب الجسيمة على العباد والبلاد من هتك الأستار والعبث بالفساد حتى خرج أهل تونس إلى الجبال والغابات والبوادي، ونالهم من الجوع والعطش ما هو مبسوط في كتب التاريخ، تقشعر منه الجلود، وعاثت عساكر الأسبان في الأرض وربطوا خيولهم بجامع الزيتونة واستباحوا ما به وبالمدارس من الكتب العلمية وألقوها في الطرقات يدوسها العسكر بخيولهم، وهذا هو السبب في قلة وجود تآليف الفحول من هذا القطر، فإنها ذهبت شذر مذر.

وفي هاته الواقعة نبشوا قبر ولي الله أبي محفوظ محرز بن خلف وستر الله جسده الكريم، فلم يجدوا به إلا التراب، إلى غير ذلك مما ينبو عنه السماع، ويكي العيون دماً، ويذيب القلوب ألماً، وفعلوا مثل ذلك بالمدائن المهديّة والمنستير وغيرهما من المحارس والقصور، تخريباً وقتلاً وأسراً، ومات نحو الثمانين ألفاً وأسر مثلها الطاغية المذكور.

ثم تداركها الله بالتفات السلطنة العثمانية فأنقذتها من مخالب هذا الطاغية في جمادى الأولى سنة ٩٨١، وهذا الفتح من أهم الفتوحات الإسلامية والمآثر الخالدة في إفريقية لهاته الدولة السنية، خلّد الله ذكرها وأيد ملكها وفخرها، وكان هذا الفتح على يد وزيرها الشايع الصيت المعروف بالفضل والنجدة والشجاعة والثبات والرأى الصائب والفكر الثاقب سنان باشا، بعد قتال استشهد فيه الكثير من الأبطال وأمراء الأجناد، وكانت الدائرة على الأعداء والبغاة، وظفر هذا الوزير بمحمد الحفصى المذكور واعتقله إلى أن هلك في اعتقاله، وانقرضت بانقراضه هاته الدولة، والله سبحانه وتعالى الفعال لما يريد، لا رادّ لأحكامه وأفعاله فكان ابتداءها سنة ٦٠٣ وانقراضها سنة ٩٨١، وسبحان الباقي الذي لا يحول ولا يزول.

والسبب في ذلك هو ما أشرنا إليه فيما سلف، وهو أنه لما فسدت طباعهم، واختل حالهم، وامتلاً صاعهم، وكانت دولتهم على حالة الهرم واستغاثوا بأعداء الدين فكان مألهم سلب النعم وإحاطة النقم.

فانظر واعتبر لحال هاته الدولة على ضعف ساحة أرضها، وقلة أثمارها وأشجارها كيف ابتداء أمرها واتساع مجال ملكها وأملها من أهل المشرق والمغرب ومدوا إليها يد البيعة ودانوا لها بالطاعة، واعتصموا بالانتساب إلى سلطاتها، وأتته بيعة الأشراف من بيت الله تعالى وحرمة الآمن ومهبط الوحي، حيث كانت أقرب إلى خلال الخير وأثل ملوكها في الحاضرة المصانع الواسعة والأبنية النافعة كالزوايا في الطرق لأبناء السبيل والتكايا، والمساجد، والمدارس، والمكاتب لقراءة القرآن العظيم، ورتبوا الكتب العلمية في أماكن محفوظة على قانون إعانة لأهل العلم وطلابه والمستشفيات، إلى غير ذلك مما بقى أثره ولم يُنسَ خبره.

وفي أيامهم نفق سوق العلم وظهر من الراسخين فيه من هذا القطر أعلام، مصنفاتهم تشهد لهم بذلك، وكان من الحضارة بتونس ما اقتضاه طبع العمران والثروة وحال البلاد بما لا ينافي سذاجة الدين، فتوالت الوفود على سكنى هاته الحاضرة من سائر الجهات على اختلاف الملل والنحل والأصناف، يجذبهم مغنطيس العدل فزاد في أسباب العمران من البناء والغراسة، وغير ذلك.

وانظر واعتبر كيف كانت عاقبة أمرها وانقلاب أحوالها بعد تلك القوة وعزة السلطان وعلو الكعب، من انتقاض الجهات، وكثرة الثوار، واستطالة أيدي الأعراب في البلاد بالنهب والبغى والفساد، حتى استعان آخر ملوكهم بالعدو الأجنبي وآل أمره كالمسجون في حجرة لا يملك إلا موضع قدميه، ثم إلى سجنه وموته تحت أقفال عقابا له وزجراً لأمثاله الناسجين على منواله، وما قررناه في حق ملوك هاته الدولة وعلمائها هو ملخص ما أسلفناه.

واعلم أن ملوك بني أبي حفص كانوا يُجلّون العلماء، وبجالسهم بهم عامرة، وموائدهم مزدانة بهم باهرة، وفي ذلك مصلحة لهم عظيمة ومنزلة رفيعة فخيمة، إذ بوجودهم والالتفات إليهم وتعظيمهم تنشر راية العلم، وتحفظ الشريعة المطهرة واللغة العربية الفصيحة.

وكان غالبهم محافظاً على الشرع العزيز ممثلاً لأوامره، وكان بتونس أربعة قضاة: قاضى الجماعة، هو المعبر عنه فى الشرق بقاضى القضاة، وكان بها مُفْتُونَ منهم من يكون متصداً لها كتابة، ومنهم من يتصدر للأخبار فقط والأحكام جارية فى مجارى عزها الشامخ، يرتاح لها ويخضع القوى والضعيف والأمير والمأمور، والخاصة والجمهور، وتنفذ على يد قاضى الجماعة.

وفى المائة التاسعة ظهرت رتبة المفتى وصارت أرفع درجة من رتبة القاضى، وإذا أشكل على القاضى بعث للمفتى يسأله... وكان هؤلاء الملوك يجعلون يوم الخميس لاجتماع القاضى والمفتى بمجالسهم وتنفذ بين أيديهم الأحكام الشرعية فى كل أسبوع، وكانت لهم عناية تامة واهتمام خاص بجمع الكتب العلمية على اختلاف أنواعها والتغالى فى اقتنائها وحفظها فى الخزائن بقصورهم للمطالعة وبالمدارس وجامع الزيتونة لنفع العموم بها، وتقدمت الإشارة إلى ذلك وأنه كان فى خزانة أبى عبد الله المنتصر ستة وثلاثون ألف مجلد، وما وقع تحبيسه من أبى فارس وأبى عمرو وأبى عبد الله فليراجع فى محاله.

وفى الرزنامة التونسية أن جامع الزيتونة كان مستبحراً بالعلوم على اختلاف أنواعها: عقلية ونقلية، مقاصد ووسائل، حتى كان يقال: إن حذاء كل سارية من سوارية، مدرساً، وفى خزائنه ما يزيد على المائتى ألف مجلد، وأبو فارس عبد العزيز حبس وحده ما يزيد على الثلاثين ألف مجلد ووضعها فى خزائن زين بها جامع الزيتونة، حبسها على العلماء والمتعلمين، وحبس عليها ما تحتاج إليه للإصلاح وعلى المناول والمتعهد لها أرضين وزياتين، ونوه المؤرخون بشأنها.

ثم تلاه السلطان أبو عمر وعثمان فجمع خزائن أخرى تقارب خزائن أبى فارس، وبنى لها مقصورة متسعة وملأها بالخزائن وملأ الخزائن كتباً، وحتى الآن تعرف بمقصورة الكتب، وفى هذا الزمان يخزن بها الزيت.

وتلاهما السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن فبنى مقصورة متسعة، وهى المعروفة بالعبدية وملأها بالخزائن، وملأ الخزائن كتباً، وجعل نظرها لإمام الجامع، ثم على عهد آخر ملوكهم أُلقيت تلك الكتب بالطرقات فداستها أقدام الرجال

وحوافر الخيل والبغال، وذهبت شذر مذر، وبقيت المدارس والمساجد خالية من كتب العلم، وضعف العلم بذهاب رجاله، وضعفت الدولة باستيلاء الطاغية، وانتهى الخبر عن هؤلاء باستيلاء العساكر التركية، وسنقص عليك خبرهم، إن شاء الله.

تنبيه: من أعيان المعاصرين لهؤلاء الأمراء: محمد خروف، ومحمد الأندلسي، وأحمد العيسى.

الطبقة الحادية والعشرون

تقدم أن الدولة العثمانية احتلت إفريقية سنة ٩٨١، ومن الواجب ذكر رجال هاته الدولة وما آل إليه حال إفريقية بعد تلك النوائب والكوارث ليكون المطالع على بصيرة من ذلك، فنقول:

اعلم أن بهذا الفتح رفع الله عن أهالي هذا الوطن النوائب والمصائب والإحن ولسان حالهم يقول: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي اُذْهَبَ عَنَّا اَلْحَزَنُ ﴾ وذلك أنه لما مهد الوزير سنان الراحة وقطع دابر البغاة والمثيرين للفتن وعزم على الرجوع إلى دار الخلافة هو وأركان حربه وأمراء أجناده، رتب عسكرياً لحراسة البلاد وتأمينها، وجعل على كل مائة أميراً يسمى الداي ومعناه بالعربية خال كناية عن تعظيم المنادى، ورتب أمير لواء لضبط الوطن وجباية المال يسمى الباي، ومعناه بالعربية: العامل، وعين لذلك رمضان باي، وجعل النظر في العسكر إلى الآغا ومعناه السيد، والنظر العام لحيدر باشا، وخطب باسم السلطان سليم ابن السلطان وضرب السكة باسمه وسافر بعد ذلك لدار الخلافة واستمر الحال على ذلك إلى أن ثار الجند على كبار الديوان سنة ٩٩٩ وطلبوا إقامة داي للنظر في حال عموم العسكر وقدموا أحد أبطاهم إبراهيم رودسلي (آغا) في تلك الخطة نحو الخمس حجج، ولم يستقيم له أمر وسافر للحج.

وتولى بعده موسى فمكث سنة وسافر للحج، ثم تولى دايا عثمان داي، وخرج لتمهيد النواحي وجباية المال، ورتب قوانين الرعايا في دفتر سموه بالميزان، وباشر الأمور بنفسه وكانت فيه شهامة وسياسة وشجاعة، واتخذ الأساطيل وصار

في منعة من العدو، وله آثار حميدة، وكان على عهده طاعون جارف، وعلى عهده في سنة ١٠١٧ والسنة بعدها قدمت الأمم الجالية من الأندلس فأوسع لهم العطاء وأباح لهم السكنى بالحاضرة وبلدان المملكة، وبناء القرى في أراض استعمروها فبنوا أكثر من عشرين قرية، واغتبط بهم أهل الحاضرة وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم، ولم يزل هذا الداي عزيزاً مطاعاً إلى أن توفي سنة ١٠١٩، ودفن بجوار الشيخ أحمد بن عروس.

وفي خلال مدته ارتفع صيت رمضان باى المذكور وعظمت كفاءته في قمع الثوار، وتمهيد الجهات وجباية الأموال، واستخلف جماعة على الأعمال، وسماهم بيات: جمع باى، منهم رمضان هذا، وحسين باى، ومراد باى، جد بنى مراد الآتى ذكرهم.

ولما توفي تولى عوضه دايا صهره يوسف، وهو مشهور بالفضل والسؤدد، وله آثار كثيرة شاهدة بذلك، منها جامعته المعروف بجامع سيدى يوسف بسوق الترك، ولم يزل حميد الحال حسن السيرة إلى أن توفي سنة ١٠٤٧، عن سن عالية، ودفن بجامعه المذكور، ورمضان باى المذكور، توفي سنة ١٠٢٢.

وتولى مكانه مراد باى المذكور، وكان ذا صرامة وكفاءة، ثم سمت همته لرتبة الباشا، فراسل في ذلك الدولة العلية فأسعفته وأتاه التقليد، ونزل لابنه حمودة عن سفر الاحمال سنة ١٠٤١، وتوفي في هذه السنة، ودفن بترية جوار الشيخ أحمد بن عروس.

تنبيه: قد علمت ما حل بإفريقية من الحن وإن العلم ضعف بذهاب رجاله، ويأثر ذلك وقع الاحتلال العثماني فابتدأت حينئذ ترجع عمراتها وتستجد شببتها، وصادف وفود مئات آلاف من الأندلس وجالية غرناطة وعمرها نيفاً وعشرين قرية بين كبيرة وصغيرة، لكن التراجع كان بطيئاً بالنسبة لبث العلوم لأنه لما آل الأمر لهاته الدولة وكان الذين قدموا من الأتراك لإفريقية غير منتظمي التصرف — إلا القليل منهم — لم يقع منهم التفات لتدارك العلم الذى كاد أن يضمحل في

ذلك العهد، ثم عاد إلى هذا القطر المأنوس ما انقطع عنه شيئاً فشيئاً إلى هذا الوقت على ترتيب الطبقات الآتية فكل طبقة هي أرقى من التي قبلها.

قال الشيخ حمودة بن عبد العزيز في باشيه خرج من الأندلس ألوف لفاس وألوف لوهراة وتلمسان وجمهورهم جاء إلى تونس فعمروا بها القرى الخالية، واستحدثوا قرى سكنوها واستقرت حاضرتهم بالحاضرة فاستحكمت فيهم الحضارة التي عوائدها مرتكزة في طبائعهم، واستحدثوا بها صناعة الشاشية التي تقصدها التجار من سائر الأقطار، وقصدها الترك من بلاد الخلافة وغيرها، ومن مصر، فارتفعت بهم أوج العلا ووردت عليهم العلماء من الآفاق، فتخرج بهم الكثير من العلماء، وشرع أمراؤها في اتخاذ المصانع وتوفير الملك. انتهى بتصرف واختصار.

وقال: قد كان العلم لأول دولة الترك مرتفعاً منها بالمرّة حتى ورد عليها المولى أحمد أفندي من أرض الروم في أول المائة الحادية عشر على عهد عثمان دای وكان متفنناً في العلوم، فأخذ عنه جماعة من أهلها، منهم: الشيخ محمد الغماد، وأبو يحيى الرصاع، والشيخ محمد براو، وارتحل إلى المغرب الأقصى وافداً على سلطانها مولای أحمد الذهبي فوجده يُقرئ المطول للمولى سعد الدين بالجامع كل يوم فأوسع مبرة وإكراماً، ثم عاد لتونس فكان يقول: وجدت بجامع القرويين سبعة عشر كرسياً يقرأون التفسير، وكلهم عن التفسير بمعزل، إلا أن ملكهم يفهم الخطاب، ثم ارتحل بعد ذلك إلى بلاده فكانت بها هاته الطبقة التي ذكرناها ومن عاصرهم كآبى الفضل عظم وغيره وانتشر بها العلم. انتهى.

وكانت القضاة تجيء إلى تونس من دار الخلافة والغالب عليهم العجمة، ومذهبهم مذهب أبي حنيفة رحمته الله، فاحتاجوا حينئذ إلى نائب يكون بين يدي القاضي فيكون بمثابة قاضي الخصومات، والقاضي التركي بمثابة قاضي الجماعة، واحتاجوا أيضاً لمجلس كما جرت به العادة في دولة بني أبي حفص يجعلونه بين يدي الباشا في هذه الدولة.

وكان يحضر بالجلس أربعة من المفتين، والمراد من حضورهم الإخبار بالأمور الشرعية إذا سئلوا عنها، والقاضى ينفذها، وأول من تصدر بتونس مفتياً حنفياً الشيخ أبو الحسن على الشريف، وباحتلال الدولة التركية أخذ المذهب الحنفى فى الظهور بعد انقطاعه من مدة المعز الصنهادى حسبما تقدمت الإشارة إلى ذلك فى ترجمته.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: أبو الفضل عظم، وأبو النجاة النفاتى، وأبو الغيث القشاش، وأبو الحسن الرصاع، وتاج العارفين البكرى.

الطبقة الثانية والعشرون

لما توفى مراد باشا المذكور سنة ١٠٤١، قام مقامه ابنه حمودة باشا فمهد الأمور ورتبها أحسن ترتيب، وكان كريماً حسن السيرة والتدبير، محباً للعلماء مقرباً لهم مؤثراً مجالستهم ومباحثتهم، شجاعاً، قمع الثوار ودوخ جميع العرب، ورتب أوجاق الصبايحية بتونس والقيروان وباجة والكاف لتأمين السبل، واتسعت الجباية.

وله مآثر ماثورة وآثار ضخمة مشهورة، منها: بناؤه الجامع المشهور قرب ضريح الشيخ أحمد بن عروس، ومنارته الغربية الشكل العجيبة الإنشاء لا نظير لها فى المغرب، ومنها: المستشفى بحومة العزايق، واعتنى بتشيد باردو، أحد منتزهات بنى أبى حفص، وطلب من الدولة العلية تقليد منصب الباشا فأتاه سنة ١٠٦٨، ونزل عن سفر الاحمال لابنه مراد واستخلفه مكانه.

عقد لابنه محمد الحفصى على القيروان وسوسة والمنستير وسفاقس، وعقد لابنه حسن، على باجة، وفى آخر الأمر طلب الاستعفاء فأعفى ومال للراحة وتخلّى عن البلاد لأولاده، إلى أن توفى فى شوال سنة ١٠٧٦.

ومن شعرائه: أبو عبد الله محمد العروى السوسى، وله فيه القصائد الطنانة، وكان أديب وقته وشاعره من غير مدافع، وله ابن نجيب قدمه والده فى حياته للفتيا، وكان يروى البخارى بحضرة والده لمجلس الباشا، والحاصل أن هذا الباشا حسنة من حسنات الزمان، وهو المؤسس المجد لبنية والآثار الخالدة بعده.

ولما توفى استقل بالأمر بعده ابنه مراد باى المذكور، وانفرد بالكلمة واستقام أمره، وضعف أمر الدايات فى وقته، وصاروا أتباعا له، وسنذكر أسماء الدايات فى فصل محاص.

ومن مآثره المدرسة المنسوبة له غربى الجامع الأعظم، وأول مدرس أقيم بها الشيخ محمد الغماد، وتوفى سنة ١٠٨٦.

وبويع لابنه الأكبر محمد، ثم إن عمه محمد الحفصى أغرى أخاه علياً بطلب المشاركة فأصغى له وطلبها، فأنف محمد من ذلك، ولهذا الخلاف اتفق الأعيان على أن يكون الأمير العم محمد الحفصى وبايعوه، بعد خلع محمد المذكور، وفراره للكاف، وذلك فى رجب من السنة ١٠٨٦، ونفذت أوامره بعد ذلك، ثم اضطرب أمره وأشهد على نفسه بالخلع، وأرسل محمداً بذلك وقدم الحاضرة وجددت له البيعة بياردو، فى شوال من السنة، وتوجه العم بعد ذلك للآستانة.

وأما على فإنه توجه لقسنطينة وأخذ فى جمع الجنود لقتال أخيه، ثم قدم العم من الآستانة ومعه سبعة مراكب مشحونة بالعساكر ومتقلداً منصب الباشا من السلطان محمد خان، فجمع محمد باى أهل الحل والعقد بجامع الزيتونة للنظر فى هاته النازلة، وكان من أمرهم الاتفاق على رد العم، وكاتبوا الدولة بأن سبب عدم قبوله هو عدم أهليته، وبناء على ذلك رجع العم لدار الخلافة، وكان من أمره ما سنذكره.

وأما على فإنه قدم بجند من الأعراب، وخرج له أخوه محمد فى جنده، ووقع القتال بينهم، فكانت الهزيمة على محمد، وفرّ إلى الكاف ودخل على لتونس وتمت له البيعة، وبعد ذلك وقعت بينه وبين أخيه حروب واضطراب الحال، وبينما هم كذلك إذ قدم العم محمد الحفصى من دار الخلافة متقلداً منصب الباشا من السلطان محمد أيضاً، ودخل الحاضرة فى حفل عظيم، ووفد عليه على وهناه بذلك وصارا على وفاق، ثم صارت بينهما وحشة وخرج العم لقتاله باتفاق مع أخيه محمد، وبعد قتال كانت الهزيمة عليهما، وفر العم إلى القيروان، والأخ إلى المنستير.

في أثناء ذلك قدم صاحب الجزائر لإطفاء نار الفتنة وعقد الصلح بين ثلاثتهم، وانعقد على تمليك علي وإقامة العم باشا تبعاً لأمر السلطان واستقرار محمد بالقيروان، ويبقى ابنه أحمد رهنا عند عمه علي، وبناء على ذلك رجع علي والعم إلى الحاضرة، ثم صدر الإذن من الدولة العلية سنة ١٠٩٠ بإبعاد العم لأرض الروم، وأبعد لتلك الجهة إلى أن توفي سنة ١٠٩٧، وصفا الجو لعلّي ثم أساء السيرة بعد ذلك، وتحرك له أخوه محمد في جموع ووقع القتال، وفي أثناء القتال اغتال علي ابن أخيه الرهين وفرّ إلى الكاف، واتبعه أخوه محمد بحملة عظيمة، وانضمت له محلة الجزائريين الذين جاءوا لنصره، وفر علي لسفاحس بعد انهزامه، ودخل محمد الحاضرة، ولما رأى ما يشعر باستبداد الداى راسل أخاه علياً في الصلح واصطلحا على مقاسمة البلاد، فكانت حصّة محمد: باجة والقيروان والمنستير، وحصّة علي: الكاف ووسائل وسوسة وبقيّة الساحل، وارتحل محمد لتلقيه، وعزما على قتال الداى حيث استبد بالحاضرة، وهو أحمد شليى وخرج هذا الداى بمحلة لقتال محمد وآلت بعد القتال بالهزام محمد.

وراسل الأخوان بعد ذلك صاحب الجزائر إبراهيم خووجه واشترطا له شروطاً على إعانتهم فخرج بنفسه في حملة وعامل قسنطينة في محلة أخرى، وسار إليه الأخوان واجتمعوا بالحريرية، وألحوا في الحصار على تونس إلى أن استولوا عليها وأسروا الداى شليى.

وجددت البيعة للأخوين، وذلك في رجب سنة ١٠٩٧، وولوا الحاج بقطاش دايا، وبعد أيام قلائل ظهر للجند عدم إمكان الشركة ونادوا بلسان واحد بولاية محمد، وقتلوا علياً وأحمد شليى وارتحل بعد ذلك الجزائريون بعد توصلهم بما اشترطوا، وانفرد محمد باى بالأمر وصفا له الجو، وخرج لتدوين النواحي وجباية الأموال وتأمين السبل، ثم ثار عليه محمد بن شكر، ووقعت له حروب معه آل الأمر إلى انهزامه وفراره إلى الصحراء، واستولى على تونس وسائر البلاد بإعانة من صاحب الجزائر، وتصرف في العباد بالقتل والنهب والفساد، وآسف الناس فراق محمد باى واستكانوا تحت سطوة هذا الجبار، ثم ثار عليه أهل سوسة والقيروان،

وبعثوا الحمد باى ينادونه، وقدم وانضم إليه خلائق لا يحصون وخرج إليه ابن شكر فالتقوا على وادى برق الليل فكانت الدائرة على ابن شكر، ومات مذموماً مدحوراً وذلك سنة ١١٠٦.

واستولى محمد باى على جميع ما معه، ودخل القيروان، ثم تونس، وسر الناس بقدمه واستبشروا، وهادن صاحب الجزائر بواسطة الولى العالم الشيخ على عزوز.

ومن مآثره: المباني الضخمة القاطعة بعلو مقداره، منها: جامع البديع المنظر والشكل أمام ضريح ولى الله الشيخ محرز، ومات قبل إتمامه فأتمه أخوه رمضان باى، وله مدارس بالكاف وباجة والقيروان ونفطة وتوزر وقابس وأسواق الشواشية الثلاث، والزيادة فى قصور باردو، والقنطرة على وادى مجردة، وأقام على بنائها بنفسه، وهى شاهدة له بالمزية العظيمة والرتبة الشاخنة.

وكان مؤثراً للعدل والإنصاف، قاصداً لأهل الجور والظلم من عماله وعساكره، محباً لأهل الفضل والعلم، وبقي فى أمن ودعة إلى أن وافاه أجله فى ربيع الأنور سنة ١١٠٨ وعظم المصاب به، وفى مدة أخيه على أنهى صاحب المونس تاريخه، وقد استوفى فى مونسه أخبار رجال هاته الدولة وعلمائها وكانت مشاهدة عيان، كما استوفاهما الشيخ حمودة بن عبد العزيز فى باشيه.

تنبیه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: أبو الحسن النفاتى، وأبو بكر البكرى، وأبو الفضل المسراتى، وأبو العباس الشريف، وأبو الحسن الغماد.

الطبقة الثالثة والعشرون

لما توفى الأمير محمد باى سنة ١١٠٨ تمت البيعة لأخيه رمضان، فأقر الناس على مراتبهم ومهد البلاد وجى الأموال، وكان عاكفاً على الملاهى، وكان له مغن اسمه مزهود استولى عليه وفوض أمره إليه، وأقبل على لهوهِ وتصرف مزهود بالقتل وغيره، وتمادى على ذلك حتى قتل العلامة حمودة ابن الشيخ محمد فتاته افتياناً على سيده، فنفرهما القلوب وارتفعت الأكف بالدعاء بهلاكهما، فهلكا وسنقص عليك خبرهما.

وكانت أم رمضان كافرة ماتت على دينها فبنى لها الكنيسة قرب باب قرطاجنة ودفنها بها، والشيخ حمودة المذكور كان مختصاً برمضان باى قبل الولاية وبعدها سفيراً وحضراً لحسن محاضراته ولطف آدابه، ووثوق علمه، وذوقه وفهمه. ثم سعى مزهود فى إبعاده عنه، وخلا له الجو، وكان فى عهد الإمام تاج العارفين البكرى وابنه أبى بكر يقع تدريس البخارى بجامع الزيتونة رواية ودراية فى رجب وشعبان ورمضان إلى السادس والعشرين منه.

ولما أبو بكر تغيرت تلك القاعدة، وصارت رواية لا غير، تَبَرَّكا لأن ولديه أبا الغيث وأبا الحسن لم يبلغا مبلغ والدهما وجدهما، ولما أبعد الشيخ حمودة المذكور عن رمضان باى رجع لأصله وتصدى لإقائه دراية وغيره من العلوم بالجامع على حين لم يكن به من يقرأه دراية، وكان راويه يومئذ الشيخ محمد زيتون، فاجتمع عليه خلائق لا يحصون وصار له بذلك صيت.

ولما رأى مزهود ذلك تغير، وأرسل إلى أبى الغيث المذكور إمام جامع الزيتونة ليمنعه من إلقاء الحديث بالجامع، إذ ربما يقول به الأمر إلى طلب الإمامة بالجامع، فأرسل له أبو الغيث بإبطال درس الحديث وأظهر الغضب منه حيث لم يمثل لإبطاله بعدم إقامة صلاة العصر بالجامع فلم يمثل لإبطاله، وانتقل لإقائه بمسجد سوق البلاط فازداد مزهود بذلك بغضه، وأغرى به رمضان باى ومنعه من الخروج من داره، ولم يكفه ذلك حتى أرسل إليه حرساً هجموا على دار الشيخ وأخرجوه بترويع أمه وأبيه وأهله وبنيه، وأوقعوا به ما بلغ به الشهادة ولاقى من الله الحسنى وزيادة.

ورمضان باى لا علم له بشيء من ذلك، غير أنه لما بلغه الخبر لم ينكر على مزهود ولا عاتبه، وجمع مزهود فى تلك الليلة طائفة من الأوباش أصحابه وصنع صنيعاً اجتمعوا فيه على كل فاحشة فرحا بقتل الشيخ، وكان قتله سنة ١١٠٩ من الأحوال العظيمة والمصائب الجسيمة، وتأسف عليه والده العالم المشهور، والخاصة والجمهور، وقابلوا تلك المصيبة بالصبر والابتهال بالدعاء إلى الكبير المتعال عليه وعلى سيده، وتوسل والده فى دعائه بسيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فى قصيدة أولها:

إليك رسول الله وجهت آمالي وألقيت يا سؤلى ببابك أحمالى
 فاستجاب الله دعاءهم، فلم يمض قليل من الأشهر حتى شئت الله أمر مزهود
 وسيده وأشياعه، كما سنذكره إن شاء الله، وذلك أنه لما قتل الأمير الباشا أبو
 الحسن على ترك ابنًا اسمه مراد تحت كفالة همه محمد باشا ثم تحت عمه رمضان
 المذكور، ثم خوفه منه مزهود، وأشار عليه بالقبض عليه فحبسه وسمل عينيه
 وعالجه طبيب سرًا وفر من السجن لسوسة، وقام بنصره بعد ذلك أهل رسالات
 وغيرهم، ومالت الجموع إليه وبايعوه في رمضان سنة ١١١٠، ووجه حينئذ من
 أخرج رمضان وقتله ثم أحرقه وألقى رماده في البحر، فلا خير له، وكانت مدته
 ثلاثين شهرًا، فأعمل أولا السيف في مزهود وشيعته وعزل أبا الغيث البكرى عن
 الإمامة، ثم أقبل على سيرته الشهيرة من قتل الإنسان والحيوان وانتهاك الحرمات
 والمجاهرة بالفواحش، وقتل بنفسه الشيخ المفتى محمد العوانى الشريف وشوى من
 لحمه وأكله مع ندمائه، ولما أراد قتله قال له: أنصحك أن من قتل عالمًا آيس من
 الحياة وفعل بغيره مثل ذلك، وقد نزع الله من قلبه الرحمة، يؤتى إليه بالرجل فيقوم
 إليه بنفسه ويجذبه ويقطع أعضائه ويشق بطنه، ويدخل يده لإخراج أمعائه وكبدته،
 وكان له سيف يسمى البالة فلا يكاد يخليه يومًا من إراقة دم، وإذا لم يقتل أحدًا
 يقول: إن البالة جاعت فيقتل من يعرض له، وله حروب مع الجزائريين كانت
 الدائرة فيها عليه «وعلى الباغي تدور الدوائر» ولم يستقم له حال إلى أن أفتك به
 إبراهيم الشريف بمواطأة من أمراء الجند، وذلك في محرم سنة ١١١٣، وأرسل من
 قتل بقية آل مراد، وكانت مدته ثلاثة أعوام وأربعة أشهر، وانقرضت بانقراضه
 دولة آل مراد، وكانت مدتها ألف شهر.

تنبيه: اعلم أن الخلق عيال الله، ومتى استعمل على الرعية الأراذل والسفهاء
 وأهل البطالة والإعلان بالشهوات، كان ذلك داعيًا إلى فساد نياهم وضعف
 ديانتهم وانهماكهم في شهواتهم، في سراج الملوك: أقوى الأسباب في إصلاحهم أن
 يستعمل عليهم الخاصة منهم وذوى الأحكام الراجحة والمروءات القائمة والأذيال
 الطاهرة، فمتى كانت رياسة العامة بيد سرائهم حصلت سعادتهم.

لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
وفيه: إن أدعى خصال السلطان إلى صلاح الرعية وأقواها أثرًا في تمسكهم
بأديانهم وحفظهم لمرواتهم إصلاح السلطان نفسه وتنزهه عن سفاسف
الأخلاق، وبعده عن مواضع الريب وترفيه نفسه عن استصحاب أهل البطالة
والجور واللعب واللهو والإعلان بالفسوق.

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب

رجوع وانعطاف

لما أفتك إبراهيم الشريف بمراد بايعه رؤساء الأجناد وقدم الحاضرة وتم له
الأمر، وجاءه تقليد منصب الباشا، وكان كاهيته المولى حسين بن على زكى وله
حروب مع الجزائريين وغيرهم، وأخيرًا هزموه وأسرده، فكانت ولايته ثلاثة أعوام
وشهرين، وكانت سيرته أولا حسنة ثم طفق في ظلم الرعية، فذبح أبناءهم
ونساءهم، واستصفى أموالهم وكاد أن يستأصل العرب وإبلهم وخيلهم لشدة
بغضه لهم، ولظلمه لم تطل مدته ولو دامت لأهلك الحرث والنسل، ومعلوم أن
الظلم إذا دام دمر والعدل إذا دام عمر، قال أبو العتاهية:

أما والله إن الظلم لوم ولكن المسيء هو الظلم
إلى ديان يوم الدين غمضى وعند الله تجتمع الخصوم
سل الأيام عن أمم تقضت فتخبرك المعالم والرسوم

ولما وقع بإبراهيم الشريف ما ذكرناه وقع الاتفاق على تولية كاهيته حسين
ابن على تركى وقبلها بإلزام بعد تمنع، وتمت له البيعة في ربيع الأنور سنة ١١١٧،
كان والده على تركى، وبه يلقب، قدم من جزيرة كندية إلى الحاضرة في أوائل
دولة بنى مراد، فولاه قيادة أزمّة الأعراب، وكان من أهل الكفاءة والنجدة، وتوفى
سنة ١١١٣، ونشأ ابنه المذكور في خدمة الأمراء المراديين، وتقلد الولايات
الجليلة، وتسبب الخطط الرفيعة كخطة خزنة دار وكاهية الخلافة وولاية الأعراض
والجريد، وهو بانى الملك الحسيني، جعلها الله كلمة باقية في عقبه أبد الآبدين.

توارث الملك بنوه كابراً عن كابر إلى هذا الوقت على الترتيب الآتى بيانه وله حروب مع القائمين عليه كان الظفر حليفه، ورسخت قدمه، وكانت أيامه مواسم ثم ثار عليه كفيله ابن أخيه على باشا بن محمد بن على تركى، كانت ولادته سنة ١١٠١ فقتناه عمه الأمير المذكور وأحسن تربيته وتهذيبه، وليس له إذ ذاك أولاد وأولاه أمير أمراء الاحمال سنة ١١١٨، وزوجه ابنته وأجراه مجرى الأولاد إلى أن وهب الله له ولياً من لدنه يرث ملكه، فولد له المولى محمد باى، ولما بلغ من العمر خمسة عشر عاماً أولاه باى الاحمال وأولى ابن تربيته باشا فأنف على باشا من ذلك وهرب هو وابنه يونس إلى وسلات وذلك سنة ١١٤٠.

وخرج عمه لقتاله آل أمره لفراره مع ابنه للجزائر وساءت حاله، ثم أمده صاحب الجزائر بعسكر قدم به سنة ١١٤٧، ولما قدم هذا العسكر الحاضرة خرج الأمير بعسكره، ووقع القتال بين العسكرين آل الأمر بالهزم وفراره إلى القيروان، ولحق به أبنائوه واعتصموا بها، ودخل غالب بلاد الساحل فى طاعتهم ودامت الحرب بينهم وباشر أكثرها يونس باى، ولما ضاق الخناق على أهل القيروان بطول الحصار خرج الأمير منها بمن بقي معه وبأثر خروجه استشهد وذلك فى صفر سنة ١١٥٣، وحمل ودفن بترتبه بالحاضرة.

وأما أبنائوه فإنهم توجهوا إلى المغرب وسيأتى خبرهم، وهذا الأمير هو الذى أحيا رسوم العلم بعد إعفائها، وأيقظ أجفان طلبته بعد إغفائها بالتفاته إلى أهل العلم بالصلوات المتوالية والإكرام لهم والتعظيم والمجالة، وله فى التزام الأحكام الشرعية قدم راسخة يحمل العامة والخاصة عليها فيما يجرى بينهم من المعاملات، وكانت أيامه كالخصب بعد الجذب، والأمن بعد الرعب، والسلم بعد الحرب.

سعدت المملكة وأهلها به، وامتألت أيديهم بالمكاسب، فأناروا الأرض وعمروها وأغرى عن العمل ما قوى به الأمل، ووقع التنافس فى الصنائع وغيرها مما هو محمود والناس على دين ملوكهم، وفى أيامه كان سوق العلم نافقاً والعلماء الفحول كثيرون، منهم: الشيخ محمد زيتونة المذكور، كان يبعث إليه ويستشير، فكان إذا أتاه يخرج إليه لتلقيه خارج البيت ويأخذ بيده ويقوده ويجلسه حذوه

ولا يحضر معهما ثالث في الغالب، ومن مآثره الجليلة، إحياء مدينة القيروان ومساجدها وزواياها، وبناء مدرسة النخلة، والمدرسة الحسينية وجامعه الشهير، وأول صلاة أقيمت به ظهر يوم الأحد رابع عشر شوال سنة ١١٢٩، وأنشأ مدارس بصفاقس ونفطة والقيروان وفسقية الملاسین، وغير ذلك مما هو كثير، وقد ذكرت ترجمته مفردة ومضافة، وأتى على أكثرها أبو عبد الله محمد سعادة في كتابه المسمى بقرة العين في فضائل الأمير حسين، والمؤرخ الشيخ حسين خوجة، المتوفى سنة ١١٦٩ في تاريخه بشائر أهل الإيمان، والشيخ عبد الرحمن الجامعي في الدرر المديحية في الدولة الحسينية، والوزير حمودة بن عبد العزيز في باشيه، قال فيه: قد ألم أبو عبد الله محمد الوزير السراج في حلله السندسية بأخبار المولى حسين بن على باى بلغ فيه إلى سنة ١١٤٤، غير أن الجزء الرابع أحرقه على باشا لما اشتمل عليه من أن القصد منه في قيامه على عمه يجبل وسلات، فلا يوجد منه عين ولا أثر. انتهى.

وفي الاستطلاعات البريزية اتفق لى أنى تذاكرت مع أحد علماء باريز في التواريخ العربية المختصة بالملكة التونسية، ومنها تاريخ الوزير السراج وأنه لا توجد منه نسخة كاملة عندنا لوقوع إحراق الجزء الأخير، ولما ذكرت له ذلك أطلعنى على ديوان كتب مكتبة المونيك في البافره من ألمانيا فإذا به نسخة تامة مؤلفة من أربع مجلدات

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: سعيد الشريف، ومحمد قويسم، ومحمد الغماد، ومحمد فتاة، وعلى النورى، وعبد العزيز الفوراتى، وإبراهيم الجمنى، ومحمد زيتونة، والوزير السراج، ومحمد الخضراوى.

الطبقة الرابعة والعشرون

لما بلغ أهل الحاضرة انهزام الأمير الباشا حسين في الواقعة التى قدمنا ذكرها، بايعوا ابن أخيه الأمير الباشا على باى في صفر سنة ١١٤٨، ولما استقل بالامر أرهف الحد وحكم السيف في شيعة عمه، واشتدت سطوته وعظم سلطانه،

وصادر الأمة بالمال الكثير، وعرضت في مدته محاربات فاز فيها بالظفر، ووقعت بينه وبين دولة فرنسا وحشة آلت إلى صلح.

وفي سنة ١١٥٩ قدم الإخوة أبناء الأمير حسين من الجزائر ومعهم محلة أميرها باى قسنطينة إلى الكاف، وامتدت أعناق الآمال إلى الإسعاف، ووافتهم نجوع العرب بالمدد وبالرجال والعدد، لولا ما غدر به أمير المحلة فردها بدون كبير قتال، وغره في ذلك ما وصله من المال، وتفرقت جموع الحاشدين وأسفوا من شماتة الحاسدين، ومات من شدة الأسف أحد أبناء الأمير محمود، وكان بطلا مقداما شهما هماما، ثم تفرقت كلمة أبناء على باشا بسبب الحسد، وأدت هاته التفرقة إلى حصول وحشة بين الأمير يونس ووالده.

بسبب ذلك باشر السعى بنفسه بمعاودة ابنه سليمان ويونس نبذ بالعراء ثم قام على أبيه، وانقسم الناس إلى قسمين: قسم مع الباشا، وقسم مع ابنه يونس، وقامت الحرب على ساق داخل الحاضرة وصوبت المدافع على الدور والمساجد والجوامع، ونال الناس الرعب من كور المدافع، وأصابت قبلة سارية من سوارى جامع الزيتونة وعظم الخطب، وآل الأمر إلى انخزال يونس وفراره إلى قسنطينة، ثم إن ثالث الإخوة محمد فوق سهمه لأخيه سليمان لما خشى من وراثته الملك بعد أبيه، لما يرى لأبيه من إثارة عليه لما فيه من الأهلية فعاجله بالإطعام فمرض أسبوعا وفاضت نفسه، على حين لم يكن والده متوقعا ذلك فتوفى مسموما سنة ١١٦٨.

وأعلم أبوه بصنيعه بأخيه، وتحقق أن الله أذاقه بأس ولده محمد لإعدامه لعضدى نصرته: يونس بالفرار، وسليمان بالممات، وكان ذلك من مبادئ انتقام الله منه، والله عزيز ذو انتقام، ولازمه الأسف، وهذا الباشا كان مع سفكه للدماء وامتتهانه للخاصة وإضراره للملكة بمظالمه معدودا من العلماء، وله شرح مهم على تسهيل ابن مالك، ويقال: إن شيخه أبا عبد الله الخضراوي كانت له يد في تأليفه، وقرظه علماء عصره، منهم: أبو الحسن على البارع بقوله:

لله شرح للأمير موضح لم يتصف بصعوبة التلويح

سهل التناول بالخفاء مصرح قد فاق في التسهيل والتصريح
 فإذا افتقرت إلى كتاب موضح فكتابه المغني عن التصريح
 وله ولوع بجميع الكتب واكتسابها، وله مآثر جليلة منها تربته التي
 بالقشاشين، ومدرسته الباشية والسليمانية نسبة لولده سليمان، وقدم لمشيختها
 الشيخ محمد الغرياني وهاته الأبنية حول الجامع الأعظم ومدرسة بير الأحجار،
 ومدرسة حوانيت عاشور، وقدم لمشيختها الشيخ عبد الله السوسي، وأوقف على
 جميع ذلك أوقافا، وجعل جريات للشيخ والتلامذة إعانة على طلب العلم
 الشريف، واعتنى بتحسين البلاد، وجهاز الثغور، وأجرى السقايات العظيمة النفع،
 وهدم الخانات ومنع بيع العنب لمن يعصره خمرا، وبني مباني ضخمة بباردو، ولما
 امتلأ مكيا له ولاقى من عقوق بنيه ما صنعه لعمه جزاء وفاقا وقيدته هوم فقد
 ولديه وصارت النفوس شعاعا من تصرفات ابنه محمد باي، حنوا إلى بني ملكهم
 حنين الغريب إلى الوطن، وكتبهم الكثير من أهل الحل والعقد يحثوهم على
 القدوم للقيام بشأنهم فقدموا ومعهم محلة من الجزائر بما انضم إليهم من العشائر
 حتى نزلوا قبلى الحاضرة، ولج الباشا وابنه محمد في القتال حتى انهزما معا، وقتل
 محمد قرب الملاسين، وأسر الباشا ثم قتل بعد أيام في ذى الحجة سنة ١١٦٩ وقد
 استكمل استقصاء خبره وخبر عمه وأبناء عمه المؤرخ الشيخ محمد بن يوسف
 الحنفى الباجى في تاريخه المسمى المشرع المكنى بدولة أبناء على تركى ودفن
 بتربته، ورثاه كاتبه الشاعر المفلح محمد الورغى بقوله:

مضت دولة الباشا على كآته من الدهر يوما فى البرية ما عاشا

أته المنايا وهو فى عظم قوة وجيش كثيف مثله قط ما جاشا

فصار دفينا بعد ما كان دافنا فقلت وقد أرخته دفن الباشا

وأثر ذلك دخل الحاضرة الأمير الباشا محمد بن حسين باي وأخوه على فى
 يوم مشهود خفقت فيه الرايات والبنود فى ذى الحجة سنة ١١٦٩، فهرعت
 الخاصة والعامة إلى بيعتهما واطمأنت الأنفس، وقرت العيون، يعود الدر إلى
 معدته، وجلس محمد على كرسى المملكة فزانه بعدله وإحسانه، وكان من سمحاء

الملوك، وصدور الأدباء، وفحول الشعراء، له ديوان شعر بديع وقصائد نبوية وتوسلية تدل على حسن وثوقه بالله وأوليائه.

أما قصيدته الميمية والقافية فهما غاية في الإبداع، وقد سمي أولاهما محركات السواكن إلى أشرف الأماكن ومطلعها:

هل زورة تشفى فؤاد متيم يا أهل مكة والخطيم وزمزم
وشرحها قاضي محله وأستاذه الشيخ محمد بن محمد الشافعي الشريف بجزئين
ضخمين التزم في شرح كل بيت منها خمسة فنون: اللغة، والنحو، والمعاني،
والبيان، والبديع، فهو شرح مشحون علماً وأدباً.

وأما القصيدة القافية فشرحها الشيخ صالح الكواش، وقيل: ابنه محمد
الكواش، وكانت أيامه على قصرها مواسم بواسم، وتوفي في جمادى الثانية سنة
١١٧٢، ورثاه الشيخ محمد الورغي المذكور بقصيدة مطلعها:

هذا ضريح للإمام الأجدد فخر الملوك السيد ابن السيد
وآخرها:

بشرى له إذ جاء في تاريخه يا حسن حور زينت لحمد
وأطال الثناء عليه الوزير حمودة بن عبد العزيز في باشيه بما هو أهله، وبعد
انتقاله للدار الآخرة اجتمع أهل الحل والعقد على بيعة أخيه الأمير الباشا على، ولما
تمت له أقر رجال دولة أخيه على مناصبهم وقرر الأمور على ما كانت عليه،
واستعمل من الرفق والحنان ما جلب به جمع القلوب، واصطفى بمجلسه العلماء
ودخل في زمرة من يوسعهم برّاً وإكراماً مؤدياً لحقوق احترامهم الواجب، مع
ما له من الذكاء والمشاركة في العلوم، وحب المحاورة، وملازمة صحيح البخاري
بنفسه، وحصل على إجازات عامة من الشيخ عبد الحفيظ تلميذ الشيخ أحمد بن
نصر وغيره.

وبالجملة فإنه كان ملكاً شجاعاً، عاقلاً، ذا صيانة وعفاف، ونجدة وحلم
وكرم، وأقام في دولته سوق العلم والأدب فكثرت فيه الشعراء وتنافسوا في
مدائحه بدواوين من الشعر، وأولاهم من الجوائز والصلوات ما هو كثير، أفرد له

وزيره أبو محمد حمودة بن عبد العزيز تأليفه الباشى فى مجلد ضخيم جمع فيه مفاخر مملكته ودولته، واستوفى من خصاله الحميدة وقصائد مديحه ما لم يخطه غيره من المؤرخين.

وفى سنة ١١٧٣ ثار عليه إسماعيل ابن الأمير يونس وتحصن بجبال شيعتهم من قبل، وكانت له حروب معه شاقة بجبال ووسلات وآل الأمر إلى فراره وانحلال عرى عصابة أهل وسلات، وبعد ما دانوا له بالطاعة فرقههم على قرى إفريقية، وأصبح جبلهم خاويًا على عروشه من يومئذ إلى هذا العهد. وأما إسماعيل المذكور فإنه فر إلى الجزائر، وتوفى هناك سنة ١١٨٤، ووقع بينه وبين دولة فرنسا حرب ثم وقع صلح بينهما.

ومن مآثره الأثرية الخالدة: مدرسته الشهيرة، وتربته حذوها وهى مدفن آل هذا البيت إلى هذا العهد، ومنها تكتيتان مشهورتان للفقراء والمساكين، وبناء المحكمة الشرعية والمياه العذبة التى أجراها للحاضرة، وبناء سور القيروان، ونظم مكتبة بالكتب أنيقة بمسجد دار الباشا حصل بها النفع وغير ذلك.

ومن مآثره بالمنستير الإصلاحات بالجامع الأعظم، وتأسيس الجامع الحنفى وبناء سور الرابط الجوفى، وبناء مقام الإمام المازرى بعد نقله من مدفنه الأول، وإقامة مدرس به، وبناء مقام أبى على يونس بن السماط بعد نقله أيضاً من مدفنه الأول.

وفى أيامه وقع إبطال تولية القضاء من الحضرة العلية ونصب قاضياً حنفياً من الحاضرة وقاضياً مالكيًا يفصلان ما خف من القضايا ويراسلان بما أشكل عليهما المفتين من المذهبين، ويعقد فى كل أسبوع مجلساً لفصل تلك القضايا، ومن مفاخره تعطيل الخمر والتكثير بالخمارين وهدم الخانات، وإجراء الصدقات، وعهد بالولاية لابنه حمودة وراسل الدولة العلية فى ذلك، وجاءته الخلعة والتقليد فى محرم سنة ١١٩١، وتمت له البيعة، وتوفى آمن السرب على الكعب سنة ١١٩٦.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء حمودة الريكلى، ومحمد سعادة، ومحمد الشحمى، وقاسم المحجوب، ومحمد الغريانى، ومحمد الورغى، ومحمد بن سعيد، ومحمد الطوير.

الطبقة الخامسة والعشرون

لما تخلى المولى على باشا عن الملك لابنه حمودة بايعه أهل الحل والعقد فى التاريخ المذكور، فاستقام أمره ورسخت قدمه، وكان والده بلغ الغاية فى تربيته وتهذيبه وتأهيله للإمارة على يد فحول من علماء دولته عارفين بالرياسة والسياسة، منهم: وزيره حمودة بن عبد العزيز فنشأ فى درجة الإمارة شهماً، ورمى فى كل غرض من أغراضه سهماً، فكان فى سلسلة الجيد الحسينى واسطة عقد ودرة يتيمة، ذا همة باذخة، وحال شامخة، حازماً حامياً للذمار، غير متحمل للعار، خبيراً بسياسة البلاد نصوحاً لها حسن التدبير، محباً للعلماء والصالحين يباشر المهمات بنفسه، مقتصداً فى شخصياته، حافظاً لأموال المسلمين عن غير مصالحهم، لا تأخذه فى الله لومة لائم، وحارب البننسيان سنة ١٢٠٤، ثم انفصل معهم على صلح وأرسل وزيره يوسف صاحب الطابع إلى دار الخلافة فأحكم وصلته معها سنة ١٢١٠.

وفى سنة ١٢١٨ لما كانت مجاعة كبرى بإفريقية وجه العالم الطائر الصيت الشيخ إبراهيم الرياحى الحاضرة فاس بمكتوب إلى سلطانها الشريف المولى سليمان فى استمداد الميرة فأعظم السلطان مقدمه وأمدّه بمطلبه، وتقدمت الإشارة إلى ذلك فى ترجمة هذا الشيخ.

وكانت له حروب مع الجزائريين آلت باهزام جيشه، ولما بلغه خبر الهزيمة هاله الأمر فنهض رجال دولته كالوزير يوسف صاحب الطابع ومن تابعه من الوجوه كالهمام محمد الجلولى، وهونوا عليه الخطب، وجهزوا فى الحين من أموالهم محالا أخرى، وخرجت تلك الأحمال لنظر وزيرهم المذكور فى احتفال مشهود فى أفخم شارة وأحسن زى، والتقى بجيش الجزائريين، وبعد قتال انتصر هذا الوزير واستولى

على محلّتهم بما حوت من الذخائر والنفائس، ورجع مؤيِّداً منصوِّراً غانماً في ربيع
الأنور سنة ١٢٢٢، وزُيّنت البلاد وتوالت الأفراح، ومن ذلك اليوم نزعَت البلاد
أطمار مهانة الجزائريين ولبست ثياب العز، وأصبحت رافلة في جلايب أمنها.

وهو الذي حكم المذهب المالكي في ثبوت الأهلة، وكان يشق على المتعمقين
من مقلديه تقليد المذهب الحنفي حتى كانوا يصومون ويفطرون سرّاً إذا لم يكن
ثبوت ذلك على قواعد مذهبهم، وهم السواد الأعظم، قال: كلهم على هدى من
ربهم ورحمة، وحسبنا تقليد إمام دار الهجرة، لا سيما وأهل مذهبه هم السواد
الأعظم في المملكة، فأمر القاضي المالكي بمباشرة ذلك، ولم يزل العمل جارياً
بذلك إلى هذا العهد.

وله مآثر كثيرة كالأبراج الضخمة، والقشل الكثيرة داخل الحاضرة
وخارجها، والسوق القريب من سوق التركي، وقصره المطل عليه، البالغ الغاية في
الاحتفال وهو من أفخم الآثار يباهى به في الأقطار، وكانت له أساطيل لنكاية
العدو في غاية المنعة.

وبالجملة فإن هذا الأمير تصرف في المملكة تصرف الأب الشفوق على أبنائه،
وأحيا لها ذكراً وفك لها أسراً، وتوفى على الكعب عظيم الجاه بعيد الصيت فجأة
ليلة الجمعة مفتتح شوال سنة ١٢٢٩.

وفي يوم الجمعة الموافق ليوم المولد النبوي من السنة أقيمت صلاة الجمعة بجامع
الحلفاوين الذي أنشأه وزيره أبو الخيرات يوسف صاحب الطابع، وحضر هذا
الأمير الصلاة به في وجوه دولته، وكان يوماً مشهوداً، ووضع به أربع خزائن من
نفائس الكتب العلمية في يوم كان جامع الزيتونة لا كتب به، وأوقف عليه وعلى
المدرسة المؤسسة حذو هذا الجامع أوقافاً طائلة، وله غير ذلك من الآثار الخالدة،
والمرافق الجليلة، والسبل النافعة، والصدقات الجارية، مع ما اشتهر به من محبة
العلماء والصالحين، ومات شهيداً في خير طويل في صفر سنة ١٢٣٠ على عهد
المولى محمود باي، الآتي ذكره.

وفي ليلة العيد التي مات فيها المولى حمودة تمت البيعة لأخيه عثمان، باتفاق من أهل الحل والعقد، وكانت أيامه على قصرها أيام خصب ورخاء، واستشهد بعد خلعه ليلة عاشوراء سنة ١٢٣٠، وبويع لابن عمه الأمير محمود باشا ابن المولى الباشا محمد بن المولى حسين بن علي صبيحة الليلة المذكورة، وباشر الأمر برفق، وأمنت في أيامه السبل، ودانت لطاعته القلوب، وكان مفضلاً ذا حلم وحنان، محمود الأخلاق طيب الأعراق سمحاً، ومشتهراً بالكرم وفعل الخير إلا أن الإمارة وافته على كبر سن مع المرض، فمال للراحة وفوض الأمر لابنيه.

ومن آثاره البيت الذي أنشأه بقصر باردو، الذي لم يسبق نظيره في البلاد جعل سقفه من البلور المعقود بالصفائح المذهبة بإتقان بديع، وألبس حيطانه الرخام المنق المرونق على أبدع شكل وأجمل منظر، وأنفق الأموال العظيمة في جلب الأقوات الكافية لسد خلة المملكة في مجاعة عام ست وثلاثين، وذلك عقب الطاعون الفتاك الذي دام أكثر من عامين، وكانت مدته في أمن وسرور إلى أن توفي في رجب سنة ١٢٣٩ بعد أن عهد بالإمارة لابنه المولى حسين باشا وتمت له البيعة بعد وفاة والده وقام بالأمر أحسن قيام.

ومن الحوادث التي كانت في أيامه إمداد الحضرة السلطانية بالعساكر والميرة، إعانة على قتال العدو المحارب لها، ومنها: عقد صلح مع دولة الصاردو، بعد وقوع الوحشة، وفي محرم سنة ١٢٤٦ استولت فرنسا على الجزائر ثم على باقى الثغور شيئاً فشيئاً، وقدم بعض أهلها لحضرته فأوسع لهم الكنف وأحلهم على الغبطة والأمان، وفي سنة ١٢٤٧ رتب الجند النظامي وأحكم أساسه ورتب قوانينه وابتنى لسكناه قشلة المركاض، وهى من المباني الضخمة، وفي السنة وافته الخلعة النظامية السلطانية، وكان لباسه لها في يوم مشهود ومحفل عظيم، وهو المجدد لرباط المنستير، وفي أيامه وقع مسك الغيث وجزع الناس من ذلك وطاشت أفكارهم، ولما رأى هذا الأمير شدة الحال أمر العلماء بقراءة صحيح البخارى بجامع الزيتونة فاجتمعوا وفرقوا أسفاره في جماعتهم وختموه في يوم واحد، وهو

أول من سن هاته السنة، وجرى العمل إلى هذا الوقت بقراءته على نحو ما ذكر عند الشدة.

وكان شهماً هاماً، وقوراً محباً لمعالى الأمور، محافظاً على شارات الملك، كريم النفس، لطيف الأخلاق، شجاعاً كثير العطايا، أمنت في دولته العباد والبلاد توفى في محرم سنة ١٢٥١.

تنبيهات: الأول: كان في عهد الأمير المولى محمود باشا المذكور طاعون جارف دام أكثر من عامين، مات فيه في بعض الأيام آلاف ثم أعقبته مجاعة، وللدول في شأن الطاعون قوانين جرى بها العمل برأ وبجرّاً لاتخاذ ما يلزم لقطع عداوة على زعمهم، وتعرف بالكرنتينة، ووقعت محاورة في شأن ذلك بين أبي عبد الله محمد المناعي، المذكور بهاته الطبقة، وبين العلامة الهمام العمدة الإمام محمد بيرم، شيخ الإسلام الثاني، فهو يقول بالجواز والمناعي يقول بالمنع، وألف كل رسالة حافلة في الاستدلال على رأيه بالنصوص الفقهية.

والحاصل في ذلك أن العلماء اختلفوا في هذا الطاعون إلى قسمين: قسم يرى الاحتفاظ وعدم الخلطة، وربما ساعده بعض ظواهر الشرع العزيز منها «فر من الجذوم فرارك من الأسد» مع دليل التجربة، فإن غالب من تحفظ حفظه الله، مع اعتقاد أن المؤثر هو الفاعل المختار، وكان هذا ينظر إلى رأى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإلى هذا مال شيخ الإسلام، ومنهم من لا يرى هذا الاحتفاظ وربما ساعده بعض ظواهر الشرع العزيز كقوله: «لا عدوى» ويرى التسليم إلى ما جاء في القدر، ومن القدر لا يغني الحذر، وهذا رأى سيدنا أبي عبيدة رضي الله عنه، وإليه مال المناعي.

وهاته المحاورة أشار إليها الشيخ رفاعة الطهطاوى في صدر رحلته، وتعرض للمسألة مؤلف الاستقصا في استقصائه ومال إلى المنع، كما تعرض لها الشيخ محمد السنوسي في استطلاعاته، والشيخ رفاعة المذكور اجتمع به الشيخ أحمد بن أبي الضياف في باريز سنة ١٢٦٣ حين توجه لما مع الأمير أحمد باشا باي.

الثاني: وقعت محاورة أيضًا بين هذين الشيخين في كورية الأرض وبسطها، فالبسط للمناعي والكورية لخصمه، ورجح بأدلة ذكروها، وهذا الخلاف مبسوط في روح المعاني عند قوله عز ذكره: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ وقد مال الكثير من المتأخرين إلى الكورية، ومنهم الشيخ محمد الكتاوي بأرض أزوات بالمغرب من بلاد تنبكت، وكان من أعلام العلماء الأئمة الفضلاء، ألف مختصرًا في فقه مالك ضاهى به مختصر خليل، وألفية ضاهى بها ألفية ابن مالك، وله مصنفات في كثير من العلوم الظاهرية والباطنية، وله أوراد وأحزاب كأحزاب الإمام الشاذلي، مات سنة ١٢٢٩، وخلفه حفيده المسمى باسمه.

الثالث: اعلم أنه كان للأمرء الدايات نفوذ عظيم ول بعضهم آثار مجيدة خالدة من أوائل المائة بعد الألف إلى أواخرها، وتقدم ذكر بعضهم ثم انحط نفوذهم، وإليك أسماءهم على نسق تنميما للفائدة، ناقلا ذلك من كناش بخط الإمام الهمام شيخ الإسلام بيرم الرابع ونصه ببعض تصرف: هذا ترتيب الدايات من حين الفتح العثماني.

اعلم أن ذلك الفتح لست مضين من جمادى الأولى سنة ٩٨١ على يد سنان باشا، وعندما أجمع على العود إلى الروم رتب بالبلد أربعة آلاف من العسكر وانتخب منهم أربعين رجلا، وجعل نظر كل مائة إلى واحد من الأربعين واستمر الأمر على ذلك الترتيب إلى سنة ٩٩٩، وقد ظهر من أولئك الأربعين جور عظيم فثار عليهم الجند ووقعت مقتلة عظيمة، ثم حصل الاتفاق على تقلص واحد يتولى الأمر ويلقب بالداي، فأول من ولى ذلك إبراهيم داي رودسلي، فمكث نحو الخمس سنين، ثم سار إلى الحج وعاش إلى ما بعد الستين وألف.

وولى بعده موسى سنة ١٠٠٩ فمكث سنة وذهب للحج فأرسل العسكر إليه أن لا يعود، وتولى عثمان دايا بعده وعلى عهده كان قدوم الأمم الجالية من الأندلس وذلك في سنة ١٠١٧، وهو أول من انفرد بالكلمة من الدايات، ومن مآثره قنطرة على طريق بنزرت وتوفي سنة ١٠١٩.

وتولى بعده يوسف دايا، ومآثره شهيرة توفي في ٢٣ رجب سنة ١٠٤٩.

وتولى بعده أسطى مراد، وهو من الأعلاج، وله مآثر شهيرة في البحر إذ كان من رؤسائه وهو المحدث لمرسى غار الملح لحصار قليه، وتوفى سنة ١٠٥٠.

وتولى بعده أحمد خوجه، وكان قبل ولايته رئيس خوجات الديوان.

ومن مآثره: البرج الثاني بخلق الوادى، وتوفى سنة ١٠٥٧، وهو صاحب التربة أمام مسجد سيدى على بن زياد.

وتولى بعده الحاج محمد لاز.

ومن مآثره: قنطرة قرب الشيخ أبى حميدة على طريق القيروان، توفى فى ١٣ شوال سنة ١٠٦٣، وهو صاحب التربة بالقصبة الشهيرة بتربة لاز.

وتولى بعده الحاج مصطفى لاز، وفى أيامه هجم الإنكليز على غار الملح وأحرق مراكب كانت بها، ثم وقع صلح معه، وبسبب ذلك بنيت أبراج به وجابية.

ومن مآثره المسجد المعروف بمسجد لاز، وتوفى فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٠٧٥.

وتولى بعده الحاج مصطفى قركوز، وكان ظلوماً وعُزل لخلل بعقله فى ذى القعدة سنة ١٠٧٦، ودُفن داخل القصبة خوفاً عليه من أولياء الذين قتلهم أن يخرجوه من قبره.

وتولى بعده الحاج محمد أغلى، وهو محبس الكتب على مفتى الحنفية وعزل سنة ١٠٨٠.

وتولى بعده الحاج شعبان خوجه، وقبل ولايته كان رئيس خوجات الديوان، وعزل فى ذى الحجة سنة ١٠٨٣، وتوفى بزغوان، وجيء به ودفن بترتبه المقابلة لمسجد الطراز.

وتولى بعده الحاج محمد منتشالى، ووقع خلعه بعد أحد عشر شهراً، وأرسل لزغوان وبها توفى، وجيء به ودفن بدر بيته المشهورة.

وتولى بعده الحاج على لاز، ووقعت بينه وبين الأمير مراد بن حمودة باشا فتنة عظيمة تعرف بواقعة الملاسین، فكانت الغلبة لمراد وقتل الدای فى منتصف صفر

سنة ١٠٨٤، فكانت مدته ثلاثة أشهر، ومن ذلك التاريخ استقل مراد باى وصار الداي يولى من قبل الباي، فولى مراد دايا الحاج مامى المعروف بالجمال، وهو صاحب التربة بزقة الخمسة بسيدى القبة وعزل فى فتنه الأميرين الأخوين محمد وعلى ابنى مراد فى أواخر ذى الحجة سنة ١٠٨٨.

وتولى بعده الحاج محمد بشارة، وكان رئيس خوجات الديوان، وبعد ثلاثة أشهر عزل وأعيد الحاج مامى الجمال فمكث أياماً، واضطربت عليه الأحوال، وتكررت غلبة كل من الأخوين محمد وعلى وتعاقب العزل والنصب، فسلم الحاج مامى والتجأ إلى زاوية الشيخ بلغيث القشاش، وأخرج منها بصورة أمان وسير به إلى على باى بنواحي الكاف، وكانت ذلك آخر العهد به.

وتولى أوزن أحمد، وبعد ثلاثة أيام ظهر أن علياً باى نصب دايا من جملة العسكر الذين معه بالخلعة، وهو محمد المعروف بطباق، كان قبل ولايته من رؤساء البحر، فلما سمع به أوزن أحمد خلع نفسه، وذلك سنة ١٠٨٨ ثم عزل على باى محمد طباقي سنة ١٠٩٢ وقتله خنقاً، وولى أحمد شلى فى شوال سنة ١٠٩٣، فسار أولاً برفق ثم رام الاستبداد بالأمر لما رأى من الفتن بين الأخوين، وإذ ذاك اصطالح الأخوان وظهرت بينهما وبين الداي محاربات فكانت الغلبة له فاستنجد الأخوان بالجزائريين، وهو أول استنجد وقع من ملوك تونس بهم، فحاصروا الداي المذكور بتونس مدة تقرب من سنة إلى أن وقع فراره ثم إمساكه وحبسه ثم قتله فى رجب سنة ١٠٩٧ خنقاً، وفى اليوم قتل الأمير على باى وتولى دايا الحاج بقتاش خوجة، وكان رئيس خوجات الديوان وهو صاحب التربة المجاورة للسلسلة بيطحاء القصبة، وبعد مدة من ولايته قدم عليه وظيف الباشا لك من جناب السلطنة، فجمع بينه وبين الداي لك، وبقي على ذلك إلى أن توفى سنة ١١٠٥.

وتولى حفيده على دايا، وسار سيرة حسنة، وبقي عليها إلى أن وقع قتال بين الجزائريين وبين محمد باى ببحيرة الكاف، وكانت الهزيمة عليه، وذلك فى ٥ ذى القعدة سنة ١١٠٥، وفر الأمير إلى تونس، فوجد الداي المذكور ركب البحر فاراً

إلى الروم، وتولى مكانه إبراهيم خوجه، وأعاد الجزائريون محاربة محمد باى وحاصروه بتونس حتى فر منها.

وتولى صهره محمد بن شكر الإمارة، وعزل الداي المذكور، وولى مكانه الحاج محمود فمكت ثلاثة عشر يوماً وعُزل، وولى مكانه محمد طاطار فمكت خمسة أشهر، وتغلب محمد باى على ابن شكر وقتل طاطارا، وولى مكانه يعقوب، وكان قد طعن فى السن فعزله وولى مكانه محمد خوجه رئيس خوجات الديوان، وكانت ولايته فى ربيع الأول سنة ١١٠٧، وعزله مراد المعروف ببوباله فى رمضان سنة ١١١٠.

وولى محمد آغة الصبايحية ثم عزله فى ربيع الأول سنة ١١١٢.

وولى مكانه محمد قهواجى، وعزله إبراهيم الشريف سنة ١١١٤.

وولى مكانه قره مصطفى، وهو صاحب التربة أمام دار إسماعيل كاهية بحومة يوسف داي، ثم عزله ولقب نفسه بالوالى، ولما ولى الأمير حسين بن على فى ٢٧ ربيع الأول سنة ١١١٧ ولى مكانه صارى محمد خوجة، وهو المعروف بالأزعر، فوقع بينه وبين الأمير حسين بن على مخالفة أفضت إلى قيام العسكر على الداي وعزله وقتله، وذلك فى ١٧ رمضان سنة ١١١٧.

فولى مكانه قره مصطفى المذكور وتوفى فى تلك السنة.

وبعده الحاج على سافر، وهو صاحب الدار الكائنة برأس الشبارلية، وقد أخبرنى الجد أنه كان قبل الولاية إماماً للأمير حسين بن على، حتى أنه كان يلبس — وهو داي — قرجية الفقهاء أحياناً.

وتولى بعده الحاج محمود فى سنة ١١٥٣.

وبعده الحاج على سنة ١١٥٤.

وبعده عمر، ولم تطل مدته.

وبعده محمود، وتوفى أواخر صفر سنة ١١٥٦.

وبعده حيدر خوجة.

وبعده الحاج عبد الله.

وبعده على سنة ١١٦٦، وتوفي سنة ١١٧٨ ودفن بالجلاز أمام تربة القلاشنة.

وبعده على كردغلي، ووقعت وقعة الجزائريين التي قتل فيها على باشا، وعزله محمد بن حسين باي وولى مكانه الحاج حسين المورالي، وتوفي سنة ١١٧٣ ودفن بتربته بحوانت عاشور.

وولى بعده الحاج حسين قاره دنغزلي، وهو والد الشيخ إبراهيم الشهير بولد لاغه، المشهود له بالولاية، ومدفنه ومدفن ابنه بالتربة قرب السباطية. وبعده مصطفى الشهير بالزغوان.

وبعده حسين بن محمد، وتوفي سنة ١١٩٦.

وبعده إبراهيم بوشناق سنة ١١٩٩ ثم عزل سنة ١٢٢٠.

وبعده أحمد البوندى وعزل في محرم سنة ١٢٣٧، وتوفي بعد عزله بثلاثة أيام، ودفن بتربة بحوانت عاشور.

وبعده فيض الله، وكان قبل ولايته آغة بيت المال، وتوفي بعد عزله في شعبان سنة ١٢٣٨، ودفن بتربة إبراهيم بوشناق.

وبعد عمر بن محمد، وتوفي سنة ١٢٤٧، ودفن بتربة الحجار.

وبعده حسن، وتوفي فجأة في ربيع الثاني سنة ١٢٤٨، ودفن مع الداي قبله.

وبعده مصطفى، وعزل في جمادى الثانية سنة ١٢٥٨.

وبعده أحمد آغه. انتهى.

وقد أتى على ذكرهم صاحب الخلاصة النقية انظره.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: حمودة بن عبد العزيز، وصالح الكواش، وعمر المحجوب، وأخوه محمد، ومحمود مقديش، وحسن الشريف، ومحمد المناعي، وإسماعيل التميمي.

الطبقة السادسة والعشرون

لما توفي المولى الأمير حسين باشا تمت البيعة لأخيه المولى مصطفى باشا، فابتدأ الأمر من حيث انتهى أخوه، وأقر رجال الدولة على مراتبهم، وكانت أيامه أيام

سكون وهدوء وأمن وعافية، وأعاد المجلس الشرعى إلى عاداته من الاجتماع بحضورته يوم الأحد من كل أسبوع، وكان ذا ذاهن وقاد، وفهم مصيب لما يرد عليه من التوازل، وهو أول من لبس النيشان من بنى المولى حسين فوافاه من الدولة نيشان أمير أمراء فى شعبان سنة ١٢٥١ ومعه سيف محلى ولبسهما فى يوم مشهود، وهو أول من صاغ نيشان الافتخار ونقش عليه اسمه بحجر الديامنت، وألبسه وزير الأمور الخارجية.

وفى شعبان سنة ١٢٥٢ استأذن الشيخ إبراهيم الرياحى فى السفر لبيت الله الحرام وأسعفه لذلك، حسبما تقدمت الإشارة لذلك فى ترجمة هذا الشيخ.

وتوفى هذا الأمير فى عاشر رجب سنة ١٢٥٣، وفيه تمت البيعة لابنه المولى المشير أحمد باشا باى وبمجرد ما تمت له البيعة شرع فى إعادة شباب الدولة وتضخيمها، وباشر بنفسه دقيق أمور الدولة وعظيمها، ومهد الأحوال وجند الجنود، وجبى الأموال، وخلد آثاراً ارتقى بها مرتقى شامخاً معلوماً باذخا، وجمع من العسكر النظامى ما يزيد على الثلاثين ألفاً، وبنى لهم القشل والأبراج العظيمة وأسكنهم بها.

وفى سنة ١٢٥٤ أرسلت له الدولة العلية الخلعة السنية ونيشان المشيرية، وذلك على عهد السلطان محمود خان، فتلقى لباس المشيرية فى موكب مشهود، وفى السنة جعل مرتباً لأهل المجلس الشرعى المالكى مثل المجلس الشرعى الحنفى، وفى السنة توجه الشيخ إبراهيم الرياحى إلى دار الخلافة فى مهم، وتقدمت الإشارة إلى ذلك فى ترجمة هذا الشيخ.

وفى سنة ١٢٥٦ وجه عنايته للعلم الشريف وإعانة طلابه بما بقى أثره، وكتب على صفحات الأيام خبره، فاشترى كتباً كثيرة لها بال، وأضاف لها كتب آله الموضوعة بخزائن أسلافه، وأمر شيوخ المجلس الشرعى والعلماء بالحضور بجامع الزيتونة لقبولها، ولما وصلت تولى العلماء تطبيقها على أسمائها، وجعل برنامج لها ثم وضعت فى خزائنها العشرين، زين بها صدر الجامع على يمين المحراب وشماله، وكتب على كل مجلد منها رسم تحيسه، وأباح للمتتبع به إخراج الكتاب من

موضعه مدة عام فقط، ورتب لها وكيلين، يأتى كل أحد منهما إلى الجامع على التناوب لمناولة الطالبة ما يحتاجونه.

وفي رمضان سنة ١٢٥٨ رتب ثلاثين مدرساً بهذا الجامع، نصفهم من الحنفية ونصفهم من المالكية، وعين لهم جراية من بيت المال، كما رتب اثني عشر مدرساً: ست حنفية وست مالكية، هم دون الرتبة الأولى في المرتب، على أن يُقرئ كل واحد منهم بالجامع درسين في أى فن وفى أى وقت تيسر، ومن تخلف من غير عذر شرعى لا يستحق المرتب أيام تخلفه، إلا يومى الخميس والجمعة، وشهر رمضان، وأيام العيدين.

وجعل النظر فى ذلك لشيخى الإسلام الحنفى والمالكى، والقاضيين الحنفى والمالكى، وعين لهم جراية من بيت المال، بشرط أن يأتى كل واحد من الأربعة يوماً إلى الجامع لتحريض المتكاسل، وكتب فى ذلك منشوراً بالذهب وعلقه عند باب الشفا من الجامع، وميّز هؤلاء المدرسين بأن يأتوا فى الأعيان مجتمعين يؤمهم كبير أئمة الجامع ويقبلهم بعد أهل المجلس الشرعى، ولم يزل يوجه إليهم العناية حتى ظهر العلم وتجدد شبابه وسال سيله وعب عبابه، وانفتح للاجتهد بابه، وظهر بالحاضرة أعلام جلة نجوم أهلة من حنفية ومالكية، هم شمس وبدور تتحمل بهم المحافل والصدور.

وفى ذى القعدة سنة ١٢٦٢ توجه لباريس وكان الاحتفال به هناك عظيماً، ورجع لتونس فى محرم سنة ١٢٧٣.

وفى السنة بعدها منحت دولة فرنسا إدخال السلك البرقى للمملكة التونسية على شروط انعقدت بينهم فى ذلك، ولما وقعت الدولة العثمانية فى الحرب مع الروس جهز لها آلافاً من العسكر النظامى بجميع لوازمهم وجهها إعانة لخليفة الإسلام على عهد السلطان عبد الحميد خان.

وهو أول من اتخذ من ملوك هاته الدولة عمل المولد النبوى بإحياء ليلته والحضور لقراءته صباحاً بجامع الزيتونة فى شارة عظيمة وحفل فحيم، وهو عمل مشكور، وكان شهماً حازماً ذا صولة عظيمة، يعطى العطايا السنية، ولم يزل فى

صولته ساعياً في تضخيم دولته إلى أن أصابه فالج ثم وافته المنية في رمضان سنة ١٢٧١.

وانعقدت البيعة بوفاته لابن عمه المولى المشير محمد ابن المولى حسين باشا ابن محمود باشا، نشأ هذا في عز دولتي جده وأبيه.

وفي ذى الحجة سنة ١٢٧٢ رجعت عساكر الجهاد الذين توجهوا لدار الخلافة الإسلامية فتلقاها بغاية البر والإنعام، والمبرة والإكرام، وأسقط على الرعية الكثير من الإداآت والضرائب، وساعده البخت بحصول الخصب العظيم الذى بعدَ العهد بمثله، واجتهد في تأمين الرعية في الحواضر البوادی، وحصل بذلك الاطمئنان، واعتنى بالمجلس الشرعى فبنى دار الشريعة المطهرة وجعل الحكم فيها يومياً يحضر هناك القاضيان المالكي والحنفي، ويحضر مع كل واحد منهما في كل يوم مفت من شيوخ مذهبه، ويجتمع جميع أهل المجلس في كل يوم خميس، وفتحته في الخامس عشر من ربيع الأنور سنة ١٢٧٣.

وهو الذى أمر يجلب ماء زغوان للحاضرة، وإقامة مجلس بلدى بها، وبني بين قصور باردو قصرًا تحار دونه الألباب، أتى فيه من بدائع الأبنية بالعجب العجائب، وهو الآن خزينة الآثار العتيقة والتحف المستزفة، ويعرف بالمتحف العلوى.

وهو أول من ضرب سكة الذهب، وكانت قبل مسكوكات الفضة النحاس لا غير، وفي محرم سنة ١٢٧٤ أصدر منشور عهد الأمان لسائر السكان في حفظ النفس والمال والعرض، وعم بذلك أهل الملل الملك، وجمع أعيان العلماء ورجال الدولة للمفاوضة في هذا العهد.

في سنة ١٢٧٦ صدر الإذن بتأسيس مطبعة لصحف الأخبار والكتب، وكان شهما ثبثا حازماً، بحثاً على الرعية، كثير العطايا، سليم الطوية، وتوفى في صفر سنة ١٢٧٦.

وانعقدت البيعة بعده لأخيه المولى المشير محمد الصادق باشا باى، وأعمل الحزم في إنجاز مشروع أخيه بإتمام القوانين التى انبنى عليها عهد الأمان، وجمع خاصة العلماء والأعيان، فاستكملوا وضعها.

وفي صفر سنة ١٢٧٧ خرج من مملكته إلى الجزائر حين قدم إليها إمبراطور فرنسا لإحكام علاقة المجاورة بين المملكتين، وأكرم الإمبراطور نُزْلَهُ، ولما رجع رتب المجالس لتنفيذ قانون عهد الأمان، وفي السنة كان نشر جريدة الرائد، وفي السنة بعدها وصل ماء زغوان للحاضرة، وفي سنة ١٢٨٠ رُتِبَ إعانة قدرها اثنان وسبعون ريالاً على عموم الأفراد، وصدرت بذلك أوامره، وحين انتشر هذا الخبر بالمملكة لم يقع قبولها واختلف صنيع الأهالي فالعقلاء رفعوا الشكوى طالبين التخفيف وغيرهم — ولا سيما الأعراب وسكان الجبال — تجاهروا بالعداوة، وأشهروا السلاح وتعمدوا البغى والفساد في البلاد، وزعيم هاته الطائفة على بن غزاهم أصله من ماجر، واشتدت بذلك وطأة الاضطرابات والإحـن، والمـرج والفتن، وقامت المملكة على ساق حتى صارت دار حرب، وإذ ذاك صدر أمره بإيقاف العمل بقانون عهد الأمان وإسقاط إعانة الاثنـين والسبعين ريالاً، وخرج الوزير رستم بمحلة في طلب رئيس البغاة على بن غزاهم، ووقع القتال بين الفريقين وآل الأمر إلى انهزام البغاة وفرار على بن غزاهم إلى خارج حدود المملكة.

وخرج الوزير أحمد زروق إلى الساحل بمحلة هو أميرها ووصل الساحل في جمادى الأولى من السنة، وانتصر على البغاة وظفر بالرؤساء، منهم الدهمانى البوجى وقتلهم، وقدم عليه وفود أهل الساحل منقادين نادمين، من جملتهم: وفود المنستير يؤمهم العلماء أهل المجلس الشرعى فقابلهم بشدة وحكم الأغلال في أعناقهم وأرجلهم، وأولهم رئيس المجلس الشرعى الشيخ أبو عبد الله محمد الجدى بوزقرو، وشدد تنكيـله وأمر بإزالة عمامته في ذلك المجلس بلفظ مستهجن.

ووفد سفاقس فقابلهم بأقل من مقابلة أهل المنستير ورئيسهم الشيخ عبد العزيز الفراتى وسجنهم في جملة من سجن وحكم يد النهب في الأموال، وتفنن في سلبها حتى بلغ السكين العظم والسيـل الربا، فكأنه مأمور بإيقاد فتنة من جمر رمادها، وأغرهم أموالاً أفنت الطارف والتالد، ورهنوا أملاكهم عند الوافدين على المملكة، وعند طائفة من اليهود وأصبحت بلاد الساحل خاوية على

عروشها، وذهب هذا الصقع الذى هو عمران هاته المملكة كأمس الدابر، ولم يبق به إلا من هو مثقل بالديون، ويده فارغة من الكسب.

ثم ذهب بحملته إلى سفاقس وقابس ثم رجع إلى تونس بعد استيفاء ما أفنى اللحم والشحم، وانتهى إلى العظم.

وللشيخ مصطفى بن عزوز — المذكور بهذه الطبقة — يد فى إطفاء هاته الثورة بتوسطه بين الدولة وابن غزاهم المذكور، وازدادت المصائب وتكررت النوائب فى سنة ١٢٨٤ والسنة بعدها، بحصول المجاعة التى بَعَدَ العهد بمثلها، والمرض الذى أفتك بكثير من الأهالى حتى صار وبائياً، ولم يستقم حال البلاد والعباد إلا بعد عشرات من السنين.

ولهاته الأسباب صارت مالية الدولة فى خطر من الديون التى تراكت عليها، وتداركها بتركيب لجنة تعرف بالكمسيون المالى رئيسها الوزير خير الدين وذلك سنة ١٢٨٦.

وفى سنة ١٢٨٤ أمر بصنع نيشان عهد الأمان، وفى سنة ١٢٨٧ قسم إدارة الدولة إلى أقسام، وهى: الوزارة الكبرى، ووزارة المال، ووزارة العمالة، ووزارة الخارجية، ولها النظر على الحرب، وفى سنة ١٢٨٨ وجهت له الدولة العلية بواسطة الوزارة الخيرية فرمانها العالى مع سيف مرصع ونيشان مجيدى، وفى سنة ١٢٨٩ أذن بمجلس النظافة يجرى عمله على مقتضى قانون ذى فصول، وفى السنة بعدها أقام مجلساً للصحة يجرى عمله على مقتضى قانون ذى فصول، وفى سنة ١٢٩١ جعل قشلة العطارين سجناً، وجعل له حفظة لتنظيفه وأجرى عليه مؤنة كافية، وجعل لذلك قانوناً خاصاً.

وفيهما جعل قانوناً للفلاحة، وفيها أضاف إلى خزائن جامع الزيتونة ست خزائن، وملاها بالكتب النفيسة وأجراها على قانون المشير أحمد باشا، وصار به أكثر من عشرة آلاف مجلد، وفى السنة أحدث مكتباً عاماً أوقف عليه أوقافاً لها بال، وسمى بالصادقية، وأجراه على نظام المكاتب الحديثة لتعليم أبناء الأهالى العلوم الدينية واللغات الأجنبية والمعارف الأوروبية، وجعل لذلك قانوناً اجتمع على

تربيته أعيان علماء العصر مشتملا على فصول، وأجرى به ما يلزم للتلاميذة من أكل وكسوة وفراش.

وفيها أصدر قانونا مؤلفاً من ستين فصلاً لتنظيم ديوان الشريعة المطهرة اجتمع على تأليفه شيوخ المجلس الشرعى، وبه تعينت مراسم خطة القضاء والإفتاء بالحاضرة، وبلدان المملكة والأعمال التى يجرى عليها عمل الوكلاء والأعوان والخصماء.

وفيها وضع قانونا لضبط حجج الإشهاد فى دفاتر خاصة، يجرى عليها عمل شهود المملكة، وفى السنة أذن بجمع أوقاف المملكة لنظارة جمعية بالحاضرة، تجعل من تحت نظرها وتصرفها وكلاء يقومون بلوازم شعائر الأوقاف، وما يفضل من ذلك يدخل فى خزينة الجمعية تدفع منه مرتبات مشايخ المجالس الشرعية والقضاة بالمملكة، وعملها يجرى على مقتضى قانون مؤلف من فصول.

وفى السنة كان إجراء النور الكهربائى بالحاضرة، ولما رأى النقص الحاصل فى مداخل الدولة والفتور الحاصل فى العلم أمر بجمع المدرسين وشيوخ المجلس الشرعى بجامع الزيتونة واستنهض همتهم العلمية وزاد لهم فى الجراية وذلك فى سنة ١٢٨٧.

ثم فى ١٢٩٢ استدرك ذلك بقانون علمى يؤلف من ٦٧ فصلاً اجتمع على تأليفه أعيان علماء العصر، وجعل النظارة العلمية لنظر حسين الجركسى وزير الاستشارة والمعارف والنافعة، وجعل للنظارة العلمية نائبين عنه من أعيان المدرسين يباشران النظر على أعمال الجامع كل يوم، وعن الامتحان العام لسائر طبقات التلاميذة للحصول على شهادة فى ماى من كل سنة، ومن أحرز بعد الامتحان على رتبة التطويع، وهى رتبة تؤهل صاحبها لإقراء العلوم تطوعاً بجامع الزيتونة بعد استصداره إذنا من شيوخ النظارة العلمية وهم شيخا الإسلام، والقاضيان الحنفى والمالكى، وتحول صاحبها تعاطى الشهادة بعد الحصول على أمر على من أمير البلاد.

وبذلك تكاثرت الدروس والمدرسون، وأقبل الطلبة على العلم، والمدرسون الذين لهم جرايات، والمتطوعون على التعليم، وهى مزية فاخرة له خالدة. وحاصل ما قدمناه فى شأن العلم والعلماء، أن جامع الزيتونة، أدام الله عمرانه، هو الكلية الوحيدة بإفريقية، والكعبة التى يؤمها طلبة العلم من الجهات، ومنها يتخرج الفحول من العلماء، والمدرسون به هم الذين يثون فى الأمة روح الشرع العزيز، وقواعد الدين الحنيف، والتمكين من اللغة العربية الفصيحة، التى أصلها مكين وموردها عذب معين.

وفى السنة وقع إحياء المكتبة المعروفة بالعبدية — نسبة لأبى عبد الله الحفصى — التى بصحن الجنائز من الجامع المذكور، وضع فيها ما يزيد على الثلاثة آلاف مجلد من نفائس الكتب منظمة على أسلوب عجيب وترتيب غريب، حتى إن الراغب للكتاب يتناوله ويطالعه أو ينسخه بأيسر وجه، وحصل بذلك نفع عظيم للطلبة لا سيما الغرباء، وجعل لها ثلاثة قيمين تستمر إقامتهم سائر اليوم على التناوب، وأجرى عليهم الجرايات الكافية وجعل لذلك قانونًا به ستة عشر فصلا. وفى السنة واصل بين المملكة التونسية وسائر ممالك الدنيا بسلوك البرق الذى يبلغ به الخبر فى طرفه عين، ومد سكة الحديد بين تونس وحلق الوادى وباردو، ثم من تونس إلى أطراف الحدود الغربية. وفيها كانت الدولة العلية فى حرب مع روسيا فوجهت إليها إعانة بالمال وغيره لها بال.

وفىها وقع تحرير قانون فى خدمة العمال وقانون للمتعيينين للأعراب وغيرهم، تجرى عليه إدارة خدمة العمال ومقدار ما يأخذه المتعينون من المجرمين. وفى سنة ١٢٩٦ وقع منه زيادة الاهتمام بحفظ الصحة فعين قشلة البشامقية مستشفى، وأقام بها أطباء ومرافق وتحسينات، وعين له ما يلزم لإقامة شئونه من أوقاف صاحبة الخيرات الرفيعة الشأن والمكانة عزيزة عثمانه، فجاء على أحسن نظام وأكمل إحكام على مقتضى قانون ذى فصول ٤١، وهو المعروف بالمستشفى الصادقى.

وفي السنة صدر الإذن بإقامة مجلس شورى تحت رئاسة الوزير الأكبر للنظر في مهمات الدولة الداخلية والخارجية، وهاته التأسيسات خلدت له جميل الذكر، وغالبها كان يسعى من الوزير السياسى الخطير أبى الخيرات خير الدين، مؤلف كتاب أقوم المسالك فى أحوال الممالك.

ومن مآثره مبانيه البالغة فى الرونق الغاية، وفى الإتقان والاحتفال النهائية، منها زاوية للشيخ أبى محفوظ محرز سنة ١٢٧٩، وزاوية الشيخ إبراهيم الرياحى سنة ١٢٩٠، وقصره المعروف بقصر السعيد بباردو، عدم النظر بهذا القطر، وقد باشر الحكم بنفسه بإنصاف، وكان محباً للعلماء والأولياء وتعظيم الأشراف، وفى سنة ١٢٩٨ احتلت دولة فرنسا المملكة ونصبا حمايتها عليها بمقتضى معاهدة انعقدت بباردة، وكانت وفاة هذا الأمير سنة ١٢٩٩.

تنبية: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: محمد البحرى، والسنوسى، وابن سلامة، وإبراهيم الرياحى، ومحمد النيفر، وأخوه صالح، والطاهر بن عاشور، وابن ملوكة، ومحمد البناء، وأحمد الغمارى، وابن أبى الضياف، وعلى العفيف.

الطبقة السابعة والعشرون

لما توفى المشير محمد الصادق باى ببيع لأخيه المولى أبى الحسن على باشا باى فى ذى الحجة سنة ١٢٩٩، وكان من أفاضل أمراء هاته الدولة، محط الرحال، ومنبع صالح الأعمال، عارفاً برجال دولته، مطلعاً على أحوال مملكته، محباً للعلماء والصلحاء، كريم الأخلاق، مساعداً على إحداث كثير من الإدارات على النظام المعهود الآن، وكذلك من أتى بعده.

وعلى عهده أسست المدرسة الخلدونية وشُحنت بعدد غير قليل من نفائس الكتب فى فنون من العلوم الدينية والعصرية، وعلى عهده كان تجديد منارة جامع الزيتونة فجاءت على أبدع شكل وأجمل منظر، وكان الاحتفال عند انتهاء البناء فى ٢٦ رمضان سنة ١٣١٢، حضره هذا الأمير وآل بيته والخاصة والجمهور،

وأرخها شيخنا أبو النجا سالم بوحاجب وكتب ذلك على جدرانها في قصيدة أولها:

نال فوزًا بمناه كل ساع كى يرى شمول فضل ذى اتساع
في بيوت أذن الله بأن ترفع الأركان فيها ليطاع
ومنها في مدح هذا الأمير:

ثم في أيام مولانا الذى ملأت غرُ مزياه الرقاع
حضرة الباشا على من له في قلوب الخلق للود ازدراع
ومنها بيت التاريخ:

ولسان الصدق قد أرخه لمنار الدين حق الارتفاع
قيل: إن هذا الجامع لا يخلو من رجل موصوف بعلم ظاهر أو شرف زاهر أو
صلاح باهر، ولهذا الأمير تأليف سماه مناهج التعريف بأصول التكليف، وتوفى في
ربيع الأول سنة ١٣٢٠.

وبويع لابنه المولى محمد الهادى باشا باى، وكان شهما هماما على الهمة، كريم
الأخلاق، ذكياً ميالا للعدل ومحبة العلماء، وعلى عهده كانت زيارة رئيس
الجمهورية الفرنسية للإيالة التونسية المفخم مسيو لوبى في إبريل سنة ١٩٠٣
الموافق لأوائل سنة ١٣٢١، وأقام ثلاثة أيام بكانت مواسم بواسم، ورد له هذا
الأمير الزيارة في صائفة العام التالى، وما حصل لهذين الزائرين جمع في مجلد، وتوفى
في ربيع الأنور سنة ١٣٢٤.

وارتقى كرسى المملكة الأمير المحبوب المولى محمد الناصر باشا باى ابن المشير
محمد باشا باى، وعلى عهده في ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٨ صدر منشور من الشيخ
القاضى المالكى محمد القصار لقضاة الجهات بثبوت الأهلة على طريق سلك
البرق، وجرى به العمل، وهذا المنشور خلد له جميل الذكر، وفي سنة ١٣٢٩
كانت الدولة العلية في حرب مع إيطاليا في طرابلس وانتهت باحتلالها لهاته الإيالة،
وفي السنة بسطت دولة فرنسا حمايتها على المغرب الأقصى، وفيها كانت زيارة

فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية مسيو فليار للملكة التونسية فقبول بالتبجيل والتكريم.

وللعالم المؤرخ محمد ابن الشيخ الأكتب البشير بن الخوجة تأليف حافل في هاته الرحلة في مجلد سماه الرحلة الفليارية، وزار في أثنائها بعض المدن والمتلوى من عمل قفصة الذى به الفسفاط، وهو عبارة عن طبقة من الأرض مادتها ترابية صالحة لتسميد الغروس والمزروعات، وهى من الكنوز التى حصلت بها ثروة عظيمة لهاته المملكة.

قال بعضهم: هذا كنز لا يفنى وثروة لا تبلى، وأسست لها شركة أسست سككا حديدية رابطة بصفاقس وغيرها.

وفي سنة ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢٢م كانت زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية لإفريقية الشمالية، وهى عبارة عن المغرب الأقصى والجزائر والمملكة التونسية، فقام بهاته الرحلة أعظم عظماء هاته الجمهورية مسيو ميلران، ابتدأها من الدار البيضاء مرسى مدينة على البحر المحيط، وأنهاها بجزيرة الغربية من الحدود الطرابلسية فى أجرة وحفل عظيم، ساقى المقادير هذا الرئيس الخطير لهاته الجهات التى منظرها جميل زاهر وعمرانها فى تزايد باهر، حافلة كالعروس أهلة بنحو الثلاثة عشر مليوناً من النفوس، ووصل القطر التونسى الذى لا يقل سكانه عن المليونين فى غرة رمضان الموافق للرابع والعشرين من إبريل سنة ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢٢م، ولقى من الإقبال فوق ما يقال، وما حصل له فى هاته الرحلة لو تتبعه لملأ مجلداً ضخماً.

وفى يوم الاثنين السادس عشر من ذى القعدة وفى ١٠ يولية من السنة انتقل إلى رحمة الله هذا الأمير المحبوب، فكان انتقاله — رَوْحَ الله رَوْحَهُ — من أعظم الرزايا وأشد البلايا، كان كريم الأخلاق والسجايا، سخيًّا كثير العطايا، عادلاً محبًّا للرعايا، سائلاً عن أحوالهم ميالاً لإجابة مطالبهم وسماع أقوالهم، محبًّا لدولة فرنسا، وهو أول مساعد لها ومعاوض على تجنيد العساكر التونسية لاحتلالها المغرب

الأقصى، وخصوصاً في الحرب الكبرى، فإنه عاضدها بما عنده من النفس والنفيس، ووقع الاعتراف له بهذا الفضل.

نقلت جريدة الزهرة في عددها ٦٤٨٦ المؤرخ في التاسع عشر من ذى القعدة المذكور ما نصه: ورد في رسالة برقية من باريس أن صحف العاصمة الفرنسية برزت طافحة بالثناء على حضرة سيدنا محمد الناصر باى الذى كان معيناً صادقاً لفرنسا في أصعب الظروف وأشدّها عليها، وقد ذكرت جريدة الجورنال أن باريس كانت اقبلت الباي المتوفى بمزيد الحفاوة الانعطاف، ثم قالت: إنه قام بوظيفته على غاية ما يرام، حتى إذا جاءت ساعة الخطر العظيم نهضت المملكة التونسية جمعاء للدفاع عن فرنسا المتهددة فجهزت خمساً وستين ألف مقاتل وثلاثين ألف شغال، وتكبّدت خسائر لا تقبل عن خمس وأربعين ألفاً بين قتيل وجريح، فهذه قائمة يمكن أن يفتخر بها قوم لا يكاد يبلغ عدد الرجال القادرين منهم على حمل السلاح ثلاثمائة ألف. انتهى.

وفي اليوم الموالي لوفاته كان الحفل بجنائزته بالغاً الغاية، ودُفن بتربة أسلافه الكرام مأسوفاً عليه من الخاص والعام، وفي عشية يوم الوفاة وقعت البيعة بقصر باردو المعمور بغاية من الإجلال والفرح والسرور لابن عمه الأمير الجليل الحرى بالتعظيم والتبجيل المولى الأمير محمد الحبيب باشا باى ابن المأمون بن حسين باشا باى، وهو — حفظه الله — من الأمراء الذين يفتخر بهم أمراء هذا البيت، مملوء الجراب بالمعارف والآداب، موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال، وقام بالأمر على الوجه المطلوب، ومالت لمحبتة القلوب إلا أن الإمارة وافته على كبر سن مع مرض أهلك قواه، واستمر على حاله إلى أن توفاه الله صبيحة يوم الاثنين ثالث رمضان سنة ١٣٤٧.

وبعد زوال اليوم جرى انعقاد البيعة في سراية باردو المعمورة في حفل عظيم وموكب فخيم لولى النعم، المستجمع لمكارم الأخلاق والشيم، المفكر الكثير الفضائل، الأمير المعظم والملك المفخم مولانا أحمد باشا الثانى، ابن المولى الباشا على، ابن المولى الباشا حسين.

وقد دبت وقتئذ حميا المنعرة في الضمائر وبتالت أفراس الأفراح في ميادين الأكابر والأصاغر، وقامت خطباء الأقلام تصدح بالبشائر، وصحف الجهات تعلق بالبشارات، أجرى الله على يده الصالحات، ثم تلقى الجناح العالى بيعة الوفود التي وردت إليه وأمانيتها سعادة دولته ورفاهية مملكته في احتفالات فائقة، وأنشدت بين يديه الخطب والقصائد الرائقة، لو جمعت لكانت مجلداً، رحم الله السلف، وأدام دولة الخلف.

تنبيه: من أعيان العلماء المعاصرين لهؤلاء الأمراء: أحمد الورتناني، والشاذلي ابن صالح، وأحمد الشاهد، والطاهر النيفر، وأخوه الطيب، وعمهما محمد وحسين ابن أحمد، وعمر بن الشيخ، ومحمد النجار، وسالم بوحاجب، والطيب النيفر.

خلاصة

بها الأدوار التي حصلت لدول إفريقية

قد انتهى ما جمعته بهذه التتمة، ومن وقف عليها علم الأدوار التي حصلت في دول إفريقية والأطوار، وإن في ذلك لعبرة لأولى الألباب والاعتبار.

وخلاصة ذلك وما وقع من الأدوار هناك هو أن إفريقية يسكنها البربر منذ عهد بعيد جداً ولم يحفظ لهم تاريخ على وجه التحقيق، وفيهم من زعماء الرجال ما قد عُلِم، وتداولها دول بعد دول والمعروف منهم: القرطاجنيون، ومنهم هنبال البطل الشهير الذي ناصب الرومان العداوة على ضخامة سلطاتهم ومناعة بنيانهم فاجتاز إليهم جبال البرنية بجيوش جرارة وجند كثيف ينازعهم في صميم بلادهم ويستنزل أقيالهم من منصات مجدهم، فالرومان فالوندال فالروم البيزنطيون فالإسلام.

أول أمير دخل إفريقية عبد الله بن سعد بن أبي سرح، البطل الجليل، شهد فتح مصر، واختط بها، وكان صاحب الميمنة في الحرب مع عمرو بن العاص، وكانت له مواقف محموددة، وكانت ولايته سنة ٢٥ بعهد من الخليفة الثالث سيدنا عثمان رضي الله عنه، وفتح إفريقية سنة ٢٧، وهى من أعظم الفتوح.

ثم معاوية بن حُذَيْح^(١)، ثم عقبة بن نافع، ثم مَسْلَمَةُ بْنُ مُخَلَّدٍ، وهو أحد الرجال الأربعة الذين قال فيهم الخليفة الثاني سيدنا عمر: مقامه من الرجال مقام الألف، الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعُبادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، رضى الله عنهم، وهو أول من جمعت له إمارة مصر وإفريقية، وبعث مولاه أبا المهاجر لإفريقية عوض عقبة المذكور، ثم رجوع عقبة، ثم زهير بن قيس البلوى بعهد من عبد الملك بن مروان، الخليفة العظيم الذى استقصى لنفسه الخلافة وأجرى أمور الملك مجرى السداد والطمأنينة، ثم حسان بن النعمان، ثم موسى بن نصير، ومولاه طارق، اللذين دوخا ممالك هنبال القديمة فى إفريقيا الشمالية، وقطعا يجندهما القليل البالغ اثني عشر ألف مقاتل مضيق القارة الأوروبية، ففتحا مملكة الأندلس وقضيا على دولة القوط بالدمار.

ثم محمد بن يزيد، ثم إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، ثم يزيد بن أبي مسلم، ثم بشر بن صفوان، ثم عبيدة بن عبد الرحمن، ثم عبد الله بن الحَبَّاب، ثم كلثوم بن عياض، ثم حنظلة بن صفوان.

ثم تغلب على إفريقية عبد الرحمن بن حبيب، ثم محمد بن الأشعث، ثم الأغلب ابن سالم، ثم المهالبة، ثم هرثة بن أعين، ثم محمد بن مقاتل، ثم الأغالبة، ثم العبيديون، ثم الصنهاجيون، ثم الحفصيون، ثم الأسبان، ثم الترك، وهم دايات وبشوات ودايات، منهم آل بيت مراد باشا، ثم إبراهيم الشريف، ثم حسين باشا ابن على تركى، باقى البيت الحسينى، واستمرت باقية فى عقبه بعد وفاة ابن أخيه على باشا حتى الآن، وعلى عهد محمد الصادق باشا باى نصبت فرنسا حمايتها، وتولى بعده أخوه على باشا باى، ثم ابنه محمد الهادى باشا باى، ثم محمد الناصر باشا باى، ثم محمد الحبيب باشا باى، ثم أحمد باشا باى الثانى، أيده الله بالسبع المئتين.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «حذيج» بالخاء المعجمة وصوابه من فتوح مصر، ص ٣٤١.

فائدة: في روح المعاني ما نصه: في بعض كتب الله المنزلة أنا الله ملك الملوك، مالك الملك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم. انتهى.

نقل ذلك عند قوله جل جلاله وعز كماله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

صلة: اعلم أن في الإسلام الكثير من عظماء الرجال والأمراء اشتهر في التاريخ ذكرهم، وعظم أثرهم، كخالد بن الوليد فاتح العراق العربي وبعض الشام، وأبي عبيدة بن الجراح فاتح الشام، وسعد بن أبي وقاص فاتح العراق العجمي، وهادم عرش الأكاسرة، والأحنف بن قيس فاتح خراسان، وعمر بن العاص فاتح مصر، وعبد الله بن سعد فاتح إفريقية، ومسلمة بن مخلد وموسى بن نصير فاتح الأندلس، وأضرابهم في كل جيل، إذا علمت ذلك علمت مراتب الناس في الدنيا بنسبة الأعمال، وهي متفاوتات بتفاوت الرجال، فرب شخص بعيد السمعة عظيم كبير، وآخر لا في العير ولا في النفير:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً إلى الفضل حتى عد ألف بواحد بل رب شخص تقوم به الدولة وتسعد الأمة، وآخر تهلك به الدولة وتشقى الناس، وإنما قامت الدول واتصلت بالشعوب أسباب السعادة بأفذاذ من الرجال مشهورين، كبرت نفوسهم أن تخلد إلى الدنيا وترضى بالحقير من الشهوات، فطمحت بهم إلى غايات الكمال، فنالوا بذلك حياة لا تفتن، وغادروا في الوجود آثاراً لن تزول، ولبعضهم آثار حسنة حتى الآن، تقدم ذكرها، منها جامع عقبة بالله بالقيروان.

في روح المعاني عند قوله عز من قائل: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أى: اجعل لنفسى ذكراً صادقاً في جميع الأمم إلى يوم القيامة، وحاصله: خلد صيتي وذكرى الجميل في الدنيا وذلك بتوفيقه للآثار الحسنة،

والسير المرضية لديه تعالى، المستحسنة التي يقتدى بها الآخرون ويذكرونه بسببها بالخير.

ثم قال: واستدل الإمام مالك بهذه الآية على أن لا بأس أن يحب الرجل أن يُشنى عليه صالحا.

وفائدة ذلك بعد الموت، على ما قال بعض الأجلة: انصراف الهمم إلى ما به يحصل له عند الله تعالى زلفى، وأنه قد يصير سببا لاكتساب المثنى أو غيره نحو ما أثنى به فيثاب فيشاركه فيه المثنى عليه، كما هو مقتضى: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» ولا يخفى عليك أن الأمور بمقاصدها. انتهى.

وأسأل الله بالعظيم أن يجعل علمى وعملى لوجهه الكريم، وينفعنى به، إنه هو البر الرحيم.

تنبيه: اعلم أن ما جمعته بالشجرة اقتطفته من:

- ١- روح المعاني لأبي الفضل محمود الألوسى. ٢- الموطأ للإمام مالك. ٣- شرحه لأبي عبد الله محمد الزرقانى. ٤- البخارى. ٥- شرحه فتح البارى للحافظ ابن حجر. ٦- الإصابة له. ٧- مسلم وشرحه. ٨- إكمال الإكمال لأبي عبد الله الأئبى. ٩- المدارك للقاضى عياض. ١٠- الشفا له. ١١- شرح الشهاب الخفاجى عليه. ١٢- الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر. ١٣- طبقات أبى العرب لمحمد بن تميم. ١٤- طبقات قضاة قرطبة لأبي عبد الله الحشنى. ١٥- تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى. ١٦- صلته لأبى القاسم خلف بن بشكوال. ١٧- تكملتها لأبي عبد الله محمد بن الأبار. ١٨- تكملة التكملة له أيضاً. ١٩- بغية الملتمس فى علماء الأندلس لابن عميرة الضبى. ٢٠- فهرسة أبى بكر ابن خير. ٢١- التشوف لرجال التصوف لأبى يعقوب يوسف الشاذلى المراكشى. ٢٢- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب لأبى زكرياء يحيى المراكشى. ٢٣- البيان المغرب لابن عذارى المراكشى. ٢٤- جزء من كتاب أبى عبيد البكرى. ٢٥- وفيات الأعيان للقاضى ابن خلكان. ٢٦- فوات الوفيات لأبى عبد الله محمد بن

- شاكر الكتيبي. ٢٧- رحلة أبي الحسين بن جبير. ٢٨- رحلة أبي محمد عبد الله التجاني. ٢٩- سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي. ٣٠- بداية المجتهد لأبي عبد الله محمد بن رشد. ٣١- مقدمة ولي الدين بن خلدون. ٣٢- تاريخ أبي عبد الله محمد الزركشي. ٣٣- عنوان الدراية لأبي العباس الغبريني. ٣٤- معالم الإيمان لأبي القاسم بن ناجي. ٣٥- الديباج لأبي إسحاق بن فرحون. ٣٦- نيل الابتهاج لأبي العباس أحمد بابا. ٣٧- الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي. ٣٨- بغية الوعاة في طبقات النحاة للحافظ السيوطي. ٣٩- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، له أيضًا. ٤٠- جذوة الاقتباس لأبي العباس بن أبي العافية. ٤١- نفح الطيب لأبي العباس المقرئ. ٤٢- الأول من أزهار الرياض، له أيضًا. ٤٣- البستان لأبي عبد الله بن أبي مريم. ٤٤- الأنيس المطرب لأبي عبد الله العلمي. ٤٥- نزهة الحادى لأبي عبد الله اليفرنى. ٤٦- خلاصة الأثر لأبي عبد الله محمد المحيى. ٤٧- المؤنس لأبي عبد الله بن دينار. ٤٨- الحلل السندسية لأبي عبد الله الوزير الأندلسي. ٤٩- بشائر أهل الإيمان لحسين خوجه. ٥٠- حجة الله البالغة لأبي العباس الدهلوى. ٥١- كشف الظنون لملا كاتب جليى. ٥٢- رحلة أبي سالم العياشى. ٥٣- رحلة أبي العباس بن ناصر. ٥٤- رحلة الحسين الورثيلى. ٥٥- التاريخ الباشى لأبي محمد حمودة بن عبد العزيز. ٥٦- تاريخ أبي الثناء محمود مقديش. ٥٧- تاريخ أبي العباس بن أبي الضياف. ٥٨- رحلة الشيخ رفاعه التهطاوى. ٥٩- الخلاصة النقية لأبي عبد الله محمد المسعودى. ٦٠- خلاصة تاريخ العرب للعالم سيديو. ٦١- الفتوحات الإسلامية لأبي العباس أحمد دحلان. ٦٢- الاستقصا لأبي العباس أحمد الناصرى. ٦٣- تاريخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى. ٦٤- عناية أولى المجد لأبي الربيع سليمان سلطان المغرب. ٦٥- ذيله شذور العسجد لأبي محمد عبد الحفيظ الفاسى. ٦٦- تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوى. ٦٧- مفتاح السنة للأستاذ محمد عبد العزيز الخولى. ٦٨- الشرب المختصر لأبي الفضل جعفر الكتانى. ٦٩- سلوة الأنفاس لابنه أبي عبد الله محمد. ٧٠- مسامرات الظريف لأبي عبد الله محمد السنوسى.

٧١- الاستطلاعات له أيضاً. ٧٢- حسن البيان لأبي عبد الله محمد النيفرى.
 ٧٣- أشهر مشاهير الإسلام لرفيق بك العظم ٧٤- نور اليقين لأبي عبد الله محمد
 الخضرى. ٧٥- التشريع الإسلامى له. ٧٦- المحاضرات له أيضاً. ٧٧- الأول
 من اليواقيت الثمينة لأبي عبد الله محمد البشير ظافر. ٧٨- طبقات الصوفية
 للعارف الشعراى. ٧٩- كشف الغمة له. ٨٠- لطائف المنن والأخلاق له أيضاً.
 ٨١- فهرست أبى الحسن النورى. ٨٢- فهرست أبى عبد الله الأمير. ٨٣-
 فهرست أبى الحسن خليفة. ٨٤- فهرست أبى حفص عمر بن الشيخ. ٨٥-
 فهرست أبى عبد الله المهدي الوزانى، فهرست أبى عبد الله الغريانى، تاريخ آداب
 اللغة العربية لجرجى زيدان، وغير ذلك مما وقع العثور عليه فى الشروح والحواشى،
 والوقوف على كثير منها، وقع بواسطة بعض الفضلاء، جزاهم الله عنا أحسن
 الجزاء.

حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله
 العلى العظيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجغرافية

اعلم أنه تقدم الكلام في الفريدة الأولى من المقدمة على علم الجغرافية وفضيلته وأقسامه، وأنه مرتبط بعلم التاريخ ارتباطاً وثيقاً ومتعلق به تعلقاً عريقاً، فهما أخوان يتعاونان، وفرسا رهان يتسابقان، لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وهو علم يبحث فيه عن هيئة الأرض وأحوالها ووصف ما عليها من جبال وأنهار ومدن وسكان، وما شاكل ذلك، وحيث تقدم لنا ذكر ما لزم ذكره من العلم الأول وجله يتعلق بإفريقيا ناسب أن نذكر هنا باختصار ما كان من علائق إيالة تونس من جهة العلم الثاني، تنميماً للفائدة فنقول:

ينقسم سطح الكرة الأرضية إلى قسمين عظيمين: يابس وماء، فاليابس يشغل ربع سطح الأرض، والماء يشغل ثلاثة أرباع سطحها، وينقسم كل من اليابس والماء إلى خمسة أقسام، يعبر عن كل قسم من أقسام اليابس بالقارة. أقسام اليابس خمسة: إفريقيا، وآسيا، وأوروبا، وأمريكا، وأستراليا. إفريقيا يحدها شرقاً المحيط الهادى وغرباً المحيط الاطلانطيقي، ويفصلها عن آسيا البحر الأحمر وترعة السويس، وعن أوروبا البحر الأبيض المتوسط.

التعريف بالقطر التونسي:

هذا القطر يسمى إفريقيا، وهو أحد الممالك الأربعة الواقعة في شمال قارة إفريقيا، غرب القطر المصرى وهى: طرابلس الغرب، وتونس، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى.

جغرافية إيالة تونس:

يحدها شمالاً وشرقاً البحر الأبيض المتوسط، وجنوباً طرابلس الغرب والصحراء الكبرى، وغرباً الجزائر.

جبالها:

هذا القطر جزء من سلسلة جبال الأطلس التي تخترق هذا القطر وغيره، ينقسم إلى عدة فروع، أشهرها: جبل مطامة، وجبل عين دراهم، وجبل الرقبة، وجبل الرصاص، وجبل زغوان، وهو أعلاها يبلغ ارتفاعه نحو ١٣٠٠ متر.

أنهارها وبحيراتها:

ليس بها إلا نهر واحد يذكر، وهو نهر مجردة الذي ينبع من ولاية قسنطينة التابعة للجزائر، ثم يخترق هذا القطر من الغرب إلى الشرق ويصب في البحر الأبيض المتوسط بقرب غار الملح ولا يحمل القوارب، وفيها عدة جداول وعيون وثلاث بحيرات، وهي: بحيرة الحاضرة، وبحيرة بنزرت، وبحيرة الكلبية، بين القيروان والساحل.

هواؤها: معتدل في الجهة الشمالية ويغلب الحر في الجهة الجنوبية، وإذا هبت ريح الجنوب على أى جهة في أى وقت تحدث الحرارة، ويشد البرد في الشتاء ولكن لا لدرجة تجمد المياه ولا ينزل الثلج إلا نادرًا في بعض الجهات. مساحتها: تبلغ ٤٥ ألف ميل مربع.

عدد سكانها: أكثر من المليونين منها بعاصمة الإيالة نحو المائتي ألف نفس غالبهم مسلمون، معادنها قليلة ويستخرج منها: الرصاص، والفضة، والقصدير، والزئبق، والحديد، والفحم الحجري، والرخام الأحمر والأخضر، والفسفاط، وهو كنز لا يفنى حصل منه نفع عظيم للعملة وغيرهم. حيواناتها: يوجد بها من الأهلية الخيل، والبغال، والحمير، والبقر، والضأن، والمعز، والإبل.

ومن غيرها: الغزال، والخنزير، ومن الوحوش: الضبع، والنمر، والذئب، والوعل، وغير ذلك.

زراعتها: تنقسم أراضي الإيالة باعتبار الخصب إلى ثلاثة أقسام: فالجهة الشمالية الجبلية هي الأكثر خصبًا وتربتها جيدة ويزرع فيها القمح والشعير والبقول وغير ذلك.

وأهم جبالها: عين دراهم، ونفزه، والمقعد بما غايات كثيفة غنية تستخرج منها الخفاف والأخشاب الصالحة لبناء السفن وغيرها.

والجهات الوسطى والشرقية الجنوبية خصبها باعتبار قلة الأمطار وكثرتها، ولكن الأرض من طبعها منبثة للغاية، وبها غابات واسعة بالزيتون والمعاصر كثيرة لعصره، وهى السبب فى ثروة أهالى تلك الجهة، أعني بذلك الساحل الذى مبدأه قرية أبى فيشة ومنتهاه قرية المحرص، ويزرع بها غالب الأشجار ذات الثمار الطيبة كالبرتقال والتفاح والخوخ والآجاص والتين والعنب واللوز وغير ذلك، والحبوب كالقمح والشعير والفل والفول والبطاطس واللوبيا والحمص والعدس وكافة أصناف البقول.

أما الأنحاء الجنوبية فهى عبارة عن أراضى شاسعة ولا تمطر فيها السماء إلا نادراً، وبيعضها واحات مأوها منهمر، بما أشجار كثيرة وأغلبها النخيل الجيد الثمرة الرائحة داخل الإيالة وخارجها، وهالة الواحات ذات منظر طبيعى بهيج، وهى قفصه وتوزر ونقطه وقابس ونفزاوه وجرجيس.

صناعتها: الصنائع المحتاج إليها كثيرة وأكثرها الاعتماد فيها على الآلات القديمة والعصرية آخذة فى التقدم، وأشهرها استخراج الروائح الطيبة، ونسج الحرير المتقن والشاشيه، واستخراج زيت الزيتون من معاصره الكثيرة بالآلات العصرية، وفى الزيت والمنسوجات العمومية والقمح والشعير والفول رواج، وما عدا ذلك انحط رواجه لمزاحمته بما يرد من خارج الإيالة.

والبضائع الواردة من الخارج كثيرة جداً، منها: المنسوجات القطنية، والحريرية، وآلات النقل وجر الأثقال، وآلات الفلاحة، وجلب المياه، والأخشاب والحديد، وآلات الأسلحة، والفحم الحجرى، والنحاس، والفضة، والذهب، والفخار، بأنواعه، وزيت الغاز، والسكر، والشاى، واللبن، والفلفل، وغير ذلك مما هو كثير.

وليس للحكومة ولا للأهالى سفن تجارية، وأغلب التجارة داخلا وخارجا بيد الإفرنج واليهود.

طرقها منظمة عمت الجهات، وكذلك المواصلات بالسكك الحديدية وغيرها، وبذلك حصلت الراحة في السفر ونقل البضائع، وراجت التجارة في الجهات وعم النفع سائر سكان المملكة.

معارفها ولغتها وديانتها:

تدرس العلوم الدينية مقاصد ووسائل كالقرآن العظيم، والتفسير، والحديث: رواية ودراية، والفقه وأصوله، والمنطق واللغة، والنحو، والمعاني والبيان والبدیع، والصرف، والآداب، والحساب والتاريخ في جامع الزيتونة، وبه من التلامذة نحو ألفي تلميذ، وقليل من العلوم الدينية بالحواضر وبعض القرى، والحكومة أنشأت مكاتب بالعاصمة وجهات الإيالة لتعليم اللغة الفرنسية ومبادئ العلوم العصرية وأما المعارف العصرية العالية فهي قليلة.

لغة الأهالي: العربية الشريفة، والديانة الإسلامية، وغالبهم على مذهب الإمام مالك.

أشهر مدنها: بنزرت، وهي مرفأ أمين جدًا تحميه حصون قوية، والقيروان وكانت عاصمة البلاد، ولم تزل موضع احترام، وسكانها ما يقرب من العشرين ألف نفس.

وسفاقس، وهي مرسى تجارية عصرية رتبها ثانية بالنسبة للعاصمة وسكانها بأحوازها يربون على خمسة وسبعين ألف نفس.

ويليها مرسى سوسة، وسكانها يربون على عشرين ألف نسمة.

ثم المنستير والمهدية وقابس، وهي موانئ على البحر المتوسط، وجرسيس ومدنين وحومة السوق بجربة وقفصة وتوزر ونفظة والكاف وباجه وسوق الأربعاء وترسق وتستور ومجاز الباب وماطر ورأس الجبل وطبرية وزغوان ونابل وقلبييه ومنزل تميم والحمامات وقرنباليا وسليمان والنفيضة والقلعة الكبرى وجمال وقصور الساف، وواجهم الذي به المسرح الروماني العجيب البناء والصنع.

وهاته البلدان يتراوح سكانها من الخمسة آلاف نفس إلى اثني عشر، أما بلد مساكن وبلد المكيتن بالساحل فكل واحد منها سكانه نحو الخمسة عشر ألف نفس.

الحكومة:

إيالة تونس حكومة ملوكية وراثية للأكبر سنًا من العائلة المالكة، وهي تحت الحماية الفرنسية من جمادى الآخرة عام ١٢٩٩ ومايو سنة ١٨٨١م. بمقتضى معاهدة باردو المنعقدة بين دولة الحماية، ودولة الصادق باشا باى، واتفاقية المرسى الإضافية المنبرمة مع دولة الحماية ودولة على باشا باى فى شعبان عام ١٣٠١، وفى يونية سنة ١٨٨٣.

وبمقتضى ذلك فإن إدارة الشؤون التونسية ترتبط بوزارة خارجية فرنسا التى ينوب عنها بالمملكة التونسية مفوض يسمى المقيم العام مولى من طرف رئيس الجمهورية الفرنسية، ويسمى وزير الخارجية للحكومة التونسية بأمر من سمو الباي.

صاحب السيادة والمملك هو الملك المعظم الملقب بالباشا باى الذى له حق وراثية الملك، وعند انتصابه على كرسي المملكة يحتفل به ليقر له بالمملك سراة الأمة من علماء ووجهاء وغيرهم، ولحكومة فرنسا حق المراقبة على أعمال سموه والإدارات التونسية، وإذا رأت بعض إصلاحات أو تنقيحات تعرض ذلك على سموه بواسطة جناب المقيم العام، فإذا سمح بذلك ورآه سدادًا يصدر أمره المطاع بتنفيذها، ويراقب أعمال التنفيذ جناب المقيم العام الذى له النظر على كافة رؤساء الإدارات وله السلطة على القوة الحامية للبلاد البحرية والبرية.

تاريخ إيالة تونس:

اعلم أنا بيّنًا فى التتمة تاريخ الإيالة بأبين بيان، وأشبعنا القول فى ذلك، وأتينا فى آخرها على خلاصته، ولنأت هنا على خلاصة الخلاصة، وهى الخاتمة فنقول: هذا القطر توالى عليه دول أربع قبل الإسلام، وهى: القرطاجيون، فالرومان، فالوندال، فالروم البيزنطيون.

وبعد الفتح الإسلامى تولاه أمراء من الصحابة والتابعين، ثم سبع دول، وهى:
دولة المهالبة، من عام ١٥١ إلى عام ١٨١ هجرية، وكانت تابعة للعباسيين مع
التصرف المطلق داخلا، ثم دولة الأغالبة من عام ١٨١ إلى عام ٢٩٧، ثم دولة
الفاطميين من عام ٢٩٧ إلى عام ٣٦٥، وكانت الإيالة حينئذ مستقلة تماما، ثم
دولة صنهاجة من عام ٣٦٥ إلى عام ٦٠٢، إلا أنها كانت تظهر الخضوع تارة
للفاطميين وطورا للعباسيين، وفى سنة ٦٠٢ خلفتها دولة الحفصيين الذين كانوا
مستقلين، ثم دولة الترك فى عام ٩٨١، وتركت لها استقلالها الداخلى ولقب
حكامها بالداى والباشا الذين انتهى حكمهم سنة ١١١٧، حيث تولتها العائلة
الحسينية وأولها حسين باشا بن على تركى، وهى فى قبضتها إلى أن دخلت حماية
دولة فرنسا، وفى هذا الوقت أميرها الأفخم ومليكهها الأعظم سمو أحمد باشا باى
الثانى المؤيد بالسبع المثانى.

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

الخاتمة

الكلام على المنستير الذى فضله شهير، وقدره خطير، ومحله فى النفوس أثير، وهو مسقط رأس العبد الفقير ومنبت غرسه ومجمع أهله وأنسه ومحل استقرار الأخيار، كابن يونس، والمآزرى، وابن العطار، نوه المؤرخون وغيرهم بشأنه، وبالخصوص التواريخ المختصة بالملكة التونسية، ووقفت على بعضها وسنقص ما اقتطفته منها:

فى الشفا عند ذكر ما يتعلق بمكة المشرفة ما نصه: حكى أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمنستير وأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن، فقال: لعله حج ثلاث حجج؟ حرم الله شعره بالثلاث حجج، قالوا: نعم، قال: حدثت أن من حج حجة أدى فرضه، ومن حج ثانية دأب ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وجسده على النار. انتهى.

قال الشهاب الخفاجي: قوله: المنستير، ميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية وياء وراء مهملة، وهو لفظ رومى معناه عندهم: خانقاه للربان على الطريق ينزل فيه أبناء السبيل، والذى سمعناه منهم بفتح الميم وألف مع سكون السين وكسر التاء الفوقية وياء تحتية، وقد يخفف بحذف الألف والياء، وهو مما لا شبهة فيه عندهم، فقوله فى القاموس: منستير، بضم الميم وفتح النون: موضع بإفريقية معبد الزهاد والمنقطعين، وبلد آخر بإفريقية أهله من قريش، بينه وبين القيروان ست مراحل، وموضع بشرق الأندلس. انتهى. يخالف لما صح سماعا، فإن ظنه عربيا فهو خطأ، وإن قال: غُرب وغير كان عليه أن ينبه عليه.

وقال التلمساني: إنه بضم الميم والنون، ويجوز كسر نونه والعامّة تفتحها، وعليه اقتصر الشمني وهي بلدة بساحل البحر أو حصن رباط بإفريقية، له سور بناه هرثمة بن أعين بعثه الرشيد لإفريقية سنة ١٧٩. انتهى شهاب.

وقال ابن خلكان^(١) عند ترجمة الحافظ النظار أبي القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت الخزرجي المنستيرى المعروف بالبوصيرى، المتوفى سنة ٥٦٨، ما نصه: منستير بضم الميم وسكون السين وكسر التاء: بلدة بإفريقية، بناها هرثمة بن أعين الهاشمي سنة ١٨٠، وكان الرشيد ولّاه إفريقية، وقدم إليها في ربيع الآخر سنة ١٧٩.

وقال أيضاً: المنستير معبد بين المهدية وسوسة يأوى إليه الصالحون والمنقطعون للعبادة، فيه قصور شبيهة بالخانقاهات، وعلى تلك القصور سور واحد، ذكره ياقوت في كتابه. انتهى.

قلت: ما حققه الشهاب من أن لفظ منستير رومى هو الصواب، ويؤيده أن بالقرب من القصر شرقه جزيرة منحوت بها بيوت، كانت قبل الفتح الإسلامى مقر الرهبان والمنقطعين للعبادة فيه، وبالقرب منه بالقراية داموس منحوت في جبل على شاطئ البحر، يعرف الآن بالكحلية، كان أيضاً مقراً للرهبان، وقيل كان مقراً في المصيف لبعض أمراء الرومان.

أول من ألف في فضيلة المنستير الشيخ الإمام أبو زكرياء يحيى بن عمر المترجم له في الطبقة السادسة، ومن تلامذته العالم المؤرخ أبو العرب محمد بن تميم المترجم له في الطبقة السابعة، من تأليفه: طبقات علماء إفريقية، تعرض فيه لفضيلة المنستير وذكر أحاديث^(٢)، وإليك بعضها:

قال: قال فرات بن محمد العبدى: حدثني أبو زكرياء الخراز بن سليمان، قال: سمعت البهلول بن راشد يقول: إن هرثمة بن أعين استشاره في بناء المنستير وعدّد

(١) ابن خلكان ٦ / ٦٨.

(٢) انظر في ذلك طبقات علماء إفريقية لأبي العرب، ص ٢ وما بعدها.

له هرثمة ما بناه في إرمينية وفي غير موضع، فقال له البهلول: ما ذكرت شيئاً إلا والمنستير أفضل منه، وذلك أنه بلغني عن النبي ﷺ أنه باب من أبواب الجنة.

وحدثني فرات، قال حدثني أبو الشيخ المفسر عن عبد الرحمن بن زياد عن مطرف عن عبد الله رفعه إلى النبي ﷺ قال: «المنستير باب من أبواب الجنة، يقال له: الأنف ودونه قنطرة من قناطر الأولين».

وحدثني فرات، قال: حدثني خلف بن محمد القابسي، قال: حدثنا بهلول بن راشد، قال: حدثنا عباد بن كثير، عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بساحل قمونية باب من أبواب الجنة يقال له: المنستير، من دخله فبرحه الله، ومن خرج عنه فبعفو الله».

وحدثني فرات، قال: حدثنا عبد الله بن أبي حسان اليحصبي، عن أبيه، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الله بن دينار، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من رابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت له الجنة» قال أنس: يخ يا رسول الله، قال: «نعم يا أنس، وله في هذه الثلاثة أيام كأجر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين».

قلت: فهاته الأحاديث كما ترى مروية عن فرات، وقد أثبت في ترجمته المذكورة في الطبقة السادسة أنه كان أعلم الناس بالناس، وأوقع الناس بالناس، حتى نسب للكذب.

وهاته الأحاديث ذكرها ابن الشباط والتجاني في رحلته، وذكرها ابن ناجي، وقال: سمعت من شيخنا البرزلي يقول: عن شيخه وشيخنا ابن عرفة: يغلب على الظن أنها موضوعة.

قلت: وإذا ثبت أنها موضوعة فالمظنون أن واضعها قصد بها الترغيب في المراقبة بما يترتب عليها من مصلحتي الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإن المراد منها ملازمة النظر في موضع المخافة من العدو، وفي الآخرة وحصول الثواب الموجب لدخول الجنة.

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» وأخرج ابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من مات مرابطاً في سبيل الله تعالى أجرى عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعثه الله آمناً من الفزع».

والرباط والمرابطة: أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم، بحيث يكون ملازمة النظر في موضع المخافة من العدو.

وأصل المrabطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون الفريقان مستعدين للنزال فيحارب كل منهما الآخر، ثم أطلق على كل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابطاً، وإن لم يكن له ما يربط من الخيل.

وقوله: بخ، كخ، كلمة تقال عند المدح للشيء والرضا به، وتكرر للتأكيد، وهي: إما مبنية على السكون للوقف، وإما للوصل فتكسر وتنون، وقد تشددت، والقنطرة لم يزل أثرها قائماً، والقرب منها من الجهة الجوفية أثر بلدة رومانية بعضها غمره البحر والباقي هو بساتين تابعة للمنستير تعرف بالقديم، هواؤها نقى.

وحكى بعض المؤرخين أنه كان هناك قصر يعرف بشقانص، لا أثر له الآن. وزبدة القول أن للمنستير الشرف العظيم، وقد صرح بذلك غير واحد من المؤرخين، قالوا: لا شك أن للمنستير فضلاً وشأناً، وفي الحلل السندسية، والبيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى الإشارة لذلك.

وفي رحلة الشيخ الورثي^(١) أنه دخل سوسة ولم يدخل المنستير، وهي مدينة عظيمة قوية البركة عظيمة في الزيارة، لاحتوائها على طبقة من العلماء وأهل الترجيح من المؤلفين، كالإمامين: ابن يونس والمازري وغيرهما، فإن الوفود تأتي إليها من كل جانب. انتهى.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الورثياني» وهو تحريف قبيح.

وقد ذكرها جماعة من الأدباء، منهم: أبو عمرو عثمان بن عتيق المعروف بابن عرية المترجم له في الطبقة الرابعة عشر، ذكرها متشوقا في قصيدة مدح فيها الأمير أبا زكرياء الحفصى منها:

ذكرت جهة والذكرى تهيج لى فأين جهة منى والمنستير
وما منأى لياليتها التى سلفت وما منأى محانيها المعاطر
والمراد ببجمة: المهديّة.

فصل فيما يتعلق بالقصر

قال البكرى: إن محرس المنستير المعروف بالقصر الكبير له في يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير فخيم، وبالمنستير الطواحن الفارسية وموآجل الماء، وهو حصن عال متقن البناء والعمل.

وفي الطّبة الثانية منه مسجد لا يخلو من خير فاضل يكون مدار القوم عليه، وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين، قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والعشائر.

وقال محمد بن يوسف: هو قصر كبير عال بداخله ريبض واسع، وفي الرّبض حصن ثان كبير كثير المساكن والمساجد في طبقات عالية بعضها فوق بعض، وفي القبلة منه حصن فسيح فيه قباب عالية متقنة تنزل حولها النساء المرباطات تعرف بقباب جامع، وبها جامع متقن البناء، وبها حمامات كثيرة، وكان أهل القيروان يخرجون إليهم بالأموال والصدقات الجزيلة.

وبالقرب من المنستير ملاحاة عظيمة تشحن منها السفن بالملح إلى البلاد، وبقرها محارس متقنة البناء معمورة بالصالحين، وليس بإفريقية أجل من محرس المنستير. انتهى.

وفي حسن البيان: القصر المذكور سامى بضخامته قصر أجم من الهياكل لما تقدم من الأمم وفاق بإضافة الغرض ومتانة المقصد لأنه بُنى لمصلحة، وهو الرباط، وهو قصور ثلاثة شامخة، ذات طبقات تشمل مئات من البيوت، وقد بنيت بالحجارة العظيمة بأحكم صنعة وإتقان على غاية من الإحكام، وفي وسطها مخازن

للطعام ومواجل الماء ومستودعات آلات الحرب ومرابط الخيول، وحولها القلاع الحصينة، والحصون المنيعه، يحيط بها أسوار شامخة التي تكاد تطرد الطير عن بلوغ أعلاها سمواً، وشحنها العرب بالقوات والخيول والرجال، فكان يقصده من جهات إفريقية أهل التقوى والفضل والإحسان.

وقال الشيخ مقديش: المهدي لم يكن لها جنات ولا بساتين، وإنما يجلب إليها من المنستير ما تحتاج من الثمار.

وبالمنستير قصور ثلاثة يسكنها العلماء والصالحون والأعراب لا تضرهم في شيء من ثمرهم ولا من عمارتهم، لأنها محل رباط وعبادة، وأهل المهدي يدفنون موتاهم فيها تبركاً، وهاته القصور أبراجها منتظمة مع قرب بعضها، بما بيوت بعضها على بعض محكمة البناء، وحولها دور يحيط بها سور قد رصص بناؤه.

قلت: القصر الكبير متركب من قصور ثلاثة، على الوصف الذي تقدم نقله عن الشيخ محمد بن يوسف، ولم ينقص منه إلا القباب، وله بابان قبلية المفتوح، واحد مفتوحه في صحن الجامع الكبير الذي هو الآن مطموس، والآخر هو مدخل القصر.

وبالمنستير قصران غير القصر الكبير أثبتتهما بعض المؤرخين.

أحدهما: يعرف بقصر السيدة وقبرها بمقصورة بمسجد يعرف بالسيدة إلى هذا الوقت، أما القصر فلم يبق له أثر، ومحل الآن دور بعض بيوتها عتيق جداً باقية على حالها إلى الآن، ومن مشمولاته مسجد يشبه في البناء والقدم مسجد السيدة، به مغارة تحت الأرض، ومقصورة بها قبر، والأقرب أنه قبر بعض ملوك صنهاجة، ويعرف هذا القبر بسيدى عامر، يزار حتى الآن.

حكى لي شيخ مُسنّن: أنه يسمع سماعاً فاشياً أنه كان وقع شروع في حفر حذو القبر، فإذا ببناء من القبر يقول: عامر عامر، فمن ذلك الوقت عرف بسيدى عامر.

ومن مشمولاته أيضاً مسجد يشبه في البناء والقدم مسجد السيدة، يعرف هذا المسجد بمسجد الرز، والأقرب أنه حُرِف وأصله المعز.

ومن مشمولاته أيضًا قبة فيها قبر أبي الحسن على السراج ويعرف الآن بسيدى السراج، يزار.

ثانيهما: القصر الذى به الزاوية المعروفة بسيدى ذويب، وفيها قبر معروف به يقال: إنه بيت ملوك بنى الأغلب، وفيها مسجد عتيق يظهر أنه أقدم من مسجد السيدة، ولم يبق من هذا القصر إلا هاتيه الزاوية وباقيه هو الآن دور، وهذان القصران والقصر الكبير ودور تعرف بالزربية كانت مسورة بسور لم يبق له أثر إلا من الجهة الشرقية، فلم يزل قائمًا إلى هذا العهد، وكان بين هذين القصرين داموس تحت الأرض، ممتد إلى الجهة الغربية لا يعرف له حد، وبعض الدور مواجلها مقطعة منه.

عود إلى الكلام على القصر الكبير: قال الشيخ مقديش: وقف لمصالح المرابطين جميع الأراضى المتصلة بالقصر لمعى الدواب والزراعة لمن يروم ذلك، وغرست جنات عظيمة بكل مثمر، وكانت بساتين قصر الرباط تشمل آلافًا من تلك الأراضى ينتفع بها أهل الرباط جميعًا لا فضل لأحدهم على الآخر، وكان معظم غزاة البحر يركبون منه، وقد أحدث العرب عند قصر الرباط مدينة لها عمران عظيم وجنات وزياتين بكيفية عجيبة حتى كانت مدينة المهديّة فى عنفوان عمرائها وسطوة ملكها وقت الخلفاء العبيديين وملوك صنهاجة عالة على المنستير فيما تحتاجه من الثمار والفواكه وغير ذلك.

فى حسن البيان نقلًا عن حاوى البرزلى بعد نقل جواب الإمام المازرى عن مخازن بالمنستير بالقصر الكبير مملوءة قمحًا وشعيرًا لرجال مقيمين بالقصر، ولآخرين غيب، وعن زوار يغلقون مخازنهم ويخرجون فيقيمون شهرين ونحوهما، وعمن له بيت بالقصر، وهو يبيت خارجه، ويأخذ من المعروف مثل من يبيت بالقصر، وعن قوم من المرابطين بأيديهم من الأراضى أكثر مما بيد غيرهم، وعن قوم غرسوا غراسه بأرض المنستير ما الحكم فيها؟ وهل إن من حقوق الغارس أن لا يخرج من يده ما غرس فى حياته؟ وهل يكون للنّاظر فى ذلك إخراجها من يده فى حال دون حال، أو لا يكون له ذلك؟ وهل يورث عنه من الغرس ما غرسه؟.

قال بعد نقل جواب الإمام عن هذا السؤال ما نصه: دخلت رباط المنستير في حدود عام ستين وسبعمئة فرأيت محفوطاً لا تدخله الناس، وكانت أحباسه محفوفة، وكان العرب لا يتعرضونه إلا بخير في دنياهم، ثم بعد ذلك جرت أمور — على ما سمعت — من تعرض العرب للحبس والدور وثمرات القصر ووقع الانتقال منهم في المال والرجال، وافتتن أهلها مع العرب حتى أدى الأمر إلى تلاشي غرسها، ورحيل أهلها حتى صارت الآن لأمر المؤمنين، فهي الآن — على ما سمعت — في عز وعافية، وعادة الله أن قصر الرباط لا يتحمل التخليط بوجه، فمضى حدث فيه ذلك عوقبوا.

وأما بقية غرسها وبياضها فهم اليوم يملكونه، ولا أدري هل توصلوا إليه بحق أو هو كما قال الإمام؟ فعلى هذا في أكل ثمار الموضع نظر إذ هو حبس، إلا أن يكون جاء بقصد الرباط فيستحقه من هذه الحثية، وكذلك تملك رباع البلد الدائرة بالقصر وجميع ما حوله من الأراضي مما ينسب إلى المنستير الذي يسمى القرطين، وهو جميع دخلة القصر منسوب إليه. انتهى حسن البيان.

قلت: جواب الإمام عن السؤال طويل الذيل اشتمل على فوائد كثيرة نقله الونشريسي في معياره بنصه.

والقرطين مكان بعيد عن المنستير بنحو ثلاثة أميال، أراضيها خصبة، وقع الاعتناء بغراسها وزراعتها منذ عهد قديم، وبها آبار كثيرة، ودور اندثرت، ومسجد لم يزل قائماً إلى هذا الوقت.

أول من تولى النظر على هذا القصر الأمير أحمد، أحد ملوك بني الأغلب، حين امتلأ القصر بالمرابطين، وأجرى عليهم ما يلزم من النفقة وقد بلغ عدد المرابطين به في مدة سعدون الخولاني، شيخ القصر المترجم له في الطبقة السابعة، زهاء أربعة آلاف مرابط بين عالم وزاهد وصالح.

وكانت ملوك الشيعة تحشاه، ولما ضاق القصر على سكانه أضيفت الأراضي التي حوله حتى القرطين للقصر، فبنى المرابطون دوراً حوله وغرسوا الأراضي التابعة له للانتفاع بها.

وأول دور بنيت هى الدور المعروفة بالزربية، وكانت قليلة فى زمن سحنون ولذا قال: إن إقامة الجمعة لا تجب على أهلها، ثم استمر الحال على ذلك إلى أن آل أمر القصر والأراضى التابعة له إلى ما رأيت فى السؤال الوارد على الإمام المازرى، ثم استمر تزايد بناء الدور والعمران إلى أن صارت مدينة مسورة بسور، وذلك أواسط المائة السابعة، ثم آل الأمر إلى ما رأيت فى حكاية الإمام البرزلى.

وفى أوائل المائة التاسعة كان شيخ القصر أبا عبد الله محمد بن أبى زيد، المترجم له فى الطبقة السابعة عشر، وكان به من التلامذة ما يزيد على المائة، رحلوا إليه من الآفاق، وكل من حل به يجد مسكنًا يأوى إليه ومعلمًا يؤدبه ويعلمه القرآن والعلوم الدينية، ويجد ما يلزم من أمر المعيشة، وهى أمور تعين على طلب العلم.

ولا يخفى أن أكبر الأعوان وأهمها فراغ البال من أمر المعيشة وكانت الأرزاق تأتى إليهم وإلى من به من المرابطين من أوقافه، ومن جهات إفريقية كقفصة ونفزاوة وقابس والجزيرة والقيروان وغيرها، ثم قام ابنه أحمد واستمر الحال على ذلك إلى أن استولى عليه الأسبان أواسط المائة العاشرة فهدم منه جانبًا بعد ما قتل وأسر من لا يعد كثرة.

نقل ذلك الشيخ عظم فى أجوبته.

ثم أصلحه وأصلح المنار الذى به، وقيل: هو الذى أسسه ثم افتكه منه الترك وصار أمره إلى الانحلال والتقهقر تحت نظر حفدة الشيخ ابن أبى زيد إلى أوائل القرن الثالث عشر، صيره الأمير حمودة باشا معقلًا حربيًا ونقل الطلبة الذين به لزاوية سيدى ذويب المتقدم الذكر وأجرى على عشرة منهم النفقة من أوقاف زاوية الشيخ أحمد بن أبى زيد المذكور، وجعل لهم مؤدبًا يعلم القرآن، ومدرسًا يُقرئ مبادئ العلوم الدينية جرايتهما من الأوقاف المذكورة، ونظرهم لقاضى المكان.

ثم إن الباشا حسين بن محمود باى جعل به سنة ١٢٤٦ العساكر النظامية وشحنه بآلات الحرب.

وفي أيام المشير أحمد باشا كان به من العساكر النظامية نحو ثلاثة آلاف، واستمر الحال على ذلك إلى أن نصبت فرنسا حمايتها على الإيالة التونسية سنة ١٢٩٨ فأزالت ما به من الذخائر وآلات الحرب، حيث صارت غير صالحة للدفاع وأغلقتها، واستولى عليه الخراب واعتبرته وأسوار المدينة الحكومة من الآثار العتيقة، وصدر أمرها بالمحافظة عليها تحت نظر جميعه الأوقاف والإدارة الحربية.

ولما قامت الحرب الكبرى المشار لها آخر التتمة وقع إسكان جماعة به من أسارى الألمان وتسخيرهم لإصلاح الخراب الذى به وأقاموا به أشهراً، ثم نقلوا وسكن به طائفة من جالية دولة روسيا عند استيلاء جمهورية السوفيات على بلاد القريم مع طائفة من عساكر الاحتلال، ثم خرجوا وبقيت به العساكر إلى هذا الوقت.

والحاصل أن القصر إلى هذا العهد آثاره تدل على أنه كان فى العهد القديم آية دالة على عظمة العرب خالدة إلى الآن:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وهو إلى هذا الوقت على طبقات ثلاث، به منارة سامية الارتفاع، قامت كأنها عمود مخروط، يستطلع منها المستطلع فيرى ما يملأ النفوس بهجة وحسناً، فيرى المدينة وما حولها من حدائق الزيتون والبساتين الملتفة كأنها بسيط أخضر جميل المنظر مد البصر، يتخلل ذلك البسيط قرى تحف بها حدائق الزيتون يرف غضارة ونضارة، ويرى مدينة سوسة العروسة القرية منها بنحو أحد عشر ميلاً بحراً، ويشاهد مبانيها الأنيقة.

وبالجملة فإنه لا أشرف كإشرافه حسناً وجمالاً واتساع منظر يروق ويرمى الأبصار بهجة ونوراً، وبالقصر قبور كثير من العلماء والصلحاء مغالبهم مجهول الاسم أو محرف والمعروف منهم: أبو عبد الله بن أبى زيد، وأبو الفضل يوسف بن نصر، وسعدون الخولاني والشيخ الشريف وبهذا يعرف، والشيخ جابر المهدوى، وبخارج القصر على يسار الداخل له بيت به قبر الإمام أبى عبد الله بن يونس

الصقلی، ويعرف بسیدی الإمام، وبالقرب منه قبة بها قبر يعرف بسیدی مفتاح عتیقة.

هذا ما يتعلق بالقصر، أما ما يتعلق بالمدينة فقد تقدم أن القصور الثلاثة كانت مسورة بسور ثم أزيل وذلك بعد حصول زيادة كثيرة في الدور، وأضيفت للقصور وما حولها من الدور، وسورت بسور، وهي المعروفة الآن بحومة المدينة، بها مساجد كثيرة عتیقة، منها: مسجد يعرف بمسجد الإمام المازري، ومسجد يعرف بمسجد أبي يوسف الدهماني به قبر يزار، وبالجهة الغربية من هذه الحومة ربض يعرف بالربض الأوسط، وبابه يعرف بالباب الجديد به سوق واسع الفناء زاهي البناء، وهو مجتمع الناس للتجارة وغيرها وبه الجامع الحنفی.

ومن الجهة الجوفية منه مسجد عتيق يعرف بمسجد المرأة الصالحة عافية، ويشمل هذا الربض حومتين: الجبانة والشراقة، وبه مقام أبي بكر الحنفی المترجم له في الطبقة الرابعة عشر، والشيخ الحياص قدم العهد، ومقام الشيخ الهلالي قدم العهد أيضاً، ومقام الشيخ المجدوب بوطاره الحنفی من أهل المائة الثانية عشرة.

بالجهة الغربية من هذا الربض ربض يعرف بالربض الأقصى، ويشمل حومتی باب الفرج والطرابلسية، به تربة الشيخ عمر القلال من أهل القرن الثاني عشر. وفي القدم كان على كل منهما سور ثم أزيلت الأسوار الفاصلة بين الربضين وحومة المدينة ولم يبق منها إلا السور المحيط بجميعها.

وأما الربض الجوفي من هذين الربضين فمُسَوَّرٌ بسور على عهد علي باشا ابن حسين باشا، وبذلك صارت مدينة فسيحة الأرجاء لها ربضان: حوفي ويعرف بربض الخروبي وبقربه مسجد يعرف بمسجد السراة غمره البحر ولم يبق له أثر، وقبلی ويعرف بالقراعية على شاطئ البحر، به آلاف المباني الأنيقة.

فللعين هناك منظر وانسراح، وللنفس مزيد انبساط وانفساح، وبه مقام الشيخ منصور بيزيد، ومقام الشيخ مسعود الخزرجي، قبل مقام الشيخ العربي، وهو عتيق جداً.

على شاطئ البحر داموس منحوت في جبل يعرف بالكحلية يقال: إنه كان معداً لمصيف بعض أمراء الرومان أو مقرّاً لطائفة من الرهبان.

وبالجهة الغربية من المدينة مع انحراف إلى جهتي القبلة والجوف حدائق الزيتون، والبساتين ذات الأشجار الملتفة الياقة، يحيط بجميع ذلك قبة وشرقاً، وجوفاً البحر في شبه شكل مثلث زاويته المدينة، وتلك الأشجار، ومنها التي ببساتين شقاقص ثمرات طيبة النكهة سيما التفاح، له خاصية من الفضل عجيبة، لأن رائحته من أعطر الروائح وأطيهاها، يدخل به الداخل عليك فتجد رائحته العبة قد سبقت إليك فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب رياه وحسن منظره عن أكلك إياه، يهدى للأحبة والأمراء والخاصة من الفضلاء.

وبالجملة فتربتها نقية، وهواؤها صحيح منعش للنفوس والأبدان، في كل وقت وزمان، وبغالب دورها المواجهل، والآبار منها ما هو صالح للشرب، ومنها ما هو غير صالح، وفي سنة ١٣٢١ أسست الحكومة شركة تعرف بشركة مياه الساحل لجلب الماء المنهمر المتسرب من عيون معينة من ولجة أبي حفنة بعمل القروان في قنوات الحديد وأنابيب الرصاص يتفرع إلى فرعين، كل فرع ينقسم إلى مذناب يخترق بسائط وعمائر وقرى وما من قرية مر عليها إلا ولها نصيب من ذلك الماء، فرع ينتهي إلى سوسه وفرع ينتهي إلى المنستير وحصل بذلك نفع عظيم، ومنحت الشركة الاشتراك فيه لأصحاب الدور والبساتين والحمامات وغيرها بثمان معين من المال يدفع سلفاً في كل ستة أشهر، والقدر المستهلك منه يعرف بمنقالة الماء، وهي آلة تشبه منقالة الساعة الزمنية.

أهلها معروفون بالذكاء وكرم الأخلاق والتواضع، فلا تلقى منهم إلا وجهاً طلقاً، وكلمة لينة، ولهم كرامة للغرباء وإقبال عليهم، سنتهم في المعاشرة عجيبة وسيرتهم، في التزام رتبة الخدمة غريبة، مع الكد والجهد، والوفاء بالعهد، محافظون على عوائد أسلافهم، ومعتنون بتهذيب أخلاق أولادهم، ولهم اعتدال في معاملاتهم، وليس لهم الآن كبير حظ في التجارة لقربها من سوسه المقصودة برّاً

وبحراً لتحسين مرساها التحسين العصري، أما قبل هذا التحسين فقد كان للمنستير الحظ الأوفر في تجارة الزيت وغيره برّاً وبحراً.

سكانها زهاء عشرة آلاف نفس ومع قلة هذا العدد بالنسبة للحواضر غيرها، فإن كثيراً من الخطط النبيهة بأيديهم، فلا يخلو منهم ديوان من دواوين الحكومة، وفيها كثير من ذوى البيوتات النبيهة، كبيت ابن أبي زيد، وبيت مخلوف، وبيت مزالي، وبيت نويرة، وبيت بوزقرو، وبها مجلس شرعى متركب من قاض مفتيين، وبها مدرسون خمسة يُقرّون العلوم الدينية وواحد يُقرئ فن القراءات، وفيها مكتب تبرع به بعض أهل البر لتعليم أبناء المسلمين القرآن العظيم وبعض مبادئ العلوم الدينية به الآن ما يربو على مائة تلميذ.

وفيها مكتب ذو طبقتين حفيل ينقسم إلى قسمين للذكور، وقسم للإناث لتعليم أولاد الأهالي على اختلاف أديانهم مبادئ اللغة الفرنسية ومبادئ بعض العلوم العصرية، به نحو سبعمائة تلميذ.

وفي سنة ١٣٢٧ أحدث بما مستشفى غاية في الاحتفال مع الاتساع وكثرة المرافق جار الآن على استقامة لاهتمام الحكومة به، أوقف عليه الأهالي ما يربو على ألفى أصل زيتوناً.

وألفت رسالة لطيفة سميتها بالمازرى فى فضيلة المستشفيات والطب، وتعرضت فيها لترجمة بعض المشهورين بعلم الطب وما لهم من المؤلفات فيه، كابن رشد، وابن زهر، والمازرى.

وبالمنستير معمل وآلات لصيد الحوت المعروف بالتن شهرته تغنى عن التعريف به والمنستير معدودة عند الحكومة من الحواضر الأربع التى لها مزيد اعتبار: القيروان وسوسة وصفاقس، وقريب عهد كانت هاته الحواضر الأربع وتونس معفاة من أداء الجبا.

ذكر من بالمقبرة من الفضلاء:

المقبرة: بفتح الميم وتثنية الباء: موضع القبور، ومقبرة المنستير بالجهة الجوفية بها قبور كثير من العلماء والزهاد والصلحاء، والكثير منهم ذهب اسمه أو غير اسمه

ورسمه، وغالب قبور هؤلاء الأفاضل بالعتيقة غمرها البحر ولم يبق لها أثر، فدرت بسبب ذلك مشاهدتهم المباركة، وذهب على أهل البلد أسماؤهم.

ولنذكر ما أمكن معرفة اسمه أو قبره، منهم: أبو زكرياء الحداد، وأبو الحسن الكانشي، وابن العطار، وابن سعدى، وأبو إسحاق السفاسي، وهؤلاء تقدم ذكرهم في المقصد، وابن الفرس من بيت عبد المنعم بن الفرس الأندلسي، وأبو علي الدبوسي، وأبو الفضل الغدامسي الذي مقامه بالجزيرة قرب المقبرة ذكره في المقصد، وبالقرب منه قبر الشيخ السنجاج، وبالمقبرة مقام الشيخين عبد الغني المزوغى وأبي علي يونس بن السماط، وتقدمت الإشارة إليه في المقصد مع أخيه أبي يعقوب يوسف، ونقلنا من مدفنيهما الأول إلى المقام المذكور حين خشي عليهما من البحر، ومقام الإمام المازري منقوش بحجر فوق الباب أنه نقل ومعه كثير من العلماء، وتقدم نقله بعضه في ترجمته بالمقصد، وذلك حين خيف عليهم من البحر على عهد الباشا علي ابن الباشا حسين، وعلى عهده كان إصلاح الجامع الكبير، وتأسيس الجامع الحنفي، وبناء سور الربض الجوفي.

ومقام أحمد ابن أبي زيد، المترجم له بالمقصد، نقل إليه سنة ١٣١٠ من مقامه الأول، وكان عليه بناء حفيل ضمه البحر إليه بعد النقل، ولم يبق له أثر الآن، ومقام الصالحة البرقاوية، وقبور تحت السور تعرف بقبور بنات السلطان ومقام الشيخ الطرودي، وصدر الإذن بنقلته حيث تمأ البحر لجذبه، ومقام جد العبد الفقير الشيخ عمر مخلوف الشريف، وهو من فريق أولاد مخلوف الذين ينسبون أنفسهم لذلك، وينسبهم الناس إليه خلفاً عن سلف، وكان بأيديهم ظهور من أمراء إفريقية في إعفائهم من المطالب الدولية، ومن هذا الفريق الشيخ مخلوف الشرياني الذي قبره بشريانة القريبة من سفاقس.

قال الشيخ مقديش: ومن مشايخ سفاقس، الشيخ مخلوف الشرياني أصله مغربي صحب الشيخ العياشي بطبلبة، وهو من أكابر الصالحين والعلماء العاملين، له: تخميس على بردة المديح، وله عقب بأيديهم ظهور من أمراء الحفاصة وأمراء العساكر العثمانية. انتهى.

وقوله: مغربي، يعنى من فرقة بالمغرب أشار لها الشيخ العياشى فى آخر رحلته حيث قال: ثم مررنا بأولاد سيدى مخلوف وهم أشراف. انتهى.

والجد عمر مخلوف المذكور مقامه متبرك به كان معتقداً من أكابر الصالحين كثير الكرامات، وكان بالحياة أوائل القرن الحادى عشر، ومن أخص أصدقائه الشيخ عبد الرحمن الجندولى ومقامه بالمقبرة، والشيخ منصور بيزيد الذى مر ذكره قريباً، والمرأة الصالحة عائشة الفتحية التى مقامها قريب من مقام الجد، وهم معروفون بالصلاح، معاصرون للشيخ المربى المعتقد الكثير الأتباع أبى شامة عامر ابن الشيخ سالم الشهير بالزوغى صاحب الزاوية الشهيرة بالساحل بين سوسة والمنستير المتوفى سنة ١٠٤٩ المتولد سنة ٩٢٩، ووالدته ريانة بنت الشيخ نصر الشارف الذى مقامه ببلد الساحلين، وبالمقام قبر الشيخ سالم المذكور، وكانت طريقة الشيخ عامر جزولية، وكان من أصحاب أبى الغيث القشاش، وتاج العارفين البكرى، وتقدم ذكرهما فى المقصد، وأقام بصفاقس نحو الخمسين عاماً ومنها انتشر ذكره.

وبالمقبرة ألواح وأعمدة من حجر كثير منقوش عليها بالقلم الكوفى مبعثرة، وأكثر من ذلك ما دس فى القبور والحيطان وجعل أعمدة سقف عليها كما هو مشاهد الآن بمقام الإمام المازرى، وبمقام أبى على السماط وغيرهما، وبعضها مكسر لا يمكن حصول نفع منه بحال.

عود إلى الكلام على قصر السيدة:

فى المؤنس: أن بنى زيرى دار ملكهم أولا المنصورية ثم انتقلوا إلى المهديّة فى زمن المعز ابن باديس ومدفهم بالمنستير بقصر السيدة وكان لهم ناموس وعساكر عديدة وبلغوا رتبة السلاطين.

وقال ابن خلكان نقلاً عن كتاب الجمع والبيان لأبى محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز: إنه جرت العادة أن كل أمير من هذا البيت يدفن فى قصره ثم ينقل بعد سنة إلى قصر السيدة بالمنستير.

قلت: ومن المقبور بهذا القصر الذى مر وصفه قريباً وقبرها غير معروف أم ملال.

قال ابن عذارى: هى أخت نصير الدولة باديس بن منصور، عمة المعز، وهى أول من بايعته وهنأته بالولاية فى المهديّة، وتوفيت سنة ٤١٤. انتهى.

ومن المقبورين بالقصر وقبرها معروف لهذا الوقت فى مقصورة بمسجد يزار يعرف بالسيدة.

قال ابن عذارى: وفى سنة ٤١٢ توفيت السيدة زوجة نصير الدولة وكفنت فيما لم يذكر أن ملكاً من الملوك كفن بمثله، فحكى من حضره من التجار أن قيمته مائة ألف دينار، وجعلت فى تابوت من عود هندى قد رصع بالجواهر، وكانت جنازتها لم ير مثلاً، وكانت مسامير التابوت بألفى دينار.

وفى سنة ٤١٣ أعرس المعز فكان له عرس ما تهاى لأحد قط من خلفاء الإسلام، وشرحه الرقيق فى كتابه تركناه اختصاراً. انتهى.

وفى المؤنس: أمها جدة المعز توفيت سنة ٤١١، وكفنها بما قيمته مائة ألف دينار، وعمل لها تابوتاً من العود الهنذى مرصعاً بالجواهر وصفائح الذهب، وسمّر التابوت بمسامير الذهب، وزنها ألف مثقال، وأدرجت فى مائة وعشرين ثوباً وذّر عليها من المسك والكافور ما لا حد له، وقلد التابوت بإحدى وعشرين سبحة من نفيس الجواهر، وحملت إلى المنستير ودفنت بها، وأمر المعز بخمسين ناقة ومائة رأس من البقر وألف شاة فنحرت وفرق فى مأتمها على النساء عشرة آلاف دينار. انتهى.

قلت: ما صرح به ابن عذارى من أمها والدة المعز مخالف لما فى المؤنس من أمها جدته والذى صرح به ابن عذارى هو الصواب، وما فى تاريخ الشيخ مقديش يؤيده، ومحل الحاجة منه كتب الشيخ سيدى محرز بن خلف كتاباً إلى باديس، ولما وصل إليه قرأه وعمل بما فيه من النصائح ثم بعثه إلى السيدة، وقال لحامله: قل لها: هذا كتاب سيدى محرز فاحتفظى عليه، ولعل بركته تعود عليك، ولما وصل لها

قرأته ثم طيبته وخرزت عليه، وكانت حاملا، فولدت المعز في جمادى الأولى سنة ٣٩٨. انتهى.

والمعز تقدمت ترجمته في التتمة، وكان ملكاً جليلاً على الهمة محباً لأهل العلم، كثير العطاء وكان واسطة أهل بيته، ولما توفي نقل من قصره ودفن بقصر السيدة. وذكرنا قريباً أن المسجد المعروف بالدز محرف والصواب المعز، ومن المقبورين بالقصر وقبره غير معروف أبو يحيى تميم بن المعز، كانت له فضائل وأشعار كثيرة ومن شعره قوله:

إن نظرت مقلتي لمقلتها تعلم مما أريد نجواه
كأنها في الفؤاد ناظرة تكشف أسرار وفحواه

وقوله:

فكرت في نار الجحيم وحرها يا ويلتاه ولات حين مناص
فدعوت ربى أن خير وسيلتي يوم المعاد شهادة الإخلاص

ولابن رشيق فيه مدائح، وكان يجيز الجوائز السنوية ويعطى العطاء الجزيل، وقصدته الشعراء من الآفاق على بعد الدار كابن السراج السورى وأنظاره، مولده سنة ٤٢٢، وتوفي سنة ٥٠١، ودفن بقصره، ثم نقل لقصر السيدة بالمنستير، وخلف من البنين أكثر من مائة، ومن البنات ستين، على ما ذكر حفيده عبد العزيز بن شداد بن تميم.

ومن المقبورين بقصر السيدة أبو الطاهر يحيى بن تميم المذكور، لما تمت له البيعة قام بالأمر وعدل في الرعية، وفي أيامه وصل للمهدية محمد بن تومرت قادما من الحج فنزل بالمهدية، وشرع في تغيير المنكر ثم انتقل إلى المنستير ثم إلى بجاية، وقيل إن إقامته بالمهدية كانت في أيام تميم المذكور، وتقدم بعض خبره في ترجمة يحيى المذكور في التتمة، وفي ترجمة أبي بكر بن العربي في المقصد، وكان الأمير يحيى المذكور كثير المطالعة لكتب الأخبار والسير عارفا بها مقرباً لأهل العلم والفضل، وله نظر حسن في صناعة النجوم والأحكام، وكان عنده جماعة من الشعراء قصدوه ومدحوه وخلدوا مدحه في دواوينهم، ومن جملة شعرائه: أبو الصلت أمية

بن عبد العزيز، وتوفى يوم عيد النحر سنة ٥٠٩، ودفن بقصره، ثم نقل لقصر السيدة على ما جرت به العادة، وقام مقامه ابنه أبو الحسن على، وكان جواداً مفضلاً من الأذكياء محباً للعلم والعلماء، وتوفى سنة ٥١٥ بالمهدية، ثم نقل لقصر السيدة على ما جرت به العادة، ولأبي الصلت المذكور منزلة جليلة عنده، ومن شعر أبي الصلت في أبي الطاهر يحيى المذكور القصيدة التي مستهلها:

قضى الله أن تفنى عداك وأن تبقى وتخلد حتى تملك الغرب والشرقا

قال: أنشدت يحيى بن تميم هاته القصيدة وخاصته بين يديه، وعبد العزيز بن عمار في الجملة وكان في هاته الصناعة أبصر الجماعة، فقال له يحيى: كيف ترى ما تسمع؟ قال: حسن الخوك محكم السرد، فقال له: أتعرف قائله؟ قال: لا، قال: هو ذلك الجالس، يشير إلى، فعلاه بسبب ذلك فتور ونفور عن الاستماع بحسب ما يعرض من العوام الرعاع عند ما ينشدون لمن جمعهم وإياه مكان وزمان، وإنما عنوا بامتداح القدم وتعظيم العظم الرميم وسببه الحسد، وكثيراً ما يعدون الصواب محالاً والصداء آلا والقوام اعوجاجاً والعذب ملحاً أجاجاً. انتهى.

قلت: قال بعضهم: المعاصرة أهل المنافرة، وقال شيخنا حسين بن أحمد: المعاصرة حجاب.

وأبو الصلت هذا مقبور بالمنستير، وقبره غير معروف، وهو ابن الصلت أمية ابن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي يكنى بالأديب الحكيم.

في صلة ابن الأبار: خرج من بلاده ابن عشرين سنة يطلب العلم فتفنن في العلم والآداب والعروض والتاريخ، وسُجن أثناء ذلك، ثم تخلص من اعتقاله فنزل بالمهدية على رأس الخمسمائة في كنف أمرائها الصنهاجيين: يحيى بن تميم بن المعز، وولده على عشرين سنة، وكان من أفراد العلماء وفحول الشعراء والأدباء، وله تأليف في فنون شاهدة بفضله ودالة على سعة علمه، وقد أوردت له في تأليفى تحفة القادم كثيراً من شعره.

وكتب إلى أبو جعفر بن عات أن أبا الحسن بن المفضل أنشده بالإسكندرية قال: أنشدني عبد الله بن يوسف القضاعي، قال: أنشدني أبو الصلت أمية بن عبد

العزیز، قال: أنشدنی أبو محمد التکریتی — من تلامذة الغزالی — لأبی حامد هذا ولم أسمعہ من غیره، ولا ذکر له أبو الصلت، فی الحدیقة:

جعلت عقارب صدغه فی خده قمراً یجلّ سنی عن التشبیه
ولقد عهدناه یحل ببرجها فمن العجائب کیف حلت فیہ
أفادنی أكثر خبره بعض أصحابنا عن أبی عبد الله عبد الخالق الخطیب بالمنستير
توفی سنة ٥٢٠ أو بعدها یسیر. انتهى.

وفی حسن المحاضرة: أبو الصلت أمیة بن عبد العزیز الدانی الأندلسی، قال فی العبر: کان ماهراً فی علوم الأوائل، رأساً فی معرفة الهیئة والنجوم والموسیقی والطبیعی والرياضی والآلهی کثیر التصانیف بدیع النظم، مات سنة ٥٢٨ عن ثمان وستین سنة. انتهى.

وقال ابن خلكان: أبو الصلت أقام تحت کنف الأمير یحیی بعد أن جاب الأرض وتقاذفت به البلدان وله فیہ مدائح کثیرة أجاد فیها وأحسن، وله أيضاً مدائح فی ولده أبی الحسن علی، وولد ولده الحسن، وأخذ عن جماعة من أهل الأندلس وغیرها، منهم: أبو الولید الرقشی قاضی دانیة وسابق فضلاء زمانه وأهل عصره وأوانه، یقال: إن عمره ستون عاماً، عشرون بإشبیلیة، وعشرون بإفريقية عند أمرائها الصنهاجیین، وعشرون فی مصر محبوساً فی خزائن الکتب، فخرج فی فنون من العلم إماماً، وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحین، وله فی ذلك وغیره تألیف تشهد بفضله، منها: کتاب الحدیقة علی أسلوب یتیمة الدهر للثعالی، وکتاب ذیل به کتاب الرقیق فیما وقع فی دولة بادیس وأبیہ وجده، وکان له شعر جید رقیق جمعه فی دیوان خاص.

وصنف وهو فی اعتقال الأفضل وهو بمصر: رسالة العمل بالأسطرلاب، وکتاب الوجیز فی علم الهیئة، وکتاب الأدوية المفردة، وکتاب تقویم الذهن فی المنطق، وکتاب الانتصار فی الرد علی ابن رضوان، فی رده علی حنین بن إسحاق فی مسائله، وله الرسالة المشهورة الی وصف بها مصر وعجائبها، وله غیر ذلك، وکانت له منزلة جليلة بالمهدیة علی صاحبها علی بن یحیی بن تمیم، وولد له بها

ولده عبد العزيز، وكان شاعراً ماهراً، وله في الشطرنج يد بيضاء، وتوفي ببجاية سنة ٥٤٦هـ، وتوفي أبو الصلت سنة تسع أو ثمان وعشرين وخمسمائة، ونظم أبياتاً أوصى أن تكتب على قبره:

سكنتك يا دار الفناء مصدقا بأنى إلى دار البقاء أصير
وأعظم ما فى الأمر أنى صائر إلى عادل فى الحكم ليس يحور
فيا ليت شعرى كيف ألقاه عندها وزادى قليل والذنوب كثير
فإن أك مجزياً بذنبى فإننى بشرّ عقاب المذنبين جدير
وإن يك عفو منه عنى ورحمة فثم نعيم دائم وسرور
انتهى باختصار. وانظر معه نفح الطيب ورحلة التجانى.

أما نصير الدولة باديس فقد قال ابن خلكان توفى فى ذى القعدة سنة ٤٠٦هـ عقب سرور حصل له عند عرض عساكره عليه وهو فى قبة السلام جالس إلى وقت الظهر، وسره حسن عسكره وأهجه زيههم وما كانوا عليه، وانصرف إلى قصره ثم ركب عشية ذلك النهار فى أجمل مركوب ولعب الجيش بين يديه، ثم رجع إلى قصره شديد السرور، فلما مضى مقدار نصف الليل توفى.

وفى كتاب الدول المنقطعة: إن سبب موته أنه قصد طرابلس ولم يزل على قرب منها عازماً على قتالها، وحلف أن لا يرحل عنها حتى يعيدها، قال: فاجتمع أهل البلد عند ذلك إلى المؤدب محرز وقالوا: يا ولى الله، قد بلغك ما قاله باديس فادع الله أن يزيل عنا بأسه، فرفع يديه إلى السماء وقال: يا رب باديس اكفنا باديس، فهلك فى ليلته بالذبح. انتهى.

قلت: لعل المؤدب محرز كان فى تلك الأيام بطرابلس، وإلا فهو من أهل تونس وسكانها، وهى بعيدة عن طرابلس مسيرة نحو عشرة أيام، والذى فى المؤنس أنه توفى بالمغرب فى قتال زناتة تأمل، وباديس ووالده وجده مدفهم صبرة، وملوك هذا البيت مرت ترجمتهم فى التتمة.

وكان المعز ابن باديس يعظم الشيخ محرز بن خلف ويكاتبه من ذلك كتاب فاتحته: هذا ظهير كريم من القائم الناصر لدين الله المعز بن باديس إلى الشيخ

الصالح الكبير القدر محرز بن خلف... إلى آخره، وكانت بينه وبين باديس مكاتبات، وقد مر قريباً الإشارة إلى ذلك، وسترى ما يؤيد ما ذكرناه. انتهى ما قصدناه وتم بفضل الله ما أثبتناه بعدما استعنت به في الإسعاف والإسعاد واستجرت به نعم المجير في المبدأ والمعاد، وانجر الحديث وهو شجون يجز بعضه بعضاً إلى الشيخ محرز فخر الإسلام ومعتقد الخاص والعام، ناسب أن تحتّم هاته الشجرة وختامها مسك بذكر البعض من فضيلته، والمرجو من الله الحصول على شيء من بركة من ذكرناه بالشجرة وبركته، ومعلوم أنه عند ذكر مثل أولئك السادات تنزل الرحمات، والمرجو أيضاً إنزال رحمته ودوام نعمته، وإليك ترجمته:

ومحرز: هو أبو محفوظ محرز بن خلف بن رزين بن يربوع بن حنظلة بن إسماعيل بن عبد الرحمن ابن سيدنا أبي بكر الصديق، رضى الله عنهم، وأفاض علينا من أنوارهم وكسانا بعض حلال أسرارهم، شيخ المعتقد المشهور لدى الخاصة والجمهور بالعلم والعمل والفضل المؤدب المربي العارف بالله الواصل الولي الكامل الكثير الكرامات والمناقب والحسنات، وكانت له اليد البيضاء في إعزاز السنة وإخماد البدع مع الدين المتين، والزهد والورع، نفعة الله بنيته وتغمده برحمته كان مجلسه مجلس وعظ مع كرم أخلاق وحلم، يقول الشعر ويجيده، وكان في ابتداء أمره يسكن بالمرسى، لا يألفه إلا أصحابه، فلما سكن تونس انبسط للفقراء والغرباء حتى كثر أتباعه، فصار منهم من يصفحه ومن لم يصل إليه فليتمس أثوابه بيده ويمسح بها على وجهه. أخذ عن واصل بن عبد الله القيرواني المشهور بالعلم والصلاح، وروى عن أبي إسحاق الدينوري، وكتب إليه أبو بكر الأبهري.

وروى عنه حاتم الطرابلسي ومن لا يعد كثرة، وكانت وفاته سنة ٤١٣ وقد ناف عن السبعين، وضريحه بتونس عليه بناء غاية في الاحتفال، والدعاء عنده مجرب الإجابة، وهو الذي دعا أبا محمد عبد الله بن أبي زيد لتأليف ما يجب تعليمه

لأبناء المسلمين وأجاب دعوته، وألف الرسالة، وإليه الإشارة في خطبتها بقوله: فإنك سألتني... إلى آخره، فأجبتك إلى ذلك.

وفي المدارك: جاء بعض طلبته إليه طالباً منه أن يكتب كتاباً إلى باديس يعرف عنه ما هو فيه، فأخذ قرطاساً وكتب بسم الله الرحمن الرحيم: حقق الله الحق في قلوب العارفين من عباده، ونقل المذنبين إلى ما افترض عليهم من طاعته، أنا رجل عرف كثير من الناس اسمي، وهذا من البلاء، وأنا أسأل الله أن يتغمدني برحمة منه وفضل، وربما أتاني المضطر يسأل الحاجة فإن تأخرت خفت، وإن ساعدت فهذا أشد، وقد كتبت إليك في مسألة رجل من الطلبة طولب بدراهم ظلمًا ولا شيء له، وحامل رقعتي يشرح إليك ما جرى، فعامل فيه من لا بد لك من لقائه، واستح ممن بنعمته وجدت لذيد العيش، واحذر بطانة السوء فإنهم إنما يريدون دراهمك، وشاور في أمرك من يتق الله، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا، واستعن بالله فإن من يتوكل عليه فهو حسبه. انتهى.

هذا وما قصدت جمعه بهذه الشجرة قد انتهى، وبلغت فيه والله الحمد سدرة المنتهى، وأدركت الغاية من ذكر سادات مداركهم سامية، ومعارفهم راقية، وأنفاسهم زاكية، روح الله أرواحهم، وأسكننا جوارهم في جنة عالية قطوفها دانية، لا تسمع فيها لاغية، ونسأله، وهو لا تخفى عليه خافية، الإخلاص في النية سرًا وعلانية، وله الحمد باطنًا وظاهرًا أولاً وآخرًا.

وصل اللهم وسلم وبارك على أشرف النبيين، سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من ترتيبه وتهذيبه في المحرم سنة ١٣٤٠، ثم وقعت زيادة جمل اقتضاها الحال، ونسأله خلوص النية في الأقوال والأفعال.

استمدراك:

نظرًا لما وقع في الأربعين حديثًا الثنائية المذكورة في المقصد — آخر الطبقة الثالثة — من تحريف ونقص أعيد تحريرها هنا بعد مزيد التحري والاهتمام،

ومقابلتها بنسخ من كتاب الموطأ، والعمل على نصها هذا، ولا عمل على ما كتب بآخر الطبقة الثالثة.

تنبيه: أخذ مالك بن أنس رحمه الله عن أعلام من أئمة الدين، وهم كثيرون جدًا، واقتصرنا على ذكر شيوخه المذكورين بالطبقة الثالثة وشيوخ شيوخه المذكورين بالطبقة قبلها لأنهم المروى عنهم ثنائيات الموطأ، وهي تنيف على مائة حديث، وأثبتنا أربعين حديثًا منها هنا تبركا واتباعا لقوله ﷺ: «من قرأ على أمي أربعين حديثًا كنت له شفيعًا يوم القيامة» وفي رواية «من حفظ على أمي أربعين حديثًا من السنة حتى يؤديها إليهم كما سمعها كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة» والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، وهي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما جاء في صفة النبي ﷺ

١- مالك، عن ربيعة بن عبد الرحمن، عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم ولا بالجعد القَطَط ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

ما جاء في الرؤيا

٢- مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

حديث نبع الماء من تحت أصابعه

٣- وبه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس وضوءاً فلم يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء في إناء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ثم أمر الناس يتوضون منه، قال أنس: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضوا من عند آخرهم.

الترغيب في الصدقة

٤- وبه أنه سمع أنس بن مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله ببرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ

فقال يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالى إلى بئرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، قال: فقال رسول الله ﷺ: بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت فيه، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقَسَمَها أبو طلحة فى أقاربه وبني عمه.

ما جاء فى المهاجرة

٥- مالك عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَبَاغَضُوا، ولا تَحَاسَدُوا، ولا تَدَابَرُوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال».

السنة فى الشراب ومناولته عن اليمين

٦- وبه أن رسول الله ﷺ أتى بلبن قد شيب بماء، وعن يمينه أعرابى وعن يساره أبو بكر، فشرب ثم أعطى الأعرابى وقال: «الأيمن فالأيمن».

ما جاء فى النهى عن تأخير صلاة العصر

٧- مالك، عن العلاء بن عبد الرحمن أنه قال: دخلنا على أنس بن مالك بعد الظهر فقام يصلى العصر، فلما فرغ من صلاته ذكرنا تعجيل الصلاة أو ذكرها، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تلك صلاة المنافقين، تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين، يجلس أحدهم حتى إذا اصفرت الشمس، وكانت بين قرن الشيطان، أو على قرن الشيطان، قام فنقرها أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً».

ما جاء فى الوليمة

٨- مالك، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك أن عبد الرحمن بن عوف جاء إلى رسول الله ﷺ وبه أثر صفرة فسأله رسول الله ﷺ فأخبره أنه تزوج، فقال رسول الله ﷺ: «كم سقت إليها؟» فقال: زنة نواة من ذهب، فقال له رسول الله ﷺ: «أو لم ولو بشاة».

ما جاء في الحجامة وإجارة الحجام

٩- وبه أنه قال: احتجم رسول الله ﷺ، حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَخْفَقُوا عَنْهُ مِنْ خِرَاجِهِ.

ما جاء في الغزو

١٠- وبه أن رسول الله ﷺ حين خرج إلى خير أئامها ليلاً، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يَغْزُ^(١) حتى يُصْبِحَ، فخرجت يهود بَمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ^(٢) فلما رأوه، قالوا: محمد والله محمد والخميس^(٣)، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

قطع التلبية

١١- مالك عن محمد بن أبي بكر الثقفي أنه سأل أنس بن مالك، وهما غاديان من منى إلى عرفة، كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله ﷺ؟ قال: كان يهمل المهلل منا فلا ينكر عليه، ويكبر المكبر فلا ينكر عليه.

ما جاء في تحريم المدينة

١٢- مالك عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك بأن رسول الله ﷺ طَلَعَ لَهُ أَحَدٌ فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحْبُّنَا وَنَحْبُهُ، اللَّهُمَّ إِنْ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أَحَرَّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا».

ما جاء في وباء المدينة

١٣- مالك، عن نعيم بن عبد الله الجحمر، عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

(١) تحرف في المطبوع إلى: «لم يُغْزِ» وصوابه في موطأ مالك ص ٣١١.

(٢) جمع مکتل، وهو هنا الفقة.

(٣) الجيش، وسمى حميساً لأن له خمسة أقسام: ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة وقلب.

ما جاء في سفر النساء

١٤- مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم منها».

في جامع ما جاء في الطعام والشراب

١٥- مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، وضيافته ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يجره».

ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها

١٦- مالك، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله أن أعرابيًا بايع رسول الله ﷺ على الإسلام، فأصاب الأعرابي وعكٌ بالمدينة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أقلني بيعتي، فأبى رسول الله ﷺ، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى، فخرج الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها».

في جامع ما جاء في الطعام والشراب

١٧- مالك، عن أبي الزبير المكي، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أغلقوا الباب، وأوكتوا السقاء، واكفثوا الإناء — أو حمرّوا الإناء — وأطفئوا المصباح، فإن الشيطان لا يفتح غلقًا، ولا يحل وكاء، ولا يكشف إناء، وإن الفويسقة تُضرم على الناس بيتهم».

في جامع ما جاء في تعجيل الفطر

١٨- مالك، عن أبي حازم بن دينار، عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر».

ما ينفي من الشؤم

١٩- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «إن كان ففى الفرس، والمرأة، والمسكن» يعنى الشؤم.

ما جاء في رؤية الهلال للصوم والفطر

٢٠- مالك، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون، فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له».

قدر السحور من النداء

٢١- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلالا ينادى بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم».

مكيلة زكاة الفطر

٢٢- مالك، عن، نافع، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس: صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين.

ما جاء في القرآن

٢٣- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت».

النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها

٢٤- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتحر أحدكم فيصلّى عند طلوع الشمس ولا عند غروبها».

فضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد

٢٥- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة».

غسل يوم الجمعة

٢٦- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل».

الصلاة في البيت

٢٧- وبه أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة هو وأسماء بن زيد، وبلال بن رباح، وعثمان ابن طلحة الحنفي فأغلقها عليه ومكث فيها، قال عبد الله: فسألت بلالا حين خرج ما صنع رسول الله ﷺ؟ فقال: جعل عمودًا عن يمينه وعمودين عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه — وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة — ثم صلى.

مواقيت الإهلال

٢٨- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «يهل أهل المدينة من ذى الحليفة، ويهل أهل الشام من ذى الحجة، ويهل أهل نجد من قرن» قال عبد الله بن عمر: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال: «ويهل أهل اليمن من يلملم».

من جامع الإيمان

٢٩- وبه أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت».

ما جاء في التعفف عن المسألة

٣٠- وبه أن رسول الله ﷺ قال — وهو على المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة».

في جامع الجنائز

٣١- وبه أن عبد الله بن عمر، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة».

تحريم الخمر

٣٢- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب عنها حُرِمَها في الآخرة».

ما جاء في الخيل والمسابقة بينها

٣٣- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «الخيَل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

٣٤- وبه أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد أُضمرت من الحَفَيَاء، وكان أَمَدُها ثَنِيَّةَ الْوَدَّاعِ، وسابق بين الخيل التي لم تُضَمَّرْ من الثنية إلى مسجد بني زُرَيْقٍ، وأن عبد الله بن عمر كان فيمن سابق بها.

ما جاء في الكلاب

٣٥- وبه أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتنى إلا كلبا ضاريا أو كلب ماشية نقص من أجره كل يوم قيراطان».

ما جاء في قتل الحيات

٣٦- مالك عن نافع عن أبي لبابة أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الحيات التي في البيوت.

بيع الذهب بالورق تبرًا وعينًا

٣٧- مالك عن نافع عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها شيئًا غائبًا بناجز».

ما يكره من الكلام بغير ذكر الله

٣٨- مالك عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر أنه قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس، فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحراً — أو قال: إن بعض البيان لسحر».

ما جاء في إسبال الرجل ثوبه

٣٩- مالك، عن نافع وعبد الله بن دينار، وزيد بن أسلم كلهم يخبره عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من يجر ثوبه خيلاً».

ما جاء في الطعام والشراب.

٤٠- مالك عن أبي نعيم وهب بن كيسان، قال: أتى رسول الله ﷺ بطعام ومعه ربيه عمر بن أبي سلمة فقال له رسول الله ﷺ: «سم الله وكل مما يليك».

التقاريط

الحمد لله، يقول العبد الفقير إلى ربه اللطيف، محمد مخلوف الشريف: إن من الواجب على إسداء الشكر، ونشر ألوية الثناء وجميل الذكر، إلى أعلام نبهاء، وأئمة فضلاء، متوا على بتقاريطهم، وأتحفوني بمعانيهم الرائقة، وأشعارهم الفائقة، وإليك ما ورد لي من جنابهم، شكر الله سعيهم، وأحسن جزاءهم، فازدان جيد كتابي بما نظموه، واقتروا ثغره بما نشره.

فمنها: ما لحضرة صديقنا الملاطف، مطرز لطائف المعارف، بطوارف الطرف واللطائف، روض الأدب الزاهر، والحسب الباهر، الشيخ المفتي بالمنستير محمود ابن الشيخ المفتي بها أحمد موسى مخلوف الشريف:

ظَهَرَ الْكِتَابُ كَأَنَّهُ صَبَحَ بَلَغَ يَا حُسْنَهُ بِمَحَاسِنِ الدُّنْيَا امْتَزَجَ
أَهْدَى صَبَا نَجْدٍ فَأَنْعَشَ مُدْتَفَا أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِثْلَ مَيْتٍ مَنْدَرَجَ
وَبَدَا السُّرُورُ بِهِ فَعَمَّ وَخَصَّنِي فَكَأَنَّ يَوْمَ ظُهُورِهِ لِي يَوْمُ حَجِّ
هَذَا كِتَابٌ ضَمَّ تَارِيخَ الْأَلَى قَامَتْ لِمَذْهَبٍ مَالِكٍ بِهِمُ الْحَجَّجُ
فَهُمُ الْفَطَاحِلُ لَا يُشْقُ غُبَارُهُمْ وَبِهِمْ إِمَامُهُمُ الْحِجَازِيُّ ابْتَهَجَ
أَنْشَأَهُ نُجْبَةُ عَصْرِهِ قَاضِي الْمُنَسِّ سَتِيرَ الَّذِي بِذَكَائِهِ مَلِكُ الْمَهْجِ
الْشَيْخُ مَخْلُوفٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ الْحَيْطِ وَلَا حَرَجَ
جَمَعَ الْمَفْرُقَ وَاعْتَنَى وَأَظْنَهُ لِسَمَاءٍ تَحْقِيقَ الْحَقَائِقِ قَدْ عَرَجَ
فَاتَى بِهِ أُعْجُوبَةً فِي بَابِهِ يَشْفِي وَيَكْفِي أَنَّنِي عَائِنْتُهُ
وَشَيْ مَقَاصِدَهُ بِيَعُضِ زَوَائِدَ فَرَأَيْتُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي الضَّمَنِ أَنْدَرَجَ
جَرَّ الْحَدِيثُ لَهَا فَجَاءَ كَأَنَّهُ زَانَتْ مَحْيَاهُ كَمَا زَانَ الرَّجَجُ
وَبَحْسَنِ آدَابٍ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ نَعُرُ الْمَلِيحَةِ زَادَ حُسْنًا بِالْفَلَجِ
فَكَأَنَّ نَفْحَ الطَّيْبِ مِنْ ذَاكَ الْأَزَجِ

وَجَدُوهُ فِي تِلْكَ الْمَهَامَةِ مِنْ عَوْجٍ
 قَدْ جَاءَكُمْ قَوْلُ الْمُبَشِّرِ بِالْفَرْجِ
 يُزِرِّي بِالْحَانَ الْمَزَاهِرِ وَالْهَزَجِ
 فَاقِ السَّوَى وَالْمَسْكُ بَعْضُ دَمٍ لَزَجٍ
 وَعَلَى أُرْتِجَ فَاثْنَيْتَ كَمَرْتِجِ
 مِعْشَارَ مَا فِي بَاطِنٍ مِنْهُ اخْتَلَجِ
 تَنْقِيحَهُ لِلَّهِ كَمْ خَاضَ اللَّحْجِ
 وَأَنَيْسُهُ فِيهَا كِتَابٌ مُنْبَلِجِ
 فِي لَحْظَةٍ مِنْ غَيْرِ تَعْوِضٍ خَرَجِ
 بِالْحَقِّ أَصْدَعُ دُونَ شَكٍّ أَوْ مَرَجِ
 يَهْدِي عَلَى الْبُسْطَاءِ بِالْقَوْلِ السَّمِجِ
 مَنِ لَهُ يَوْمًا عُبُوسًا ذَا هَرَجِ
 حَرَبَ الْبَسُوسِ بِهِ عَلَى بَعْضِ الْهَمَجِ
 فَأَنَا لَهُ أَضَعُ الْمَرْجَ عَلَى الْوَدَجِ
 وَطَعَنْتُ فِي أَعْدَائِهِمْ طَعْنًا بَزَجِ
 وَلَتَلِكِ شُنْشُنَتِي عَلَى طُولِ الْأَبَجِ
 تَسْبِي الْعُقُولِ بِحَسَنِ مَنَظَرِهَا الْبَهَجِ
 وَجَعَلْتُ خَاءَ الْخَالِ فِي الْخَدِّ الضَّرَجِ
 مَا مِثْلُهَا فِي مَسْمَعِي يَوْمًا وَلَجِ
 الْبَشْرِ عِنْدِي مُزْدَوِجِ
 بَلَغَ النِّهَايَةَ وَارْتَقَى أَعْلَى الدَّرَجِ
 يَضَعُ الدَّوَا فِي مَوْضِعِ النِّقَبِ اللَّزَجِ
 لَوْ أَنَّهُ حَاذَى نَسِيحِكَ مُذْ نَسَجِ

قُلْ لِلَّذِينَ تَحْيِرُوا مِنْ بَعْضِ مَا
 وَتَشْكُكُوا فِي مَعْضَلَا يَا لَهَا:
 هَذَا طِرَازٌ لَيْسَ يُدْرِكُ شَاوُهُ
 لَمْ لَا يَفُوقُ عَلَى سِوَاهِ وَرَبُّهُ
 أَكْبَرُهُ وَأَخَذْتُ فِي تَقْرِيطِهِ
 ثُمَّ اذْكُرْتُ فَكَانَ تَثْوِيهِ بِهِ
 لِلَّهِ نَاسِجٌ بُرْدِهِ كَمْ جَدَّ فِي
 سَهَرِ اللَّيَالِي بَاحِثًا وَمُفَكِّرًا
 وَلَنَا لَقَدْ أَهْدَى نَتِيجَةَ عَمْرِهِ
 لَا أَنْتَهَى لَا أَرْعَوِي عَنْ مَدْحِهِ
 مَا لَطَّ حَقَّ النَّاسِ إِلَّا جَاهِلٌ
 وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ أَمُوتَ وَلَا يَرَى
 يَا رَبِّ هَبْ عُمْرًا طَوِيلًا نَحْتَلِي
 مَنْ لَا يُقَرُّ لِفَاضِلٍ بِفَضِيلَةٍ
 أَسْكَنْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي تَبِجِ الْحَشَا
 وَأَنَا الَّذِي عَرَفَ الْحَقُوقَ لِأَهْلِهَا
 وَلِذَاكَ قَرَّظْتُ الْكِتَابَ بِغَاذَةِ
 زِينَتِهَا مِنْهُ بِجِيمِ جَمَالِهِ
 فَايْلِكُهَا مِنْ كَامِلٍ فِي كَامِلٍ
 حَقٌّ عَلَى فَعْلَتِهِ وَلِرَبِّهِ أَسْدِيَّتُهُ فَالِ
 يَا حَضْرَةَ الْأُسْتَاذِ إِنَّ كِتَابَكُمْ
 لِلَّهِ دَرُكٌ لَا عَدَمْتُكَ صَاحِبًا
 بَرَحَ الْخَفَاءِ وَوَدَّ كُلَّ مُؤَرِّخِ

ما كان أحسنَ ما صَنَعْتَ وَحَبَّدَا تاريخك الروضُ الأريضُ المفتَرَجُ
 رَقَّتْ شَمَائِلُهُ وَرَقَّ حَدِيثُهُ نَفَعَ الْإِلَهِ بِهِ عَلَى مَرِّ الْحَجَجِ
 وَجَزَاكَ عَنْهُ جَزَاءَهُ سُبْحَانَهُ فَعَطَاؤُهُ هَيْهَاتَ تَحْكِيهِ اللَّحَجِ
 وَلَكَ الْهِنَاءُ بِهِ كِتَابًا سَامِيًا يَحْيَى بِهِ مَنْ كَانَ فِي الذُّوقِ اندَمَجِ
 قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ الْوُدُودِ وَزَادَ فِي كَمَدِ الْحُسُودِ فَبَاتَ يَلْتَقِمُ الحَدَجِ
 وَالْكَوْنُ أَشْرَقَ مِنْ ضِيَاءِ كَمَالِهِ وَالشَّمْسُ إِنْ طَلَعَتْ فَمَا ضَوْءُ السُّرْجِ
 تَارِيخُهُ شَمْسٌ وَعَرَفُ خِتَامِهِ مِسْكٌ تَأَرَّجَ نَفْحُهُ مِنْ كُلِّ فَجِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ مَعَ السَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا بَرَّقَ رَعَجِ
 وَبِحَاجِهِ وَبِحَاجِهِمْ يَا رَبَّنَا أَقِلِ الْعِثَارَ وَنَجِّ مِنْ حَرِّ الْوَهْجِ

ومنها ما لفضيلة العلامة الأديب، الآتى من سحر البلاغة بكل عجيب، ذى
 الرأى الصائب، والفكر الثاقب، الشيخ محمد بوشارب، باش مفتى قفصه،
 والمكلف بقسم الحساب بوزارة العدلية:

نحمدك اللهم كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، ونشكر شكرياً
 يؤذن بازدياد برك وبجزيل امتنانك، ونسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو
 أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك،
 أن ترسل سحائب صلواتك وتسليماتك، وسواغب رحمتك وبركاتك، على روح
 سيدنا محمد في الأرواح، وعلى جسده في الأجساد، وعلى قبره في القبور، ثم على
 أرواح آل بيته الطاهرين، وأصحابه حماة الدين، وعلى أرواح أتباعهم وأتباع
 أتباعهم من كل من رفع للعلم ربحاً، وأبدى به، ولدى الظلماء صبحاً، أما بعد،
 فأقول: إقراراً بأيدى ذوى الجد وإكباراً لجدوى أولى المجد: إني طالعت الأنموذج
 المحتوى على سبع فرائد من الكتاب القيم الذى ألفه حديثاً أستاذ المحققين، ومن
 تلقوا راية العلم باليمين، عين أعيان قطره، وفخر قضاة عصره، أبو الفضل المولى
 محمد بن محمد مخلوف المنستيرى أدام الإله حفظه، وأجزل من المثوبة حفظه، فألفيته
 بجرّاً طامياً وقف الكاتبون بساحله، وكوكباً هادياً قصرت أيدى المؤرخين عن

تناوله، ولا جرم أنه أهمل فأروى، وجمع فأوعى، ولقى من الشعب، ما يلقي الحبيب من المحب، وحلّ من ذوى الفضل محلاً لم يكن حل من قبل، فرأيت — على ما أنا عليه من الشغل المحترم، والفكر الغير المنتظم — أن أعلق عليه بالأبيات الآتية تنويهاً بشأن جماله، وإطراءً لوضعه بذكر البعض من خصاله، فقلت:

يصون عتيق المجد متقد العزم ويحمى حمى الأسلاف مستكمل الخزم
ويعنى بآثار الذين تقدموا أخو همه ترمى إلى قمة النجم
أصيل معالى النفس أكبر همّه مسابقة الأقران فى حلية العلم
ألا قل لمن خص النهوض بمن مضوا وأعلن أن الجدد مخلوق الرسم
رويدك ما هذا الغلو فإنه من الخطأ المحض التسرع بالحكم
فكم فى الزوايا من خبايا لباحث وكم من بقايا فى أساتذة اليوم
قفن بجمى فخر القضاة محمد أبى الفضل مخلوف تجد أيما شهيم
يريك مثال الجد فى طلب العلا وساطع نور الفكر فى الأعصر الدهم
وتشهد أن العلم ما زال شاغلا لأهل النهى عن كل ذى شرف وهى
همام رأى أن استمالة شعبه لإحيائهم فخر الجدود من الختم
وأنس فى التاريخ أعظم كافل بنيل المنى فانساب فى ذلك اليم
وخاض به تلك المخاطر تاركاً بساحله من كان مستضعف العزم
وآب وقد حازت يداؤه فرائدا تراءت لنا فى سلك مختصر فخم
كتاب جلا نهج الأوائل وانطوى على حجج أخنت على لدد الخصم
حوى من سراة الدين كل سميدع أقرّ له بالفضل متسع الفهم
وبات به مفتى المدينة آمناً على المذهب السامى البناء من الثلم
فلا عجب إن حلّ من كل ناظر إليه حلول البرء من صاحب السقم
وذاد عن الأوساط نومة ذاهل وسورة أيام حزنن إلى العظم

تطلع من أفق الإجادة فانبرى إليه بفرط المدح ذو الأدب الجم
وصار حديث القوم في كل متدى بقدر حق القدر جدوى أولى العزم
وأصبح بين الناقلين وبينه من البعد ما بين الأباطح والعصم
أبا الفضل إن عز الثناء بما يفى بحقك فالإغضاء شأن أخى الحلم
قضى الله أن يلقى صنيعة فوق ما نود من الإطراء بالنثر والنظم
كتبت فألهمت الشبية رشدها وقمت لوجه الله بالواجب القومى
وأحييت ذكرى الغابرين من الألى بهم بلغ الإسلام مبلغه العلمى
وجئت بوضع سابغ النفع لم تزل بفضلك بين الناس أنباؤه تنمى
تبارك من أوحى إليك بصنعه وخصك بالإبداع فى البدء والختم
ومنها ما جادت به قريحة شمس المعارف، وملمع بروز الأسرار واللطائف،
الغنى بنسبه الطاهر عن التعريف، شيخنا عبد الحى الكتانى الشريف مديلا بإجازة
عامة، مرت الإشارة إليها بالمقصد ومحل الحاجة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، الحمد لله وكفى، وسلام على
عباده الذين اصطفى، أما بعد، فقد وقفت على هذا المدون الجامع، والتاريخ الذى
يتدفق إفادة بلا مدافع، فشكرت سعى مؤلفه العالم النحرير، وهمة جامعته الدراكة
البدر المنير، ولعمري إن الاعتناء بجمع تراجم أعيان الملة، وفضلاء الأمة، لمن المتعين
على الخلف، قياما ببعض ما يجب لرجال السلف، فهم آباؤنا فى الدين، والوسائط
بيننا وبين سيد المرسلين، فحفظ آثارهم يعين على الاقتداء بمنهجهم.
ولذا ورد أن من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه، وذلك لأن بإحياء ذكره وهمه
يقوى الانبعاث على الاقتداء بمده، فنعم السفر المسطور، والعمل المبرور، فما على
المؤلف — حفظه الله تعالى — بعد التعب، وطويل النصب، إلا إذاعة هذه
المجموعة، وعدم إبقائها عن الاستفادة ممنوعة، فإن الخير النافع يجرى مجرى المياه فى

تعميمها، ووقع الحياة بها من غير مدافع، وبما تحقق لى من فضل المؤلف وبراعته وسمو مداركه وحسن سمعته قلت إجابة لمطلبه وإسعافا لرغبته: أجزت العلامة القاضى المؤرخ الأديب محمد بن مخلوف... انتهى محل الحاجة.

ومما جادت به قريحة فضيلة شيخى بالإجازة العلامة النظار كريم النجار، الشيخ سيدى بلحسن النجار المفتى المالكى بقطر إفريقية، حفظه الله وشكره. نحمد الله ونشكره، ونصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه، صلاة طيبة مباركة، ونسلم تسليما.

أما بعد، فإن همم عظماء الرجال تتجلى فى آثارهم، وتبين من إخلاصهم فى عملهم، وإن تأليفك الجليل، وصنعك الجميل المسمى «شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية» قد تمثلت فيه نفسك العالية، ومعارفك الفياضة، وإخلاصك السامى فى أجلى المظاهر وأجملها.

طالعتة فوجدت منه معلمة فى رجال المذهب المالكى، من أحسن ما أخرج للناس من كتب الفهارس والتراجم والطبقات فى أسلوب مبتكر ولفظ منسجم. بينت فيه، أيدك الله تعالى، تاريخ انتشار المذهب المالكى وحلقات اتصال الخلف بالسلف طبقة فطبقة، ودورا فدورا، وهو مع ذلك تاريخ متسع لقسم عظيم من علماء المسلمين وأئمتهم.

إن سعة إطلاعك، وإتقان ضبطك، ورجاحة تحريرك، وإحسانك إلى قومك، تدعو إلى الإعجاب بك، وتعيد فينا ذكريات سلفنا الصالح، وما لهم من إحاطة وعناية، وانقطاع للصالح العام، فشكرا لك شكرا.

كتبه فقير ربه

بلحسن النجار الشريف

٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠

خادم العلم بجامع الزيتونة لطف الله به

فهرس الاعلام المترجمين^(٥)

حرف الهمزة

- الأبلي: محمد بن إبراهيم التلمساني ١/ ٥٤٤.
ابن آجروم: محمد بن محمد أبو عبد الله الفاسي ١/ ٥٣٤.
ابن الأبار: محمد بن عبد الله القضاعي ١/ ٤١٨.
أبان بن عيسى بن دينار ١/ ١٦٥.
إبراهيم الأبودي ٢/ ٩٠.
إبراهيم بن أحمد، يعرف بابن الكماد ١/ ٤٨٩.
إبراهيم بن أحمد الجمل ١/ ٢٤٩.
إبراهيم بن أحمد السبائي ١/ ٢٢٠.
إبراهيم بن أحمد بن علي الجبنياني ١/ ٢٢٣.
إبراهيم بن أبي بكر المعروف بالتلمساني ١/ ٤٩٥.
إبراهيم بن أبي بكر الطبري ١/ ٤٩٩.
إبراهيم بن الحاج أحمد الغرناطي ١/ ٣٧٧.
إبراهيم بن حسن التونسي ١/ ٢٥٩.
إبراهيم بن حسن بن عبد الرقيق التونسي ١/ ٥٠٩.
إبراهيم بن حماد، أبو إسحاق ١/ ١٧٥.
إبراهيم بن خلف المطماطي ١/ ٥٣٥.
إبراهيم بن صالح الرشيد ٢/ ٣٩٥.
إبراهيم بن عبد الرحمن البرقي ١/ ١٤٣.
إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي عرف بابن أبي يحيى ١/ ٥٤١.
إبراهيم بن عبد الصمد المهدي ١/ ٣٠٩.
إبراهيم بن عبد الله الجمي ٢/ ٢٥٩.
إبراهيم بن عبد الله الزبيري، المعروف بالقلانسي ١/ ٢٢١.
إبراهيم بن عبد الله الغرناطي، يعرف بابن الحاج ٢/ ٢٣.
إبراهيم بن علي الخولاني المعروف بالزوالى ١/ ٤٢٧.
إبراهيم بن علي برهان الدين، ابن فرحون ٢/ ٧.
إبراهيم بن عمر الدميري ٢/ ١٢٨.
إبراهيم بن فائد القسنطيني ٢/ ١٠٦.
إبراهيم بن فتوح العقيلي ٢/ ١٠٢.
إبراهيم بن أبي الفضل العقباتي ٢/ ١١٣.
إبراهيم بن محمد التازي ٢/ ١٠٨.
إبراهيم بن محمد الجمي ٢/ ٣١١.
إبراهيم بن محمد الدفري ٢/ ٩٣.
إبراهيم بن محمد السفاقي ١/ ٥١٣.
إبراهيم بن محمد القرطي، يعرف بابن القزاز ١/ ١٦٦.
إبراهيم بن محمد السوسي ٢/ ٢٢٨.
إبراهيم بن محمد اللقاني ٢/ ٩٥.
إبراهيم بن محمد المصمودي ٢/ ٧١.
إبراهيم بن محمد الزناسي ٢/ ٤٦.
إبراهيم بن محمد أبو اليسر، المعروف بالرياضي ١/ ١٦٢.
إبراهيم بن مرعي الشيرخيتي ٢/ ٢٤٦.
إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي ٢/ ٢٩.
إبراهيم بن موسى الفيومي ٢/ ٢٤٧.
إبراهيم بن هلال السجلماسي ٢/ ١٢١.
إبراهيم بن يوسف، يعرف بابن قرقول ١/ ٣٥٧.
إبراهيم بن يوسف بن دهاق، يعرف بابن المرأة ١/ ٤٢١.
إبراهيم بن يوسف بن عبد الملك، المعروف بالشريف العواني ١/ ٥٠٧.
أبركان: الحسن بن مخلوف ٢/ ١٠٦.

(٥) لم نفهرس سوى المترجم لهم في هذا الكتاب.

- الأهرى الصغير: محمد بن عبد الله / ١ / ٢١١.
 الأبودى: إبراهيم المصرى / ٢ / ٩٠.
 الإياني: عبد الله التونسي / ١ / ١٩٥.
 الأبي: محمد بن خلفه / ٢ / ٥٩.
 الأجدابي: الحسين بن أبي العباس / ١ / ٢٣٠.
 الأجمي: محمد التونسي / ٢ / ٥١٦.
 الأجهورى: عبد الرحمن بن حسن / ٢ / ٣٠٣.
 الأجهورى: عبد الرحمن بن علي / ٢ / ١٥٤.
 الأجهورى: علي بن محمد، أبو الإرشاد / ٢ / ٢١٣.
 أحمد بن إبراهيم الغرناطى ابن الزبير / ١ / ٥٢٠.
 أحمد بن أحمد الأنصارى يعرف بابن الحداد / ١ / ٢٩٦.
 أحمد بن أحمد بن زياد / ١ / ١٨٤.
 أحمد بن أحمد بن أحمد أبو القاسم الغرينى / ٢ / ١٣.
 أحمد بن أحمد أبو العباس الغرينى / ١ / ٥٢٨.
 أحمد بن أحمد بن عمر التنبكى / ٢ / ١٦٩.
 أحمد بن أحمد الفاسى / ٢ / ٢٣٩.
 أحمد بن أحمد بن محمد الفاسى الشهير بزروق / ٢ / ١١٨.
 أحمد بن إدريس البجائي / ٢ / ٣٢.
 أحمد بن إدريس الحسنى / ٢ / ٤١٧.
 أحمد بن إدريس القرافى المصرى / ١ / ٤٦١.
 أحمد بن الإسماعيلي / ٢ / ٣٩٤.
 أحمد بن الأكتب الشيخ محمود بو خريص / ٢ / ٤٦١.
 أحمد بابا بن أحمد بن عمر أقيت التنبكى / ٢ / ٢٠٠.
 أحمد الباجي / ١ / ٢٩٣.
 أحمد بن يقى بن مخلد / ١ / ٢٠٠.
 أحمد بن أبي بكر النسفى الشهير بقعود / ٢ / ١٧٥.
 أحمد التلمسانى الشريف / ٢ / ٧٩.
 أحمد التونسي المستيرى / ٢ / ٦٥.
 أحمد بن جعفر السبتي / ١ / ٤٤٩.
 أحمد بن الحسن بن عبد الرحمن التسولى / ٢ / ١٦٥.
 أحمد بن حسن القسنطيني يعرف بابن الخطيب
 وبابن قنفذ / ٢ / ٧٣.
 أحمد بن الحسن الكلاعى يعرف بابن الزيات
 / ١ / ٥٢٢.
 أحمد بن الحسين البلنسى / ١ / ٤٢٧.
 أحمد بن الحسين بن عرضون / ٢ / ١٧٠.
 أحمد بن حسين بن علي بن جعفر الصادق / ٢ / ٢١٩.
 أحمد بن خالد / ١ / ٤٨٨.
 أحمد بن خالد القرطبي يعرف بابن الجباب / ١ / ١٩٩.
 أحمد بن خالد بن ناصر الدرعى / ٢ / ٤٨٩.
 أحمد بن خلف بن عيشون يعرف بابن النحاس
 / ١ / ٣٢٤.
 أحمد بن داود يعرف بابن الصراف / ١ / ١٥٦.
 أحمد زروق / ٢ / ٢٧١.
 أحمد زروق السنوسى / ٢ / ٣٦١.
 أحمد زروق بن طراد / ٢ / ٣١٥.
 أحمد — ويقال حمودة — بن سعيد ويعرف
 بابن السرداقى / ١ / ١٨٦.
 أحمد بن سعيد بن إبراهيم المعروف بابن الهندى
 / ١ / ٢٤٠.
 أحمد بن سعيد بن محمود بن عمر التنبكى / ٢ / ١٦٥.
 أحمد بن سعيد المكناسى شهر بالحباك / ٢ / ١١١.
 أحمد بن سلامة البلوى الإسكندرى / ١ / ٥٠٣.
 أحمد بن سليمان / ٢ / ٢٨٢.

- أحمد بن سليمان ٢ / ٣٦٠.
 أحمد سويسى التونسي ٢ / ٣٥٦.
 أحمد الشرقى أبو العباس ٢ / ٣١٨.
 أحمد بن صالح يعرف بابن الطيرى ١ / ١٤٣.
 أحمد بن الصغير المساكنى ٢ / ٣٥٧.
 أحمد بن طاهر بن رصيص ١ / ٣٢٤.
 أحمد بن طاهر اللطيف ٢ / ٤٠٤.
 أحمد بن عبد الجليل التدميرى ١ / ٣٤٨.
 أحمد بن عبد الرحمن الأنصارى، ابن الصقر ١ / ٣٦٩.
 أحمد بن عبد الرحمن التلمسانى عرف بابن زاغو ٢ / ٨٣.
 أحمد بن عبد الرحمن التونسي شهر بالقصار ٢ / ١٨.
 أحمد بن عبد الرحمن الخولانى ١ / ٢٥٦.
 أحمد بن عبد الرحمن الصديقى عرف بالوارى ٢ / ١٨٤.
 أحمد بن عبد الرحمن الصقلى المعروف بابن الحصائرى ١ / ٢٣١.
 أحمد بن عبد الرحمن بن عسكر ٢ / ٨.
 أحمد بن عبد الرحمن، ابن مضاء ١ / ٣٨٩.
 أحمد بن عبد الصمد القرطبى ١ / ٣٨٠.
 أحمد بن عبد العزيز السجلماسى ٢ / ٣٣١.
 أحمد بن عبد العزيز الشهير بالمكناسى ١ / ٥٣٦.
 أحمد بن عبد القادر القادرى ٢ / ٢٧٨.
 أحمد بن عبد الكريم الأمير الصغير ٢ / ٣٩٤.
 أحمد بن عبد الله بن ذكوان ١ / ٢٤٢.
 أحمد بن عبد الله الملقى المدعو بمحميد ١ / ٤٧٤.
 أحمد بن عبد الله الغرناطى ١ / ٤٨٦.
 أحمد بن عبد الله أبو المطرف البلسى ١ / ٤٧٧.
 أحمد بن عبد الله معن ٢ / ٢٧٤.
 أحمد بن عبد الله بن يحيى ١ / ٢٠٠.
 أحمد بن عبد الله اليعمرى المعروف بابن سيد الناس ١ / ٤٢٨.
 أحمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوى ١ / ٢٤٠.
 أحمد بن عبد المؤمن الشريشى ١ / ٤٣٠.
 أحمد بن عبد الوهاب الحمادى ١ / ٢١٧.
 أحمد بن عثمان الشرنوبى ٢ / ١٥٥.
 أحمد بن عثمان القيسى ١ / ٤٩٠.
 أحمد بن عثمان المليانى ١ / ٤٦٤.
 أحمد بن العربى المعروف بابن الحاج ٢ / ٢٦٦.
 أحمد بن علوان التونسي الشهير بالمصرى ٢ / ١٧.
 أحمد بن على بن الباذش ١ / ٣٢١.
 أحمد بن على البلوى ٢ / ١٣٥.
 أحمد بن على البونى ٢ / ٢٧٢.
 أحمد بن على بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادى ١ / ٢٩٠.
 أحمد بن على الشدادى ٢ / ٢٨٦.
 أحمد بن على الفاسى، أبو العباس المنجور ٢ / ٢٧١.
 أحمد بن على بن قاسم الرقاق ٢ / ١٣٧.
 أحمد بن على القيسى المعروف المعروف بابن القسطلانى ١ / ٤١٢.
 أحمد بن على بن يوسف الفاسى ٢ / ٢٢٣.
 أحمد بن عمار المهودى ١ / ١٥٩.
 أحمد بن عمر الأندلسى يعرف بابن الدلائى ١ / ٢٩٤.
 أحمد بن عمر الأنصارى يعرف بابن المزين ١ / ٤٧٥.
 أحمد بن عمر بن عاشر ٢ / ٣٤.
 أحمد بن أبي عمر بن أبي زيد ١ / ٢٨١.
 أحمد بن عمر الفاسى ٢ / ٣٣٧.

- أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكي ٢ / ١٤٦.
 أحمد بن عمر المرسى ١ / ٤٦٠.
 أحمد بن عمر بن هلال الربعي ٢ / ١١.
 أحمد بن عون الله القرطبي ١ / ٢٣٧.
 أحمد العيسى التونسي ٢ / ١٥٩.
 أحمد بن عيسى العماوى أبو العباس ٢ / ٢٩٢.
 أحمد بن عيسى الغمارى أبو العباس ١ / ٤٩٤.
 أحمد بن عيسى الكلبي ٢ / ١٨٠.
 أحمد الغمارى أبو العباس ٢ / ١٢٠.
 أحمد بن غنيم بن سالم النفراوى ٢ / ٢٤٧.
 أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الشهير بابن القباب ٢ / ٣٨.
 أحمد بن أبي القاسم محمد بن جزى ٢ / ٢٨.
 أحمد بن قاسم بن محمد عرف بساسى البونى ٢ / ٢٧١.
 أحمد بن محبوب الرفاعى وبه اشتهر ٢ / ٤٥٢.
 أحمد بن محمد بن أحمد الشريف ٢ / ٣١٣.
 أحمد بن محمد، أبو القاسم ابن رشد ١ / ٣٥٩.
 أحمد بن محمد السلاوى ١ / ٤٥٣.
 أحمد بن محمد عرف بابن الحاج ٢ / ١٤٣.
 أحمد بن محمد عرف بابن الحاج الإشبيلي ١ / ٤٤٨.
 أحمد بن محمد الأشعرى حمديس ١ / ١٥٥.
 أحمد بن محمد عرف بابن المصرى ٢ / ١٥٥.
 أحمد بن محمد البسيلي ٢ / ٧٥.
 أحمد بن محمد أبو جعفر الحافظ المعروف بابن أبي حجة القرطبي ١ / ١٤٤.
 أحمد بن محمد بونافع ٢ / ٤٢٢.
 أحمد بن محمد التجاني عرف بابن كحيل ٢ / ٩٦.
 أحمد بن محمد الجيزى ٢ / ١٥٥.
 أحمد بن محمد بن حسن بن خضر ١ / ٤٩١.
 أحمد بن محمد بن حنبل ١ / ٥١.
 أحمد بن محمد بن خبطة ١ / ٤٢١.
 أحمد بن محمد بن خلف الحوفى ١ / ٣٨٦.
 أحمد بن محمد بن الخلوف ٢ / ١٣٤.
 أحمد بن محمد الدقون ٢ / ١٤٢.
 أحمد بن محمد الدمشقى المعروف بالزريابى ٢ / ١٨٤.
 أحمد بن محمد بن رزق القرطبي ١ / ٢٩٤.
 أحمد بن محمد بن زكري التلمسانى ٢ / ٢١٧.
 أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن شبطون يعرف بالحبيب ١ / ١٩٧.
 أحمد بن محمد بن زيد أبو سعيد القزوينى ١ / ٢٤٧.
 أحمد بن محمد بن أبي زيد المنستير ٢ / ٩٦.
 أحمد بن محمد بن سعدى الإشبيلي ١ / ٢٥٤.
 أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي ٢ / ١٩٨.
 أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسى ٢ / ٣٢٧.
 أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله الإسكندرانى ١ / ٥٠٢.
 أحمد بن محمد بن عبد الله الظلمنكى ١ / ٢٧١.
 أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني ٢ / ٩٦.
 أحمد بن محمد العبدى ١ / ٢٨١.
 أحمد بن محمد العراقى ٢ / ٤٣٤.
 أحمد بن محمد بن عطاء الله شهر بابن التنسى ٢ / ١٢.
 أحمد بن محمد بن عيسى القرطبي ١ / ٢٨٨.
 أحمد بن محمد الفاسى التازى ٢ / ١٤٥.
 أحمد بن محمد، فخر الدين الشهير بابن المخلطة ٢ / ٩.
 أحمد بن محمد الفيشى الأزهرى ٢ / ١٢٩.
 أحمد بن محمد القصرى ١ / ١٨٦.
 أحمد بن محمد بن محمد المكنى ٢ / ٢٥٥.

- أحمد بن محمد المراكشي عرف بابن البناء ١ / ٥٣٠
 أحمد بن المقرئ المعروف بالحمودي ٢ / ١٨٠
 أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الكبير ٢ / ٤٧٥
 أحمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ٢ / ١٤٠
 أحمد بن محمد بن مغيث الصدقي ١ / ٢٨٧
 أحمد بن محمد بن منصور المعروف بابن المنير ١ / ٤٦٠
 أحمد بن محمد بن موسى عرف بابن العريف ١ / ٣٢٦
 أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي ٢ / ٢٧٦
 أحمد بن محمد الهنتاني شهر بالشماخ ٢ / ٦٠
 أحمد بن محمد بن واجب عرف بابن خليل ١ / ٤٢٤
 أحمد بن محمد الوهراني المعروف بابن جيدة ٢ / ١٤٧
 أحمد بن مراد ٣ / ٨
 أحمد بن مروان يعرف بابن الرصافي ١ / ١٦٧
 أحمد بن مروان المعروف بالمالكي المصري ١ / ١٤٧
 أحمد بن مسعود الشاطبي ويعرف بابن أشكيند ١ / ٣٥٧
 أحمد بن مصطفى الإسكندري عرف بالصباغ ٢ / ٢٩٢
 أحمد بن معد التنجي يعرف بابن الأقليشي ١ / ٣٤٦
 أحمد بن المعذل البصري ١ / ١٣٨
 أحمد بن منذر بن جمهور ١ / ٤٢٧
 أحمد بن موسى الشهير بالبطرقي ١ / ٥٠٥
 أحمد بن موسى بن صدقة أبو بكر المصري يعرف بالرباب ١ / ١٨٠
 أحمد بن موسى عرف بابن عبد الغفار ٢ / ١٢٩
 أحمد بن موسى بن قاسم بن عبد الرحمن بن موسى مخلوف الشريف ٢ / ٤٦٥
 أحمد بن موسى بن مخلد ١ / ١٥٨
 أحمد بن نزار أبو ميسرة ١ / ١٩٢
 أحمد بن نصر الداودي ١ / ١٨٥
 أحمد بن نصر الداودي الطرابلسي ١ / ٢٦٤
 أحمد بن نصر الهواري ١ / ١٨٤
 أحمد بن هارون الشاطبي ١ / ٤١٨
 أحمد بن أبي يحيى التلمساني ٢ / ١١٦
 أحمد بن يحيى الضبي ١ / ٣٩٢
 أحمد بن يحيى الونشريسي ٢ / ١٣٨
 أحمد بن يحيى بن يحيى بن يحيى ١ / ١٦٨
 أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن ١ / ٤٣٤
 أحمد بن يوسف التيفاشي ١ / ٤١٤
 أحمد بن يوسف الفاسي ٢ / ١٩٦
 أحمد بن يوسف الفاسي يعرف بابن فرتون ١ / ٤٩٨
 أحمد بن يوسف الفهري ١ / ٤٨٥
 أحمد بن يوسف بن يعقوب البغدادى ١ / ١٧٤
 أحمد بن يونس القسنطيني ٢ / ٩٨
 ابن الأحرار: إسماعيل بن يوسف ٢ / ٣٠
 الأخضري: إبراهيم بن محمد التونسي ٢ / ٩٨
 الأخضري: عبد الرحمن بن محمد الصغير ٢ / ١٦٦
 ابن الإخنائي: محمد بن أبي بكر بن عيسى تقي الدين السعدي ١ / ٤٥٨
 ابن أخى ربيع الصباغ: عبد الله بن حنين ١ / ١٩٩
 إدريس بن إدريس الزمزمي ٢ / ٤٣٣

- ابن أخى هشام: خلف بن عمر الخناط ١ / ٢٢٥.
- إدريس بن زيان العراقي ٢ / ٣٧٦.
- إدريس بن محمد الحسنى المعروف بالمنجرة ٢ / ٢٨١.
- إدريس بن محمد العراقي الحسينى ٢ / ٣٢٢.
- ابن الأزرق الغرناطى: محمد بن على ٢ / ١٠٤.
- الأزمى: عبد السلام بن أبى زيد ٢ / ٣٦٨.
- إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ١ / ٩١.
- إسحاق بن يحيى بن مطر الورياعلى ١ / ٤٩٤.
- إسحاق بن يحيى بن الليثى ١ / ١٦٨.
- أسد بن الفرات ١ / ١٣٠.
- الأسدى: عاصم بن أبى النجود ١ / ٣٣.
- الإسكندرانى: أحمد بن خالد ١ / ١٨٠.
- الإسكندرانى: على بن عبد الله بن أبى مطر ١ / ١٨٠.
- أسلم بن عبد العزيز ١ / ١٩٨.
- إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم القرطى ١ / ٢١٨.
- ابن الأسلمى: عبد الله بن محمد ١ / ٢٩٦.
- إسماعيل بن إسحاق بن حماد ١ / ١٣٩.
- إسماعيل بن أبى أويس ١ / ١١٧.
- إسماعيل التميمى أبو الفدا ٢ / ٣٦٢.
- إسماعيل بن مكى ١ / ٣٥٣.
- إسماعيل بن موسى الشهير بالحامدى ٢ / ٤٤٨.
- إسماعيل بن يوسف المعروف بابن الأحمر ٢ / ٣٠.
- الإشبيلى: زهر بن عبد الملك ١ / ٣١٩.
- الإشبيلى: عبد الله بن طلحة ١ / ٣١٧.
- الإشبيلى: محمد بن منظور ١ / ٢٩١.
- ابن أشرص: محمد بن على ١ / ٥٢٦.
- ابن أشكبد: أحمد بن مسعود ١ / ٣٥٧.
- أشهب بن عبد العزيز المصرى ١ / ١٢٤.
- أصغ بن خليل القرطى ١ / ١٦٥.
- أصغ بن الفرغ المصرى ١ / ١٤٢.
- أصغ بن محمد بن يوسف القرطى ١ / ١٦٥.
- الأصغر أبو محمد: عبد الله بن نافع ١ / ١١٨.
- أطوبى السلوى: محمد الهاشمى ٢ / ٤١٩.
- الأعشى: عبد الحميد بن أبى أويس ١ / ١١٦.
- الأعناقى: سعيد بن عثمان القرطى ١ / ١٩٧.
- الأفطس: سليمان بن داود المصرى ١ / ١٤٥.
- أبو الإقبال: عبد الحى بن أبى المكارم ٢ / ٤٩٩.
- الأقفهسى: عبد الله بن مقداد ٢ / ٥١.
- ابن الأقليشى: أحمد بن معد التجبى ١ / ٣٤٦.
- أكنوس: محمد بن أحمد ٢ / ٤٣٧.
- إليسع بن عيسى الغافقى الجبانى ١ / ٣٧٥.
- ابن الإمام: عبد الرحمن بن محمد التلمسانى ١ / ٥٣٩.
- ابن الإمام: محمد بن إبراهيم التلمسانى ٢ / ٨٣.
- الإمام: محمد بن على بن عمر المازرى ١ / ٣١١.
- أبو الأمداد: إبراهيم بن حسن اللقانى المصرى ٢ / ١٨٢.
- أبو الأمداد: خليل بن إبراهيم اللقانى ٢ / ٢٤٥.
- الأمير الصغير: أحمد بن عبد الكريم ٢ / ٣٩٤.
- الأمير الصغير: محمد أبو عبد الله ٢ / ٣٥٠.
- الأنجب المفضل السكندرى ١ / ٤٠٤.
- الأندلسى: عبد الرحمن بن أحمد بن بقى ١ / ٢٣٢.
- الأندلسى محمد بن إسحاق بن السليم ١ / ٢٣٣.
- أنس بن مالك بن النضر ١ / ٨٣.
- أبو أويس ١ / ١١٧.
- أيوب بن سليمان بن صالح القرطى ١ / ١٩٦.
- أبو أيوب: سليمان بن يسار ١ / ٢٧.
- أيوب بن عبد الله أبو الصبر السبى ١ / ٤٤٩.

حرف الباء

- البرموني: عبد الكرم المسراتي ١٥٧/٢.
 ابن برى: محمد بن عبادة ٣٠٢/٢.
 بركات بن محمد الخطاب ١٥٣/٢.
 ابن بزيمة: عبد العزيز التونسي ٤٦٦/١.
 البساطي: محمد بن أحمد ٥٣/٢.
 البساطي: يوسف بن خالد ٥٢/٢.
 البسلقوني: عمر بن يوسف الإسكندري ٢/٥٥.
 البسيلي: أحمد بن محمد ٧٥/٢.
 ابن بشكوال: خلف بن عبد الملك الغرناطي ١/٣٧٦.
 ابن بشكوال: محمد بن يوسف بن الفخار.
 أبو عبد الله القرطبي ٢٦٨/١.
 البشير بن عبد الرحمن السعدي ٣٦٠/٢.
 بشير بن عبد المنذر ٨٥/١.
 البطوني: أحمد بن موسى ٥٠٥/١.
 البطلوسي: عبد الله بن محمد البلنسي ١/٣١٨.
 البطوني: علي بن قاسم ٢٠٢/٢.
 بغيغ: محمد بن محمود الونكري ١٧٢/٢.
 أبو البقاء يعيش بن القلم ٤٣٥/١.
 ابن البقار: محمد بن إبراهيم بن حزب الله ١/٣٩٥.
 البقوري: محمد بن إبراهيم ٥١٩/١.
 ابن بقي: أحمد بن زيد ٤٣٤/١.
 أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنكيتي ١٦٩/٢.
 بكر بن حماد ١٥٧/١.
 أبو بكر الصقلي ٢٣٢/١.
 أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي ٣٧/١.
 أبو بكر بن عبد الله بن أبي زمين ٢٧٠/١.
 ابن بكر المالقني: محمد بن يحيى الأشقري ١/٥٢٥.
 بابا بن أحمد الشنجيطي ٤٢٣/٢.
 الباجي: أحمد أبو القاسم ٢٩٣/١.
 الباجي: سليمان بن خلف ٢٩١/١.
 الباجي: عبد الله بن محمد ٢٣٥/١.
 ابن الباجي: محمد بن أحمد بن عبد الله ١/٢٧٢.
 ابن الباذش: أحمد بن علي أبو جعفر ٣٢١/١.
 ابن الباذش: علي بن أحمد الأنصاري ٣٢١/١.
 الباقلاقي: محمد بن الطيب ٢١٦/١.
 البجاني: فضل بن سلمة ١٨٥/١.
 البرجي: محمد بن عزوز ٣٨٢/٢.
 البحري: محمد بن عبد الستار التونسي ٢/٣٩٨.
 ابن البراء: عبد الله بن محمد التنوخي ٥١١/١.
 البراذعي: خلف بن أبي القاسم أبو سعيد الأزدي ١/٢٥٢.
 ابن برال: محمد أبو عبد الله ٥١٨/١.
 ابن برجان: عبد السلام بن أبي الرجال.
 أبو الحكم الإشبيلي ٣٢٣/١.
 البرجي: علي بن محمد الجذامي ٣١٣/١.
 بردلة: محمد العربي بن أحمد ٢/٢٧٨.
 ابن البرذعي: محمد بن يحيى ٤٤٧/١.
 البرزلي: أبو القاسم بن أحمد القيرواني ٦١/٢.
 البرشكي: قاسم بن أبي القاسم ١٥٩/٢.
 ابن برطلة: عبد الرحمن بن عبد الله ٤١٤/١.
 ابن برطلة: عبد الله الأزدي ٤٧٩/١.
 ابن برطلة: عبد الله بن موسى ٣٥٨/١.
 ابن برطلة: محمد بن سليمان ٣٥٨/١.
 البرقي: إبراهيم بن عبد الرحمن المصري ١/١٤٣.
 البركاني: محمد بن أحمد بن سهل ١/١٧٦.

- بكر بن محمد القشيري المصري ١/ ١٧٨.
- البلباوي: مخلوف بن علي ٢/ ١٤٦.
- بلحسن بن محمد النجار ٢/ ٤٨٣.
- البلغشي: أحمد ابن نقيب الأشراف الشيخ المأمون العلوي ٢/ ٥٠١.
- بلقاسم بن محمد الزواوي ٢/ ٧٥.
- البلنسي: طارق بن موسى ١/ ٣٦٣.
- البلنسي: عبد الرحمن بن الصقر أبو زيد ١/ ٣١٩.
- البلنسي: عبد الله بن أحمد يعرف بابن موجوال ١/ ٣٦٢.
- البلنسي: عبد الملك بن عيشون ١/ ٣٧٢.
- البلنسي: علي بن عبد الله يعرف بابن النعمة ١/ ٣٦٦.
- البلنسي: علي بن محمد بن هذيل ١/ ٣٦٠.
- البلنسي: عمر بن محمد بن واجب ١/ ٣٢٨.
- ابن البلنسي: محمد أحمد الأنصاري ١/ ٤٣٢.
- البلنسي: محمد بن أحمد بن مروان ١/ ٣٤٤.
- البلنسي: محمد بن علي بن هذيل ١/ ٣٦١.
- البلنسي: محمد بن عمر بن محمد بن واجب ١/ ٣٢٨.
- البلنسي: محمد بن محمد الأندلسي ٢/ ٢٩٥.
- ابن البناء: أحمد بن محمد المراكشي ١/ ٥٣٠.
- بنان: أحمد بن محمد ٢/ ٤٨٦.
- بنان: عبد الرحمن بن جاد الله ٢/ ٣٠٣.
- بنان: عبد الله بن حمدون ٢/ ٤٨٧.
- بنان: محمد بن الحسن ٢/ ٣٣٥.
- بنان: محمد بن عبد السلام أبو عبد الله ٢/ ٣٢٥.
- ابن بنت خلدون: عبد المنعم الكندي ١/ ٢٥٧.
- البنّي: عبد الله بن فتوح ١/ ٢٨٧.
- البنوفري: محمد بن سلامة ١/ ١٥٦.
- بنيس: محمد بن أحمد ٢/ ٣٧٠.
- بهرام بن عبد الله أبو البقاء الدميري ٢/ ٤٩.
- البهلول بن راشد القيرواني ١/ ١٢٨.
- البهلول: محمد بن علي الجزائري ٢/ ١٨٩.
- بوعتور: محمد العزيز ٢/ ٤٦٦.
- بوعتور: محمد بن محمد بن عبد الكافي ٢/ ٣٦١.
- البوعثماني: محمد بن محمد بن عاشور ٢/ ٤٦٧.
- بوخريص: أحمد أبو العباس ٢/ ٣٦٠.
- بوخريص: عبد القادر بن العربي ٢/ ٣٣٢.
- بومدين: محمد بن أحمد بن محمد الفاسي ٢/ ٣٣٠.
- البوني: مروان بن علي ١/ ٢٧٤.
- البيان قاسم بن أصبغ ١/ ٢٠٣.
- البيان: محمد بن قاسم ١/ ٢٠١.
- بيش بن محمد الشاطبي ١/ ٣٨١.
- البيدي: عبد الله بن محمد التيمي ١/ ١٦٢.
- حرف الثاء**
- تاج الدين أحمد بن إبراهيم المعروف بابن يعقوب المكي ٢/ ٢١٢.
- التاجوري: عبد الرحمن الطرابلسي ٢/ ١٥٤.
- التازغدرى: محمد بن عبد العزيز ٢/ ٧٩.
- التازي: إبراهيم بن محمد ٢/ ١٠٨.
- التازي: أحمد الفاسي ٢/ ١٤٥.
- التازي: عبد الوهاب ٢/ ٣٦٥.
- التاستاوتي: أحمد بن عبد القادر ٢/ ٢٧٥.
- التالوتي: علي بن محمد التلمساني ٢/ ١١٥.
- التاملي: الحسن بن عثمان ٢/ ١٤٤.
- التباع: عبد العزيز بن عبد القادر ٢/ ١٣٨.
- ابن الثبان: عبد الله بن إسحاق ١/ ٢٢٤.
- الترسقي: محمد بن الباجي التونسي ٢/ ٤١٥.

- الترسقى: محمد بن محمد المسعودى ٢/ ٣٩٩.
التتائي: محمد بن إبراهيم ٢/ ١٣٢.
التتائي: يوسف بن حسن يعرف بالهارونى ٢/ ١٣٣.
التجاني: أحمد بن محمد بن المختار ٢/ ٣٧٩.
التجموعى: أحمد بن محمد بن مروان ٢/ ٢٣٢.
التدميرى: أحمد بن عبد الجليل ١/ ٣٤٨.
الترغى: أبو عبد الله المسارى ٢/ ١٩٠.
التريكى: محمد بن إبراهيم التونسى ٢/ ١٠٠.
التمترى: سهل بن عبد الله ١/ ١٤١.
التمترى: محمد بن أحمد ١/ ١٧٩.
التسولى: إبراهيم بن عبد الرحمن ١/ ٥٤١.
التسولى: أحمد بن الحسن الفاسى ٢/ ١٦٥.
تقى الدين الفاسى: محمد بن أحمد بن على ٢/ ٨٢.
التلمسانى: إبراهيم بن أبي بكر ١/ ٤٩٥.
التلمسانى: أحمد بن يحيى الونشريسى ٢/ ١٣٨.
التلمسانى: محمد بن العباس ٢/ ١٤٢.
التلمسانى: محمد بن عبد الرحمن الحوضى ٢/ ١٣٦.
التلمسانى: محمد بن على بن أبي الشرف الحسنى ٢/ ١٤٣.
التلمسانى: محمد بن أبي مدين ٢/ ١٣٩.
التلمسانى: محمد بن موسى الوجدجى ٢/ ١٤٤.
التلمسانى: محمد بن أبي العيش ٢/ ١٣٧.
التمكروتى: عبد الله بن محمد بن مسعود ٢/ ١٦٧.
تميم بن أبي العرب ١/ ٢٢٤.
التمبكتى: أحمد بن عمر الصنهاجى ٢/ ١٤٦.
ابن التنسى: أحمد بن محمد بن عطاء الله ٢/ ١٢.
التنسى: محمد بن عبد الجليل ٢/ ١١٧.
التهامى بن عبد الله ٢/ ٣٦٨.
التواتى: محمد البشير ٢/ ٤٥٨.
التوزى: عبد الرحمن بن على عرف بابن الصائغ ١/ ٤٦٤.
التوزى: يوسف بن محمد المعروف بابن النحوى ١/ ٣٠٨.
ابن تومرت: محمد بن عبد الله ١/ ٣٤٠.
حرف الثاء
ثابت بن حزم السرقسطى ١/ ١٩٦.
الثغرى: يوسف بن إبراهيم ١/ ٣٧٧.
الثقفى: محمد بن أبي بكر بن عوف ١/ ٩٢.
ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض المصرى، المعروف بذى النون ١/ ١٢٦.
أثير الدين أبو حيان: محمد بن يوسف ١/ ٥٢٠.
حرف الجيم
جابر بن عبد الله الأنصارى ١/ ٨٤.
ابن جابر الوادى آشى: محمد بن جابر ١/ ٥١٦.
الجامعى: عبد الرحمن بن محمد ٢: ٣٢١.
الجاناتى: عمران بن موسى ٢/ ٧٨.
ابن الجباب: أحمد بن خالد ١/ ١٩٩.
جيلة بن حمود الصدفى ١/ ١٦٠.
الجبنيانى: إبراهيم ابن أحمد البكرى ١/ ٢٢٣.
ابن جبير: محمد بن أحمد البلسنى ١/ ٤٢٥.
ابن الجدد: محمد بن عبد الله الإشبيللى ١/ ٣٨٦.
الجدواوى الأزهرى: حسين بن غالب ٢/ ٣٤٢.
الجدى المنستيرى: محمد بن على بوزفر ٢/ ٤١٦.

- الجديدي: محمد بن عبد الله القيرواني ١٦ / ٢.
 الجراري: محمد بن مهدي الدرعي ١٦٧ / ٢.
 الجزولي: عبد الرحمن بن عفان ٥٣٧ / ١.
 ابن جزى: محمد بن أحمد الغرناطي ٥٢٤ / ١.
 الجزيري: أبو محمد حسن ٤٥١ / ٢.
 جسوس: عبد السلام بن أحمد ٢٧٤ / ٢.
 جسوس: محمد بن عبد اللطيف ٤٢٨ / ٢.
 جسوس: محمد بن قاسم ٣٣١ / ٢.
 جعفر بن إدريس الحسني الكتاني ٤٩٢ / ٢.
 جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونه
 الأندلسي ٤٣٤ / ١.
 جعفر بن محمد بن الحسين، ابن المستفاض
 الفريابي ١٧٣ / ١.
 جعفر بن محمد القيرواني ٣٠٩ / ١.
 جعيط: الشيخ محمد التونسي ٢٦٤ / ٢.
 جعيط: يوسف بن أحمد بن عثمان ٤٧٣ / ٢.
 ابن الجلاب: عبيد الله بن الحسن ٢١٤ / ١.
 ابن الجلاب: محمد بن أحمد المغيلي ١١٢ / ٢.
 ابن جلال، محمد بن عبد الرحمن التلمساني ١٦٧ / ٢.
 ابن جلوان: علي بن محمد أبو الحسن ٤٣٦ / ٢.
 ابن جلون المدني: محمد بن علي أبو عبد الله ٤٣٩ / ٢.
 الجمال الزواوي: محمد بن سليمان ٥٣٠ / ١.
 ابن أبي حمزة: عبد الله ٤٨٧ / ١.
 ابن أبي حمزة: محمد بن أحمد ٣٩٣ / ١.
 الجمني: إبراهيم بن عبد الله ٢٥٩ / ٢.
 الجمني: إبراهيم بن محمد ٣١١ / ٢.
 ابن الجميل: عمر بن الحسن الداني ٤٣٨ / ١.
 الجناحي المعروف بالشافعي: محمد بن موسى ٣٠٦ / ٢.
 الجنان: محمد بن أحمد ٢٠٧ / ٢.
 ابن الجنان: محمد بن محمد ٤٧٤ / ١.
 جنون: محمد المدني ٤٨٤ / ٢.
 الجنوي: رضوان بن عبد الله ١٧٠ / ٢.
 الجنوي: محمد بن حسن التطاوي ٣٢٧ / ٢.
 ابن جهور: أحمد بن منذر ٥٢٧ / ١.
 ابن جهور: محمد بن محمد ٤٣٦ / ١.
 ابن الجوزي: محمد بن علي المعافري ٢٩٥ / ١.
 الجوطي: عبد السلام الإدريسي ٤٣٥ / ٢.
 ابن الجياب: علي بن محمد ٥٢٦ / ١.
 الجياني: الحسين بن محمد ٢٩٩ / ١.
 ابن جيدة: أحمد ٢٩١ / ٢.
 ابن أبي جيدة: أحمد الفاسي ٣٣٧ / ٢.
 ابن جيدة: أحمد بن محمد الوهراني ١٤٧ / ٢.
 ابن أبي جيدة: عبد القادر ٣٦٩ / ٢.
 أبو جيدة بن عبد الكبير ٤٩٤ / ٢.
 حروف الحاء
 حاتم بن محمد يعرف بابن الطرابلسي ١ / ٢٩٠.
 ابن الحاج: إبراهيم بن عبد الله الغرناطي ٢ / ٢٣.
 ابن الحاج: أحمد بن محمد الإشبيلي ٤٤٨ / ١.
 ابن الحاج: أحمد بن محمد (قاضي بجاية) ٢ / ١٤٣.
 ابن الحاج: أحمد بن العربي الفاسي ٢٦٦ / ٢.
 ابن الحاج حمدون بن عبد الرحمن ١٨٣ / ٢.
 ابن الحاج: عبد الله بن حمدون ٣٦٨ / ٢.
 ابن الحاج: محمد بن محمد بن حزب الله ٢ / ٢٥.
 ابن الحاج: علي ٤٧٠ / ٢.
 ابن الحاج: محمد بن أحمد ٢٧٧ / ٢.
 ابن الحاج: محمد بن أحمد القاضي ٣٢٢ / ١.
 ابن الحاج: محمد الطالب بن حمدون ٤٢٩ / ٢.

- ابن الحاج: محمد بن محمد (قاضي قرطبة) ١ / ٣٧٧.
الحراقي: محمد بن محمد ٢ / ٣٧٧.
الحراي: علي بن أحمد الأندلسي ١ / ٤٤٢.
ابن حرزهم: علي بن إسماعيل الفاسي ١ / ٣٩٤.
ابن حرزهم: محمد بن علي بن إسماعيل ١ / ٤٥٢.
الحرقى: العلاء بن عبد الرحمن ١ / ٩٢.
أبو الحرم: مكى بن عوف ١ / ٤٠٣.
الحريرى: قاسم بن علي ١ / ٤٣٢.
ابن حريز: محمد بن أبي بكر ٢ / ٩٢.
الحريشى: علي بن أحمد ٢ / ٢٨٨.
ابن حزب الله: محمد بن إبراهيم الفاسي يعرف
بأبن البقار ١ / ٣٩٥.
ابن حزب الله: محمد بن محمد البلفيقي ٢ / ٢٥.
حسان البربرى المهدوى ١ / ٣٠٩.
حسن بن أحمد الرفاعى الشهير بالهوارى ٢ / ٤٥٣.
الحسن بن حسين الجبائى ٢ / ٣١.
حسن بن خلدون البلوى ١ / ٢٥٢.
أبو الحسن بن خلف المظماطى ١ / ٥٣٥.
الحسن بن رشيق ١ / ٢٦٣.
حسن الزلديوى ٢ / ١٣٤.
أبو الحسن زين العابدين المدعو زيان بن هاشم
الحسنى ٢ / ٣٣٦.
الشيخ حسن الطويل ٢ / ٤٥٠.
حسن بن عبد الكبير الشريف ٢ / ٣٥٦.
الحسن بن عثمان التاملى ٢ / ١٤٤.
الحسن بن عثمان الونشريسي ٢ / ٤٤.
الحسن بن عطية التجاني المعروف بالونشريسي
٢ / ٤٣.
الحسن بن علي بن خلف يعرف بالخطيب ١ / ٤١٥.
الحسن بن علي الخيري ٢ / ٤٠٧.
ابن الحاج: محمد بن محمد (قاضي قرطبة) ١ / ٣٧٧.
ابن الحاج: محمد بن محمد العبدري الفاسي ١ / ٥٣٦.
ابن الحاج: المهدى بن محمد، ابن خلدون ٢ / ٤٣٥.
ابن الحاجب: عثمان بن عمر ١ / ٤٠٧.
الحاجي: محمد بن محمد العبدري ١ / ٥٣٤.
الحارث بن مسكين ١ / ١٤٤.
أبو حازم سلمة بن دينار ١ / ٩٤.
حازم بن محمد الغرناطى ١ / ٤٨٢.
حافى رأسه: محمد بن عبد الله المازونى ١ / ٤٩٣.
الحامدى: إسماعيل بن موسى ٢ / ٤٤٨.
ابن الحباب: محمد بن يحيى المعافرى ١ / ٥١٤.
الحباك: أحمد بن سعيد المكناسى ٢ / ١١١.
الحبيب: أحمد بن محمد بن زياد، شيطون ١ / ١٩٧.
أبو حبيب: نصر الرومى ١ / ١٤٩.
ابن حبيش: عبد الرحمن بن محمد ١ / ٣٨٣.
ابن الحمام: عبد الله بن أبي هاشم ١ / ١٩٤.
الحجرتى: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن
الفيلالى ٢ / ٤٨٥.
الحجرتى: محمد بن عبد الرحمن الفيلالى ٢ / ٤٣٠.
الحجرى: محمد بن علي بن سعيد ٢ / ٣١٩.
ابن أبي حجة: أبو جعفر بن محمد الحافظ ١ / ٤٤٤.
ابن الحداد: أحمد بن أحمد ١ / ٢٩٦.
الحداد: علي بن محمد المهدوى ١ / ٢٨٥.
ابن حدير: محمد التونسى ١ / ٥١٩.
الحرار: عبد العزيز بن عبد القادر التباع ٢ / ١٣٨.

- الحسن بن عيسى المعروف بابن المناصف / ١
٣٧٨.
- حسن القطارى / ٢ / ٣٥٩.
- الحسن بن محمد الأنصارى يعرف بابن الرهيل / ١ / ٣٨٣.
- حسن بن محمد بن داود / ٢ / ٤٥٠.
- حسن بن محمد شبيل / ٢ / ٤٦٨.
- حسن بن محمد كريت / ٢ / ٣٤٤.
- الحسن بن مخلوف شهر بأركان / ٢ / ١٠٦.
- الحسن بن مسعود اليوسى / ٢ / ٢٦٨.
- أبو الحسن على بن المنتصر / ١ / ٥١٣.
- الحسن بن منديل المغيلي / ٢ / ١٠٨.
- الحسن النفطى / ١ / ٤١١.
- حسين بن أحمد التونسي / ٢ / ٤٦٣.
- أبو الحسين بن جبير البلنسى / ١ / ٤٢٥.
- الحسين الحفصى: محمد بن أحمد / ٢ / ٦٣.
- الحسين بن عبد الرحمن الأجدابي / ١ / ٢٣٠.
- الحسين بن عتيق المنعوت بجمال الدين الربيعى / ١ / ٤٠٥.
- حسين بن قاسم المغربي / ٢ / ١٩١.
- الحسين بن أبى القاسم المعروف بالنيلي / ١ / ٥٠١.
- الحسين بن محمد الغسانى المعروف بالجيان / ١ / ٢٩٩.
- الحسين بن محمد بن فيره يعرف بابن سكرة / ١ / ٣١٣.
- الحسين بن يوسف أبو يعلى / ١ / ١٧٤.
- ابن الحصارى: أحمد بن عبد الرحمن الصقلى / ١ / ٢٣١.
- ابن الحصار: عبد الرحمن بن أحمد / ٢ / ٢٦٩.
- ابن الحصار: على بن محمد الإشبيلي / ١ / ٤٢٢.
- الحصرى: على بن عبد الغنى القيروانى / ١ / ٢٨٦.
- الحضرى: أبو عبد الله محمد / ٢ / ١٩٤.
- الخطاب: بركات بن محمد المكي / ٢ / ١٥٣.
- الخطاب الكبير: محمد بن عبد الرحمن الرعيني / ٢ / ١٢٦.
- الخطاب: يحيى بن محمد / ٢ / ١٥٣.
- الخفار: محمد بن على الغرناطى / ٢ / ٦٦.
- ابن الحكار: عمر الصقلى / ١ / ٣٠٧.
- ابن حكمون: سعيد أبو محمد / ١ / ١٨٢.
- حلولو: أحمد بن عبد الرحمن اليزليتى / ٢ / ٩٧.
- حماد بن إسحاق البغدادى / ١ / ١٣٩.
- حمدة الشاهد: أبو عبد الله محمد / ٢ / ٤٥٩.
- حمديس: أحمد بن محمد الأشعرى / ١ / ١٥٥.
- حمدين بن محمد القرطبي / ١ / ٣٤٥.
- الحمزاوى: الشيخ حسن العدوى / ٢ / ٤٥٥.
- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي / ١ / ٣٤.
- حمزة بن سالم العياشى / ٢ / ٢٨٧.
- أبو حمزة: مالك بن النضر الأنصارى / ١ / ٨٣.
- حمودة بن حسن العامرى / ٢ / ٢٥٧.
- حمودة بن عبد العزيز التونسي / ٢ / ٣٥١.
- حمودة بن محمد تاج / ٢ / ٤٧٦.
- حمدون بن عبد الرحمن الشهير بابن الحاج / ٢ / ٣٨٢.
- حمدون بن محمد بن موسى / ٢ / ٢٢٤.
- حمود بن عبد الرحمن الصدقى / ١ / ١٦١.
- حمودة البوجادى / ٢ / ٢٦٣.
- الحمودى: أحمد بن محمد المقرئ / ٢ / ١٨٠.
- الحمومى: محمد بن أحمد الشاذلى / ٢ / ٤٢٦.
- حميد: أحمد بن عبد الله المالكى / ١ / ٤٧٤.
- حميد الطويل أبو عبيدة البصرى / ١ / ٩٢.
- حميدة: أحمد أبو العباس / ٢ / ٣٥٤.
- الحميدى: محمد بن أبى نصر فتوح الأندلسى أبو عبد الله / ١ / ٢٩٧.
- الحناط: خلف بن عمر / ١ / ٢٢٥.

- ابن حنبل: أحمد بن محمد أبو عبد الله البغدادي ١ / ٥١.
 الحنفي: محمد بن إبراهيم الزناتي ١ / ٤٦٨.
 أبو حنيفة: النعمان بن ثابت ١ / ٥٠.
 الخوات: سليمان بن محمد الشفشاوني ٢ / ٣١٨.
 الحوضي: محمد بن عبد الرحمن التلمساني ٢ / ١٣٦.
 ابن حوط الله داود بن سليمان ١ / ٤٢٣.
 ابن حوط الله: عبد الله بن سليمان ١ / ٤٢٣.
 ابن حوط الله: محمد بن عبد الله بن سليمان ١ / ٤١٦.
 حيان بن خلف القرطبي ١ / ٢٩١.
 أبو حيان الفرناطي ١ / ٥٢٠.
 ابن حيدرة التونسي: حيدرة بن محمد ٢ / ١٤.
 حيدرة بن محمد بن يوسف التونسي ٢ / ١٤.
 حرف الحاء
 خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري ١ / ٣٧.
 أبو خارجة: عنبسة بن خارجة ١ / ١٣١.
 خالد بن أحمد المغربي ٢ / ١٨٣.
 خالد بن عيسى القنتوري ٢ / ٢٤.
 ابن خجوج: أبو القاسم بن علي ٢ / ١٦١.
 الخراططي: علي بن عبد الرحمن العدوي ٢ / ٢٩٩.
 الخراز: محمد بن محمد الشرشي ١ / ٥٥٩.
 ابن الخراط: عبد الحق الإشبيلي ١ / ٣٧٨.
 ابن الخراط: محمد بن عبد الله أبو عبد الله القلعي ١ / ٤٥٠.
 الخربتاوي: سليمان بن أحمد ٢ / ٢٤٧.
 الخربتاوي: محمد بن داود بن سليمان ٢ / ٣٤٣.
 الخروبي: محمد بن علي الطرابلسي ٢ / ١٦٤.
 ابن خروف: علي بن محمد الإشبيلي ١ / ٤١٩.
 الخزاعي: زيان بن العلاء المصري ١ / ٣٣.
 ابن الخصاص: محمد بن عبد الله الأهرري ١ / ٢١١.
 الخصاصي: قاسم بن قاسم ٢ / ٢٣١.
 ابن أبي الخصال: محمد بن مسعود بن خلصة ١ / ٣٢٧.
 الخضار: محمد بن محمد التونسي ٢ / ٤٠٤.
 الخضراوي: محمد بن محمد ٢ / ٢٦١.
 الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت ١ / ٢٩٠.
 الخطيب القرطبي: الحسن بن علي ص بن خلف ١ / ٤١٥.
 ابن الخطيب القسنطيني: أحمد بن حسن ويعرف بابن قنفذ أيضاً ٢ / ٧٣.
 ابن الخطيب: محمد بن عبد الله لسان الدين ٢ / ٢٦.
 الخطيب ابن مرزوق: محمد بن أحمد التلمساني ٢ / ٤٠.
 ابن الخطيب ابن مرزوق: محمد بن أحمد أبو عبد الله ٢ / ١٤٠.
 خفاجي بن إبراهيم الإسكندري ٢ / ٤٤٧.
 ابن خلدون: عبد الرحمن ولي الدين الحضرمي ٢ / ٢٠.
 ابن خلدون: المهدي بن محمد، ابن الحاج ٢ / ٤٣٥.
 خلف بن عبد الملك يعرف بابن بشكوال ١ / ٣٧٦.
 خلف بن أبي القاسم المعروف بالبراذعي ١ / ٢٥٢.
 خلف بن عمر المعروف بابن أخي هشام الخنات ١ / ٢٢٤.
 ابن الخلوفا: عبد المنعم الفرناطي ١ / ٣٨٥.

- الخليفة: أحمد بن شرقاوى ٢ / ٤٤٩.
 خليل بن إبراهيم أبو الأمداد ٢ / ٢٤٥.
 ابن خليل: أحمد بن محمد بن واجب ١ / ٤٢٤.
 خليل بن إسحاق الجندى ٢ / ١٠.
 ابن خليل: محمد بن عبد الله الغرناطى ١ / ٣٧٠.
 خليل بن محمد المغربى أبو المودة ٢ / ٢٩٦.
 الحناني: أحمد بن محمد بن جاد الله ٢ / ٣٤٢.
 ابن الخياط: أحمد بن محمد الزكاري ٢ / ٤٩٧.
 أبو الخيرات: محمد بن عبد الله (سلطان المغرب) ٢ / ٣٦٤.
 ابن خيرة: علي بن أحمد البلسى ١ / ٤٣٨.
 ابن خيرة: محمد بن إبراهيم القرطبي ١ / ٣٧٠.
 ابن خيرون: محمد بن عمر القيروانى ١ / ١٨٢.
 الخيري: حسن بن علي ٢ / ٤٠٧.
 الدكالي: محمد بن محمد بن إبراهيم الفاسى ٢ / ١٦٦.
 الدكالي: محمد بن عبد الصادق ٢ / ٣٢٧.
 الدكالي: محمد بن محمد بن إبراهيم ٢ / ٣٨٧.
 ابن الدلائي: أحمد بن عمر الأندلسى ١ / ٢٩٤.
 الدلائي: أبو العباس الحارثى ٢ / ٢٠٧.
 الدلائي: عبد السلام بن محمد ٢ / ٢٣٦.
 الدلائي: محمد بن أبي بكر ٢ / ٢٠٦.
 الدلائي: محمد بن محمد بن أبي بكر المستاوى ٢ / ٢٣٥.
 الدلائي: محمد بن محمد بن محمد ٢ / ٢٣٤.
 ابن أبي دليم: محمد بن محمد القرطبي ١ / ٢٣٥.
 الدمامي: محمد بن أبي بكر ٢ / ٥٢.
 الدمايطي: عبد الرحمن بن أبي جعفر ١ / ١٢٥.
 الدميري: إبراهيم بن عمر ٢ / ١٢٨.
 الدميري: هرام بن عبد الله ٢ / ٤٩.
 الدميري: محمد بن عبد الكريم ٢ / ١٣٣.
 ابن دهاق: إبراهيم بن يوسف يعرف بابن المرأة ١ / ٤٢١.
 الديسى: محمد الصديق بن أحمد ٢ / ٤٨٧.
 ابن دينار: محمد بن أبي القاسم القيروانى ٢ / ٢٢٠.

حرف الذال

- أبو ذر الهروى: عبد بن أحمد ١ / ٢٥٠.
 الذكى: محمد بن أبي الفرج المازرى ١ / ٣٠٧.
 ذو النون المصرى: ثوبان أبو الفيض ١ / ١٢٦.
 ذو الوزارتين: محمد بن مسعود بن خلصة ١ / ٣٢٧.
 دانشمند: إسماعيل الطوسى ١ / ٣٣٦.
 الداني: عثمان بن سعيد المعروف بابن الصيرفى ١ / ٢٧٥.
 داود بن سليمان، ابن حوط الله ١ / ٤٢٣.
 داود بن سليمان الشرنوبى الخربتاوى ٢ / ٢٩٤.
 داود بن علي القتلاوى ٢ / ٩٥.
 داود بن عمر الإسكندرى ١ / ٥٠٣.
 الدباغ: علي بن محمد بن مسرور ١ / ٢٢١.
 دراس بن إسماعيل الفاسى ١ / ٢٤٣.
 الدراوردى: عبد العزيز بن محمد ١ / ١١٥.
 الدرقاوى: محمد العربى بن أحمد ٢ / ٣٨٥.
 الدرناوى: محمد بن حسن ٢ / ٣١٩.
 الدروال: عبد العزيز التونسى ١ / ٥٠٩.
 الدسوقي: محمد بن أحمد بن عرفة ٢ / ٣٤٦.
 دعامة بن محمد الفقيه ١ / ١٦١.
 دلف بن جحدر البغدادى ١ / ١٧٨.

ابن رندقة: محمد بن الوليد الطرطوشي / ١
٣٠٥.

الرهوني: محمد بن أحمد / ٢ / ٣٧٩.
ابن الرهيل: الحسن بن محمد / ١ / ٣٨٣.
أبو روم: نافع بن عبد الرحمن / ١ / ٣٤.
الرياحي: إبراهيم بن عبد القادر الطرابلسي / ٢
٤٠٠.

الرياضي: إبراهيم بن محمد البغدادي / ١ / ١٦٢.
الريغي: أبو العباس السوسي / ٢ / ٢٦٢.
الريكلي: محمد حمودة الأندلسي / ٢ / ٣٠٨.

حرف الزاي

ابن زاغو: أحمد بن عبد الرحمن التلمساني / ٢
٨٣.

ابن زاكور: محمد بن قاسم القاسي / ٢ / ٢٧٢.
الزبادي: عبد المجيد المنالي / ٢ / ٣٢٦.
زيان بن العلاء أبو عمرو البصري / ١ / ٣٣.
ابن الزبير: أحمد بن إبراهيم الغرناطي / ١ / ٥٢٠.
أبو الزبير المكي: محمد بن مسلم بن تدرس / ١
٩٤.

الزرقاني: عبد الباقي بن يوسف / ٢ / ٢١٥.
الزرقاني: محمد بن عبد الباقي / ٢ / ٢٦٤.
ابن زرقون: محمد بن سعيد الإشبيلي / ١ / ٣٨٤.
ابن زرقون: محمد بن محمد بن سعيد / ١ / ٤٣٤.
الزرهوني: العربي بن الهاشمي / ٢ / ٤٢١.
الزروالي: علي بن محمد عرف بالصغير / ١
٥٢٩.

الزروالي: محمد بن عمرو / ٢ / ٣٧٨.
زروق: أحمد بن أحمد القاسي / ٢ / ١١٨.
الزرياني: أحمد بن محمد الدمشقي / ٢ / ١٨٤.
الزعي: يعقوب بن أبي القاسم / ٢ / ٥٩.
ابن زعوق: مساعد بن أحمد / ١ / ٣٤٢.
ابن زغدان: محمد بن أحمد التونسي / ٢ / ٩٣.

حرف الراء

راشد بن راشد الوليدي / ١ / ٤٩٢.
الراعي: محمد بن محمد الغرناطي / ٢ / ٦٩.
الرباب: أحمد بن موسى بن صدقة المصري / ١
١٨٠.
أبو الربيع: سليمان بن عمران / ١ / ١٥٤.
ربيع القطان بن عطاء لله / ١ / ١٨٩.
أبو الربيع مولاى سليمان (سلطان المغرب
الأقصى) / ٢ / ٣٨٤.
ربيعة الرأى: ربيعة بن أبي عبد الرحمن / ١ / ٩١.
ابن أبي الرجال: عبد السلام أبو الحكم / ١
٣٢٣.

ابن رحال: الحسن المعداني / ٢ / ٢٨٢.
رزين بن معاوية السرقسطي / ١ / ٣٢٥.
الرشاطي: عبد الله بن علي اللحمي / ١ / ٣٢٩.
ابن رشد: أحمد بن محمد / ١ / ٣٥٩.
ابن رشد: محمد بن أحمد القرطبي / ١ / ٣١٦.
ابن رشد الحفيد: محمد بن أحمد / ١ / ٣٥٩.
ابن رشيد: محمد بن عمر السبي / ١ / ٥٣٢.
الرصاص: محمد بن قاسم القونسي / ٢ / ٩٩.
الرصاص: أبو يحيى بن قاسم / ٢ / ١٨٧.
ابن الرصاص: أحمد بن مروان القرطبي / ١
١٦٧.

رضوان بن عبد الله الجتوى القاسي / ٢ / ١٧٠.
الرعي: محمد بن سعيد الأندلسي / ٢ / ٤٠.
الرقاعي: أحمد بن محبوب / ٢ / ٤٥٢.
الرقى: محمد بن عبد الله / ١ / ١٤٤.
ابن أبي ركب: مصعب بن محمد الجياني / ١
٤١٦.
الرماح: محمد بن عبد الرحمن القيرواني / ١
٥١٧.

- الزقاق: أحمد بن علي بن قاسم ١٣٧ / ٢.
الزقاق: عبد الوهاب بن محمد ١٦٣ / ٢.
الزقاق علي بن قاسم ١٣٧ / ٢.
الزكاري: أحمد بن محمد عرف بابن الخياط ٢ / ٢.
٤٩٧.
ابن زكري: محمد بن عبد الرحمن ٢ / ٢٨٤.
أبو زكرياء: يحيى بن محمد المعروف بالقلعي ١ / ٢٧٤.
أبو زكريا النيسابوري: يحيى بن بكير ١ / ١٢٢.
الزليدي: حسن التونسي ٢ / ١٣٤.
الزليدي: محمد بن محمد التونسي ٢ / ٩٧.
ابن زمرك: محمد بن يوسف ٢ / ٣٠.
ابن أبي زمين: أبو بكر بن عبد الله ١ / ٢٧٠.
ابن أبي زمين محمد بن عبد الله ١ / ٢٣٨.
الزموري: أحمد ٢ / ١٨٩.
الزموري: أحمد بن محمد الفاسي ٢ / ٢٢١.
الزموري: عبد الرحيم بن أحمد ٢ / ٤٤٥.
الزهار: محمد بن عيسى الونيسي ٢ / ٣٧٤.
زهر بن عبد الملك الإشبيلي ١ / ٣١٩.
الزهري: أحمد بن القاسم ١ / ١٢٠.
الزهري: محمد بن مسلم ١ / ٩١.
الزهري: هارون بن عبد الله ١ / ١٢٠.
الزوالى: إبراهيم بن علي ١ / ٤٢٧.
الزواوي: محمد بن سليمان المنعوت بالجمال ١ / ٥٣٠.
الزواوي: يحيى بن يحيى ١ / ٤٥٠.
زونان: عبد الملك بن الحسن ١ / ١٦٣.
زوتين: أحمد البدوي بن أحمد بن أبي جيدة ٢ / ٤٣٠.
ابن الزيات: أحمد بن الحسن الكلاعي ١ / ٥٢٢.
الزيات: حمزة بن حبيب ١ / ٣٤.
ابن الزيات: علي ١ / ٤٩٦.
- ابن الزيات: يوسف بن يحيى التادلي ١ / ٤٥١.
زياد بن عبد الرحمن القرطبي المعروف بشبطون ١ / ١٣٢.
زياد بن يونس اليحصبي ١ / ٢٢٢.
زيان بن هاشم ٢ / ٣٣٦.
الزياني: أبو القاسم بن محمد ٢ / ٣٨٨.
ابن زيتون: أبو القاسم بن أبي بكر ١ / ٤٧٢.
زيتونة: محمد أبو عبد الله ٢ / ٢٥٩.
زيدان بن إسماعيل السوسي ١ / ١٥٧.
زيد بن أسلم العدوي ١ / ٩٥.
أبو زيد عبد الرحمن، ابن الصقر ١ / ٣١٩.
- حرف السين**
الشيخ ساسي ٢ / ٢٢٠.
ساسى البوني: أحمد بن قاسم ٢ / ٢٧١.
ساسى بن محمد نونية ٢ / ١٨٦.
سالم النفاتي ٢ / ١٨٦.
سالم بن محمد السنهوري ٢ / ١٧٧.
سالم بن محمد التفراوى ٢ / ٢٩٣.
ابن سالم: سليمان بن موسى الكلاعي ١ / ٤٣٩.
السبقى: عبد الرحيم بن أحمد ١ / ٢٧٧.
السبقى: محمد بن عيسى ١ / ٣٠١.
ابن سبعين: عبد الحق ١ / ٤٨٠.
ابن الست: محمد بن عبد ربه ٢ / ٣٠٥.
ابن ستارى: عبد الله بن علي الأنصارى ١ / ٤٤٥.
الستارى: علي التونسي ٢ / ٢٦٤.
سحنون: عبد السلام بن سعيد ١ / ١٥١.
ابن سحنون: محمد بن عبد السلام ١ / ١٥٣.
السخاوى: عبد المعطى بن أحمد المدنى ٢ / ١٥٣.
السخاوى: محمد بن أحمد بن موسى ٢ / ٨٩.

- ابن سعيد: موسى بن محمد ١ / ٤٤٢.
 السفاقسى: إبراهيم بن أحمد الجمل ٢ / ٢٤٩.
 السفاقسى: أحمد بن على النورى ٢ / ٣٠٧.
 السفاقسى: رمضان أبو عبيدة ٢ / ٣١٢.
 السفاقسى: عثمان بن أبي بكر أبو عمرو،
 المعروف بابن الضابط ١ / ٢٦١.
 السفاقسى: على بن أبي بكر بن ميمون ٢ / ٢٥٢.
 السفاقسى: على المؤخر ٢ / ٣٠٨.
 السفاقسى: محمد الحركافى ٢ / ٣٠٧.
 السفاقسى: محمد كمون ٢ / ٣١١.
 السفاقسى: محمد بن المؤدب ٢ / ٣٠٧.
 السقا: محمد بن أبي الحسن السوسى ٢ / ٤٦١.
 السقا: محمد بن على الإسكندرى ٢ / ٣٥٣.
 السقاط: على بن محمد الفاسى ٢ / ٢٩٧.
 السقاط: محمد الطاهر بن محمد التونسى ٢ / ٤٦١.
 سقّين: عبد الرحمن بن على السقياني ٢ / ١٤٨.
 ابن السكاك: محمد بن أبي غالب المكناسى ٢ / ٧٦.
 السكتاني: أحمد بن عبد الله ٢ / ٣١٠.
 السكتاني: عبد الله بن محمد ٢ / ٣٠٩.
 السكتاني: عيسى بن عبد الرحمن ٢ / ٢٢٣.
 السكتاني: محمد بن على الفاسى ١ / ٣٩٨.
 ابن سكرة: الحسين بن محمد بن فيره الصدقى ١ / ٣١٣.
 السلاوى: أحمد بن الحاج المكى ٢ / ٤١٧.
 السلاوى: أبو القاسم الشريف الإدريسي ٢ / ٧٤.
 سلمة بن دينار ١ / ٩٤.
 سلمون بن على بن عبد الله الغرناطى ١ / ٥٢٦.
 السخاوى: محمد بن محمد المدنى ٢ / ١٢٥.
 السدوسى: يعقوب بن شيبه ١ / ١٣٩.
 السراج: الطالب ابن الحاج عبد الرحمن ٢ / ٤٢٤.
 سراج بن عبد الله بن محمد ١ / ٢٨٦.
 سراج بن أبي مروان ١ / ٣٠٠.
 السراج: يحيى بن أبي العباس ٢ / ٧٢.
 السراج: يحيى بن محمد ٢ / ١٩٠.
 السرتى: عبد الجبار بن خالد ١ / ١٥٥.
 ابن السرداني: أحمد بن سعدون ١ / ١٨٦.
 السرقسطى: محمد بن محمد الغرناطى ١ / ١٠١.
 السطى: محمد بن سليمان ١ / ٥٤٣.
 سعد بن مالك بن سنان أبو سعيد الخدرى ١ / ٨٦.
 سعد بن محمد بن يحيى الشريف ٢ / ٢٤٨.
 سعدون بن أحمد الخولاني ١ / ١٨٧.
 سعيد بن إبراهيم المحجوز ٢ / ٢٥٦.
 سعيد بن إسحاق ١ / ١٥٨.
 سعيد بن حكمون ١ / ١٨٢.
 سعيد الشريف الطرابلسى ٢ / ٢٥٠.
 سعيد بن عثمان القرطبي يعرف بالأعناقى ١ / ١٩٧.
 سعيد بن فحلون ١ / ٢٠٥.
 سعيد بن كثير بن عففر ١ / ١٢٥.
 أبو سعيد الخدرى: سعيد بن مالك بن سنان ١ / ٨٦.
 ابن سعيد: على بن موسى ١ / ٤٨٣.
 ابن سعيد: محمد بن الحسين ١ / ٤٨٤.
 سعيد بن محمد بن شراحيل ١ / ١٣٣.
 سعيد بن محمد العقباتى ٢ / ٧٤.
 سعيد بن المسيب ١ / ٢٧.
 سعيد المقبرى ١ / ٩٣.

- ابن سلمون: عبد الله بن علي الغرناطي / ١
٥٢٥.
- السلوى: أحمد بن محمد بن عطية / ٢ / ٢٧٧.
- ابن السليم: محمد بن إسحاق الأندلسي / ١
٢٣٣.
- سليمان بن أحمد بن خضر الخربتاوي / ٢
٢٤٧.
- سليمان بن بلال / ١ / ١٢١.
- سليمان بن خالد الطائي / ٢ / ١١.
- سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي / ١ / ٢٩١.
- سليمان بن داود المصري المعروف بالأفطس / ١
١٤٥.
- سليمان القطان يعرف بابن الكحالة / ١ / ١٥٦.
- سليمان بن شعيب البحري القاهري / ٢ / ١٢٨.
- سليمان بن عمران / ١ / ١٥٤.
- سليمان بن محمد بن بطلال يعرف بالملتمس / ١
٢٤١.
- سليمان بن محمد الشفشاوني الشهير بالحوات / ٢ / ٣٨١.
- سليمان بن موسى أبو الربيع الكلاعي يعرف
بابن سالم / ١ / ٤٣٩.
- سليمان بن يسار / ١ / ٣٧.
- سليمان بن يوسف الأنفاسي / ٢ / ٣٤.
- السناري: عبد الكريم السوداني / ٢ / ٤٥١.
- السنباطي: محمد بن محمد الأموي / ٢ / ٩١.
- السنباوي: محمد بن أحمد / ٢ / ٣٤٨.
- سند بن عثان المصري / ١ / ٣٠٦.
- السنهوري: سالم بن محمد أبو النجاة / ٢ / ١٧٧.
- السنهوري: علي بن عبد الله / ٢ / ٩٤.
- السنوسي: محمد بن يوسف الحسني / ٢ / ١١٦.
- سهل بن سعد الساعدي / ١ / ٨٤.
- سهل بن عبد الله التستري / ١ / ١٤١.
- السهيلي: محمد الصغير أبو عبد الله / ٢ / ١٤٠.
- ابن سودة: أحمد بن الطالب / ٢ / ٤٨٥.
- ابن سودة: عمر بن الطالب / ٢ / ٤٣٣.
- ابن سودة: أبو القاسم بن أبي محمد / ٢ / ١٩٠.
- ابن سودة: محمد بن عبد الواحد / ٢ / ٤٤٠.
- ابن سودة: محمد بن محمد الطالب التاودي / ٢
٣٦٧.
- ابن سودة: محمد بن محمد بن أبي القاسم / ٢
٢٢٨.
- ابن سودة: محمد بن محمد بن محمد التاودي / ٢
٣٦٨.
- ابن سودة: محمد المهدي بن الطالب / ٢ / ٤٣٤.
- سويسي: علي بن محمد / ٢ / ٢٦٢.
- سويسي: محمد بن علي / ٢ / ٣٥٢.
- ابن السيد البطليوسي: عبد الله بن محمد البننسي
٣١٨ / ١.
- ابن سيد بونه: جعفر بن عبد الله / ١ / ٤٣٤.
- ابن سيد الناس: أحمد بن عبد الله اليعمرى / ١
٤٢٨.
- ابن سيد الناس: محمد بن أحمد بن عبد الله / ١
٤٧٦.
- السيوري: عبد الخالق بن عبد الوارث / ١
٢٨٢.

حرف الشين

- الشاذلي: علي بن محمد نور الدين / ٢ / ١٣١.
- الشاذلي: محمد بن محمد بن أحمد / ٢ / ٣٨٩.
- الشاري: علي بن محمد / ١ / ٤٥٣.
- الشارمساحي: عبد الله بن عبد الرحمن المغربي
٤٥٨ / ١.
- ابن الشاط: قاسم بن عبد الله السبتي / ١ / ٥٣٣.
- الشاطبي: إبراهيم بن موسى / ٢ / ٢٩.
- الشافعي: محمد بن موسى الجناحي / ٢ / ٣٠٦.
- الشاوري: علي بن صالح / ٢ / ٢٩٩.

- الشواى: أبو البقاء محمد بن يعيش ٢ / ٣٢١.
 الشواى: يحيى بن محمد الجزائرى ٢ / ٢٤١.
 الشواى: يعيش بن الرغى ٢ / ٣٢١.
 شبابك: إبراهيم بن مصطفى ٢ / ٣٩٥.
 الشرحي: إبراهيم بن مرعى ٢ / ٢٤٦.
 شبطون: أحمد بن محمد يعرف بالحبيب ١ / ١٩٧.
 شبطون: زياد بن عبد الرحمن القرطبي ١ / ١٣٢.
 ابن شبلون: عبد الخالق ١ / ٢٢٧.
 الشحمي: محمد التونسى ٢ / ٣١٦.
 ابن شراحيل: محمد بن سعيد ١ / ١٣٢.
 ابن الشراط: عبد الرحمن بن محمد ١ / ٣٨٤.
 الشران: محمد بن أبي إسحاق ٢ / ٧٠.
 الشرقي: أحمد أبو العباس ٢ / ٣١٨.
 الشرقي: أحمد عبد السلام المغربي ٢ / ٣٠٠.
 الشرقي: أحمد بن محمد السفاقي ٢ / ٣١٨.
 الشرقي: حسن بن أحمد السفاقي ٢ / ٣١٨.
 الشرقي: محمد بن المؤدب ٢ / ٣٠٧.
 الشرقي: محمد بن أبي بكر ٢ / ٢٢٩.
 الشرنوبي: أحمد بن عثمان ٢ / ١٥٦.
 الشرنوبي: داود بن سليمان ٢ / ٢٩٤.
 الشرنوبي: عبد المجيد الأزهرى ٢ / ٤٥٤.
 أبو شريح الخزاعى ١ / ٨٤.
 الشريف التلمساني: محمد بن أحمد ٢ / ٣٥٠.
 الشريف العوانى: إبراهيم بن يوسف ١ / ٥٠٧.
 الششتى: عمر بن عبد الصادق ٢ / ٣٣٨.
 شعيب بن الحسين البجائى ١ / ٣٩٦.
 الشفشاونى: سليمان الشهر بالحوات ٢ / ٣٨١.

حرف الصاد

- ابن الصائغ: عبد الحميد ١ / ٢٨٤.
 ابن الصائغ: عبد الرحمن بن على ١ / ٤٦٤.
 الصائغ: عبد الله بن نافع ١ / ١١٥.
 صالح بن الحاج المعطى ٢ / ٤٨٧.
 صالح بن خلف ١ / ٣٨٢.
 صالح بن محمد المسكوري ١ / ٤٥٢.
 الصاوى الخلوتى: أبو العباس أحمد ٢ / ٣٥٠.
 الصباغ: أحمد بن مصطفى ٢ / ٢٩٢.
 ابن سعد: محمد بن أحمد التلمساني ٢ / ١٢٠.
 الصغير: على بن محمد الزروالى ١ / ٥٢٩.
 ابن الصفار: محمد بن عبد الله القرطبي ١ / ٤٤٦.
 الصفار: محمد بن عمر الرعيى ٢ / ٢٥٨.
 الصفار: محمد بن محمد بن محمد الرعيى ٢ / ٢٥٨.
 ابن الصفار: يونس: بن محمد القرطبي ١ / ٢٧١.
 صفوان بن إدريس التجيى ١ / ٣٩١.
 ابن الصقر: أحمد بن عبد الرحمن ١ / ٣٦٩.
 الشاوى: أبو البقاء محمد بن يعيش ٢ / ٣٢١.
 الشاوى: يحيى بن محمد الجزائرى ٢ / ٢٤١.
 الشاوى: يعيش بن الرغى ٢ / ٣٢١.
 شبابك: إبراهيم بن مصطفى ٢ / ٣٩٥.
 الشرحي: إبراهيم بن مرعى ٢ / ٢٤٦.
 شبطون: أحمد بن محمد يعرف بالحبيب ١ / ١٩٧.
 شبطون: زياد بن عبد الرحمن القرطبي ١ / ١٣٢.
 ابن شبلون: عبد الخالق ١ / ٢٢٧.
 الشحمي: محمد التونسى ٢ / ٣١٦.
 ابن شراحيل: محمد بن سعيد ١ / ١٣٢.
 ابن الشراط: عبد الرحمن بن محمد ١ / ٣٨٤.
 الشران: محمد بن أبي إسحاق ٢ / ٧٠.
 الشرقي: أحمد أبو العباس ٢ / ٣١٨.
 الشرقي: أحمد عبد السلام المغربي ٢ / ٣٠٠.
 الشرقي: أحمد بن محمد السفاقي ٢ / ٣١٨.
 الشرقي: حسن بن أحمد السفاقي ٢ / ٣١٨.
 الشرقي: محمد بن المؤدب ٢ / ٣٠٧.
 الشرقي: محمد بن أبي بكر ٢ / ٢٢٩.
 الشرنوبي: أحمد بن عثمان ٢ / ١٥٦.
 الشرنوبي: داود بن سليمان ٢ / ٢٩٤.
 الشرنوبي: عبد المجيد الأزهرى ٢ / ٤٥٤.
 أبو شريح الخزاعى ١ / ٨٤.
 الشريف التلمساني: محمد بن أحمد ٢ / ٣٥٠.
 الشريف العوانى: إبراهيم بن يوسف ١ / ٥٠٧.
 الششتى: عمر بن عبد الصادق ٢ / ٣٣٨.
 شعيب بن الحسين البجائى ١ / ٣٩٦.
 الشفشاونى: سليمان الشهر بالحوات ٢ / ٣٨١.
 الشفشاونى: محمد بن منصور ٢ / ٣٨١.
 ابن الشقاق: عبد الله بن سعيد ١ / ٢٧٠.
 ابن شقر: عثمان بن سفيان ١ / ٤١٠.
 الشقراطسى: عبد الله بن يحيى ١ / ٢٨٣.

- ابن الصقر: عبد الرحمن بن محمد أبو زيد
البلنسى ١/ ٣١٩.
صقلاب بن زياد ١/ ١٢٩.
الصقلي: عبد الحق ١/ ٢٨٢.
الصقلي: عبد الرحمن ١/ ٢٣١.
الصقلي: عمر بن عبد النور يعرف بابن
الحكار ١/ ٣٠٧.
الصقلي: محمد بن عبد الله ١/ ٢٦٥.
الصقلي: محمد بن المسلم ١/ ٣٠٦.
الصمادحي: معاوية ١/ ١٥٠.
الصمادحي: موسى بن معاوية ١/ ١٤٩.
الصواف: أحمد بن داود ١/ ١٥٦.
ابن الصواف: محمد بن الفتح المؤدب ١/ ١٩٢.
ابن الصيرفي: عثمان بن سعيد القرطبي ١/ ٢٧٥.

حرف الضاد

- ابن الضابط: عثمان بن حمود أبو عمرو
السفاقي ١/ ٢٦١.
الضبي: أحمد بن يحيى ١/ ٣٩٢.
ابن أبي الضياف: أحمد التونسي ٢/ ٤١٣.

حرف الطاء

- طارق بن موسى البلنسى ١/ ٣٦٣.
الطالب الهواري: محمد بن علي ٢/ ١٦٤.
طاهر بن زيان القسنطيني ٢/ ١٤٥.
طاهر بن علي ١/ ٣٥٥.
طاهر بن محمد النويري ٢/ ٥٦.
طاهر المزوغي ١/ ٤١٣.
الطبري: إبراهيم بن أبي بكر ١/ ٤٩٩.
ابن الطبري: أحمد بن صالح ١/ ١٤٣.
الطحلاوي: عمر بن علي الأزهر ٢/ ٢٩٦.
الطرابلسي: أحمد بن نصر الداودي ١/ ٢٦٤.
- الطرابلسي: سعيد أبو عثمان الشريف ٢/ ٢٥٠.
الطرابلسي: علي بن محمد بن المنتصر ١/ ٢٦٤.
ابن الطرابلسي: حاتم بن محمد ١/ ٢٩٠.
الطراز: محمد بن سعيد ١/ ٤٤٥.
الطرباطي: محمد بن مسعود ٢/ ٣٧٠.
الطريبي: عبد الجواد بن إبراهيم ٢/ ٢١٤.
الطلمنكي: أحمد بن محمد القرطبي ١/ ٢٧١.
الطليطلي: محمد بن عبد الله بن عيشون ١/ ٢٠٤.
الطنجي: علي بن عبد الرحمن ١/ ٥٣٦.
الطهطاوي: رفاعة ٢/ ٤١٤.
الطهوائي: يوسف بن محمد ٢/ ٢١٢.
الطيب بن عبد السلام القادري ٢/ ٣٢٤.
الطيب النيفر: محمد بن محمد ٢/ ٤٧٠.
ابن الطليسان: القاسم بن محمد القرطبي ١/ ٤٣٣.
- حرف العين
- ابن عات: أحمد بن هارون الشاطبي ١/ ٤١٨.
عاشر بن محمد بن عاشر ١/ ٣٦٦.
ابن عاشر: عبد الواحد بن أحمد الفاسي ٢/ ٢٠٣.
ابن عاشور: محمد بن محمد الشاذلي ٢/ ٤٠٩.
عاصم بن أبي النجود ١/ ٣٣.
ابن عاصم: محمد بن محمد الغرناطي ٢/ ٦٧.
العاقب بن عبد الله المسوفي ٢/ ١٤٧.
العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت ٢/ ١٧٠.
ابن عباد: محمد بن إبراهيم النفري ٢/ ٤٥.
العباس بن أحمد التاودي ٢/ ٣٨٧.
عباس بن عيسى الممسي ١/ ١٨٨.
عباس بن الوليد التونسي ١/ ١٣٠.

- ابن العباس: محمد بن العباس التلمساني ٢ / عبد الخالق بن عبد الواحد السيوري ١ / ٢٨٢.
١١١.
أبو العباس بن محمد وفا ٢ / ٥١.
عبد بن أحمد أبو ذر الهروي ١ / ٢٥٠.
ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله النمرى ١ / ٢٨٩.
عبد الجبار بن خالد النيرتي ١ / ١٥٥.
عبد الحفيظ المجذوب ٢ / ٤٩٣.
عبد الحق بن أبي بكر بن غالب ١ / ٣١٥.
عبد الحق بن ربيع البجائي ١ / ٤٩١.
عبد الحق، ابن سبعين أبو محمد ١ / ٤٨٠.
عبد الحق بن عبد الرحمن الإشيلي يعرف بابن الخراط ١ / ٣٧٨.
عبد الحق بن عبد الله المهدوي ١ / ٤١١.
عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي ١ / ٢٨٢.
ابن عبد الحكم: محمد بن عبد الله أبو عبد الله ١ / ١٤٦.
ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم ١ / ١٤٥.
ابن عبد الحكم: عبد الله بن الحكم بن أعين أبو محمد ١ / ١٢٤.
ابن عبد الحكم: عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم أبو عثمان ١ / ١٤٥.
عبد الحميد بن أبي أويس المعروف بالأعشى ١ / ١١٦.
عبد الحميد بن أبي البركات الطرابلسي ١ / ٤٧٠.
عبد الحميد بن محمد القيرواني المعروف بابن الصائغ ١ / ٢٨٤.
عبد الحى بن أحمد البهنسي ٢ / ٢٩٧.
عبد الخالق بن خلف بن سعيد بن شبلون القيرواني ١ / ٢٢٧.
عبد الخالق بن عبد الواحد السيوري ١ / ٢٨٢.
عبد الخالق بن وفي ٢ / ٢٩٢.
عبد الخالق بن ياسين ١ / ٢٩٥.
عبد الرحمن بن أحمد بن بقي الأندلسي ١ / ٢٣٢.
عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد المعروف بالحصار ١ / ٢٦٩.
عبد الرحمن بن أحمد الغرناطي يعرف بابن القصير ١ / ٣٧٥.
عبد الرحمن الطرابلسي الشهير بالتاجوري ٢ / ١٥٤.
عبد الرحمن بن أحمد بن أبي ليلي ١ / ٣٦٢.
عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن بقي الغرناطي أبو الحسن ١ / ٣٧١.
عبد الرحمن بن إدريس العراقي ٢ / ٣٨٣.
عبد الرحمن بن إدريس، أبو زيد المنجرة ٢ / ٣٢٩.
عبد الرحمن البكري الصقلي ١ / ٢٣١.
عبد الرحمن بن أبي جعفر الديماطي ١ / ١٢٥.
عبد الرحمن بن الحائك التطون ٢ / ٣٧٣.
عبد الرحمن ابن الخطيب السهيلي المالقي ١ / ٣٧٩.
عبد الرحمن بن أبي رجاء الأندلسي يعرف باللبسي ١ / ٣٤٣.
أبو عبد الرحمن: سليمان بن يسار ١ / ٣٧.
عبد الرحمن بن العباس العراقي ٢ / ٤٩٠.
عبد الرحمن بن عبد القادر القاسي ٢ / ٢٣٩.
عبد الرحمن بن عبد الكريم الهزميري ١ / ٤٩٣.
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم أبو القاسم ١ / ١٤٥.
عبد الرحمن بن عبد الله التنبكي ٢ / ٢٢٤.
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ١ / ٢١٩.
عبد الرحمن بن عبد الله القيرواني ١ / ٤١٢.

- عبد الرحمن بن عبد الله بن موسى يعرف بابن برطلة / ١ / ٤١٤.
- عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري / ٢ / ٩٢.
- عبد الرحمن بن علي الأجهوري / ٢ / ١٥٤.
- عبد الرحمن التوزي عرف بابن الصائغ / ١ / ٤٦٤.
- عبد الرحمن بن علي السفياي عرف بسقين / ٢ / ١٤٨.
- عبد الرحمن بن علي المكودي / ٢ / ٧٢.
- عبد الرحمن الدكالي الشهير بالمجنوب / ٢ / ١٦٦.
- عبد الرحمن الغرياني / ٢ / ١٠١.
- عبد الرحمن بن أبي الغمر / ١ / ١٤٣.
- عبد الرحمن بن قاسم المالقي / ١ / ٢٩٨.
- عبد الرحمن بن القاسم المصري / ١ / ١٢٣.
- عبد الرحمن بن قاسم المكناسي / ٢ / ٢٣١.
- عبد الرحمن الكاواني / ٢ / ١١٥.
- عبد الرحمن بن محرز القيرواني / ١ / ٢٦٢.
- عبد الرحمن بن محمد الحضرمي / ١ / ٤٧٣.
- عبد الرحمن بن محمد الشريف التلمساني المعروف بأبي يحيى / ٢ / ٧٧.
- عبد الرحمن بن محمد الصغير الأنحزري / ٢ / ١٦٦.
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، ابن الإمام التلمساني / ١ / ٥٣٩.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون / ٢ / ٢٠.
- عبد الرحمن بن محمد شهر بابن قاسم / ٢ / ١٢٨.
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، أبو زيد ابن الصقر / ١ / ٣١٩.
- عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي / ١ / ٥٠١.
- عبد الرحمن بن محمد بن علي الدكالي / ٢ / ١٦٣.
- عبد الرحمن بن محمد بن فطيس أبو المطرف القرطبي / ١ / ٢٤١.
- عبد الرحمن بن محمد بن رشيق / ١ / ٢٦٤.
- عبد الرحمن بن محمد السلاسي / ٢ / ٢٧٢.
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله يعرف بابن حبيش / ١ / ٣٨٣.
- عبد الرحمن بن محمد بن عتاب / ١ / ٣١٦.
- عبد الرحمن بن محمد، ابن العجوز / ١ / ٣٠١.
- عبد الرحمن بن محمد العياشي / ٢ / ٢٨٧.
- عبد الرحمن بن محمد بن غالب يعرف بابن الشراط / ١ / ٣٨٤.
- عبد الرحمن بن محمد القيرواني المعروف بالليدي / ١ / ٢٦١.
- عبد الرحمن بن محمد الكتاني المعروف بابن الكاتب / ١ / ٢٥٣.
- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوق الجزائري / ٢ / ١١٢.
- عبد الرحمن بن مهدي البصري / ١ / ١٢٢.
- عبد الرحمن بن نفيس / ١ / ٤٦٩.
- عبد الرحمن بن هارون أبو المطرف القرطبي المعروف بالقنازعي / ١ / ٢٦٧.
- عبد الرحمن بن يحيى الشقراطسي / ١ / ٢٨٣.
- عبد الرحمن بن يوسف الفاسي / ٢ / ٤٩٠.
- عبد الرحيم بن أحمد السبيعي، ابن العجوز، / ١ / ٢٧٧.
- عبد الرحيم بن عيسى الفاسي / ١ / ٣٩٩.
- عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش / ١ / ٣٦٩.
- عبد الرحيم بن محمد بن فرج الغرناطي يعرف بابن الفرس / ١ / ٣٢٩.
- عبد الرحيم بن محمد اليزناسني / ١ / ٤٥٠.

- ابن عبد الرفيع: إبراهيم بن حسن التونسي / ١ / ٥٠٩ .
- عبد السلام بن أحمد أبو محمد جسوس القاسي / ٢ / ٢٧٤ .
- عبد السلام البرجيني / ١ / ٤٠٩ .
- عبد السلام بن أبي الرجال أبو الحكم الإشبيلي يعرف بابن برجان / ١ / ٣٢٣ .
- عبد السلام الزيزي / ٢ / ٤٢٤ .
- عبد السلام بن سعيد القيرواني، كنون / ١ / ١٥١ .
- عبد السلام بن صالح الأسمر / ٢ / ٢٤٨ .
- عبد السلام بن علال بن المجذوب / ٢ / ٤٩٠ .
- عبد السلام بن علي القاسي / ٢ / ١٩٩ .
- عبد السلام بن غالب القيرواني / ١ / ٤١٣ .
- عبد الصمد بن عبد الرحمن / ١ / ١٤٢ .
- عبد العزيز بن إبراهيم التونسي عرف بابن بيزرة / ١ / ٤٦٦ .
- عبد العزيز بن إبراهيم بن هلال السجلماسي / ١ / ١٢١ .
- عبد العزيز بن أبي حازم الأعرج / ١ / ١١٥ .
- عبد العزيز بن عبد العظيم الطرابلسي / ١ / ٥٠٥ .
- عبد العزيز بن عبد القادر المعروف بالتباع والحرار / ٢ / ١٣٨ .
- عبد العزيز بن عبد الواحد اللمطي / ٢ / ١٦٠ .
- عبد العزيز بن عبد الوهاب بن مكى / ١ / ٤٠٩ .
- عبد العزيز بن عمر بن مخلوف / ١ / ٤٩٥ .
- عبد العزيز بن أبي القاسم التونسي المعروف بالدروال / ١ / ٥٠٩ .
- عبد العزيز بن محمد الدراوردي / ١ / ١١٥ .
- عبد العزيز بن محمد الفراتي / ٢ / ٢٥٨ .
- عبد العزيز بن محمد القروي القاسي / ١ / ٥٤٣ .
- عبد العزيز بن محمد المركني المغراوي / ٢ / ١٩٤ .
- عبد العزيز المهدي / ١ / ٤١١ .
- عبد العزيز بن موسى العبدوسي / ٢ / ٧٩ .
- عبد العزيز بن يحيى المدني / ١ / ١٢٠ .
- عبد العليم بن محمد الضرير / ٢ / ٣٤٤ .
- ابن عبد الغفار: أحمد بن موسى / ٢ / ١٢٩ .
- عبد القادر الجليلاني / ١ / ٣٩٧ .
- عبد القادر بن يحيى الدين الحسني / ٢ / ٤٤١ .
- عبد القادر المعروف بالشيخ، ابن عبد الرحمن القاسي / ٢ / ٤٣٩ .
- عبد القادر بن علي بن يوسف القاسي / ٢ / ٢٣٧ .
- عبد القادر بن أبي القاسم السعدي / ٢ / ٨٩ .
- عبد الكبير بن أحمد الشريف / ٢ / ٣٥٢ .
- عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندراني / ١ / ٤٠٦ .
- عبد الكريم بن علي اليازغي / ٢ / ٣٣٨ .
- عبد الكريم بن محمد الغافقي / ١ / ٤٢٨ .
- عبد اللطيف بن محمود القيرواني / ٢ / ٣١٩ .
- عبد الله بن إبراهيم الأصيلي / ١ / ٢٣٧ .
- عبد الله بن أحمد التونسي المعروف بالألياني / ١ / ١٩٥ .
- عبد الله بن أحمد العبدري يعرف بابن موجوال / ١ / ٣٦٢ .
- أبو عبد الله المدعو أحمد الشريف التلمساني / ٢ / ٧٩ .
- عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي / ١ / ١٥٤ .
- عبد الله بن أحمد بن يربوع / ١ / ٣١٨ .
- عبد الله بن إدريس العراقي / ٢ / ٣٨٣ .
- عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان / ١ / ٢٢٤ .
- عبد الله بن برطلة الأزدي / ١ / ٤٧٩ .
- عبد الله بن أبي بكر القضاعي / ١ / ٤٢٩ .
- أبو عبد الله البوسعيدي / ٢ / ٦٢ .

- أبو عبد الله التلمساني ١٤٢ / ٢.
 عبد الله بن أبي جمرة ١ / ٤٨٧.
 عبد الله بن أبي حسان اليحصي ١ / ١٣١.
 عبد الله بن الحسن بن ناصر الدرعي ٢ / ٣٦٤.
 عبد الله بن الحسن الأنصاري يعرف بابن القرطبي ١ / ٤٢٢.
 عبد الله بن حنين الكلبي يعرف بابن أخى ربيع الصباغ ١ / ١٩٩.
 عبد الله بن خزام الفيومي ٢ / ٣٠٢.
 عبد الله بن دينار العدوي ١ / ٩٤.
 عبد الله بن ذكوان ١ / ٢٣٥.
 عبد الله بن أبي زمين القرطبي ١ / ٢٣٩.
 عبد الله بن أبي زيد القيرواني ١ / ٢٢٦.
 عبد الله بن سعيد القرطبي المعروف بابن الشقاق ١ / ٢٧٠.
 عبد الله بن سليمان، ابن حوط الله ١ / ٤٢٣.
 أبو عبد الله: سليمان بن يسار ١ / ٣٧.
 عبد الله بن طاهر الشاطبي ١ / ٣٦١.
 عبد الله بن طلحة الغرناطي ١ / ٣٩١.
 عبد الله بن طلحة اليابري ١ / ٣١٧.
 عبد الله بن عامر اليحصي ١ / ٣٢.
 عبد الله بن عبد الحق المهدي ١ / ٣٥٥.
 عبد الله بن عبد الحكم بن أعين ١ / ١٢٤.
 عبد الله بن عبد الرحمن بن عفير الإشبيلي ١ / ٤٣٧.
 عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر الشارمساحي ١ / ٤٥٨.
 عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي ٢ / ١١٤.
 عبد الله بن علي الأنصاري يعرف بابن ستاري ١ / ٤٤٥.
 عبد الله بن علي بن الحسين الوزير صاحب ١ / ٤٠٦.
 عبد الله بن علي بن عبد الجليل القيرواني ١ / ٣٥٤.
 عبد الله بن علي الغرناطي، ابن سلمون ١ / ٥٢٥.
 عبد الله بن علي اللخمي المعروف بالرشاطي ١ / ٣٢٩.
 عبد الله بن عمر بن الخطاب ١ / ٨٥.
 عبد الله بن عمر القيرواني ١ / ١٢٩.
 عبد الله بن عمر بن يوسف الفاسي ٢ / ٢٨٥.
 أبو عبد الله بن عمر بن يوسف القيرواني ١ / ١٦٠.
 عبد الله بن غالب الحمداني ١ / ٢٧٣.
 عبد الله أبو غريس التاجوري ٢ / ٣٩٤.
 عبد الله بن فتوح البنتي ١ / ٢٨٧.
 عبد الله بن فروخ الفارسي ١ / ١٢٧.
 أبو عبد الله القلعي: محمد بن عبد الله المعروف بابن الخراط ١ / ٤٥٠.
 أبو عبد الله القوري: محمد بن قاسم ٢ / ١٠٢.
 عبد الله بن كثير المكي ١ / ٣٢.
 عبد الله بن المبارك المروزي ١ / ١٢١.
 عبد الله بن محمد (والد القاضي أبي بكر بن العربي) ١ / ٢٩٨.
 عبد الله بن محمد بن إبراهيم التجاني ١ / ٥٠٧.
 عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني ٢ / ٣٦.
 عبد الله بن محمد بن أحمد العياشي ٢ / ٢٢٥.
 عبد الله بن محمد الباجي ١ / ٢٣٥.
 عبد الله بن محمد التادلي الفاسي ١ / ٣٩٨.
 عبد الله بن محمد التميمي المعروف بالبيدي ١ / ١٦٢.
 عبد الله بن محمد الخشني ١ / ٣٢٠.
 عبد الله بن محمد بن خلف الأصبحي ١ / ٣٧١.

- عبد الله بن محمد الخياط الشهير بالهاروشي / ٢
٣٢٧.
- عبد الله بن محمد المنوفي / ١
٥٠٥.
- عبد الله بن محمد بن السيد البطلوسى / ١
١١٨.
- عبد الله بن محمد بن شاس السعدى / ١
٤٠٣.
- عبد الله بن محمد بن عبد البر / ١
٢٣٦.
- عبد الله بن محمد بن على يعرف بابن عبيد الله / ١
٣٨٨.
- عبد الله بن محمد العنابي / ٢
١٢١.
- عبد الله بن محمد بن عيسى الشلى / ١
٣٤٧.
- عبد الله بن محمد بن عيسى يعرف بابن الأسلمى / ١
٢٦٩.
- أبو عبد الله محمد الشهير بالغماد / ٢
٢٥١.
- أبو عبد الله محمد المعروف بابن الفقيه / ٢
٢٨٠.
- عبد الله بن محمد بن أبي القاسم، ابن فرحون / ١
٥٠٠.
- عبد الله بن محمد بن أبي القاسم التنوخى، ابن الرءاء / ١
٥١٠.
- عبد الله بن محمد القرطى / ١
٢٠٧.
- عبد الله بن محمد القرطى المعروف بابن الفرضى / ١
٢٤٢.
- عبد الله بن محمد القلعى أبو عبد الله / ١
٤٩٠.
- عبد الله بن محمد بن مسعود التمكروتى / ٢
١٦٧.
- عبد الله بن محمد القيروانى / ١
٢٥٩.
- عبد الله بن محمد القيروانى الشهير بالعوانى / ٢
٢٥٠.
- عبد الله بن محمد بن مطروح التجبى / ١
٤٤٠.
- عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسى / ٢
٨٥.
- عبد الله بن محمد الميقاتى / ٢
٢١٨.
- عبد الله بن محمد بن يوسف القيروانى / ٢
١٥.
- عبد الله بن مسلمة القعنبي / ١
١١٩.
- عبد الله، ابن المعتدل / ١
٣٠٠.
- عبد الله بن مغيث الغرناطى / ١
٣٧٦.
- عبد الله بن مقداد الأقفهسى / ٢
٥١.
- عبد الله بن المنتاب البغدادى / ١
١٧٣.
- عبد الله بن موسى ويعرف بابن برطلة / ١
٣٥٨.
- عبد الله بن نافع ويعرف بالأصغر / ١
١١٨.
- عبد الله بن نافع المعروف بالصائغ / ١
١١٥.
- عبد الله بن هارون القرطى / ١
٤٨٧.
- عبد الله بن أبي هاشم التميمى المعروف بابن الحجام / ١
١٩٤.
- عبد الله الوانغلى / ٢
٣٩.
- عبد الله المدعو الوليد بن العربى / ٢
٤٢٤.
- عبد الله بن وهب القرشى / ١
١٢٣.
- عبد الله بن يحيى القرطى / ١
٢٧٢.
- عبد الله بن يحيى اللبى القرطى / ١
٢٠٢.
- عبد المعطى بن أحمد السخاوى / ٢
١٥٣.
- عبد المعطى بن خصيب الحمذى / ٢
١٠١.
- عبد الملك بن حبيب القرطى / ١
١٦٣.
- عبد الملك بن الحسن ويعرف بزوان / ١
١٦٣.
- عبد الملك بن سراج / ١
٢٩٧.
- عبد الملك بن العاصى القرطى / ١
٢٠١.
- عبد الملك بن عبد العزيز، ابن الماجشون / ١
١١٨.
- عبد الملك بن عبد الله بن عيشون البنسى / ١
٣٧٢.
- عبد الملك بن عبد الله القيروانى / ١
٤٦٧.
- عبد الملك بن أبي العلاء / ١
٣٢٠.
- عبد الملك الغرناطى / ١
٤٤٣.
- عبد الملك بن مروان ويعرف بالمروان وبالمالكي / ١
٢١١.

- عبد المنعم بن إبراهيم المعروف بابن بنت
خلدون / ١ / ٢٥٧.
- عبد المنعم بن محمد يعرف بابن القرس / ١ /
٣٦٨.
- عبد المنعم بن محمد بن يوسف الجزائري / ١ /
٤٩٤.
- عبد المنعم بن يحيى يعرف بابن الخلف / ١ /
٣٥٨.
- عبد المؤمن بن محمد الجاناتي / ١ / ٥٤١.
- عبد المهيم بن محمد الحضرمي / ١ / ٥٤٢.
- عبد الهادي بن عبد الله التهامي / ٢ / ٤٢٨.
- عبد الواحد بن أحمد التاودي / ٢ / ٤١٧.
- عبد الواحد بن أحمد الحميدي / ٢ / ١٨٩.
- عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الفاسي / ٢ /
٢٠٣.
- عبد الواحد بن أحمد الوثريسي / ٢ / ١٦٠.
- عبد الواحد بن التين السفاقي / ١ / ٤٠٩.
- عبد الواحد بن محمد بن أحمد الفاسي / ٢ /
٣٩٦.
- عبد الواحد بن يوسف الفاسي / ٢ / ٢٣٨.
- عبد الوارث بن حسن الأزهرى / ١ / ٢٢٤.
- عبد الوهاب بن عبد السلام المرزوقي / ٢ /
٢٩٤.
- عبد الوهاب بن علي البغدادي / ١ / ٢٤٧.
- عبد الوهاب بن محمد الرقاق / ٢ / ١٦٣.
- ابن عبدوس: محمد بن إبراهيم / ١ / ١٥٣.
- العبدوسي: عبد العزيز بن موسى / ٢ / ٧٩.
- العبدوسي: عبد الله بن محمد الفاسي / ٢ / ٨٥.
- العبدوسي: موسى بن محمد بن محمد الفاسي
/ ٢ / ٣٧.
- ابن عبيد الله: عبد الله بن ذي النون / ١ / ٣٨٨.
- عبيد الله بن الحسن بن الجلاب / ١ / ٢١٤.
- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة / ١ / ٣٦.
- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة / ١ / ٣٦.
- عبيد الله بن يحيى الليثي / ١ / ١٦٨.
- أبو عبيدة: حميد الطويل / ١ / ٩٢.
- العتبي: محمد بن أحمد القرطبي / ١ / ١٦٤.
- العتقي: عبد الرحمن / ١ / ١٢٣.
- عثمان بن أبي بكر حمود أبو عمرو السفاقي
المعروف بابن الضابط / ١ / ٢٦١.
- عثمان بن سفيان التونسي عرف بابن شقر / ١ /
٤١٠.
- عثمان بن عبد الله السلاجي / ١ / ٣٩٤.
- عثمان بن عبد الواحد اللمطي / ٢ / ١٦٠.
- عثمان بن عتيق المهدوي المعروف بابن عرية
/ ١ / ٤٦٤.
- عثمان بن علي العزي / ٢ / ١٧٧.
- ابن العجوز: عبد الرحمن بن أبي عبد الله / ١ /
٣٠١.
- ابن العجوز: عبد الرحيم بن أحمد الفاسي / ١ /
٢٧٧.
- ابن عجبة: أحمد بن محمد / ٢ / ٤٢٦.
- العدوي: أحمد بن صالح / ٢ / ٣٩٣.
- العدوي: أحمد بن محمد الأزهرى / ٢ / ٣٤١.
- العدوي أحمد بن موسى البيلي / ٢ / ٣٤٣.
- العدوي: عبد الله أبو محمد / ٢ / ٣٩٣.
- العدوي: علي بن أحمد الصعدي / ٢ / ٣٠١.
- العدوي: علي بن عبد الرحمن الشهير بالخرائطي
/ ٢ / ٢٩٩.
- العراقي: إدريس بن محمد / ٢ / ٣٣٢.
- أبو العرب: محمد بن أحمد التميمي / ١ / ١٩٠.
- ابن أبي العرب: غنيم أبو العباس / ١ / ٢٢٤.
- ابن أبي العرب: علي بن محمد السفياني / ٢ /
١٩٥.
- العربي بن أحمد التاودي / ٢ / ٣٧٧.
- ابن العربي: عبد الوهاب الفاسي / ٢ / ٢٢٨.

- ابن العربي: عمر بن عبد الله الفاسي ٣٣٣/٢.
 العربي: علي بن محمد الفاسي المصري الشهير بالسقاط ٢٩٧/٢.
 ابن العربي: محمد بن عبد الله الإشبيلي ١/٣٣١.
 العربي: محمد قصارة ٤١٩/٢.
 العربي: محمد بن يوسف الفاسي ٢٠٧/٢.
 ابن عريون: أحمد بن الحسين ١٧٠/٢.
 عروة بن الزبير بن العوام ٣٦/١.
 ابن عريية: عثمان بن عتيق ٤٦٤/١.
 ابن العريف: أحمد بن محمد الصنهاجي ٣٢٦.
 عزوز: محمد بن محمد ٣١٤/٢.
 ابن عزوز: محمد مكي بن مصطفى ٤٧٤/٢.
 العزي: عثمان بن علي ١٧٧/١.
 ابن عسكر: عبد الرحمن بن محمد البغدادى ١/٥٠١.
 ابن عسكر: محمد بن عبد الرحمن ٨/٢.
 ابن عسكر: محمد بن علي المالقي ٤٤١/١.
 ابن عصفور: علي بن مؤمن الحضرمي ١/٤٨١.
 أبو عصيدة: رمضان السفاقسي ٣١٢/٢.
 ابن عطاء الله: أحمد بن محمد الإسكندراني ١/٥٠٢.
 العطار: عمر بن محمد التميمي ٢٥٦/١.
 ابن العطار: محمد بن أحمد الأندلسي ٢٣٩/١.
 ابن عظوم: قاسم بن زروق ١٨٥/٢.
 عظوم: محمد بن أحمد القيرواني ٩٩/٢.
 ابن عظوم: محمد بن محمد القيرواني ١٥/٢.
 عظوم: محمد بن محمد بن محمد ٣١٤/٢.
 ابن عزيمة: محمد بن عبد الرحمن العبدى ١/٣٣٠.
 ابن عفير: سعيد بن كثير ١٢٥/١.
 العفيف: علي بن بلقاسم التونسي ٤١٤/٢.
 ابن عقاب: محمد بن إبراهيم التونسي ٦٤/٢.
 العقباوى: مصطفى أبو الخيرات ٣٤٥/٢.
 عقيل بن عطية القضاءي ٤١٨/١.
 العلاء بن عبد الرحمن الحرقي ٩٢/١.
 ابن علاق: محمد بن علي الغرناطي ٦٦/٢.
 ابن علال: عيسى بن علال المصمودي ٧٦/٢.
 العلمي: علي بن علي أبو الحسن الشريف ٢/٢٨٦.
 العلمي: محمد الطيب الوزاني ٢٨٧/٢.
 العلمي: يحيى بن أحمد القسنطيني ١١٤/٢.
 علوان بن الحسن ١٠٩/١.
 عlish: محمد بن أحمد المصري ٣٩٧/٢.
 علي بن أحمد الخراي ٤٤٢/١.
 علي بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الباذش ١/٣٢١.
 علي بن أحمد بن خيرة البلنسي ٤٣٨/١.
 علي بن أحمد بن يوسف ٤١٩/١.
 علي بن إسماعيل الأشعري ١٧٧/١.
 علي بن إسماعيل الصنهاجي ٤٠٤/١.
 علي بن إسماعيل الفاسي، ابن حرزهم ١/٣٩٤.
 علي بن الأنجب السكندري ٤٠٤/١.
 علي بن أبي بكر السفاقسي ٢٥٢/٢.
 علي بن ثابت ٧٨/٢.
 علي أبو الحسن الشهير بابن الزيات ٤٩٦/١.
 علي بن حمزة الكسائي ٣٥/١.
 علي بن خضر العمروسي ٢٩٥/٢.
 علي بن خلف الأنصاري ٣٨١/١.
 علي بن خلف القرطبي يعرف بابن اللحام ١/٢٧٥.
 علي بن خلف المعروف بابن القابسي ١/٢٢٨.
 علي الدشيش ١٩٦/٢.

- على بن الزبير السجلماسي ٢ / ٢٠١.
 على بن زياد التونسي ١ / ١٢٨.
 على بن سليمان الدليمي ٢ / ١٣٤.
 على الششتري ١ / ٤٨٠.
 على بن عبد الرحمن الجمل الحسني الإدريسي ٢ / ٣٣٦.
 على بن عبد الرحمن الطنجي ١ / ٥٣٦.
 على بن عبد الرحمن العدوي الشهير بالخرائطى ٢ / ٢٩٩.
 على بن عبد الرحمن بن عمران ٢ / ١٩٦.
 على بن عبد الرحمن اليفرنى الشهير بالطنجي ١ / ٥٣٦.
 على بن عبد السلام التسولى عرف بمديدش ٢ / ٤٢٠.
 على بن عبد الصادق الحامدي ٢ / ٣٢٠.
 على بن عبد الغنى القيرواني المعروف بالحصرى ١ / ٢٨٦.
 على بن عبد الله البنسى يعرف بابن النعمة ١ / ٣٦٦.
 على بن عبد الله الفاسي يعرف بالمتيطي ١ / ٣٩٤.
 على بن عبد الله الشاذلى ١ / ٤٥٧.
 على بن عبد الله الشريف القيرواني ٢ / ١٣.
 على بن عبد الله القيرواني ١ / ٥١٧.
 على بن عبد الله القيرواني يعرف بالمالكي ١ / ٣١٠.
 على بن عبد الله بن محمد القرطبي يعرف بابن قطرال ١ / ٤٤٧.
 على بن عبد الله المعروف بابن المديني ١ / ١٣٧.
 على بن عبد الله بن أبي مطر الإسكندراني ١ / ١٨٠.
 على بن عبد الواحد السجلماسي ٢ / ٢٢٢.
 على بن عتيق القرطبي ١ / ٣٩٠.
 على بن أبي العطاء ١ / ٤٦٣.
 على بن عمر المعروف بابن القصار ١ / ٢١٥.
 على بن فاتح بن عبد الله ١ / ٤٥٤.
 على بن أبي القاسم (من أحفاد الشيخ طاهر المزوغى السافى) ١ / ٥١٨.
 على بن قاسم البطوئي ٢ / ٢٠٢.
 على بن قاسم الزقاق ٢ / ١٣٧.
 على بن محمد الإشبيلي يعرف بابن الحصار ١ / ٤٢٢.
 على بن محمد البسطي شهر بالقلصادي ٢ / ١٠٣.
 على بن محمد البعلى المعروف بابن المرحل ٢ / ١٧٥.
 على بن محمد التالوتي ٢ / ١١٥.
 على بن محمد المهدي المعروف بالحداد ١ / ٢٨٥.
 على بن محمد الجذامي يعرف بالبرجي ١ / ٣١٣.
 على بن محمد الحضرمي ١ / ٤١٩.
 على بن محمد الربيعي المعروف باللحمي القيرواني ١ / ٢٨٣.
 على بن محمد الزروالي عرف بالصغير ١ / ٥٢٩.
 على بن محمد العربي الشهير بالسقاط ٢ / ٢٩٧.
 على بن محمد بن علي يعرف بالشاري ١ / ٤٥٣.
 على بن محمد الغرناطي يعرف بابن الحياي ١ / ٥٢٦.
 على بن محمد الغرناطي يعرف بابن النفزي ١ / ٣٥٦.
 على بن محمد بن فرحون اليعمرى ١ / ٤٩٩.

- علي بن محمد الكتامي يعرف بابن القطان / ١ / ٤٣٦.
 عمر بن عبد النور الصقلي يعرف بابن الحكار / ١ / ٣٠٧.
 علي بن محمد بن محمد المعروف بالشاذلي / ٢ / ١٣١.
 عمر بن علي بن سالم الإسكندري / ١ / ٥٠٤.
 علي بن محمد بن مسرور الدباغ / ١ / ٢٢١.
 عمر بن علي بن قدامح التونسي / ١ / ٥١٠.
 علي بن محمد بن مسعود الخزاعي / ٢ / ٤٤.
 عمر بن عمر / ١ / ١٩٣.
 علي بن محمد المصري / ١ / ٤١٢.
 عمر بن أبي عمر بن أبي محمد / ١ / ٢٨١.
 علي بن محمد بن المنتصر الطرابلسي / ١ / ٢٦٤.
 عمر بن فراج الإسكندري / ١ / ٤٦٢.
 علي بن محمد بن منصور الغماري / ٢ / ٤٥.
 عمر بن قاسم المحجوب / ٢ / ٣٥٤.
 علي بن محمد بن المنير / ١ / ٤٦١.
 عمر بن محمد الإشبيلي يعرف بالشلولين / ١ / ٤٤٤.
 علي بن محمد بن هذيل البلنسي / ١ / ٣٦٠.
 عمر بن محمد الرجراجي / ٢ / ٧٣.
 علي بن محمد وفا / ٢ / ٥٠.
 عمر بن محمد بن عمر البجائي / ١ / ٥٣٧.
 علي بن موسى الغرناطي / ١ / ٤٨٣.
 عمر بن محمد القلشاني / ٢ / ٦٤.
 علي بن موسى المطغري عرف بابن هارون / ٢ / ١٤٨.
 عمر بن محمد الكماد عرف بالوزان القسمطيني / ٢ / ١٦٢.
 أبو علي بن موسى بن معمر الطرابلسي / ١ / ٤٦٦.
 عمر بن محمد بن واجب البلنسي / ١ / ٣٢٨.
 علي بن مؤمن الحضرمي المعروف بابن عصفور / ١ / ٤٨١.
 عمر بن محمد بن يوسف / ١ / ١٧٥.
 علي بن يحيى الصنهاجي / ١ / ٣٨٤.
 عمر بن بن يوسف الفاسي / ٢ / ١٩٨.
 علي بن يوسف الإسكندري عرف بالبسقلوني / ٢ / ٥٥.
 ابن عمار: محمد بن عمار المصري / ٢ / ٥٥.
 عمر بن محمد الليثي / ١ / ١٧٧.
 عمر بن ميسرة المدني / ١ / ٩٢.
 عمر بن محمد بن علوان التونسي / ١ / ٥٠٦.
 عمر بن موسى الجاناتي / ٢ / ٧٨.
 عمر بن أحمد بن عيسى / ٢ / ٢٩٢.
 عمر بن أحمد المعروف بابن الشيخ / ٢ / ٤٦٨.
 عمر بن عبد الله بن محمد / ٢ / ١٢١.
 عمر بن البراء التونسي / ٢ / ١٨.
 عمر بن محمد بن يوسف الخزاعي / ١ / ١٥٠.
 عمر بن الحسن الداني يعرف بابن الجميل / ١ / ٤٣٨.
 عمر بن عياد: محمد بن يوسف البلنسي / ١ / ٤١٥.
 عمر بن أبي سلمة المخزومي / ١ / ٨٧.
 عمر بن يوسف بن عبد الله الأندلسي / ١ / ٣٧٤.
 عمر بن عبد الصادق الششتي / ٢ / ٣٣٨.
 عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد / ٢ / ٢٣٦.
 عمر بن محمد التميمي شهر بالعتار / ١ / ٢٥٦.

- الغريبي: محمد بن أحمد ٢ / ٢٢٥.
- الغريبي: عيسى بن أحمد التونسي ٢ / ٥٧.
- الغراب: علي السفاقي ٢ / ٣١٥.
- الغرناطي: هشام بن أحمد ١ / ٣٢٢.
- الغرياني عبد الرحمن التونسي ٢ / ١٠١.
- الغرياني: محمد بن علي التونسي ٢ / ٣١٧.
- الغزواني: محمد بن محمد ٢ / ١٤٥.
- الغسلاني: الحسين بن محمد الجبالي ١ / ٢٩٩.
- الغفجومي: موسى بن عيسى الفاسي ١ / ٢٥٥.
- ابن غلام الفرس: محمد بن الحسن بن محمد ١ / ٣٤٤.
- الغماد: علي ٢ / ٢١٩.
- الغماد: محمد ٢ / ٢٥١.
- الغماري: أحمد أبو العباس ٢ / ١٢٠.
- الغماري: أحمد بن حسين ٢ / ٤١٠.
- الغماري: علي بن منصور الصنهاجي ٢ / ٤٥.
- الغماري: محمد، ابن الخطيب الإمام أبي القاسم ٢ / ٢٥٦.
- ابن الغماز: أحمد بن محمد البلنسي ١ / ٤٨٦.
- الغماز: محمد بن أحمد ٢ / ١٦.
- ابن أبي الغمر: عبد الرحمن ١ / ١٤٣.
- الغمري: الوليد بن بكر ١ / ٢١٥.
- أبو الغيث المعروف بالقشاش ٢ / ١٨٦.
- الغياشي: محمد بن أحمد ٢ / ٢٢٥.
- عياض بن محمد بن أبي الفضل، القاضي عياض ١ / ٤٣٧.
- عياض بن موسى بن عياض القاضي أبو الفضل اليحصبي ١ / ٣٤١.
- العيسوي: محمد بن سليمان الزواوي.
- العيسى: أحمد التونسي ٢ / ١٥٩.
- عيسى بن أحمد بن محمد الغريبي ٢ / ٥٧.
- عيسى بن دينار القرطبي ١ / ١٣٤.
- عيسى بن سهل القرطبي ١ / ٢٩٦.
- العيسى: عبد القادر الجبالي ٢ / ٢٥٦.
- عيسى بن علال المصمودي ٢ / ٧٦.
- عيسى بن محمد بن أبي المهاجر ١ / ١٥٠.
- عيسى بن محمد التنسي، ابن الإمام ١ / ٥٤٠.
- ابن أبي عيسى: محمد بن عبد الله القرطبي ١ / ٢٠٣.
- عيسى بن محمد المغربي ٢ / ٢٣٠.
- عيسى بن مسكين الإفريقي ١ / ١٥٨.
- عيسى بن يوسف الفاسي المعروف بابن الملجوم ١ / ٣٤٨.
- ابن أبي العيش: عبد الرحيم بن محمد ١ / ٣٦٩.
- أبو العيش: عمار بن سعيدان ٢ / ٤٥٦.
- ابن عيشون: عبد الله البلنسي ١ / ٣٧٢.
- ابن عيشون: محمد بن عبد الله الطليطي ١ / ٢٠٤.

حرف الفاء

- الفاسي تقي الدين: محمد بن أحمد بن علي ٢ / ٨٢.
- فتانة: محمد بن إبراهيم التونسي ٢ / ٢٥٢.
- فراش بن محمد العبدى ١ / ١٥٦.
- ابن فرتون: أحمد بن يوسف الفاسي ١ / ٤٨٩.
- فرج بن قاسم بن لب الغرناطي ٢ / ٢٨.
- ابن فرج: محمد بن أحمد القرطبي ١ / ٤٨١.

حرف الغين

- الغازي بن قيس القرطبي ١ / ١٣٢.
- ابن غازي: محمد بن حسن السبيعي ١ / ٣٩٦.
- ابن الغاسل: محمد بن عبد الله الغرناطي ١ / ٣٧٠.
- غالب بن عبد الرحمن بن غالب ١ / ٣١٤.
- الغريبي: أحمد بن أحمد أبو العباس ١ / ٥٢٨.

- ابن فرحون: إبراهيم بن علي المدني ٧/٢.
 ابن فرحون: عبد الله بن محمد المدني ١/٥٠٠.
 ابن فرحون: علي بن محمد اليعمرى ١/٤٩٩.
 ابن الفرس: عبد الرحيم بن محمد الغرناطي ١/٣٢٩.
 ابن الفرس: عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم ١/٣٦٨.
 ابن الفرس: محمد بن عبد الرحيم ١/٣٦٧.
 ابن الفرضي: عبد الله بن محمد أبو الوليد القرطبي ١/٢٤٢.
 الفريابي: جعفر بن محمد بن المستفاض ١/١٧٣.
 الفشتال: سليمان بن أحمد ٢/٣٦٥.
 الفشتال: محمد بن أحمد ٢/٣٩.
 الفشتال: محمد العربي ٢/٢٣٧.
 فضل بن سلمة البجلي ١/١٨٥.
 الفضل بن علي بن ظفر ١/١٤٩.
 الفعلول: محمد الحفناوي ٢/٤٩٤.
 ابن الفقيه: محمد ٢/٢٨٠.
 الفكون القسمطيني: عبد الكريم بن محمد ٢/٢٢٦.
 أبو الفلاح: صالح الشريف ٢/٤٧٧.
 أبو الفلاح: صالح بن فرحات الترسقي ٢/٤٥٨.
 أبو الفلاح: صالح بن محمد السباعي ٢/٣٤٤.
 أبو الفلاح: صالح بن محمد النيفر ٢/٤١٢.
 أبو الفلاح الكواش ٢/٣٥٢.
 الفلنقي: محمد بن محمد ١/٣٥٦.
 ابن فيره: الحسين بن محمد يعرف بابن سكرة ١/٣١٣.
 ابن فيره: القاسم بن خلف الرعيبي ١/٣٨٧.
 الفيشي: أحمد بن محمد الأزهرى ٢/١٢٩.
 الفيشي: محمد بن محمد ٢/١٥٥.
 الفيلاي: أحمد ٢/٣٢٧.
 الفيومي: إبراهيم بن موسى ٢/٢٤٧.
 الفيومي: سليمان بن محمد ٢/٣٤٦.
 الفيومي: عبد الله بن خزام ٢/٣٠٢.
 الفيومي: علي ٢/٣٠٠.
حرف القاف
 ابن القابسي: علي بن خلف الحافري ١/٢٢٨.
 قابادو: محمود بن محمد ٢/٤١١.
 قاسم بن أصبغ القرطبي يعرف بالبياني ١/٢٠٣.
 أبو القاسم بن أبي بكر التونسي ١/٤٧٢.
 أبو القاسم بن حماد التونسي ١/٤٧٠.
 قاسم بن زروق بن محمد عظم ٢/١٨٥.
 قاسم بن سعيد العقباتي ٢/٨٥.
 أبو القاسم الشريف الإدريسي السلاوي وبه اشتهر ٢/٧٤.
 قاسم بن عبد السلام بن الطيب القادري ٢/٣٢٢.
 ابن قاسم: عبد الرحمن بن محمد جلال الدين ٢/١٢٨.
 قاسم بن عبد الله السبي، ابن الشاط ١/٥٣٣.
 أبو القاسم بن عميرة ١/٤٧٨.
 قاسم بن علي الحريري ١/٤٣٢.
 أبو القاسم بن علي المهدوي ١/٤٦٧.
 القاسم بن عيسى بن ناجي ٢/٦١.
 قاسم الغماد ٢/٢٥٠.
 القاسم بن فيره بن خلف الرعيبي ١/٣٨٧.
 قاسم بن أبي القاسم البرشكي ٢/١٥٩.
 قاسم بن أبي القاسم السرقسطي ١/١٩٦.
 القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ١/٣٦.

- قاسم بن محمد بن أبي العافية عرف بابن القاضي ١٩٧/٢ .
- القاسم بن محمد بن أبي القاسم الفاسي ٢/٢٠٠ .
- قاسم بن محمد القادري ٢/٤٣٢ .
- القاسم بن محمد القرطبي يعرف بالطيلسان ١/٤٤٣ .
- القاسم بن محمد القيسي ١/٣٩٨ .
- ابن أبي القاسم: محمد بن محمد النويري ٢/٩٣ .
- أبو القاسم محمد المغربي ٢/١٨١ .
- ابن القاضي: أحمد بن عبد الله السجلماسي ٢/١٩٩ .
- ابن القاضي: أحمد بن محمد بن أبي العافية ٢/١٩٨ .
- ابن القاضي: قاسم بن محمد بن أبي العافية ٢/١٩٧ .
- قاضي الجماعة: أحمد بن بقي ١/٢٠٠ .
- قاضي الجماعة: أحمد بن عبد الله ١/٢٤٢ .
- قاضي الجماعة: سراج بن عبد الله ١/٢٨٦ .
- قاضي الجماعة بفاس: أبو القاسم بن محمد ٢/٢٠٠ .
- قاضي الجماعة بقرطبة: أحمد بن يزيد .
- قاضي الجماعة بقرطبة: حمدين بن محمد ١/٣٤٥ .
- قاضي الجماعة بقرطبة: عبد الرحمن بن فطيس ١/٢٤١ .
- قاضي الجماعة بقرطبة: محمد بن إسحاق بن منذر ١/٢٣٣ .
- قاضي الجماعة بقرطبة: منذر بن سعيد ١/٢٠٨ .
- قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يحيى المعروف بابن أبي عيسى ٢٠٣ .
- قاضي رباط الفتح أبو زيد عبد الرحمن ٢/٤٣٦ .
- القاضي المكناسي: محمد اليفرن ٢/١٣٩ .
- قائد بن سعدون الأربسي ١/١٨٦ .
- القباب: أحمد بن قاسم ٢/٣٨ .
- القبري: محمد بن موهب القرطبي ١/٢٦٦ .
- قدورة: سعيد بن إبراهيم ٢/٢٢٤ .
- ابن القديم: يعيش بن علي الإشبيلي ١/٤٣٥ .
- القرافي: أحمد بن إدريس المصري ١/٤٦١ .
- القرافي: محمد بن أحمد ٢/٩١ .
- القرافي: يحيى بن عمر ٢/١٣٣ .
- القرطبي: إبراهيم بن محمد يعرف بابن القزاز ١/١٦٦ .
- القرطبي: أحمد بن رزق ١/١٩٤ .
- القرطبي: أحمد بن عبد الصمد ١/٣٨٠ .
- القرطبي: أحمد بن عون الله ١/٢٣٧ .
- القرطبي: أحمد بن محمد الحافظ المعروف بابن أبي حجة ١/٤٤٤ .
- القرطبي: أحمد بن محمد الطلمنكي ١/٢٧١ .
- القرطبي: أحمد بن محمد القطان ١/٢٨٨ .
- القرطبي: أحمد بن مروان يعرف بابن الرصافي ١/١٦٧ .
- القرطبي: أحمد بن يزيد ١/٤٣٤ .
- القرطبي: إسحاق بن مسرة ١/٢٠٧ .
- القرطبي: إسماعيل بن إسحاق ١/٢١٨ .
- القرطبي: الحسن بن علي يعرف بابن الخطيب ١/٤١٥ .
- القرطبي: حمدين بن محمد ١/٣٤٥ .
- القرطبي: حيان بن خلف ١/٢٩١ .
- القرطبي: عبد الرحمن بن محمد بن فطيس ١/٢٤١ .
- القرطبي: عبد الرحمن بن هارون المعروف بالقنازعي ١/٢٦٧ .

- ابن القرطبي: عبد الله بن الحسن / ١ / ٤٢٢.
 القرطبي: عبد الله بن أبي زمنين / ١ / ٢٣٩.
 القرطبي: عبد الله بن سعيد المعروف بابن الشقاق / ١ / ٢٧٠.
 القرطبي: عبد الله بن محمد بن أبي دليم / ١ / ٢٠٧.
 القرطبي: عبد الله بن محمد بن عبد البر / ١ / ٢٣٦.
 القرطبي: عبد الله بن محمد أبو الوليد المعروف بابن الفرضي / ١ / ٢٤٢.
 القرطبي: عبد الله بن يحيى بن دحون / ١ / ٢٧٢.
 القرطبي: عثمان بن سعيد المعروف بابن الصيرفي / ١ / ٢٧٥.
 القرطبي: علي بن خلف يعرف بابن اللحام / ١ / ٢٧٦.
 القرطبي: علي بن عبد الله، ابن قطرال / ١ / ٤٤٧.
 القرطبي: علي بن عتيق الأنصاري / ١ / ٣٩٠.
 القرطبي: عيسى بن سهل / ١ / ٢٩٦.
 القرطبي: القاسم بن محمد الأوسي يعرف بابن الطليسان / ١ / ٤٤٣.
 القرطبي: محمد بن إبراهيم بن خيرة / ١ / ٣٧٠.
 القرطبي: محمد بن أحمد بن خليل / ١ / ٢٦٥.
 القرطبي: محمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد / ١ / ٣١٦.
 القرطبي: محمد بن أحمد بن عبد الله / ١ / ٢٦٦.
 القرطبي: محمد بن أحمد بن مفرج / ١ / ٢٠٦.
 القرطبي: محمد بن إسحاق بن منذر / ١ / ٢٣٣.
 القرطبي: محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج / ١ / ٢٣٥.
 القرطبي: محمد بن خيرة / ١ / ٣٤٧.
 القرطبي: محمد بن سعيد المعروف بابن المواز / ١ / ١٦٧.
 القرطبي: محمد بن عبد الله بن أبي زمنين / ١ / ٢٣٨.
 القرطبي: محمد بن عتاب / ١ / ٢٨٨.
 القرطبي: محمد بن عمر يعرف بابن القوطية / ١ / ٢٣٣.
 القرطبي: محمد بن عمرو / ١ / ٢٤٠.
 القرطبي: محمد بن القاسم المصري / ١ / ١٨١.
 القرطبي: محمد بن محمد بن أحمد بن لب يعرف بابن الحاج / ١ / ٣٧٢.
 القرطبي: محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم / ١ / ٢٣٥.
 القرطبي: محمد بن موهب المعروف بالقيرى / ١ / ٢٦٦.
 القرطبي: محمد بن وضاح بن بزيع / ١ / ١٦٦.
 القرطبي: محمد بن يقي / ١ / ٢٣٦.
 القرطبي: محمد بن يوسف بن الفخار يعرف بابن بشكوال / ١ / ٢٦٨.
 القرطبي: مروان بن علي القطان البوني / ١ / ٢٧٤.
 القرطبي: يوسف بن يحيى المغامي / ١ / ١٦٧.
 القرطبي: يونس بن محمد بن مغيث يعرف بابن الصفار / ١ / ٢٧١.
 ابن قرقول: إبراهيم بن يوسف / ١ / ٣٥٧.
 القروي: أحمد بن عبد الرحمن.
 أبو العباس عرف بمحللو / ٢ / ٩٧.
 القروي: عبد العزيز بن محمد الطاسي أبو فارس / ١ / ٥٤٣.
 القزاح: محمد ابن الشيخ محمد المساكني / ٢ / ٤٦٤.
 ابن القزاز إبراهيم بن محمد القرطبي / ١ / ١٦٦.
 القزاز: معن بن عيسى / ١ / ١١٦.
 القزويني: أحمد بن محمد أبو سعيد / ١ / ٢٤٧.

- ابن القسطاني: أحمد بن علي القيسي الإفريقي
المصري ١/ ٤١٢.
- القسطاني: أبو السعود بن علي الزين ٢/ ١٨١.
- القسمطيني: عاشور بن عيسى ٢/ ٢٢٧.
- القسمطيني: عبد الكريم بن محمد الفكون ٢/ ٢٢٦.
- القسمطيني: عمر بن محمد الكماد ٢/ ١٦٢.
- القسمطيني: محمد بن أحمد الشريف الحسني المعروف بابن الكماد ٢/ ٢٧٠.
- القسنطيني: إبراهيم بن فائد ٢/ ١٠٦.
- القسنطيني: أحمد بن حسن يعرف بابن الخطيب ويا بن قنفذ ٢/ ٧٣.
- القسنطيني: أحمد بن يونس التونسي ٢/ ٩٨.
- القسنطيني: طاهر بن زيان الزواوي ٢/ ١٤٥.
- القسنطيني: يحيى بن أحمد بن عبد السلام عرف بالعلمي ٢/ ١١٤.
- القشاس: أبو الغيث التونسي ٢/ ١٨٦.
- القصار: أحمد بن عبد الرحمن التونسي ٢/ ١٨.
- ابن القصار: علي بن عمر البغدادى ١/ ٢١٥.
- القصار: محمد أبو عبد الله ٢/ ٤٧٣.
- القصار: محمد بن قاسم القيسي ٢/ ١٩٢.
- قصار: علي بن إدريس ٢/ ٤٢١.
- قصار: محمد العربي ٢/ ٤١٩.
- القصرى: عبد الرحمن بن محمد الفاسي ٢/ ٢٠٢.
- القصرى: أبو القاسم بن الزبير المصباحي ٢/ ١٩٥.
- القصرى: محمد بن علي القنطري ٢/ ١٩٥.
- القصرى: يوسف بن محمد ٢/ ١٩٣.
- ابن القصير: عبد الرحمن بن أحمد الغرناطي ١/ ٣٧٥.
- ابن قطال: علي بن عبد الله القرطبي ١/ ٤٤٧.
- ابن القطان: علي بن محمد الكتامي ١/ ٤٣٦.
- القطان: محمد بن عبد الرحمن ٢/ ١٦.
- القطان: موسى بن عبد الرحمن ١/ ١٨٣.
- القنعيني: عبد الله بن مسلمة ١/ ١١٩.
- قعود: أحمد بن أبي بكر النسفي ٢/ ١٧٥.
- القفصي: مالك بن عيسى ١/ ١٨٢.
- القلانسي: إبراهيم عبد الله ١/ ٢٢١.
- القلتاوي: داود بن علي ٢/ ٩٥.
- القلشاني: أحمد بن محمد ٢/ ٩٦.
- القلشاني: عمر بن محمد ٢/ ٦٤.
- القلشاني: محمد بن عبد الله الباجي ٢/ ٦٠.
- القلشاني: محمد بن عمر ٢/ ٩٩.
- القلصادي: علي بن محمد البسطي ٢/ ١٠٣.
- القلعي: أبو الحسن بن عمر المغربي ٢/ ٤٠٣.
- القلعي: عبد الله بن محمد أبو عبد الله ١/ ٤٩٠.
- القلعي: محمد بن الحسن بن ميمون أبو عبد الله ١/ ٤٩٠.
- القلعي: محمد بن عبد الله أبو عبد الله المعافري المعروف بابن الخراط ١/ ٤٥٠.
- القليعي: يحيى بن محمد الغساني ١/ ٢٧٤.
- القليوبي: موسى أبو عمران ٢/ ٢١٦.
- القنازعي: عبد الرحمن بن هارون أبو المطرف القرطبي ١/ ٢٦٧.
- القنتوري: خالد بن عيسى ٢/ ٢٤.
- القندوسي: محمد بن القاسم ٢/ ٤٣١.
- ابن قنفذ: أحمد بن حسن القسنطيني ويعرف بابن الخطيب أيضاً ٢/ ٧٣.
- ابن القوبع: محمد بن محمد التونسي ١/ ٥١٢.
- القوري: محمد بن قاسم المكناسي ٢/ ١٠٢.
- ابن القوطية: محمد بن عمر القرطبي ١/ ٢٣٣.
- القيرواني: أحمد بن عبد الرحمن الخولاني ١/ ٢٥٦.

- القيرواني: جعفر بن محمد ١ / ٣٠٩.
القيرواني: عبد الحميد بن محمد المعروف بابن
الصائغ ١ / ٢٨٤.
القيرواني: عبد الرحمن بن عبد الله الأسدي ١ /
٤١٢.
القيرواني: عبد الرحمن بن محرز ١ / ٢٦٢.
القيرواني: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي
المعروف بالبيدي ١ / ٢٦١.
القيرواني: عبد السلام بن سعيد التنوخي،
سحنون ١ / ١٥١.
القيرواني: عبد السلام بن غالب المسراتي ١ /
٤١٣.
القيرواني: عبد الله بن علي بن عبد الجليل ١ /
٣٥٤.
القيرواني: عبد الله بن محمد المالكي ١ / ٢٥٩.
القيرواني: علي بن عبد الغني المعروف بالحصري
١ / ٢٨٦.
القيرواني: علي بن محمد الربيعي المعروف
باللخمي ١ / ٢٨٣.
القيرواني: محمد بن سعدون ١ / ٢٨٤.
القيرواني: محمد بن أبي سعيد الأجدابي ١ /
٢٦٣.
القيرواني: محمد بن أبي طالب ١ / ٢٥٨.
القيرواني: محمد بن عبد الله المالكي ١ / ٢٥٨.
القيرواني: يحيى بن محمد بن زياد ١ / ٣٥٥.

حرف الكاف

- ابن الكاتب: عبد الرحمن بن محمد الكنائي ١ /
٢٥٣.
الكافي: أبو عبد الله محمد التونسي ٢ / ٣٨٩.
الكاواني: عبد الرحمن الفاسي ٢ / ١١٥.
الكنناوي: محمد بن محمد الفلاني ٢ / ٢٩١.
ابن الكحلة: سليمان بن سالم القطان ١ /
١٥٦.
ابن كحيل: أحمد بن محمد التجاني ٢ / ٩٦.
الكروسي: محمد بن عبد الرحمن الفاسي ١ /
٥٤١.
الكسائي: علي بن حمزة النحوي ١ / ٣٥.
الكفيف ابن مرزوق: محمد بن محمد بن أحمد
ابن الخطيب ٢ / ١١٨.
ابن الكماد: إبراهيم بن أحمد ١ / ٤٨٩.
ابن الكماد: محمد بن أحمد القسطنطيني ٢ /
٢٧٠.
ابن الكماد: محمد بن أحمد اللخمي ١ / ٥١٢.
كمون: محمد السفاقسي ٢ / ٣١١.
الكنناوي: أبو عبد الله محمد ٢ / ٣٧٨.
الكواش أبو الفلاح ٢ / ٣٥٢.
الكوهن: عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة ٢ /
٤١٩.
ابن كيران: أبو بكر بن الشيخ الطيب ٢ /
٤٣١.
ابن كيران: الطيب بن أبي بكر ٢ / ٤٩١.
ابن كيران: محمد بن عبد المجيد ٢ / ٣٧٥.

حرف اللام

- أبو لبابة: بشر بن عبد المنذر ١ / ٨٥.
ابن اللباد: محمد بن محمد القيرواني ١ / ١٩٠.
اللبسي: عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي
الأندلسي ١ / ٣٤٣.
اللبلي: محمد بن خلف الغساني ١ / ٣٤٥.
البيدي: عبد الرحمن بن محمد القيرواني ١ /
٢٦١.
ابن اللحام: علي بن خلف القرطبي ١ / ٢٧٦.
اللخمي: علي بن محمد القيرواني ١ / ٢٨٣.
اللقاني: إبراهيم بن حسن أبو الأمداد ٢ / ١٨٢.

- اللقاني: إبراهيم بن محمد قاضي القضاة ٢ / مالك بن عبد الرحمن يعرف بابن المرجل ١ / ٩٥.
- اللقاني: عبد السلام بن برهان الدين ٢ / ٢١٥.
- اللقاني: محمد بن حسن شمس الدين أبو عبد الله ٢ / ١٣٠.
- اللقاني: محمد بن حسن ناصر الدين أبو عبد الله ٢ / ١٣٠.
- لقمان بن يوسف ١ / ١٨٤.
- اللمطي: عثمان بن عبد الواحد المكناسي ٢ / ١٦٠.
- اللوشي: محمد بن محمد الجياني ١ / ٤٣٧.
- اللومي: أبو الحسن علي السفاقي ٢ / ٣٥١.
- ابن ليون: سعيد بن أحمد التحجي ١ / ٥٢٧.
- حرف الميم**
- ماء العينين: محمد مصطفي ٢ / ٤٩١.
- ابن الماحشون: عبد الملك ١ / ١٨.
- ماخور: محمد بن محمد ٢ / ٣٥٥.
- المازري: محمد بن علي المعروف بالإمام ١ / ٣١١.
- المازري: محمد بن أبي الفرج المعروف بالذكي ١ / ٣٠٧.
- المازري: محمد بن المسلم الصقلي ١ / ٣٠٦.
- المازني زيان بن العلاء أبو عمرو المصري ١ / ٣٣.
- المازوني: يحيى بن موسى المغيلي ٢ / ١١٣.
- ماغوش: محمد التونسي ٢ / ١٣٥.
- المالقي: عبد الرحمن السعي ١ / ٢٩٨.
- المالقي: عمر (وبه عرف) ٢ / ٧٠.
- المالقي: محمد بن عبد الرحمن المعروف بخليل ٢ / ٧.
- مالك بن أنس ١ / ٥٠.
- مالك بن عبد الرحمن يعرف بابن المرجل ١ / ٤٩٦.
- مالك بن عيسى ١ / ١٨٢.
- المالكي: عبد الملك بن مروان ١ / ٢١١.
- المالكي القيرواني: علي بن عبد الله ١ / ٣١٠.
- المالكي المصري: أحمد بن مروان ١ / ١٤٧.
- ابن مبارك ١ / ٣٢٣.
- المتلمس: سليمان بن محمد بن بطلال ١ / ٢٤١.
- المتيطي: علي بن عبد الله السبي ١ / ٣٩٤.
- المجنوب بن عبد الحفيظ ٢ / ٤٢٢.
- المجنوب: عبد الرحمن الدكالي ٢ / ١٦٦.
- المجنوب: عبد الكبير بن أبي البركات ٢ / ٤٣٧.
- ابن المجراد: محمد بن محمد السلوي ٢ / ٣٧.
- ابن المحب المصري: أحمد بن محمد ٢ / ١٥٥.
- محبوبة السلاوي: محمد بن عبد العزيز ٢ / ٤٣٢.
- المحجوب: قاسم أبو الفضل ٢ / ٣١٥.
- المحجوب: محمد بن قاسم ٢ / ٣٦١.
- المحجوز: سعيد بن إبراهيم ٥ / ٢٥٦.
- ابن محرز: محمد بن أحمد البلسي أبو بكر الزهري ١ / ٤٧٥.
- محمد بن إبراهيم عرف بالآبلي ١ / ٥٤٤.
- محمد بن إبراهيم البقودي ١ / ٥١٩.
- محمد بن إبراهيم التتائي ٢ / ١٣٢.
- محمد بن إبراهيم التريكي التونسي ٢ / ١٠٠.
- محمد بن إبراهيم التونسي ١ / ١٥٩.
- محمد بن إبراهيم التونسي، فتاة ٢ / ٢٥٢.
- محمد بن إبراهيم بن حزب الله يعرف بابن البقار ١ / ٣٩٥.
- محمد بن إبراهيم الخباز اللواتي ١ / ٤٦٩.
- محمد بن إبراهيم بن خيرة القرطبي ١ / ٣٧٠.
- محمد بن إبراهيم الدكالي ٢ / ١٦٦.

- محمد بن إبراهيم بن دينار ١ / ١١٩ .
 محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني شهر
 بابن الإمام ٢ / ٨٣ .
 محمد بن إبراهيم بن عبدوس ١ / ١٥٣ .
 محمد بن إبراهيم بن عثمان المعروف بالحنفي ١ /
 ٤٦٨ .
 محمد بن إبراهيم بن عقاب التونسي ٢ / ٦٤ .
 محمد بن إبراهيم المهدوي ١ / ٣٩٧ .
 محمد بن إبراهيم النفزي المعروف بابن عباد ٢ /
 ٤٥ .
 محمد بن إبراهيم الوفائي الشاذلي ٢ / ١٧٦ .
 محمد الأحمي التونسي ١ / ٥١٦ .
 محمد بن أحمد الأندلسي المعروف بابن العطار
 ١ / ٢٣٩ .
 محمد بن أحمد الأنصاري يعرف بابن اليتيم
 وبابن البلسني ١ / ٤٣٢ .
 محمد بن أبي بكر القرطبي، ابن فرح ١ / ٤٨١ .
 محمد بن أحمد البساطي ٢ / ٥٣ .
 محمد بن أحمد بن أبي بكر التونسي ٢ / ٨٨ .
 محمد بن أحمد التجيبي ٢ / ١٩٧ .
 محمد بن أحمد التستري ١ / ١٧٩ .
 محمد بن أحمد بن تميم أبو العرب التميمي ١ /
 ١٩٠ .
 محمد بن أحمد التونسي عرف بابن زغدان ٢ /
 ٩٣ .
 محمد بن أحمد بن جبير البلسني ١ / ٤٢٥ .
 محمد بن أحمد بن جزىء الغرناطي ١ / ٥٢٤ .
 محمد بن أحمد بن الجهم يعرف بابن الوراق ١ /
 ١٧٦ .
 محمد بن أحمد المعروف بابن الحاج ٢ / ٢٧٧ .
 محمد بن أحمد القاضي يعرف بابن الحاج ١ /
 ٣٢٢ .
 محمد بن أحمد الحفصي يعرف بالحسين ٢ /
 ٦٣ .
 محمد بن أحمد بن الخطيب محمد بن مرزوق ٢ /
 ٧٩ .
 محمد بن أحمد الخوجة ٣ / ٧ .
 محمد بن أحمد القيرواني ٢ / ٣١٤ .
 محمد بن أحمد القرطبي ١ / ٢٦٥ .
 محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ١ / ٣١٦ .
 محمد بن أحمد السنوسي ٢ / ٤١٩ .
 محمد بن أحمد بن سهل البركاني ١ / ١٧٦ .
 محمد بن أحمد شمس الدين عرف بالقراقي ٢ /
 ٩١ .
 محمد بن أحمد الصباغ ٢ / ٢٢٧ .
 محمد بن أحمد بن أبي صفرة ١ / ٢٧٤ .
 محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري يعرف
 بابن محرز ١ / ٤٧٥ .
 محمد بن أحمد بن عبد العزيز القرطبي ١ / ٦٤ .
 محمد بن أحمد بن عبد القادر المكي ٢ / ١٢٥ .
 محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن الباجي
 ١ / ٢٧٢ .
 محمد بن أحمد بن عبد الله التميمي ١ / ١٧٥ .
 محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويزمنداد ١ /
 ٢٤٧ .
 محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي ١ / ٢١٢ .
 محمد بن أحمد بن عبد الله القرطبي ١ / ٢٦٦ .
 محمد بن أحمد بن عبد الملك، ابن أبي حمزة ١ /
 ٣٩٣ .
 محمد بن بن أحمد بن علوان الشهير بالمصري
 التونسي ٢ / ٥٨ .
 محمد بن أحمد العلوي المعروف بالشريف
 التلمساني ٢ / ٣٥ .
 محمد بن أحمد بن علي تقي الدين الفاسي ٢ /
 ٨٢ .

- محمد بن أحمد بن علي المعروف بابن المغربي ٢ / ١٧٨.
 محمد بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي ٢ / ٢٦٧.
 محمد بن أحمد بن عيسى بن فندار القيرواني عرف بعظوم ٢ / ٩٩.
 محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي عرف بابن الجلاب ٢ / ١١٢.
 محمد بن أحمد بن غازي العثمان ٢ / ١٤١.
 محمد بن أحمد الغماز ٢ / ١٦.
 محمد بن أحمد الفشتالي ٢ / ٣٩.
 محمد بن أحمد بن أبي الفضل المعروف بابن صعد ٢ / ١٢٠.
 محمد بن أحمد القسطنطيني المعروف بابن الكماد ٢ / ٢٧٠.
 محمد بن أحمد اللخمي المعروف بابن الكماد ١ / ٥٢١.
 محمد بن أحمد بن مجاهد ١ / ٢١٤.
 محمد بن أحمد بومدين الفاسي ٢ / ٣٣٠.
 محمد بن أحمد بن محمد بن الخطيب بن مرزوق ٢ / ١٤٠.
 محمد بن أحمد بن محمد الشريف الحسني السبتي ٢ / ٣٣.
 محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي ٢ / ٣٢٩.
 محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الكبير الشريف ٢ / ٤٥٦.
 محمد بن أحمد بن محمد أبو الوليد بن رشد الشهير بالحفيد ١ / ٣٥٩.
 محمد بن أحمد المديوني يعرف بابن مريم ٢ / ١٩٤.
 محمد بن أحمد بن مروان البلنسي ١ / ٣٤٤.
 محمد بن أحمد بن مفرج المعروف بالقبنوري ١ / ٢٠٦.
 محمد بن أحمد بن موسى السخاوي ٢ / ٨٩.
 محمد بن أحمد النجار التلمساني ٢ / ٨٤.
 محمد بن أحمد الوانوغلي التونسي ٢ / ٥٨.
 محمد بن أحمد بن يحيى المساري ٢ / ١٦٩.
 محمد بن أحمد اليسيتي ٢ / ١٦١.
 محمد بن إدريس العراقي ٢ / ٢٨٣.
 محمد بن أبي إسحاق الشران ٢ / ٧٠.
 محمد بن إسحاق بن منذر الأندلسي ١ / ٢٣٣.
 محمد بن إسماعيل بن محمد الأندلسي ١ / ٤٤١.
 محمد بن أصبغ القرطبي ١ / ٢٠٤.
 محمد الأمين الزيزي العلوي ٢ / ٤٢١.
 محمد بن أيوب بن وهب البلنسي يعرف بابن نوح ١ / ٤١٧.
 محمد البحري التونسي ٢ / ٩٥.
 محمد البشير بن محمد ٢ / ٤٥٤.
 محمد بن بطلال ١ / ٢٣٢.
 محمد البقال ١ / ٤٥٢.
 محمد بن أبي بكر عرف بابن حريز ٢ / ٩٢.
 محمد بن أبي بكر الدماميني ٢ / ٥٢.
 محمد بن أبي بكر بن صدام القيرواني ٢ / ٢١٨.
 محمد بن أبي بكر بن عوف ١ / ٩٢.
 محمد بن أبي بكر بن عيسى المعروف بالإخنائي ١ / ٤٥٨.
 محمد بن أبي بكر بن عاصم ٢ / ٧٠.
 محمد البنا التونسي ٢ / ٤٠٨.
 محمد بوراس، ابن الحاج القيرواني ٢ / ٣١٥.
 محمد التهامي بن عمرو العربي ٢ / ٣٨٨.
 محمد التونسي الأندلسي ٢ / ١٨٥.
 محمد بن جابر المكناسي ٢ / ٧٧.
 محمد بن جابر الوادي أشي المعروف بابن جابر ١ / ٥١٦.

- محمد بن جعفر الكنانى ٢ / ٤٩٨ .
 محمد جعيط: محمد بن حمودة ٢ / ٤٧٤ .
 محمد بن أبى جمعة الهبطى ٢ / ١٤٤ .
 أبو محمد الحاج الداودى التلمسانى ٢ / ٤٢٧ .
 محمد بن حارث الخشنى القيروانى ١ / ٢٢١ .
 محمد الحجيج التونسى ٢ / ٢٤٩ .
 محمد بن حسن شمس الدين اللقانى ٢ / ١٣٠ .
 محمد بن حسن بن عبد الرزاق السوسى ٢ / ٣٢٠ .
 محمد بن الحسن بن عبد الله القرطبى ١ / ٢٣٥ .
 محمد بن حسن بن عطية يعرف بابن غازى ١ / ٣٩٦ .
 محمد بن الحسن بن على أبو عبد الله القلعى ١ / ٤٩٠ .
 محمد بن الحسن بن محمد يعرف بابن غلام
 الفرس ١ / ٣٤٤ .
 محمد بن الحسن ١ / ٤٨٤ .
 محمد بن الحسن بن مخلوف ٢ / ١٠٦ .
 محمد بن الحسين ١ / ٤٨٤ .
 محمد بن الحسين الربيعى ١ / ٤٥٩ .
 محمد الحفناوى الشهير بفعلول ٢ / ٤٩٤ .
 محمد بن حمدون ٢ / ٤٢٩ .
 محمد حمودة أبو عبد الله ٢ / ٢٦٣ .
 محمد بن حمودة، جعيط ٢ / ٤٧٤ .
 محمد بن حمودة الريكلى ٢ / ٣٠٨ .
 محمد خروف التونسى ٢ / ١٥٨ .
 محمد بن الخطيب الغمارى ٢ / ٢٥٦ .
 محمد بن خلف المعروف بابن المرباط ١ / ٢٩٥ .
 محمد بن خلف بن صاعد ويعرف باللبلى ١ / ٣٤٥ .
 محمد بن خليفة الوشتانى المعروف بالأبى ٢ / ٥٩ .
 محمد بن خليفة المدنى ٢ / ٤٦٠ .
 محمد بن خميس التلمسانى ١ / ٥٢٨ .
 محمد بن خير الإشبلى ١ / ٣٧٣ .
 محمد بن خيرة أبو الوليد القرطبى ١ / ٣٤٧ .
 محمد بن زعفران ٢ / ٣٥٩ .
 محمد بن أبى زيد الفاسى ٢ / ٢٧٩ .
 محمد بن أبى زيد المنستيرى ٢ / ٦٥ .
 محمد بن سعدون التميمى ١ / ١٩٣ .
 محمد بن سعدون القيروانى ١ / ٢٨٤ .
 محمد بن سعيد (شقيق أبى العباس المكناسى
 المعروف بالحباك) ٢ / ١١١ .
 محمد بن سعيد الإشبلى يعرف بابن زرقون ١ / ٣٨٤ .
 محمد بن سعيد الأندلسى عرف بالرعينى ٢ / ٤٠ .
 محمد بن سعيد بن شراحيل ١ / ١٣٢ .
 محمد بن أبى سعيد بن شرف القيروانى ١ / ٢٦٣ .
 محمد بن سعيد بن على يعرف بالطراز ١ / ٤٤٥ .
 محمد بن سعيد القرطبى المعروف بابن المواز ١ / ١٦٧ .
 محمد بن سفيان الهوارى ١ / ٢٥٣ .
 محمد بن سلامة ٢ / ٤٠٠ .
 محمد بن سلامة التونسى ٢ / ١٥٩ .
 محمد بن سلامة المصرى يعرف بالبنوفرى ٢ / ١٥٦ .
 محمد بن سلبة التونسى ١ / ٥١٤ .
 محمد السلمونى ٢ / ٢٨٤ .
 محمد بن سليمان الجزولى ٢ / ١١٠ .
 محمد بن سليمان الزواوى المنعوت بالجمال ١ : ٥٣٠ .
 محمد بن سليمان السطى ١ / ٥٤٣ .

- محمد بن سليمان بن موسى يعرف بابن برطلة /١/ ٣٥٨.
- محمد بن سليمان النعالي المصري /١/ ٢١٨.
- محمد الشاذلي الدلائي /٢/ ٢٦٦.
- محمد الشاذلي ابن الشيخ عفان بن صالح /٢/ ٤٥٧.
- محمد الشاذلي بن عمر /٢/ ٣٩٩.
- محمد الصادق ابن الشيخ المفتي حمدة الشاهد /٢/ ٤٦٣.
- محمد بن صالح الكنانى /١/ ٤٩٥.
- محمد الصغير المعروف بالسهلي /٢/ ١٤٠.
- محمد الصغير اليفرنى /٢/ ٢٨٣.
- محمد صلاح الدين الرلسى الشهير بشلى /٢/ ٢٩١.
- أبو محمد: طارق بن موسى الأندلسى /١/ ٣٤٦.
- محمد الطالب بن أحمد بن الشيخ: التاودى /٢/ ٤١٧.
- محمد الطاهر بن عبد الكبير المجذوب /٢/ ٤٩٢.
- محمد بن الطاهر بن محمد بوعمرية الفاسى /٢/ ٣٢٨.
- محمد بن الطاهر الهوارى /٢/ ٣٧٢.
- محمد بن الطيب الباقلاان /١/ ٢١٦.
- محمد الطيب ابن الشيخ العربى الدرقاوى /٢/ ٤٣٤.
- محمد الطيب القادري /٢/ ٣٢٥.
- محمد الطيب بن محمد الفاسى /٢/ ٢٦٩.
- محمد الطيب بن محمد النيفر الأكبر /٢/ ٤٨٢.
- محمد ظافر بن محمد المدنى /٢/ ٤٥٢.
- محمد محمد بن عبادة بن برى /٢/ ٣٠٢.
- محمد بن أبي العباس البطرنى /٢/ ١٧.
- محمد بن العباس التلمسانى الشهير بأبي عبد الله /٢/ ١٤٢.
- محمد بن العباس العبادى شهر بابن العباس /٢/ ١١١.
- محمد بن عبد الباقي الزرقانى /٢/ ٢٤٦.
- محمد بن عبد الجبار الرعيى /١/ ٤٦٦.
- محمد بن عبد الجليل التلمسانى عرف بالتنسى /٢/ ١١٧.
- محمد بن عبد الرحمن التجيى /١/ ٤٢٠.
- محمد بن عبد الرحمن التلمسانى عرف بابن جلال /٢/ ١٦٧.
- محمد بن عبد الرحمن الجزولى /٢/ ٣٢.
- محمد بن عبد الرحمن الرعيى المعروف بالحطاب الكبير /٢/ ١٢٦.
- محمد بن عبد الرحمن الشاطيى /١/ ٤٨٥.
- محمد بن عبد الرحمن العبدى يعرف بابن عظيمة /١/ ٣٣٠.
- محمد بن عبد الرحمن بن عسكر /٢/ ٨.
- محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم الحسى الأزهري /٢/ ٣٦٦.
- محمد بن عبد الرحمن القطان /٢/ ١٦.
- محمد بن عبد الرحمن القيروانى عرف بالرماح /١/ ٥١٧.
- محمد بن عبد الرحمن المالقى المعروف بخليل /٢/ ٧.
- محمد بن عبد الرحيم الأنصارى ويعرف بابن الفريس /١/ ٣٦٧.
- محمد بن عبد الستار التونسى /١/ ٥١٥.
- محمد بن عبد السلام بنانى /٢/ ٣٢٥.
- محمد بن عبد السلام التونسى /١/ ٥١٥.
- محمد بن عبد السلام سحنون /١/ ١٥٣.
- محمد بن عبد السلام الناصرى /٢/ ٣٨٦.
- محمد بن عبد الصادق الدكالى /٢/ ٣٢٧.
- محمد بن عبد الصمد المهدوى /١/ ٣٠٨.
- محمد بن عبد العزيز التازغدرى /٢/ ٧٩.

- محمد بن عبد الله بن سليمان، ابن حوط الله / ١
٤١٦.
- محمد أبو عبد الله المعروف بالصغير داود / ٢
٢٦٤.
- محمد بن عبد الله بن عبد الحكم / ١
١٤٦.
- محمد بن عبد الله بن عبد العزيز المازوني يعرف
بحاق رأسه / ١
٤٩٣.
- محمد بن عبد الله بن عمر القرطبي يعرف بابن
الصفار / ١
٤٤٦.
- محمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلى / ١
٢٠٤.
- محمد بن عبد الله الغرناطي يعرف بابن الغاسل
/ ١
٣٧٠.
- محمد بن عبد الله القلشاني / ٢
٦٠.
- محمد بن عبد الله القيرواني / ١
٢٥٨.
- محمد بن عبد الله بن محمد السبتي / ١
٣٤٨.
- محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي
/ ١
٣٣١.
- محمد بن عبد الله المعافى أبو عبد الله القلعي
المعروف بابن الخراط / ١
٤٥٠.
- محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري / ١
٣٦٥.
- محمد بن عبد الله بن هرثة بن ذكوان / ١
٢٦٦.
- محمد بن عبد الله بن يحيى المعروف بابن أبي
عيسى / ١
٢٠٣.
- محمد بن عبد الله اليفري الشهير بالقاضي
المكناسي / ٢
١٣٩.
- محمد بن عبد الله بن يونس الصقلي / ١
٢٦٥.
- محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي / ١
٢٠٢.
- محمد بن عبد الملك بن أبي العلاء / ١
٣٩٠.
- محمد بن عبد الملك الغرناطي / ١
٤٤٢.
- محمد بن عبد الملك الغرناطي عرف بالمتتوري
/ ٢
٦٨.
- محمد بن عبد العزيز التونسي / ٢
٣٠٩.
- محمد بن عبد القادر الفاسي / ٢
٢٦٩.
- محمد بن عبد القادر الكتاني / ٢
٤٢٧.
- محمد بن عبد الكبير الشريف / ٢
٣٩٨.
- محمد بن عبد الكريم الجزائري / ٢
٢٦٥.
- محمد بن عبد الكريم الدميري / ٢
١٣٣.
- محمد بن عبد الكريم المغيلي / ٢
١٣٦.
- محمد بن عبد الكريم الهزمري / ١
٤٩٢.
- محمد بن عبد الله الأهرى أبو بكر / ١
٢١٢.
- محمد بن عبد الله الأهرى أبو جعفر ويعرف
بالأهرى الصغير وبابن الخصاص / ١
٢١١.
- محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمرو
/ ١
٢٥١.
- محمد بن عبد الله بن أحمد المعافى / ١
٤٢٨.
- محمد بن عبد الله الأنصاري يعرف بابن أبي
منصور / ١
١٩١.
- محمد بن عبد الله البرقي / ١
١٤٤.
- محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي
عرف بابن الآبار / ١
٤٧٨.
- محمد بن عبد الله ويعرف بابن تومرت / ١
٣٤٠.
- محمد بن عبد الله بن الجند الفهرى الإشبيلي / ١
٣٨٦.
- محمد بن عبد الله بن خليل القيسي الغرناطي / ١
٣٧٠.
- محمد بن عبد الله بن راشد القفصى / ١
٥١٠.
- محمد بن عبد الله بن أبي زمنين القرطبي / ١
٢٣٨.
- محمد بن عبد الله بن زيد المدني / ١
١٣٧.
- محمد بن عبد الله السبائي عرف بالجددي
القيرواني / ٢
١٦.
- محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين ابن
الخطيب / ٢
٢٦.

- محمد بن عبد المؤمن الحسنى الجزائرى ٢ / ٢٤١
 محمد بن عبيد الله بن الوليد المعيطى ١ / ٢٣٤
 محمد بن عتاب القرطبي ١ / ٢٨٨
 محمد المدعو العتيك بن محمد الشنجيطى ٢ / ٤٨٨
 محمد بن عثمان بن محمد السنوسى ٢ / ٤٦٢
 محمد بن عثمان النجار ٢ / ٤٧١
 محمد بن العربى ٢ / ٣٧١
 محمد العربى بن أحمد الفاسى، بردلة ٢ / ٢٧٨
 محمد العربى المازونى ٢ / ٤٥٨
 محمد العربى بن محمد المدغرى ٢ / ٤٨٨
 محمد بن على بن إسماعيل، ابن حرزهم ١ / ٤٥٢
 محمد بن على الأنصارى شهر بالخفار ٢ / ٦٦
 محمد بن على البهلولى ٢ / ١٨٩
 محمد بن على بوزفر عرف بالجدى ٢ / ٤١٦
 محمد بن على التوزرى المعروف بابن الشباط ١ / ٤٦٨
 محمد بن على بن حماد الصنهاجى ١ / ٤٥١
 محمد بن على الخروبي الطرابلسى ٢ / ١٦٤
 محمد بن على بن خضر الملقى ١ / ٤٤١
 محمد بن على بن داود المعروف بالصغير داود ٢ / ٢٦٤
 محمد بن على السنوسى ٢ / ٤٢٥
 محمد بن على بن أبى الشرف التلمسانى ٢ / ١٤٣
 محمد بن على الشريف الجعدى ٢ / ٢٨٨
 محمد بن على بن عبد الكريم الفاسى المعروف بالسكتانى ١ / ٣٩٨
 محمد بن على بن أبى العطاء المعروف بتقى الدين بن دقيق العيد ١ / ٤٦٢
 محمد بن على بن عمر التميمى أبو عبد الله المازرى المعروف بالإمام ١ / ٣١١
 محمد بن على الغرناطى عرف بابن الأزرق ٢ / ١٠٤
 محمد بن على الغرناطى عرف بابن علاق ٢ / ٦٦
 محمد بن على الفخار ٢ / ٢٣
 محمد بن على قويسم التونسى ٢ / ٢٥١
 محمد بن على بن محمد عرف بابن عمار المصرى ٢ / ٥٥
 محمد بن على بن محمد الفخار الجذامى الملقى ١ / ٥٢٢
 محمد بن على المساكينى ٢ / ٤٠٧
 محمد بن على المعافرى يعرف بابن الجوزى ١ / ٢٩٥
 محمد بن على بن نصر البغدادى ١ / ٢٤٩
 محمد بن على بن هذيل البنسى ١ / ٣٦١
 محمد بن على الموارى المعروف بالطالب ٢ / ١٦٤
 محمد بن عمر البجائى عرف بابن عمر ١ / ٥٣٧
 محمد بن عمر بن خيرون المعافرى ١ / ١٨٢
 محمد بن عمر السبتي يعرف بابن رشيد ١ / ٥٣٢
 محمد بن عمر القرطبي يعرف بابن القوطية ١ / ٢٣٣
 محمد بن عمر القلشاني ٢ / ٩٩
 محمد بن عمر بن لبابة القرطبي ١ / ١٩٧
 محمد بن عمر بن محمد البنسى ١ / ٣٢٨
 محمد بن عمر الموارى ٢ / ٨٢
 محمد بن عمر بن واجب ١ / ٣٨٢
 محمد بن عمران الفاسى ٢ / ٣٢٢
 محمد بن عمروس القرطبي ١ / ٢٤٠

- محمد بن عياض ١/ ٣٧٤.
 محمد بن عيسى الجزائري ٢/ ٤٥٥.
 محمد بن عيسى السبتي ١/ ٣٠١.
 محمد بن عيسى بن محمد يعرف بابن المناصف ١/ ٤٣٢.
 محمد بن أبي غالب المكناسي عرف بابن السكاك ٢/ ٧٦.
 محمد الغرياني ٢/ ١٧.
 محمد الفاسي ٢/ ٣٨٣.
 محمد بن الفتح المؤدب المعروف بابن الصواف ١/ ١٩٢.
 محمد بن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي ١/ ٣٠٧.
 محمد بن فرج مولى ابن الطلاع ١/ ٢٩٨.
 محمد بن قاسم، جسوس ٢/ ٣٣١.
 محمد بن قاسم الرصاع التونسي ٢/ ٩٩.
 محمد بن القاسم بن شعبان أبو إسحاق المصري المعروف بابن القرطبي ١/ ١٨١.
 محمد بن قاسم بن عبد الرحمن الفاسي ١/ ٤٤٨.
 محمد بن قاسم الفاسي، ابن زكور ٢/ ٢٧٢.
 محمد بن قاسم الفيلاي ٢/ ٣٧٥.
 محمد بن قاسم القرطبي البياني ١/ ٢٠١.
 محمد بن أبي القاسم المشدالي ٢/ ١٠٧.
 محمد بن قاسم المكناسي شهر بالقوري ٢/ ١٠٢.
 محمد بن قاسم بن منداس ١/ ٤٤٣.
 محمد بن قليل الهم التونسي ٢/ ١٨.
 محمد ماغوش التونسي ٢/ ١٣٥.
 محمد بن مبارك الوردغي ٢/ ٣٢٣.
 محمد بن محمد بن إبراهيم البليقي المعروف بابن الحاج ٢/ ٢٥.
 محمد بن محمد بن أحمد التلمساني الشهير بالمقري ٢/ ٣١.
 محمد بن محمد بن أحمد الخطيب بن مرزوق المعروف بالكفيف ٢/ ١١٨.
 محمد بن محمد بن أحمد الفيشي ٢/ ١٥٥.
 محمد بن محمد بن أحمد بن موسى السخاوي ٢/ ١٢٥.
 محمد بن محمد التاودي، ابن سودة ٢/ ٣٦٨.
 محمد بن محمد بن جزيء الغرناطي ١/ ٥٢٥.
 محمد بن محمد الشريشي الشهير بالخرزاز ١/ ٥٢٩.
 محمد بن محمد بن لب يعرف بابن الحاج ١/ ٣٧٢.
 محمد بن محمد الشهير بالوزير السراج الأندلسي ٢/ ٢٦٣.
 محمد بن محمد الأندلسي الشهير بالبيدي ٢/ ٢٩٥.
 محمد بن محمد الأنصاري المعروف بابن الجنان ١/ ٤٧٤.
 محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي ٢/ ٢٢٩.
 محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي الشاذلي ٢/ ٢٦٥.
 محمد بن محمد بن جهور المرسى ١/ ٤٣٦.
 محمد بن محمد الجياني يعرف باللوشي ١/ ٤٣٧.
 محمد بن محمد الحاجي العبدري ١/ ٥٣٤.
 محمد بن محمد الخطاطب ٢/ ١٢٦.
 محمد بن محمد الخرشى ٢/ ٢٤٥.
 محمد بن محمد الخضراوي ٢/ ٢٦١.
 محمد بن محمد بن داود الفاسي المعروف بابن آحروم ١/ ٥٣٤.
 محمد بن محمد الزوالى ٢/ ٢٥٧.
 محمد بن محمد بن سراج الغرناطي ٢/ ٦٨.

- محمد بن محمد بن محمد بن محمد الرعيبي المعروف
بالصفار ٢/ ٢٥٨.
- محمد بن محمد بن محمد بن محمد الغرناطي، ابن
عاصم ٢/ ٦٧.
- محمد بن محمد بن محمد بن يحيى ٢/ ٩٠.
- محمد بن محمد الشهير بالمسنوي ٢/ ٢٧٩.
- محمد بن محمد المشدالي أبو الفضل ٢/ ١٠٧.
- محمد بن محمد المشدالي شقيق أبي الفضل ٢/
١٠٨.
- محمد بن محمد المكتاسي ١/ ٥٤٤.
- محمد بن محمد ميارة المعروف بميارة الصغير ٢/
٢٨٤.
- محمد بن محمد التويري عرف بابن أبي القاسم
٢/ ٩٣.
- محمد بن محمد بن وشاح يعرف بابن اللباد ١/
١٩٠.
- محمد بن محمد وفا الإسكندري ٢/ ٩.
- محمد بن محمد ولي الدين السنباطي ٢/ ٩.
- محمد بن محمد بن يحيى عرف بابن المخلطة ٢/
٩٠.
- محمد بن محمد اليماني ٢/ ٣٩٩.
- محمد بن محمود الونكري عرف بغيرغ ٢/ ١٧٢.
- محمد بن أبي مدين التلمساني ٢/ ١٣٩.
- أبو محمد المرجاني التونسي ١/ ٤٧٣.
- محمد بن مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب ٢/
٤٠.
- محمد بن مسرور العسال ١/ ١٩٢.
- محمد بن مسعود ابن خلصة الغافقي ذو
الوزارتين ١/ ٣٢٧.
- محمد بن مسعود الفاروقي ٢/ ٣٥٧.
- محمد بن مسكين بن منظور الإفريقي ١/ ١٥٩.
- محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير المكي ١/
٩٤.
- محمد بن محمد السرقسطي ٢/ ١٠١.
- محمد بن محمد بن سعيد يعرف بابن زرقون ١/
٤٣٤.
- محمد بن محمد السلوي المعروف بابن المجراد ٢/
٣٧.
- محمد بن محمد بن سليمان الفاسي ٢/ ٢٤٠.
- محمد بن محمد بن صدام القيرواني ٢/ ٣١٥.
- محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي ٢/ ٦٧.
- محمد بن محمد بن عبد الجليل عرف بابن عظم
٢/ ١٥.
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن عرف بابن
القويح ١/ ٥١٢.
- محمد بن محمد بن عبد الله القرطبي، ابن أبي دليم
١/ ٢٣٥.
- محمد بن محمد بن عبد الله معن ٢/ ٢٢٣.
- محمد بن محمد بن عبد النور التونسي ١/ ٥٠٨.
- محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ٢/ ١٩.
- محمد بن محمد عزوز ٢/ ٣١٤.
- محمد بن محمد بن عطية الفاسي ٢/ ٢٢١.
- محمد بن محمد بن علي الشريف ٢/ ٤١٢.
- محمد بن محمد بن علي التويري ٢/ ٥٦.
- محمد بن محمد بن عمر بن محمد أقيت
الصنهاجي ٢/ ١٦٥.
- محمد بن محمد بن عمر بن واجب ١/ ٣٢٨.
- محمد بن محمد بن عيسى الزلديوي ٢/ ٩٧.
- محمد بن محمد الغزواني ٢/ ١٤٥.
- محمد بن محمد الفاسي الشهير بابن الحاج ١/
٥٣٦.
- محمد بن محمد القيرواني ٢/ ٢٥٧.
- محمد بن محمد اللخمي يعرف بالفلقني ١/
٣٥٦.
- محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل الغرناطي
شهر بالراعي ٢/ ٦٩.

- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ١ / ٩١.
 محمد بن المسلم بن محمد الصقلي المازري ١ / ٣٠٦.
 محمد بن مسلمة بن هشام ١ / ١١٧.
 محمد بن مكى بن مصطفى بن عزوز ٢ / ٤٧٤.
 محمد بن منصور قشور الجبالي ٢ / ١٨٥.
 محمد بن منظور القيسي الإشبيلي ١ / ٢٩١.
 محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي ١ / ٩٣.
 محمد بن مهدي الدرعي الحراري ٢ / ١٦٧.
 محمد المهدي بن محمد الوزاني ٢ / ٤٩٦.
 محمد بن موسى العبدوسي ٢ / ٣٧.
 محمد بن موسى الوجدنجي ٢ / ١٤٤.
 محمد بن موهب القرطبي المعروف بالقري ١ / ٢٦٦.
 محمد النخلي القيرواني ٢ / ٤٧٨.
 محمد بن أبي نصر بن فتوح المعروف بالحميدي ١ / ٢٩٧.
 محمد بن نظيف البزار الإفريقي ١ / ٢٢٠.
 محمد النيفر: محمد بن محمد الطيب ٢ / ٤٧٠.
 محمد بن هارون التونسي ١ / ٥١٨.
 محمد بن هبة الله الوجدنجي عرف بشقرون ٢ / ١٦٨.
 محمد بن وضاح القرطبي ١ / ١٦٦.
 محمد بن الوليد الطرطوشي المعروف بابن رندقة ١ / ٣٠٥.
 محمد بن يقي بن زرب القرطبي ١ / ٢٣٦.
 محمد بن يحيى بن أحمد الحذاء ١ / ٢٦٧.
 محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر ١ / ٥٣٩.
 محمد بن يحيى البرجي ٢ / ٤٤.
 محمد بن أبي يحيى الوقار ١ / ١٤٦.
 محمد بن يحيى بن عمر المعافري المعروف بابن الحجاب ١ / ٥١٤.
 محمد بن يحيى بن عمر القرطبي ١ / ١٩٨.
 محمد بن يحيى الفاسي ٢ / ٢٦٨.
 محمد بن يحيى القاضي المالقي يعرف بابن بكر ١ / ٥٢٥.
 محمد بن يحيى القرافي ٢ / ١٧٦.
 محمد بن يحيى بن المختار الولاتي ٢ / ٤٥٩.
 محمد بن يحيى بن هشام يعرف بابن البردعي ١ / ٤٤٧.
 محمد بن أبي العيش التلمساني ٢ / ١٣٧.
 محمد بن يوسف الحسني عرف بالسنوسي ٢ / ١١٦.
 محمد بن يوسف يعرف بابن زمرك ٢ / ٣٠.
 محمد بن يوسف بن سعادة ١ / ٣٦٤.
 محمد بن يوسف بن عبد الله يعرف بابن عياد البلسي ١ / ٤١٥.
 محمد بن يوسف بن علي حيان أثير الدين أبو حيان الغرناطي ١ / ٥٢٠.
 محمد بن يوسف الغرناطي الشهير بالمواق ٢ / ١٠٤.
 محمد بن يوسف بن الفخار القرطبي يعرف بابن بشكوال ١ / ٢٦٨.
 محمد بن يوسف القاضي أبو عمر ١ / ١٧٤.
 محمد بن يوسف المزدغي ١ / ٤٨٨.
 محمد بن يوسف بن ميمون الأزدي ١ / ٤٢٥.
 محمود أبو الثناء ٣ / ٥.
 محمود محسن بن أحمد الشريف الأكبر ٢ / ٤٠٩.
 محمود بن عمر التنبكتي ٢ / ١٤٧.
 محمود بن محمد ٣ / ٦.
 محمود بن محمود ٣ / ٧.
 ابن المخلطة: أحمد بن محمد الإسكندري ٢ / ٩.

- ابن المخلطة: محمد بن محمد بن يحيى ٢ / ٩٠.
- مخلوف بن علي البلبالي ٢ / ١٤٦.
- المدغرى: محمد بن عبد الرحمن الفيلاي ٢ / ٤٤٠.
- المدغرى: محمد العربي ٢ / ٤٨٨.
- المدنى ابن جلون: محمد بن أبي علي، أبي عبد الله ٢ / ٤٣٩.
- ابن المدنى جئون: محمد بن المدنى جنون أبو عبد الله ٢ / ٤٨٤.
- المدنى: محمد بن حسن بن حمزة ظافر ٢ / ٣٩٣.
- مديدش: علي بن عبد السلام التسولى ٢ / ٤٢٠.
- أبو مدين: شعيب البجائي ١ / ٣٩٦.
- مدينة: محمد بن عبد الهادى ٢ / ٣٧٤.
- ابن المدينى: علي بن عبد الله ١ / ١٣٧.
- ابن المرباط: محمد بن خلف ١ / ٢٩٥.
- ابن المرأة: إبراهيم بن يوسف بن دهاق ١ / ٤٢١.
- ابن المرحل: علي بن محمد ٢ / ١٧٥.
- ابن المرحل: مالك بن عبد الرحمن ١ / ٤٩٦.
- ابن مرزوق الكفيف: أحمد بن محمد ٢ / ١٤٠.
- ابن مرزوق: محمد بن أحمد الخطيب ٢ / ٧٩.
- المركنى: عبد العزيز المغراوى ٢ / ١٩٤.
- المرنيسى: أحمد بن محمد ٢ / ٤٣١.
- مروان بن علي القرطبي يعرف باليونى ١ / ٢٧٤.
- المروانى: عبد الملك بن مروان ١ / ٢١١.
- المروزى: عبد الله بن المبارك ١ / ١٢١.
- ابن مريم: محمد بن أحمد المديونى ٢ / ١٩٤.
- المربى: محمد بن علي ٢ / ١٩٥.
- المزاح: إبراهيم بن أحمد التونسى ٢ / ٣١٣.
- ابن المزين: أحمد بن عمر القرطبي ١ / ٤٧٥.
- المسارى: محمد بن أحمد بن يحيى ٢ / ١٦٩.
- مساعد بن أحمد يعرف بازعوقة ١ / ٣٤٢.
- المساكنى: علي بن خليفة ٢ / ٣١٢.
- المساكنى: محمد بن علي ٢ / ٤٠٧.
- المساكنى: محمد القزاح ٢ / ٤٦٤.
- المساكنى: أحمد بن الصغير ٢ / ٣٥٧.
- المسراتى: أبو الفضل التونسى ٢ / ٢١٧.
- المسراتى: أبو القاسم بن جمال الدين القيروانى ٢ / ٢١٧.
- مسرة بن مسلم القيروانى ١ / ٢٢٨.
- أبو مسعود بن أشرس التونسى ١ / ١٣٠.
- ابن مسعود: عبد الله ١ / ٣٦.
- مسعود بن محمد جموع ٢ / ٢٦٥.
- ابن المسفر: محمد بن يحيى البجائي ١ / ٥٣٩.
- المسناوى: عبد الله بن محمد الدلائى ٢ / ٢٣٥.
- المسناوى: محمد بن أحمد الدلائى ٢ / ٢٧٩.
- المسوقى: العاقب بن عبد الله ٢ / ١٤٧.
- ابن المسيب: سعيد ١ / ٣٧.
- المشدالى: عمران بن موسى ١ / ٥٤٠.
- المشدالى: محمد بن أبي القاسم ٢ / ١٠٧.
- المشدالى: محمد بن محمد أبو الفضل ٢ / ١٠٧.
- المشدالى: محمد بن محمد أخو أبي الفضل ٢ / ١٠٨.
- المشدالى: منصور بن أحمد ١ / ٥٣٥.
- المصرى: أحمد بن علوان التونسى أبو العباس ٢ / ١٧.
- المصرى التونسى: محمد بن أحمد بن محمد بن علوان أبو عبد الله ٢ / ٥٨.
- أبو مصعب الزهرى: أحمد بن القاسم ١ / ١٢.
- مصعب بن محمد أبو ذر الخثنى الجليانى يعرف بابن أبي ركب ١ / ٣١٦.
- أبو مصعب: مطرف بن عبد الله ١ / ١١٩.
- مصطفى بن عبد الله الدلاصى ٢ / ٢٨١.

- ابن مضاء: أحمد بن عبد الرحمن ١ / ٣٨٩.
 ابن مطر الأعرج: إسحاق بن يحيى ١ / ٤٩٤.
 مطرف بن عبد الله ١ / ١١٩.
 المطغرى: على بن موسى عرف بابن هارون ٢ / ١٤٨.
 المطماطى: إبراهيم بن خلف ١ / ٥٣٥.
 معاوية الصمادحى ١ / ١٥٠.
 ابن المعذل: أحمد بن المعذل ١ / ١٣٨.
 ابن المعذل: عبد الله ١ / ٣٠٠.
 معن بن عيسى ١ / ١١٦.
 المغامى: يوسف بن يحيى القرطى ١ / ١٦٧.
 المغراوى: عبد العزيز المركنى ٢ / ١٩٤.
 ابن المغربى: محمد بن أحمد ٢ / ١٧٨.
 المغيرة بن عبد الرحمن ١ / ١١٦.
 المغيلى: عيسى بن مخلوف ١ / ٥٤٠.
 المغيلى: محمد بن أحمد عرف بالجلاب ٢ / ١١٢.
 المغيلى: محمد بن عبد الكريم ٢ / ١٣٦.
 المغيلى: يحيى بن موسى المازونى ٢ / ١١٣.
 مفوز بن طاهر الشاطبى ١ / ٣٦١.
 المقرى: أحمد بن محمد ٢ / ٢٠٣.
 المقرى: سعيد بن محمد التلمسانى ٢ / ١٩١.
 المقرى: محمد بن محمد التلمسانى ٢ / ٣١.
 مقديش: محمد أبو الثناء ٢ / ٣٥٥.
 مقديش: محمد بن محمود السفاقسى ٢ / ٣٩٧.
 المكتاسى: أحمد بن عبد العزيز اليفرى ٢ / ٥٣٦.
 المكئى: أحمد بن محمد ٢ / ٢٥٥.
 المكودى: أحمد ٢ / ٣١٠.
 المكودى: عبد الرحمن ٢ / ٧٢.
 ابن المكوى: أحمد بن عبد الملك ١ / ٢٤٠.
 مكى بن أبى طالب القيروانى ١ / ٢٥٨.
 مكى بن عبد الرحمن المنستيرى ١ / ٢٢٩.
 المكى: عبد الله بن كثير ١ / ٣٢.
 مكى بن عوف ١ / ٤٠٣.
 ابن ملحوم: عبد الرحيم الفاسى ١ / ٣٩٩.
 ابن الملحوم: عيسى بن يوسف الفاسى ١ / ٣٤٨.
 ابن ملوكة: محمد بن صالح ٢ / ٤٠٥.
 المليانى: أحمد بن عثمان ١ / ٤٦٤.
 المليانى: يحيى بن محمد الجزائرى ٢ / ٢١٤.
 الممسى: عباس بن عيسى ١ / ١٨٨.
 المنارى: أحمد السيد بن محمد ٢ / ٣١٤.
 ابن المناصف الحسن بن عيسى ١ / ٣٧٨.
 ابن المناصف: محمد بن عيسى ١ / ٤٣٢.
 النناعى: محمد بن سليمان ٢ / ٣٦٣.
 منة الله: أحمد بن أحمد الأزهرى ٢ / ٣٥٩.
 ابن المنتاب: عبد الله بن الفضل ١ / ١٧٣.
 المنتهى: حسن بن رضوان ٢ / ٤٤٦.
 المنتورى: محمد بن عبد الملك الغرناطى ٢ / ٦٨.
 المنجرة: إدريس بن محمد ٢ / ٢٨١.
 المنجرة: عبد الرحمن بن إدريس ٢ / ٣٢٩.
 المنجور: أحمد بن على الفاسى ٢ / ٢٧١.
 ابن منداس: محمد بن قاسم ١ / ٤٤٣.
 ابن منديل: الحسن المغيلى ٢ / ١٠٨.
 منذر بن سعيد البلوطى ١ / ٢٠٨.
 المنزلى: أحمد بن محمد ٢ / ٣٥٥.
 المنستيرى: أحمد التونسى ٢ / ٦٥.
 المنستيرى: أحمد بن محمد ٢ / ٩٦.
 المنستيرى: محمد بن أبى زيد ٢ / ٦٥.
 المنستيرى: محمد مزالى ٢ / ٣٥٨.
 المنستيرى: محمد سعادة ٢ / ٣١١.
 المنستيرى: مكى بن عبد الرحمن ١ / ٢٢٩.
 منصور بن على الزواوى ٢ / ٣٥.
 ابن أبى المنصور: محمد بن عبد الله ١ / ١٩١.

- ابن المنكدر: محمد بن المنكدر ١/ ٩٣.
 المنكلاطي: عيسى بن مسعود ١/ ٥٣٨.
 المنوفي: عبد الباقي المعروف بالإسحاقى ٢/ ٢١١.
 ابن المنير: أحمد بن منصور الإسكندري ١/ ٤٦٠.
 ابن المنير: عبد الواحد بن محمد ١/ ٥٠٤.
 ابن أبي المهاجر: عيسى بن محمد ١/ ١٥٠.
 المهدي: إبراهيم بن عبد الصمد ١/ ٣٠٩.
 المهدي: حسان البربري ١/ ٣٠٩.
 المهدي: زكريا بن الحداد ١/ ٣٥٤.
 المهدي: عبد الله بن عبد الحق ١/ ٣٥٥.
 المهدي: علي بن محمد المعروف بالحداد ١/ ٢٨٥.
 المهدي: محمد بن عبد الصمد ١/ ٣٠٨.
 المهدي: يحيى البرقي ١/ ٤١٣.
 ابن مهدي: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ١/ ١٢٢.
 المهلب بن أحمد بن أبي صفرة ١/ ٢٧٣.
 ابن المواز: محمد بن سعيد القرطبي ١/ ١٦٧.
 المواقي: محمد بن يوسف الغرناطي ٢/ ١٠٤.
 ابن موجوال: عبد الله بن أحمد البلنسي ١/ ٣٦٢.
 المؤخر: علي السفاقي: ٢/ ٣٠٨.
 موسى بن خلف الوشقي ١/ ٢٧٦.
 موسى بن سعادة المرسى ١/ ٣٦٣.
 موسى بن عبد الرحمن المعروف بالقطان ١/ ١٨٣.
 موسى بن عبد الرحمن أبو هارون ١/ ١٤٢.
 موسى بن عيسى الغفجومي ١/ ٢٥٥.
 موسى بن محمد الغرناطي يعرف بابن سعيد ١/ ٤٤٢.
 موسى بن محمد بن معطى المعروف بالعبدوسي ٢/ ٣٧٣.
 موسى بن محمد بن موسى بن ناصر الدرعي ٢/ ١٤٩.
 ميارة: محمد بن أحمد أبو عبد الله ٢/ ٢٢٥.
 ميارة الصغير: محمد بن محمد بن أحمد ميارة ٢/ ٢٨٤.
 المير السلاوي: محمد بن الطاهر ٢/ ٣٧٤.
 حرف النون
 ابن ناصر الدرعي: محمد بن محمد ٢/ ٢٣٣.
 ناصر الدين اللقاني: محمد بن حسن ٢/ ١٣٠.
 الناصر عظم: محمد بن محمد القيرواني ٢/ ٣١٤.
 نافع بن عبد الرحمن أبو روم ١/ ٣٤.
 نافع مولى عبد الله بن عمر ١/ ٩٤.
 النابلي: أحمد بن محمد بن جابر ٢/ ٢٧٥.
 النابلي: محمد بن علي المعروف بالصغير داود ٢/ ٢٦٤.
 النابلي: يحيى بن محمد الجزائري ٢/ ٢٤١.
 النابلي: سالم بن عمر بوحاجب أبو النخاعة ٢/ ٤٧٨.
 ابن أبي النجود: عاصم الأسدي ١/ ٣٣.
 ابن النحاس: أحمد بن خلف بن عيشون ١/ ٣٢٤.
 أبو النخبة: مصطفى بن محمد بن عزوز ٢/ ٤٠٨.
 نصر الرومي ١/ ١٤٩.
 النعالي: محمد بن سليمان المصري ١/ ٢١٨.
 ابن النعمة: علي بن محمد البلنسي ١/ ٣٦٦.
 نعيم بن عبد الله الجمر ١/ ٩٣.

- هبة الله بن محمد بن أبي عقبة التميمي / ١
٢٢٣.
الهددة: حسن بن عبد الرزاق السوسي / ٢
٣٢٠.
الهددة: حسن بن محمد السوسي.
أبو هريرة / ١ / ٨٣.
الهمزيري: محمد بن عبد الكريم / ١ / ٤٩٢.
المسكوري: صالح بن محمد الفاسي / ١ / ٤٥٢.
هشام بن أحمد أبو الوليد الغرناطي / ١ / ٣٢٢.
المشتوكي: أحمد بن علي السوسي / ٢ / ٢٠٥.
المتناني: أحمد بن محمد شهر بالشماخ / ٢ / ٦٠.
ابن الهندي: أحمد بن سعيد الحمداي / ١ / ٢٤٠.
الحواري: حسن بن أحمد الرفاعي / ٢ / ٤٥٣.
ابن أبي النعيم: أبو القاسم بن محمد الفاسي
قاضي الجماعة / ٢ / ٢٠٠.
أبو نعيم: وهب بن كيسان / ١ / ٩٥.
النفاتي: أبو الحسن بن قاضي الجماعة بتونس
/ ٢ / ٢١٦.
النفراوي: أحمد بن غنيم / ٢ / ٢٤٧.
النفراوي: سالم بن محمد / ٢ / ٢٩٣.
النفراوي: محمد بن إسماعيل / ٢ / ٢٩٩.
ابن النفزي: علي بن محمد الغرناطي / ١ / ٢٥٦.
نفيس الغرابلي السوسي / ١ / ١٨٣.
النمري: يوسف بن عبد الله أبو عمر، ابن عبد
البر / ١ / ٢٨٩.
ابن النحوي: يوسف بن محمد التوزري / ١
٣٠٨.

حرف الواو

- ابن واجب: أحمد بن محمد بن عمر / ١ / ٤٢٤.
ابن واجب: محمد بن عمر / ١ / ٣٨٢.
ابن واجب: محمد بن عمر بن محمد / ١ / ٣٢٨.
الوارثي: أحمد بن عبد الرحمن المصري الصديقي
/ ٢ / ١٨٤.
الوانوشي: محمد بن أحمد التونسي / ٢ / ٥٨.
الوجدنجي: محمد بن موسى التلمساني / ٢
١٤٤.

حرف الهاء

- الهاروشي: عبد الله بن محمد الخياط / ٢ / ٣٢٧.
هارون الحميري التونسي / ١ / ٥٠٨.
هارون بن عبد الله الزهري / ١ / ١١٩.
ابن هارون: علي بن موسى المطغري / ٢ / ١٤٨.
الهاروني: يوسف بن حسن التتائي / ٢ / ١٣٣.
المبطل: عبد الله / ٢ / ١٦٤.
المبطل: محمد بن أبي جمعة / ٢ / ١٤٤.
هبة الله بن الحسين أبو المكارم المصري / ١
٤٠٦.

- الوزيان: أحمد بن عبد الله ٢ / ٣٣٠.
الوزيان: الطيب بن عبد الله ٢ / ٣٣٠.
الوزيان: محمد بن عبد الله الشريف الحسني ٢ / ٢٧٣.
الوزير السراج: محمد بن محمد الأندلسي ٢ / ٢٦٣.
الوزير الفسائي: أحمد بن عبد الوهاب الفاسي ٢ / ٢٨٥.
الوشتاني: محمد بن خلقة المعروف بالأبي ٢ / ٥٩.
الوشقي: موسى بن خلف ١ / ٢٧٦.
الوغيبي: عبد الرحمن بن أحمد ٢ / ٤٣.
ابن وفا: عبد الخالق ٢ / ٢٩٢.
ابن وفا: يوسف بن عبد الرزاق ٢ / ٢١١.
الوقار: محمد بن أبي يحيى ١ / ١٤٦.
الوقار: أبو يحيى زكريا ١ / ١٤٧.
الولالي: أحمد بن محمد ٢ / ٢٧٥.
الوليد بن بكر الغمري ١ / ٢١٥.
الوليد بن مسلم ١ / ١٢٢.
الونشريسي: أحمد بن يحيى التلمساني ٢ / ١٣٨.
الونشريسي: الحسن بن عثمان ٢ / ٤٤.
الونشريسي: الحسن بن عطية ٢ / ٤٣.
الونشريسي: عبد الوهاب بن أحمد ٢ / ١٦٠.
الونكري: محمد بن محمود ٢ / ١٧٢.
ابن وهب: عبد الله بن وهب ١ / ١٢٣.
وهب بن كيسان ١ / ٩٥.
وهب بن مسرة ١ / ٢٠٥.
- الوزيان: إسحاق بن يحيى الأعرج ١ / ٤٩٤.
الوزان، القسمطيني: عمر بن محمد الكماد ٢ / ١٦٢.
الوزان: أحمد بن عبد الله ٢ / ٣٣٠.
الوزان: الطيب بن عبد الله ٢ / ٣٣٠.
الوزان: محمد بن عبد الله الشريف الحسني ٢ / ٢٧٣.
الوزير السراج: محمد بن محمد الأندلسي ٢ / ٢٦٣.
الوزير الفسائي: أحمد بن عبد الوهاب الفاسي ٢ / ٢٨٥.
الوشتاني: محمد بن خلقة المعروف بالأبي ٢ / ٥٩.
الوشقي: موسى بن خلف ١ / ٢٧٦.
الوغيبي: عبد الرحمن بن أحمد ٢ / ٤٣.
ابن وفا: عبد الخالق ٢ / ٢٩٢.
ابن وفا: يوسف بن عبد الرزاق ٢ / ٢١١.
الوقار: محمد بن أبي يحيى ١ / ١٤٦.
الوقار: أبو يحيى زكريا ١ / ١٤٧.
الولالي: أحمد بن محمد ٢ / ٢٧٥.
الوليد بن بكر الغمري ١ / ٢١٥.
الوليد بن مسلم ١ / ١٢٢.
الونشريسي: أحمد بن يحيى التلمساني ٢ / ١٣٨.
الونشريسي: الحسن بن عثمان ٢ / ٤٤.
الونشريسي: الحسن بن عطية ٢ / ٤٣.
الونشريسي: عبد الوهاب بن أحمد ٢ / ١٦٠.
الونكري: محمد بن محمود ٢ / ١٧٢.
ابن وهب: عبد الله بن وهب ١ / ١٢٣.
وهب بن كيسان ١ / ٩٥.
وهب بن مسرة ١ / ٢٠٥.
- اليازغي: عبد الكريم بن علي ٢ / ٣٣٨.
ابن اليتيم: محمد بن أحمد ١ / ٤٣٢.
اليحصي: عبد الله بن عامر ١ / ٣٢.
يحيى بن إبراهيم الدمي ٢ / ١٢٨.
ابن أبي يحيى: إبراهيم بن عبد الرحمن التازي ١ / ٥٤١.
يحيى بن أحمد القسطنطيني، عُرف بالعلمي ٢ / ١١٤.
يحيى بن إسحاق الليثي ١ / ١٦٩.
يحيى بن خلدون ٢ / ٢٢.
يحيى بن خلف ١ / ٣٣٠.
يحيى بن زكريا بن محجوبة ١ / ٤٩٢.
يحيى بن زكريا بن مزين ١ / ١٦٤.
أبو يحيى زكريا الوقار ١ / ١٤٧.
يحيى بن أبي العباس المعروف بالسراج ٢ / ٧٢.
أبو يحيى: عبد الرحمن بن محمد الشريف التلمساني ٢ / ٧٧.
يحيى بن عبد الله بن يحيى أبو عبد الله ١ / ١٦٩.
يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي أبو عيسى ١ / ٢٣٤.
أبو يحيى بن عقية القفصي ٢ / ٦٥.
يحيى بن عمر القرائي ٢ / ١٣٣.
يحيى بن عمر بن يوسف القيرواني ١ / ١٥٩.
يحيى بن عون ١ / ١٦٢.
أبو يحيى بن قاسم الرصاع ٢ / ١٨٧.
يحيى بن أبي القاسم الهواري ١ / ٥٠٦.
يحيى بن محمد القيرواني ١ / ٣٥٥.
يحيى بن محمد بن محمد الخطاب ٢ / ١٥٣.
يحيى بن محمد الملياني الجزائري ٢ / ٢٤١.
يحيى المهدي ١ / ٤١٣.
يحيى بن موسى المغيلي ٢ / ١١٣.
يحيى بن يحيى المعروف بالزوتوي ١ / ٤٥٠.
يحيى بن يحيى النيسابوري ١ / ١٢٢.
- حرف الياء
اليابري: عبد الله بن طلحة ١ / ٣١٧.

- يحيى بن يحيى بن كثير القرطبي ١/ ١٣٣.
 اليدري: يعقوب بن يحيى ٢/ ١٧١.
 اليزناسي: إبراهيم بن عبد الله ١/ ٥٣٧.
 اليزناسي: إبراهيم بن محمد ٢/ ٤٦.
 اليزناسي: عبد الرحيم بن محمد ١/ ٤٥٠.
 اليزليتي: أحمد بن عبد الرحمن عرف بحلولو ٢/ ٩٧.
 اليزليتي: عبد القادر الشاذلي ٢/ ٣٩٦.
 اليزليتي: عمران بن بركة ١٢/ ٤٤٧.
 يسكر بن موسى الجراوى ١/ ٣٩٩.
 اليسيتي: محمد بن أحمد ٢/ ١٦١.
 أيو يعزى: يلنور بن سليمان ١/ ٣٩٥.
 يعقوب بن إسماعيل بن حماد أبو يوسف القاضي ١/ ١٣٨.
 يعقوب بن ثابت القيرواني ١/ ٤١٠.
 يعقوب بن شية السدوسي ١/ ١٣٩.
 يعقوب بن أبي القاسم الزعبي ٢/ ٥٩.
 ابن يعقوب المكي: تاج الدين بن أحمد ٢/ ٢١٢.
 يعقوب بن يحيى اليدري ٢/ ١٧١.
 يعيش بن الرغاي الشاوى ٢/ ٣٢١.
 يعيش بن على بن يعيش بن القلمم الإشبيلي ١/ ٤٣٥.
 اليفري: على بن عبد الرحمن الشهير بالطنجي ١/ ٥٣٦.
 اليفري: محمد الصغير بن محمد ٢/ ٢٨٣.
 اليفري: محمد بن عبد الله المكناسي ٢/ ١٣٩.
 يلنور بن سليمان أبو يعزى ١/ ٣٩٥.
 يوسف بن إبراهيم العبدري ويعرف بالثغرى ١/ ٣٧٧.
 يوسف التثائي يعرف بالهاروني ٢/ ١٣٣.
 يوسف بن خالد البساطي ٢/ ٥٢.
 يوسف بن ذى النون الباجي ٢/ ٣٩٨.
 يوسف بن زكريا المغربي ٢/ ١٧٩.
 يوسف بن عبد الله يعرف بابن عياد ١/ ٣٧٤.
 يوسف بن عبد الله بن محمد أبو عمر، ابن عبد البر النمرى ١/ ٢٨٩.
 يوسف بن على المهدوى ١/ ٤٧١.
 يوسف بن عمر الأنفاسي ٢/ ٣٣.
 أبو يوسف القاضي: يعقوب بن إسماعيل بن حماد البصري ١/ ١٣٨.
 يوسف القيسي ٢/ ٢١١.
 يوسف بن محمد التوزي المعروف بابن النحوى ١/ ٣٠٨.
 يوسف بن محمد بن ناصر الدرعى ٢/ ٣٣٧.
 يوسف بن نصر ١/ ١٨٨.
 يوسف بن ياسين ١/ ٤٧٧.
 يوسف بن يحيى التادلى عرف بابن الزيات ١/ ٤٥١.
 يوسف بن يحيى المغامى ١/ ١٦٧.
 يوسف بن يعقوب بن حماد ١/ ١٤١.
 اليوسى: الحسن بن مسعود ٢/ ٢٦٨.
 يونس بن على المهدوى ١/ ٤٧١.
 يونس بن محمد بن مغيث أبو الحسن ١/ ٤٢٥.
 يونس بن محمد بن مغيث أبو الوليد القرطبي يعرف بابن الصفار ١/ ٢٧١.
 يونس بن محمد الورداني ١/ ١٦٢.

فهرس مصادر ومراجع التحقيق

- ١ - إتحاف المطالع لابن سودة في موسوعة أعلام المغرب دار الغرب الإسلامي ١٩٩٦م.
- ٢ - إتحاف الوري بأخبار أم القرى لابن فهد، طبعة جامعة أم القرى بمكة.
- ٣ - الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب طبعة الخانجي القاهرة ٢٠٠١م.
- ٤ - إرشاد الأريب لياقوت، مطبعة هندية، القاهرة ١٩٢٣م.
- ٥ - أزهار الرياض للمقرئ، الرباط ١٩٧٨م.
- ٦ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٩٧م.
- ٧ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، دار النهضة مصر - الفجالة القاهرة.
- ٨ - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، القاهرة ١٩٧٠م.
- ٩ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، دار نخضة مصر الفجالة القاهرة ١٩٧٠م.
- ١٠ - الأعلام للزركلي، بيروت ١٩٦٩م.
- ١١ - الإعلام بمن غير لعبد الله الفاسي في موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٦م.
- ١٢ - أعلام مالقة لابن عسكر وابن خميس، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٩م.
- ١٣ - أعيان العصر وأعيان النصر للصفدي، دار الفكر بيروت ١٩٩٨م.
- ١٤ - الإكمال في رفع الارتباب لابن ماکولا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- ١٥ - النقاط الدرر للقادري، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢م.
- ١٦ - إنباء الغمر لابن حجر، حيدر آباد ١٩٦٨م، وطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٨م.
- ١٧ - إنباء الرواة للقفطي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ - فما بعدها.
- ١٨ - الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر، حلب ١٩٩٧م.
- ١٩ - الأنساب للسمعاني، بيروت ١٩٨٠م.
- ٢٠ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، استانبول ١٣٦٤هـ.
- ٢١ - بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس، مطبعة عيسى الحلبي، القاهر ١٩٧٥م.
- ٢٢ - البداية والنهاية لابن كثير مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥١هـ.
- ٢٣ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٤٨هـ.
- ٢٤ - برنامج الوادي آشي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٠م.
- ٢٥ - بغية الملتبس للضبي، طبعة مدريد ١٨٨٤م.
- ٢٦ - بغية الوعاة للسيوطي، طبعة الخانجي، القاهرة ٢٠٠٤م.
- ٢٧ - البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي، دمشق ١٩٧٢م.

- ٢٨- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى، دار الثقافة بيروت ١٩٩٨م.
- ٢٩- تاج العروس من شرح جواهر القاموس للزبيدي، القاهرة ١٣٠٦هـ.
- ٣٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير للذهبي، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٧م.
- ٣١- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، القاهرة ١٩٣١م.
- ٣٢- تاريخ الرسل والملوك للطبري دار المعارف بمصر ١٩٦٠.
- ٣٣- تاريخ علماء الأندلس لابن الفرسي، القاهرة ١٩٦٦م.
- ٣٤- تاريخ فنون الحديث النبوي لمحمد عبد العزيز الخولي، دار ابن كثير دمشق ١٩٨٨م.
- ٣٥- تاريخ ابن قاضي شهبة، دمشق ١٩٩٤م.
- ٣٦- تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا) بيروت.
- ٣٧- تبصير المنتبه لابن حجر، القاهرة ١٩٦٤م.
- ٣٨- تبين كذب المفترى لابن عساكر، دمشق ١٣٤٧هـ.
- ٣٩- تيمة المختصر لابن الوردي، بيروت ١٩٧٠م.
- ٤٠- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي، القاهرة ١٩٧٩م.
- ٤١- التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة للحسيني، طبعة الخانجي القاهرة ١٩٩٧م.
- ٤٢- تذكرة الحفاظ للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٤هـ.
- ٤٣- تذكرة المحسنين لعبد الكبير الفاسي في موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٦م.
- ٤٤- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك للقاضي عياض، المملكة المغربية ١٩٨١م.
- ٤٥- التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات، طبعة الرباط ١٩٨٤م.
- ٤٦- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، القاهرة ١٩٧٩، وطبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٦م.
- ٤٧- تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢م.
- ٤٨- تقريب التهذيب لابن حجر، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م.
- ٤٩- تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني، عالم الكتب بيروت ١٩٨٦م.
- ٥٠- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٦م، وطبعة دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.
- ٥١- التكملة لوفيات النقلة للمنزدي، بيروت ١٩٨١م.
- ٥٢- تهذيب الأسماء واللغات للنووي، القاهرة.
- ٥٣- تهذيب التهذيب لابن حجر، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م.
- ٥٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزني، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠م.
- ٥٥- توشيح الديباج وحلية الابتهاج للقراقي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م.
- ٥٦- توضيح المشتبه لابن ناصر الدين، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٣م.

- ٥٧- الجامع الصغير للسيوطي، طبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٥٤م.
- ٥٨- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فأس للمكناسي، الرباط ١٩٧٣م.
- ٥٩- جذوة المقتبس للحميدي، مطبعة السعادة ١٣٧١هـ، وطبعة الإيباري، القاهرة ١٩٨٩م.
- ٦٠- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، حيدر آباد - بالهند ١٣٧٢هـ.
- ٦١- جمهرة أنساب العرب لابن حزم - دار المعارف بمصر ١٩٧١م.
- ٦٢- جمهرة تراجم فقهاء المالكية من كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض، الإدارات العربية ٢٠٠٢م.
- ٦٣- الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي، حجر بالقاهرة ١٩٩٣م.
- ٦٤- حسن المحاضرة للسيوطي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٦٧، وطبعة دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م.
- ٦٥- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية لشكيب أرسلان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ٦٦- حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر للبيطار، دار صادر بيروت ١٩٩٣م.
- ٦٧- الخطط التوفيقية لمصر القاهرة لعلي باشا مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.
- ٦٨- خطط المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ.
- ٦٩- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمجدي، دار صادر بيروت.
- ٧٠- خلاصة تاريخ العرب لسيدوي، بيروت ١٤٠٠هـ.
- ٧١- الدارس في أخبار المدارس للنعيمي، مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٨م.
- ٧٢- الدرر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لابن فهد، مكة المكرمة ٢٠٠٠م.
- ٧٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م.
- ٧٤- درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي المكناسي، طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة ١٩٧٢م.
- ٧٥- الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة (جزيرة صقلية) لابن القطاع، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٥م.
- ٧٦- دوحة الناشر محمد بن عسكر في موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٦م.
- ٧٧- دول الإسلام للذهبي، طبعة حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٦٤هـ، وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.
- ٧٨- الديباج المذهب لابن فرحون، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢م.
- ٧٩- ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني، دار إحياء التراث العربي، وبيروت.
- ٨٠- ذيل الدرر الكامنة لابن حجر، القاهرة ١٩٩٢م.

- ٨١- ذيل رفع الإصرر للسخاوى الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
- ٨٢- الذيل على الروضتين لأبى شامة، القاهرة ١٣٦٦هـ.
- ٨٣- ذيل طبقات الحفاظ للسيوطى، دار التراث العربى، بيروت.
- ٨٤- ذيل طبقات الخنابلة لابن رجب، القاهرة ١٩٥٢م.
- ٨٥- الذيل التام على دول الإسلام للسخاوى، الكويت ١٩٩٢م.
- ٨٦- الذيل على العبر للعراقى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.
- ٨٧- الذيل والتكملة لكتايب الموصول والصلة للمراكشى، دار الثقافة بيروت.
- ٨٨- ذيل العبر، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٠م.
- ٨٩- رحلة العبدى، الرباط ١٩٦٨م.
- ٩٠- رحلة العياشى، طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٩٦م.
- ٩١- رحلة القلصادى، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٨م.
- ٩٢- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للكتانى، دمشق ١٣٨٣هـ.
- ٩٣- رفع الإصرر عن قضاة مصر لابن حجر، طبعة الخانجى، القاهرة ١٩٩٨م.
- ٩٤- الروض المعطار للحميرى، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م.
- ٩٥- رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية لأبى بكر المالكى، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٤م.
- ٩٦- سراج الملوك للطرطوشى، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة.
- ٩٧- سل النضال لابن سودة فى موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٦م.
- ٩٨- سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر للمرادى، دار الكتاب الإسلامى القاهرة.
- ٩٩- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى، لجنة التأليف ودار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤١، فما بعدها.
- ١٠٠- سير أعلام النبلاء للذهبى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١م.
- ١٠١- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد، القاهرة ١٣٥٠هـ.
- ١٠٢- شرف الطالب فى أسنى المطالب لابن قفند فى موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٦.
- ١٠٣- صحيح مسلم بن الحجاج - عيسى الحلى القاهرة بدون تاريخ.
- ١٠٤- صفة جزيرة الأندلس للحميرى، القاهرة ١٩٣٧م.
- ١٠٥- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال، القاهرة ١٩٦٦، وطبعة الإبيارى القاهرة ١٩٨٩م.
- ١٠٦- صلة التكملة لوفيات النقلة للحسينى، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٥م.
- ١٠٧- صلة الصلة لابن الزبير، الرباط ١٩٣٧م، ومطبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ١٩٩٣م.
- ١٠٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى، نشر مكتبة القدسى ١٣٥٣هـ.

- ١٠٩- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد للأدفي، الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦م.
- ١١٠- طبقات الحفاظ للسيوطي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م.
- ١١١- طبقات الشاذلية لحسن كوهن دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١م.
- ١١٢- طبقات الشافعية للإسنوي، بغداد ١٣٩١م.
- ١١٣- طبقات الشافعية للسبكي، القاهرة ١٩٦٤م.
- ١١٤- طبقات الفقهاء للشيرازي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٧م.
- ١١٥- طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح، دار البشائر الإسلامية بيروت ١٩٩٢م.
- ١١٦- طبقات الفقهاء الشافعية لابن قاضي شعبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- ١١٧- الطبقات الصغرى للشعراني، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٥م.
- ١١٨- طبقات الصوفية للسلمي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- ١١٩- طبقات علماء إفريقية لأبي العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- ١٢٠- طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م.
- ١٢١- الطبقات الكبرى للشعراني القاهرة ١٣٥٥هـ، وطبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٥م.
- ١٢٢- طبقات المفسرين للأدرنوي، المدينة المنورة ١٩٩٧م.
- ١٢٣- طبقات المفسرين للداودي، القاهرة ١٩٧٢م.
- ١٢٤- طبقات المفسرين للسيوطي القاهرة ١٩٧٦م.
- ١٢٥- طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شعبة، ج ١، ت. د. محسن غياض، بغداد ١٩٧٤م، ومخطوطة الظاهرية ٤٣٨ تاريخ.
- ١٢٦- العبر في خير من غير للذهبي، الكويت ١٩٦٠م.
- ١٢٧- عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي، القاهرة ٢٠٠٣م.
- ١٢٨- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي، القاهرة ١٩٦٠م.
- ١٢٩- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي — الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٤.
- ١٣٠- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني، بيروت ١٩٦٩م.
- ١٣١- عنوان العنوان للبقاعي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ٢٠٠٣م.
- ١٣٢- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، طبعة الخانجي، القاهرة ١٣٥١هـ.
- ١٣٣- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد الأندلسي، دار المعارف مصر ١٩٩٠م.
- ١٣٤- فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم — مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٩٥م.
- ١٣٥- الفلاكة والمفلوكون للدجني، مكتبة الأندلس بغداد ١٣٨٥هـ، وطبعة القاهرة ١٣٢٢هـ.
- ١٣٦- فنون الحديث النبوي للخولي، دار ابن كثير — دمشق بيروت ١٩٨٨م.

- ١٣٧- فهرست ابن خير: مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧م.
- ١٣٨- فهرست شيوخ القاضي عياض (الغنية) للقاضي عياض، القاهرة ٢٠٠٢م.
- ١٣٩- فهرس ابن عطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٠م.
- ١٤٠- فهرست ابن النديم، طبعة طهران.
- ١٤١- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، بيروت ١٩٧٣، وطبعة السعادة بمصر ١٩٥١م.
- ١٤٢- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، لمحمد رمزي، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣م.
- ١٤٣- قضاة دمشق لابن طولون، دمشق ١٩٥٦م.
- ١٤٤- قضاة قرطبي للحشني، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.
- ١٤٥- فلاند العقيان ومحاسن الأعيان لابن خاقان، الأردن ١٩٨٩م.
- ١٤٦- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، للسان الدين ابن الخطيب، بيروت ١٩٦٣م.
- ١٤٧- كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، طبعة الخانجي، القاهرة ٢٠٠١م.
- ١٤٨- كشف الظنون لحاجي خليفة، طبع استانبول ١٣٦٠هـ.
- ١٤٩- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدياج للتبكي، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م.
- ١٥٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندي مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٨م.
- ١٥١- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي المكتبة الأزهرية للتراث ١٩٩٤م.
- ١٥٢- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير، القاهرة ١٣٥٦هـ، ودار صادر بيروت.
- ١٥٣- لسان الميزان لابن حجر، حيدر آباد ١٣٢٩هـ.
- ١٥٤- لقط الفرائد للمكناسي في موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٦م.
- ١٥٥- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، دار الفكر بدمشق ١٩٨٤م.
- ١٥٦- المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، استانبول ١٢٨٦هـ.
- ١٥٧- مرآة الجنان لليافعي، حيدر آباد الدكن ١٣٣٧هـ.
- ١٥٨- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبد الحق البغدادي دار المعرفة بيروت ١٩٥٤م.
- ١٥٩- المسالك والممالك للبكري طبعة دار الكتاب العربي ١٩٩٢م.
- ١٦٠- مطمح الأنفس لابن خاقان، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣.
- ١٦١- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للدباغ، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٨م.
- ١٦٢- معجم البلدان لياقوت، دار صادر بيروت ١٩٧٧م.
- ١٦٣- معجم الشيوخ لابن فهد، الرياض ١٩٨٢م.
- ١٦٤- معجم العلماء والشعراء الصقليين، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٤م.

- ١٦٥- المعجم في أصحاب الصدق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٠م.
- ١٦٦- معجم شيوخ الذهبي، الطائف ١٩٨٨م.
- ١٦٧- المعجم المختص للذهبي الطائف ١٩٨٨م.
- ١٦٨- معرفة القراء الكبار للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.
- ١٦٩- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، دار المعارف، مصر ١٩٩٣م.
- ١٧٠- مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة، دار الكتب الحديثة القاهرة، وطبعة حيدر آباد ١٣٥٧هـ.
- ١٧١- مقدمة ابن خلدون، طبعة مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦م.
- ١٧٢- المقفى الكبير للمقرئ، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩١م.
- ١٧٣- مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى ط الخانجي القاهرة ١٩٩٧م.
- ١٧٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزى، حيدر آباد ١٣٥٧هـ.
- ١٧٥- المنجم في المعجم - معجم شيوخ السيوطى - دار ابن حزم بيروت ١٩٩٥م.
- ١٧٦- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لأبي المحاسن، القاهرة ١٩٥٦ وطبعة دار الكتب المصرية ١٩٨٤.
- ١٧٧- موطأ مالك، دار النفائس بيروت ١٩٩٠م.
- ١٧٨- ميزان الاعتدال للذهبي، القاهرة ١٩٦٣م.
- ١٧٩- النجوم الزاهرة بتلخيص أخبار قضاة مصر والقاهرة، لسبط ابن حجر، مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس برقم ٢١٥٢.
- ١٨٠- النجوم الزاهرة في ملوك والقاهرة لأبي المحاسن، القاهرة ١٩٦٣ فما بعدها.
- ١٨١- نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر، الرياض ١٩٨٥م.
- ١٨٢- نزهة الخاطر وبهجة الناظر لشرف ثالثين الأنصارى، دمشق ١٩٩١م.
- ١٨٣- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان للصيرفى، ت. د. حسن حبشى، القاهرة.
- ١٨٤- نشر المثاني لأهل القرن الحادى عشر والثاني للقادرى في موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٦م.
- ١٨٥- نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطى، المطبعة السورية الأمريكية بنيويورك ١٩٢٧م.
- ١٨٦- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب للسان الدين بن الخطيب، دار الكاتب العربى بالقاهرة.
- ١٨٧- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرئ، بيروت ١٩٦٨م.
- ١٨٨- نكت الهميان في نكت العميان للصفدى،: المطبعة الجمالية بمصر ١٩١١م.
- ١٨٩- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير طبعة عيسى الحلبي القاهرة ١٩٦٣م.
- ١٩٠- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبى المختار للشبلنجى، منشورات الشريف الرضى.
- ١٩١- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للحضري، دار الخير - دمشق بيروت - ١٩٩٨م.

- ١٩٢- نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبيكي، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٣م.
- ١٩٣- هدية العارفين في أسماء المصنفين للبغدادي، استانبول ١٩٦٠م.
- ١٩٤- الوافي بالوفيات للصفدي، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت ١٩٦٢ فما بعدها.
- ١٩٥- وفيات الأعيان لابن خلكان، دار صادر بيروت ١٩٦٨م.
- ١٩٦- الوفيات لابن رافع، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٢م.
- ١٩٧- الوفيات لابن قنفذ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٣م.
- ١٩٨- وفيات الونشريسي في موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٦م.

obeikandi.com